



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بَيْتُكَ الْعَبْدُ السَّيِّئُ

بَيْتُكَ الْوَالِدُ الْحَسَنُ

بِشْرَافِ الْمَوْجِ

السُّدْرُ الْكَبِيرُ الْوَالِدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْدَانَ

الْمَوْسِيُّ الْقَائِلِيُّ الْحَسَنِيُّ

١١٠٣-١١٦٣ هـ ق

مُخْتَفٍ

السُّدْرُ الْكَبِيرُ الْوَالِدُ

لِلْمَوْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنضيد العقود السنیه بتمهید الدوله الحسنيه

کاتب:

سیدمهدی رجایی

نشرت فی الطباعة:

الانساب

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	تنضيد العقود السنيه بتمهيد الدوله الحسنيه المجلد ١
١٨	اشاره
١٨	اشاره
٢٠	ترجمه المؤلف
٢٠	اسمه و نسبه:
٢١	الإطراء عليه:
٢٣	مشايخه و من روى عنهم:
٢٣	تلامذته و من روى عنه:
٢٦	تصانيفه الرائعه:
٢٦	أدبه و شعره:
٤٠	ولادته و وفاته:
٤٢	حول الكتاب:
٥١	في طريق التحقيق:
٥٦	متن تنضيد العقود السنّيه
٥٦	اشاره
٥٨	مقدمه المؤلف
٦٥	أصل مؤصل و عقد مفضل
٧٣	فصل: وجيز و عقد عزيز
٧٥	فصل: متين و عقد ثمين
٧٩	فصل: عالي و عقد غالي
٨٤	فصل: لطيف و عقد ظريف
٨٦	فصل: نامى و عقد سامى
٨٩	فصل: أنيس و عقد نفيس

٩٠	فصل: موصوف و عقد موصوف
٩٣	فصل: بديع
٩٨	فصل: جلى و عقد مقداره على
٩٨	اشاره
١٠٢	فصل
١٠٢	اشاره
١٠٣	وفاه ابن حجر العسقلانى:
١٠٣	وفاه السلطان مراد خان العثمانى:
١٠٣	وفاه السلطان جقمق:
١٠٤	وفاه الشريف بركات بن حسن:
١٠٤	ترجمه السيد الشريف محمّد بن بركات بن حسن
١٠٤	اشاره
١٠٦	فصل
١٠٦	اشاره
١٠٧	فتح القسطنطينيه على يد محمّد بن مراد خان:
١٠٨	وفاه سعد الدين الكاشغرى:
١٠٩	تعمير مسجد ميمونه:
١٠٩	وفاه العلامه ابن همّام:
١٠٩	وفاه السلطان اينال:
١٠٩	وفاه الشيخ عبد الكبير المتوكل:
١١٠	وفاه السلطان خوش قدم:
١١٠	إرسال السلطان قايتباى بخلع لشريف مكّه:
١١١	وقعه زبيد:
١١١	بناء مسجد الخيف:
١١١	بناء مسجد النمره:
١١١	منع الحاج العراقى:

- ١١٢ بناء سقف الكعبة:
- ١١٢ ورود محمل العراقى:
- ١١٢ بناء مدارس بمكّه:
- ١١٣ غزوه جازان:
- ١١٣ تغسيل داخل البيت:
- ١١٤ حج السلطان قايتباى:
- ١١٤ وصول المرسوم من السلطان قايتباى:
- ١١٥ وقوع الحريق بالمسجد النبوى:
- ١١٥ وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه:
- ١١٥ ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوى:
- ١١٦ وفاه السلطان قايتباى:
- ١١٦ وفاه الشريف محمّد بن بركات:
- ١١٧ ترجمه السيد الشريف بركات بن محمّد بن بركات بن اشاره
- ١١٧ اشاره
- ١٢٧ فصل
- ١٢٧ اشاره
- ١٢٧ قتل السلطان ناصر:
- ١٢٨ خلع السلطان قانصوه:
- ١٢٨ خلع السلطان جان بلاط:
- ١٢٨ القبض على القاضى ابن ظهيره:
- ١٢٨ ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسينى:
- ١٢٩ قتل مالك شيخ قبيله زبيد:
- ١٢٩ تعمير عين حنين و سور جدّه:
- ١٣٠ وفاه السلطان بايزيد:
- ١٣٠ خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه:
- ١٣٠ حجّ بعض نساء الغورى:

- ١٣١ توجّه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوى:
- ١٣٢ وقائع السلطان سليم:
- ١٣٣ وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى:
- ١٣٣ فصل: نذكر فيه
- ١٣٣ اشاره
- ١٣٨ خطبه القاضى عبد اللطيف باكثير:
- ١٤٣ إهتمام الشريف أبى ندى بأهل الشرف:
- ١٤٥ وفاه الشريف أبى ندى:
- ١٤٦ أدب الشريف أبى ندى:
- ١٤٧ تجديد سقف البيت و الميزاب:
- ١٤٧ تشريك الشريف أبى ندى مع ولده الحسن:
- ١٤٧ ورود محمل من طريق اليمن:
- ١٤٨ ورود ميزاب من ذهب للبيت:
- ١٤٨ إجراء عين عرفات إلى مكّه:
- ١٥١ عماره المسجد الحرام:
- ١٥١ وفاه السلطان سليم خان:
- ١٥٢ وفاه الشريف بركات بن أبى ندى:
- ١٥٢ ورود مرسوم بالكتابه:
- ١٥٣ وفاه القاضى حسين المالكى:
- ١٥٣ وفاه قطب الدين النهروانى:
- ١٥٤ وفاه الشريف أبى ندى:
- ١٥٤ فصل: نذكر فيه
- ١٥٤ اشاره
- ١٦٩ فصل فى الحوادث:
- ١٦٩ اشاره
- ١٧٠ بنايات و عمارات بمكّه:

- ١٧٠ وصول خيرات من السلطان مراد لأهالي مكّه: -
- ١٧١ وصول الشريف مسعود إلى مكّه: -
- ١٧١ وفاه السلطان مراد خان: -
- ١٧١ لبس الشريف ثقبه الخلعه: -
- ١٧٢ وفاه الحكيم داود الأنطاكي: -
- ١٧٢ وفاه الشريف ثقبه: -
- ١٧٢ ولايه عهد الشريف أبي طالب: -
- ١٧٣ وفاه الشريف حسن: -
- ١٧٣ فصل: فريد و عقد نضيد -
- ١٧٥ فصل: غريب و أصل عجيب -
- ١٨٠ فصل: مسدد و عقد منضد -
- ١٨٧ فصل: عظيم و عقد تنظيم -
- ١٩١ ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدي و سبب قتله: -
- ١٩٣ وجوب محبته ذريه رسول الله صلى الله عليه و آله: -
- ٢٠٠ ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى: -
- ٢٢٦ ترجمه السيد الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي -
- ٢٢٦ اشاره -
- ٢٣٦ فصل -
- ٢٣٦ اشاره -
- ٢٣٦ وصول قانصوه باشا إلى اليمن: -
- ٢٣٦ نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف: -
- ٢٣٧ عماره البيت الشريف: -
- ٢٣٧ وفاه الشريف مسعود: -
- ٢٣٨ ترجمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي -
- ٢٣٩ ترجمه مولانا الشريف محمّد بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي -
- ٢٤٣ ترجمه السيد الشريف نامي بن عبد المطلّب -

- ٢٤٩ ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن
- ٢٤٩ اشاره
- ٢٤٢ فصل
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٣ وفاه الشريف أحمد بن مسعود:
- ٢٤٤ وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقاني:
- ٢٤٤ وفاه السيد هاشم الحبشي:
- ٢٤٤ وفاه السيد أحمد شيخان باعيتود العلوي:
- ٢٤٥ وفاه الشيخ أحمد بن أبي الفتح الحكمي:
- ٢٤٥ وفاه السيد أحمد بن محمّد الهادي:
- ٢٤٦ وفاه الشيخ يوسف بن محمّد البلقيني:
- ٢٤٦ وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان:
- ٢٤٦ وفاه السيد نعمه الله الجيلاني:
- ٢٤٦ تحقيق حول النسب الكيلانيه:
- ٢٧٢ تجديد بناء الكعبه:
- ٢٧٣ الفتنه العظيمه بمكّه المكرمه:
- ٢٧٣ قدوم شعبان أفندي إلى المدينه:
- ٢٧٤ وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي:
- ٢٧٧ وفاه السيد علوي السقاف:
- ٢٧٧ وفاه السيد محمّد السقافي العلوي:
- ٢٧٨ وصول بشير آغا الحبشي الطواشي:
- ٢٨٥ وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندی:
- ٢٨٦ وفاه الشيخ محمّد بن أحمد حكيم الملك:
- ٢٩٩ وفاه الشيخ فتح الله النحاس:
- ٣٠٤ إنشاء السبيل و الحنفيه بمكّه:
- ٣٠٥ قتل مصطفى بيك والى جدّه:

- ٣٠٦ زياره الشريف زيد للمدينه:
- ٣٠٨ تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام:
- ٣٠٩ إصابه الشاه جهان فلج:
- ٣٠٩ وفاه السيد عمار بن بركات الحسنی:
- ٣١١ وفاه القاضي عصام الدين العصامی:
- ٣١٢ الغلاء و القحط الشديد بمكّه:
- ٣١٢ تعمير زمزم:
- ٣١٢ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣١٣ تعمير المقامات الأربعة:
- ٣١٣ خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه:
- ٣١٤ كثرة الأمطار و رخصه الأسعار:
- ٣١٤ وفاه الشريف زيد صاحب الترجمة:
- ٣١٥ شرافه الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن اشاره
- ٣١٥ واقعه السيد حمود و العساكر المصريه
- ٣٣٠ كيفيه الصلح بين سعد و حمود
- ٣٣١ فصل منيف
- ٣٣١ اشاره
- ٣٣١ الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه:
- ٣٣٢ إغاره قبيله عتيبه على القوافل:
- ٣٣٣ ظهور عمود من نور فى المغرب:
- ٣٣٣ وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه:
- ٣٣٣ قصد السيد حمود نهب ينبع:
- ٣٣٤ حمل الأرزاق إلى مكّه:
- ٣٣٤ وصول الحجّاج المصريين:
- ٣٣٥ ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس:

- ٣٣٦ بناء الشاخص فى المسجد الحرام:
- ٣٣٦ وصول حسن باشا إلى مكّه و نبذه من أخباره:
- ٣٣٨ توجه الشريف محمّد يحيى إلى قبيله بنى سعد:
- ٣٣٩ وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكّه:
- ٣٣٩ وفاه الشيخ عيسى الثعالبي:
- ٣٣٩ وقوع صاعه مهيله بمكّه:
- ٣٤٠ وفاه الشيخ عبد الكبير بن محمّد المتوكّل:
- ٣٤٠ تشريك السيّد أحمد مع الشريف سعد:
- ٣٤٠ فصل: فى حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا
- ٣٤٠ اشاره
- ٣٤٣ وصول حسين باشا السلحدار إلى مكّه:
- ٣٤٤ فالدوله الاولى
- ٣٤٤ الدوله الثانيه
- ٣٤٥ فصل
- ٣٤٥ اشاره
- ٣٤٥ توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب:
- ٣٤٦ عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه:
- ٣٤٧ القبض على الوزير عثمان حميدان:
- ٣٤٩ الدوله الثالثه
- ٣٤٩ فصل
- ٣٤٩ اشاره
- ٣٤٩ تغلب الأعراب على البصره:
- ٣٥١ وفاه عبد الله أفندى عتاقى زاده:
- ٣٥١ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣٥٢ وفاه الشيخ أحمد القطن:
- ٣٥٢ توجه العساكر العثمانيه إلى البصره:

- ٣٥٢ وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى:
- ٣٥٣ وفاه الشيخ عبد الملك العصامى:
- ٣٥٤ حصول و باء عظيم بمكّه:
- ٣٥٤ غزوه عنزه:
- ٣٥٤ وفاه العلامه أحمد أفندى منجم باشى:
- ٣٥٨ وصول الأمر السلطانى بقراءه حديث بدء الوحى:
- ٣٥٩ وفاه الشيخ حسن العجيمى المكى:
- ٣٦٠ نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد:
- ٣٦٠ الولايه الرابعه:
- ٣٦١ ترجمه الشريف بركات بن محمّد بن إبراهيم بن بركات:
- ٣٦١ اشاره:
- ٣٦٥ فصل:
- ٣٦٥ اشاره:
- ٣٦٥ خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد:
- ٣٦٦ وفاه الشيخ إبراهيم الخيارى المدنى:
- ٣٦٦ خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب:
- ٣٦٨ وفاه القاضى عبد المحسن القلمى:
- ٣٦٨ وفاه السيد حمود بن عبد الله:
- ٣٦٩ وفاه السيد أحمد بن محمّد الحارث:
- ٣٦٩ وفاه السيد عبد الرحمن المحجوب:
- ٣٧٠ وفاه السيد محمّد الحسينى الشامى نقيب الأشراف:
- ٣٧١ وفاه يحيى أفندى المنقارى:
- ٣٧١ وفاه الشيخ على الأيزى المكى:
- ٣٧٢ وفاه السيد أبو بكر بن سالم شيخان:
- ٣٧٢ وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى:
- ٣٧٢ خروج الشريف بركات إلى الفرع:

- ٣٧٣ خروج السيّد سعيد بن بركات إلى الروم:
- ٣٧٣ وفاه الشيخ محمّد البكرى الصديقي:
- ٣٧٣ وفاه الشيخ حسين بافضل:
- ٣٧٣ وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسي:
- ٣٧٤ تهمة تلويث أستار الكعبة و الحجر و الباب:
- ٣٧٧ وفاه السيّد إبراهيم بن محمّد الحسنى:
- ٣٧٧ نزول مطر عظيم:
- ٣٧٨ السيل العظيم بالمدينه:
- ٣٧٨ الفتنه العظيمه بالمدينه:
- ٣٧٩ ظهور نجم له ذنب طويل:
- ٣٧٩ المطر و السيل العظيم بمكّه:
- ٣٨٠ وفاه السيّد أحمد شيخان العلوى:
- ٣٨٠ وفاه الشيخ محمّد المنوفى:
- ٣٨٠ وفاه الشيخ أحمد باعنتر الطائفى:
- ٣٨١ وفاه الخطيب أحمد البزى المدنى:
- ٣٨٣ وفاه إمام اليمن أحمد المؤيد:
- ٣٨٣ وفاه الشيخ حسن بن على الدهان:
- ٣٨٣ خروج الشريف أحمد بن غالب من مكّه:
- ٣٨٤ وفاه الشريف بركات صاحب الترجمة:
- ٣٨٤ ترجمه السيّد الشريف سعيد بن بركات بن محمّد بن إبراهيم بن
اشاره
- ٣٨٥ وصول الخلعه السلطانيه:
- ٣٨٦ إخراج الشيخ محمّد بن سليمان:
- ٣٨٦ وصول الأمر السلطانى بتقسيم البلاد:
- ٣٨٨ حوادث سنه أربع و تسعين و ألف:
- ٣٨٨ وصول هديه جليله من الهند:

- ٣٨٨ وفاه الشيخ محمّد المالكي السوسى:
- ٣٩٠ إدخال القناديل إلى داخل الكعبة:
- ٣٩٠ وفاه السيد محمّد بن أحمد:
- ٣٩٠ توقّف الساده الأشراف من العرضه:
- ٣٩٢ حوادث سنه خمس و تسعين و ألف:
- ٣٩٣ وقوع أمر عجيب بمكّه:
- ٣٩٣ وفاه الأمير يحيى بيك الحسانى:
- ٣٩٤ وصول خلعه للشرىف سعيد:
- ٣٩٤ كثره البلاء و المحن بمكّه:
- ٣٩٤ ترجمه السيد الشرىف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين
- ٣٩٤ اشاره
- ٤٠٣ فصل
- ٤٠٣ اشاره
- ٤٠٣ قدوم الوزير محمّد على بن سليم:
- ٤٠٣ وفاه الشيخ يحيى بن محمّد النابلى:
- ٤٠٤ وفاه الشيخ أحمد البشبيشى:
- ٤٠٤ دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه:
- ٤٠٤ خروج الشرىف أحمد إلى عنزه:
- ٤٠٥ وزاره سليمان باشا مير يا خور:
- ٤٠٥ وفاه السيد محمّد بن يعلى الحسنى:
- ٤٠٥ وفاه إمام اليمن محمّد المؤيد:
- ٤٠٦ فصل
- ٤١٠ وصول الشرىف أحمد إلى جدّه:
- ٤١٠ وصول خلعه سنه للشرىف أحمد:
- ٤١٠ هدم البيوت الملاصقه بالمسجد:
- ٤١١ حوادث سنه ثمان و تسعين و ألف:

- ٤١١ اشارة
- ٤١١ بناء الحائط على مقابر مكّه:
- ٤١٢ وفاه الشيخ محمّد البخشى الدمشقى:
- ٤١٢ إخراج التكرود من مكّه:
- ٤١٢ عزل أحمد باشا والى جدّه:
- ٤١٣ الوباء العامّ بالطائف:
- ٤١٣ نصره المسلمين على الكفّار:
- ٤١٤ حوادث سنة تسع و تسعين و ألف:
- ٤١٤ اشارة
- ٤١٤ انزعاج الشريف أحمد بن غالب:
- ٤١٤ وفاه الشريف أحمد بن زيد:
- ٤١٩ ترجمه السيد الشريف أحمد بن غالب بن محمّد بن مساعد
- ٤١٩ اشارة
- ٤٢٤ فصل
- ٤٢٤ اشارة
- ٤٢٤ وصول الأمر السلطانى و الخلعه للشريف أحمد:
- ٤٣٠ خلع السلطان محمّد:
- ٤٣٣ وفاه القاضى على المكّى:
- ٤٣٤ قتل محمّد عمّار:
- ٤٣٤ عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه:
- ٤٣٥ فصل
- ٤٣٥ نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين على
- ٤٥٠ استقرار الوزير سنبل بمدينه صيبا:
- ٤٥٢ خروج الشريف أحمد إلى وادى خلب:
- ٤٥٤ وفاه الشريف أبى طالب بن محمّد العواجى:
- ٤٥٧ حوادث سنة أربع و مائه و ألف:

- ٤٥٧ اشاره
- ٤٦٦ ما قاله الادباء فى المصلوب:
- ٤٦٧ ترجمه عماره بن على بن زيدان المخلافى:
- ٤٧١ فائده
- ٤٧١ اشاره
- ٤٧٢ تتمه الحوادث:
- ٤٧٢ اشاره
- ٤٨٧ عماره قلعه جازان:
- ٤٩٠ غزوه قبيله النحوس:
- ٤٩٤ حكم معاقبه الإمام لرعيته:
- ٤٩٨ تنبيه
- ٤٩٩ فائده اخرى
- ٥٠٤ فائده
- ٥٠٤ اشاره
- ٥٠٥ بقيه الحوادث:
- ٥٠٨ فصل
- ٥١٠ غزوه المخيزه:
- ٥١٢ حوادث سنه خمس و مائه و ألف:
- ٥٣٨ فصل
- ٥٣٨ اشاره
- ٥٤٢ قصيده والد المؤلف فى الشريف أحمد:
- ٥٤٩ عود الشريف أحمد بن غالب إلى مكّه:
- ٥٥٠ أعقاب الشريف أحمد بن غالب:
- ٥٥٣ فهرس مواضع الجزء الأول
- ٥٨٠ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه: للعلامه المؤرخ السيد رضی الدین بن محمد بن علی بن حیدر الموسوی العاملی المکی ۱۱۰۳-۱۱۶۳ هـ ق

عنوان و نام پدیدآور: تنزیذ العقود السنیه بتمهید الدوله الحسنیه/ موسوی عاملی، رضی الدین بن محمد؛ تحقیق السید مهدی الرجائی

مشخصات نشر: معهد الدراسات ل تحقیق أنساب الأشراف، نشر الأنساب / ایران - قم

مشخصات ظاهری: ۲ ج.

وضعیت فهرست نویسی: برونسپاری

یادداشت: عربی.

موضوع: تاریخ شهر مکه از اواخر قرن ششم تا روزگار مؤلف

موضوع: ۱. مکه- تاریخ. ۲. مکه- سرگذشتنامه. ۳. سادات- مکه- سرگذشتنامه

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۹۰۱۴۰-۸-۸

ص: ۱

اشاره

موسوی عاملی، رضی الدین بن محمد (نویسنده)

رجایی، مهدی (محقق)

ص: ۲

ترجمه المؤلف

اسمه و نسبه:

هو العلامة المؤرخ الأديب السيد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر بن محمّد بن نجم الدين بن محمّد بن محمّد بن محمد بن الحسن بن نجم الدين بن الحسين بن محمّد بن معالى بن على الحائرى ابن عبد الله بن محمّد بن على الديلمى بن أبى طاهر عبد الله بن أبى الحسن محمّد المحدث بن أبى الطيّب طاهر بن الحسين القطعى بن موسى الثانى أبى سبحة بن إبراهيم المرتضى بن موسى الكاظم العاملى السكيكى المكى.

أقول: و بيته بيت علم و ثقافه و أدب، يقال لهم: بيت آل نجم الدين، نسبه إلى جدّهم الأعلى السيد نجم الدين، المجاز من صاحب المعالم المحقق العلامة الشيخ حسن ابن الشهيد الثانى بالإجازة الكبيره، و أوردها العلامة المجلسى قدّس سرّه بتمامها فى إجازات البحار، فراجع (1).

نبح فى هذا البيت جمع غفير، ذكرهم أرباب التراجم و المعاجم.

ص: ٣

١- ١) و طبعت الإجازة مستقلاً فى كتاب الإجازات لجمع من الأعلام و الفقهاء و المحدثين، المطبوع بتحقيقى، نشر مكتبه العلامة الفقيه السيد المرعشى رحمه الله.

و جدّه السيّد حسن أوّل من سكن قريه سكيك، قريه من قري الشام.

و والده السيّد محمّد كان فاضلا عالما أديبا شاعرا، و له كتاب تنبيه و سنى العين، طبع هذا الكتاب بتحقيقى، و كتبت ترجمه مفضله عن حياته العلميه و الاجتماعيه و الأديبه، فراجع.

الإطراء عليه:

قال السيّد عبد الله الجزائرى فى إجازته، عند ذكر مشايخه: و منهم السيّد الجليل الفقيه، السيّد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر العاملى المكي، أجازنى بالمشافهه فى مكّه شرفها الله، لمّا استجزته بمحضر من مولانا الشيخ إبراهيم المجاز، ثمّ كتب لى إجازه مبسوطه مشتمله على جميع طرقة و طرق أبيه و أسانيدهما، و قد ذهب فى أثناء الطريق، و لم أحفظ منها إلا روايته عن والده المذكور، عن العلامة المحقق محمّد شفيح بن محمّد على الأسترابادى، عن والده، عن المولى محمّد تقى المجلسى.

و كان السيّد رضى الدين رحمه الله مهذباً، أديباً، شاعراً، فصيحاً، حسن السير، مرجوعاً إليه فى أحكام الحجّ و غيره.

و سمعت والدى طاب ثراه يصف أباه السيّد محمّد بغايه الفضل و التحقيق، و جوده الذهن، و استقامه السليقه، و كثره التتبع لكتب الخاصّه و العامّه، و التبحر فى أحاديث الفريقين، و يطرى فى الثناء عليه لمّا اجتمع معه فى مكّه، و الذى وقفت عليه من مصنّفاته فى الكلام و الفقه يدلّ على فضل غزير، و علم كثير، رحمه الله عليه (1).

ص: ٤

و قال ابن عمّه السيّد عبّاس المكيّ: السيّد النسيب، الشريف الحسيب، الأديب الأريب، المصقع المنير الخطيب، الذي بذكره ينشرح القلب و يطيب، العلم السامي الأكبر، الرئيس الكريم البرّ، السيّد رضى الدين ابن العلامة الفهّامه الحبر البحر السيّد محمّد حيدر، هو مقدم البلاء المترجمين فى هذه الرحله، عالم عامل رحله، تشدّ إلى جنابه الرحال، و تزدحم على بابه الرجال، لتحصيل الفوائد، و تنويل الصلوات و العوائد، يسعى إليه كلّ ذى أمل، إذا نادى مناديه بحىّ على خير العمل.

كيف لا؟ و هو فاضل أقرت له الفضائل بالوحده، و ذلك فضل الله يؤتیه عبده، و أديب تربى فى حجر الآداب، و رضع لبان العقل و الصواب، و نام فى مهد البلاغه فأيقظ بفصاحه تحريره و تقريره قلوب الطلاب.

و على كلّ حال، فإليه فى البلاغه المرجع و المآب، و تحرير ما سمعنا بمثله و لا رأينا، و رئيس كريم ينشد لسان حاله، إن آثارنا تدلّ علينا، تفرّد بالأريحيه و الفضل، فما جعفر لدى جوده و ما الفضل، كان والده معدنا لكلّ فضل و إفاده، و تاج الأماجد الساده، و هو من بعده أخلفه و زياده، على رغم كلّ حلاف حنّاء مشاء بنميم نفاث، له التصانيف الحاليه، الفريده المفيده الغاليه (١).

و قال السيّد الصدر فى تكمله أمل الآمل: ترجمه ابن عمّه السيّد عبّاس بن على ابن حيدر بن محمّد فى نزّهه الجليس، و قال: السيّد النسيب، الشريف الحسيب، الأديب الأريب، المصقع المبين الخطيب، الذي بذكره ينشرح القلب و يطيب، العلم السامي الأكبر، الرئيس الكريم البرّ، إلى آخر ما تقدّم.

ص: ٥

و قال عمر رضا كحّاله: هو عالم أديب (١).

مشايخه و من روى عنهم:

١- الشيخ عيد المدرّس المصرى بالمدينه الشريفه المنوره، قال فى كتابه هذا فى حوادث سنه (١١٤٢) و هى سنه وفاه استاذّه: قرأنا عليه ألفيه الإمام ابن مالك، و جانباً من جمع الجوامع، و استفدنا منه فوائد كثيره.

٢- والده العلامه السيّد محمّد العاملى المكي، يروى عن شيخيه العلامه أبى الحسن الشريف الاصفهانى، و العلامه محمّد شفيح بن محمّد على الأستراবাদى بإسنادهما.

٣- الشيخ محمّد العناتى المغربى المالكى، قال فى كتابه هذا فى حوادث سنه (١١٤٠) و هى سنه وفاه استاذّه: قرأت عليه شرح مختصر التلخيص، و بعض رسائل الاستعارات، و سمعت منه جانباً من صحيح البخارى يمليه من محفوظه.

٤- الشيخ محمّد باقر بن المولى حسين النيشابورى المكي. و هو جدّه الرضاعى، صرح بكونه من مشايخه فى إجازته العامه التى كتبها فى سنه (١١٥٤) للمولى أحمد الشريف الخاتون آبادى الآتى، و شيخه هذا يروى عن العلامه محمّد باقر المجلسى صاحب بحار الأنوار، و العلامه محمّد بن عبد الفتاح التنكابنى السراب المتوفى سنه (١١٢٤).

تلامذته و من روى عنه:

١- المولى أحمد بن محمّد مهدي الشريف الخاتون آبادى.

أجازه فى سنه (١١٥٤)ه، و كان سافر فى هذا التاريخ إلى مكّه المشرفه،

ص: ٦

فالتقى بالسيد الشريف صاحب الترجمة، واستجازه فأجازه، وتوفى في الطريق راجعا من مكة المكرمة إلى وطنه الشريف.

قال السيد عبد الله الجزائري: المولى أحمد بن محمد مهدي الشريف الخاتون آبادي، كان فاضلا محققا، عابدا ورعا، متعففا مهذبا، محمود الأخلاق، من شركاء والدي في الدرس باصبهان، ثم خرج بعياله إلى مشهد أمير المؤمنين عليه السلام و سكن به سنين، و قدم علينا سنة سبع و ثلاثين بعد المائة و الألف، و أقام عندنا سنتين. و كان متقنا للرياضيات سيما الهيئه، و اشتغلت عليه من الزيغ بالقدر المتعلق باستخراج التقويم، و صار ذلك سببا لانتشار هذا الفن في هذه البلاد. ثم سافر إلى اصبهان، و حج منه مرارا، و توفى أخيرا في الطريق رحمه الله عليه (١).

و قال في الذريعه: إجازة السيد رضى الدين ابن العلامة السيد محمد بن علي ابن حيدر بن محمد بن نجم الدين الموسوى العاملى المكي المولود بها سنة (١١٠٣) لميرزا أحمد بن محمد مهدي الشريف الخواتون آبادي، تاريخها سنة (١١٥٤) و هي كبيره، أولها: حمدا لمن تنزهه بجلاله عن مشابهه الأنام (٢).

أقول: و لم أعثر على هذه الإجازة.

٢- السيد شبر بن محمد بن ثوان المشعشعي الحويزي، صاحب كتاب الذخيره فى العقبى فى مؤده ذوى القربى، المطبوع هذا الكتاب بتحقيقى، و يروى عنه إجازة بتاريخ سنة (١١٥٥) ه. ق.

قال فى الذريعه: إجازة السيد رضى الدين للسيد شبر بن محمد بن ثوان...

ص: ٧

١- ١) الإجازة الكبيره ص ١٢٦.

٢- ٢) الذريعه ١٩٢: ١.

و للسيد نصر الله بن الحسين المدرّس الحائري الشهيد، تاريخها سنة (١١٥٥) متوسّطه، أولها: الحمد لله مستحقّه. كتبها لهما، و أحال التفصيل إلى ما كتبه في السنه الماضيه لميرزا أحمد الشريف، و زاد هنا فهرس تصانيف والده (١).

٣- السيد عبد الله بن نور الدين بن السيد نعمه الله الجزائري.

قال في إجازته الكبيره: أجازني بالمشافهه في مكّه شرفها الله لما استجزته بمحضر من مولانا الشيخ إبراهيم المجاز، ثم كتب لي إجازة مبسوطه مشتمله على جميع طرقه و طرق أبيه و أسانيدهما، و قد ذهبت مني و لم أحفظ منها إلاّ- روايته عن والده، عن العلامه محمّد شفيع بن محمّد على الأسترابادي، عن والده، عن المولى محمّد تقى المجلسي (٢).

٤- الشهيد السيد نصر الله المدرّس الحائري.

قال السيد الصدر: وقفت له على إجازة كتبها للسيد نصر الله المدرّس الحائري، و ذكر في آخرها مصنّفات والده و مصنّفات نفسه الخ (٣).

و قال المحقّق الطهراني في كتابه الكواكب المنتشرة: أجازة له مع السيد شبر في تاريخ سنة (١١٥٥) هـ (٤).

أقول: الظاهر أن تكون الإجازة في سنة (١١٥٨) و ذلك أنه صرّح في هذا الكتاب- كما سيأتي- أنّ الشهيد السيد نصر الله الحائري سافر في هذا التاريخ إلى

ص: ٨

١- ١) الذريعة ١٩٢: ١.

٢- ٢) الإجازة الكبيره ص ٩٦-٩٧.

٣- ٣) تكمله أمل الآمل ص ٢٠٩-٢١٠.

٤- ٤) الكواكب المنتشرة ص ٢٧٦.

مكة المكرمة، ولعله التقى في هذه السنة بالسيد الشريف صاحب الترجمة، و ذكر في حوادث سنة (١١٥٨) إرساله رسولا من طرف السلطان نادر شاه إلى شريف مكة، و القبض عليه في مكة و إرساله مقيدا إلى استانبول، و بها استشهد رحمه الله تعالى، إلا أن يقال: إنه سافر أيضا في سنة (١١٥٥) و الله العالم.

تصنيفه الرائع:

- ١- إتحاف ذوى الألباب.
- ٢- تنضيد العقود الستية بتمهيد الدولة الحسنية، تاريخ جليل القدر جمّ الفوائد، و هو هذا الكتاب الذى بين يديك، سيأتى الكلام حوله.
- ٣- جاف ذوى الأشراف.
- ٤- الحاشيه على مفاتيح الشرائع للفيض الكاشانى.
- ٥- الحاشيه على المدارك للسيد محمد العالمى.
- ٦- الحاشيه على المسالك للشهيد الثانى.
- ٧- الدلائل النهاريّه على المسائل الصحاريّه.
- ٨- منسك صغير كافل لجميع الاحتياطات.
- ٩- نهج السداد فى أحكام الحجّ الإفراد.
- ١٠- نوادر لبّ اللباب.
- ١١- الوسيط بين الموجز و البسيط، مقصور على الحجّ و ما يتعلّق به، و هو يقارب نصف كتاب الحجّ من المدارك مع فوائد زائده عليه.

و غيرها من الكتب و الرسائل و القصائد.

أدبه و شعره:

قال السيد عباس المكي: له شعر يزرى بعقود الجواهر فى أجياد الأبيكار

الخرائد، بليغ الألفاظ، لطيف المعاني، يطرب لسماعه الحسن بن هانى، فمنه قوله مادحا شريف مكه المشرفه السيد الأنجد الشهم
الأمجد الشريف مبارك بن أحمد:

لعلوى ربوع باللوى و خدور فهل لك يا حادى الظعون تزور (١)

و سيأتى تمام شعره نقلا عن كتابه هذا.

و من قصيدته فى ولايه على بن سعيد الحسنى على مكه المكرمه فى سنه (١١٣٠) قال: و ممن أرخ له هذه الولايه، و نشر عليه من
الثناء أفخر رايه، مؤلف هذه الكلمات و منشيها، و حائك بردها و موشيهها، تقريبا إلى ذاته، و متعرضا لجزيل برّه و صلاته، و هو:

يا سيّدا قد حاز فخر الاولى سبحان من بالملك قد كملك

و يا فريد العقد مجدا و ما درّه تاج الملك ما عدلك

بسطة عدلا شايعا فى الورى بمنهج يحمده من سلك

لذا أتى تاريخ عام الهنا بملكك الصاعد أوج الفلك

من بعد إظهار لجن علوا و أسعد الرحمن مستقبلك

فهاك تاريخا غدا مفردا ما تمّ للعالم ما تمّ لك

ثمّ قال: الشطر الأخير و هو التاريخ للبهاء زهير، و إنّما ضمّنته لمطابقته مقتضى الحال، مع كونه صالحا لأن يكون تاريخا، و إنّما زاد
ثلاثه و ثمانين، فاستثنيتها بقولى «من بعد إظهار لجن علوا» و هو لفظ «لجن» بمفرده، و هو ثلاثه و ثمانون، و لا يخفى ما فى ذلك
من التوريه اللطيفه، و هذا النوع من التاريخ كثير جدّا لطيف، و يسمّى التاريخ المستثنى.

ص: ١٠

و من قصائده الطنانه ما مدح به الشريف مبارك بن أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي، قال: فمن جمله من مدحه، وأفعم من بزه قدحه، جامع هذا التأليف و منشييه، و حائك بروده و موشييه، بقصيده رائيه، سمت بمدحيه على القصائد الطائيه، و هي:

لعلوى ربوع باللوى و خدور فهل لك يا حادى الضعون تزور
تجدد عهدا باللوى جاده الحيا فلى فى رباه روضه و غدير
و نذكر أيا ما تقضت بسفحه و عصرا به غصن الشباب نضير
سقى مربعا للعامريه باللوى ملت يعم الأرض منه بحور
فلم أنس سراً قد أذاعته عند ما تدانى فراق بيننا و مسير
عشيه قالت بالحمى سوف نلتقى و قال لها الواشى أبوك غيور
فدتها الغوانى كيف تفشى حديثها أما علمت أنّ الوشاه حضور
أطعت الهوى فى حبها و لو أنه يؤجج ناراً فى الحشا و يثير
طرفت حماها حين طال بى النوى و فى كبدى منه لظى و سعير
و قلن محبّ قد أتى يطلب الثوى فقالت يقيم اليوم ثم يسير
فقلت لها يا علو فى غير أرضكم أسير و أمّا عندكم فأسير
أما ملكتى (١) لا فرق الله بيننا إلى كم صدود فى الهوى و نفور
أفى كلّ يوم لى إليكم وسيله أقدمها إنى إذا لصبور
على أننى لم أفش سراً و لم أحن عهداً و لم تسند إلى امور
فقلت حماك الله من كلّ شيمه تشين و لكنّ الوشاه كثير

ص: ١١

إذا ظفروا يوما بحرّ تبادروا إلى ذمّه إنّ اللسان عثور

فقلت دعيهم لا أبا لأبيهم فأنى مليك في الهوى و أمير

فقلت نعم قد أيدتك شواهد لدينا و أخبار بذاك تسير

و لكن إذا فاض الحديث بمحفل و أرجنا منه شذا و عبير

رأيتك للآداب تصغى و للعلا تميل و ذا ودّ لديك تميز

و تنظم من حرّ الكلام قلاندا تحلّى بها للغانيات نحور

أ لست الذي تطوى القفار لماجد له بين سادات الأنام ظهور

فقلت بلى لله درّك هذه مطامح مثلى لا طلا و بخور

فقلت إذن فاقصد أبا المجد و العلى و من بالخصال الصالحات شهير

مبارك نجل الشهم أحمد من له بغاه المعالى بالأكفّ تشير

فقلت هو المولى الذي قطّ ما له كما صحّ بين الخافقين نظير

مليك عظيم ماجد متواضع عليم بأعقاب بالامور خبير

مليك رقى هام السماكين و اغتدى لبان العلا و المجد و هو صغير

و ساد بنى السبط الذين هم هم ملوك الورى بالسيف و هو كبير

مليك له يومان يوم لبؤسه فكلّ الفيافى للعصاه قبور

و يوم ندى عمّ الخلائق برّه فلم يلف بين العالمين فقير

مليك عريق فاطمى مهذب علا أورثاه شبر و شبير

مليك خطيب مصقع ذو بلاغه يقصّر عنها دعبل و جرير

مليك زهت امّ القرى بقدمه و حفّ جميع الخلق منه سرور

فيا ملكا تروى أحاديث فخره ثقاه عدول فى الورى و صدور

عن السبط عن مولى الأنام بأسرهم على كما قد أوضحتہ سطور

ص: ۱۲

و يا ماجدا حاز القلوب بلطفه و كلّ و داد قد حواه ضمير

ألم تدر أنّي لم أزل منذ أشرقت علىّ شمس من علاك تنير

و أصفيتني محض الوداد تفضّلا و ظنّا بأنّي عالم و بصير

رجوت بأنّي أرتقى كلّ رتبه ذراها يرّد الطرف و هو حسير

فكان جزائي ضدّ ما قد رجوته على أنّي بالفضل منك جدير

على حظّي المنحوس عتبي لأنّني أرى أنّ حظّي قد عراه قصور

فإن تولني منك الجميل فأهله و إلّا فإنّي عاذر و شكور

و هاك لآل في سموط نضمتها عقودا و في أثناء تلك شذور

هديه رقّ مخلص قد طغى به زمان لأرباب الكمال كفور

فجد بقبول لا برحت معظّما مهابا عزيزا و العدوّ حقير

و دم مالكا للمجد ثمّ متمّما له بفخار لم يصبه دثور

و من قصيدته ما أرسله إلى السيّد عبد المعين الهجاري حين غلب على قبيله آل حرب، و هي هذه:

تبسم ثغر النصر بالبيض و السمر و أورك غصن الفخر بالساده القرّ

هم فتية من آل طه تملّكوا حصون العلا بالزاعبيّه و البتر

و شادوا مباني العزّ بالطعن في العدا و سادوا البرايا بالصلاه و بالبرّ

مطاعير في الهيجاء حجاجيح في الوغا مكاشيف للغمّاء في ملتقى الكرّ

فأحيوا رسوم المجد بعد اندراسها و أعلوا لواء الفاطميين بالنصر

فهم ساده فاقوا هجارا أباهم و فاقوا جدودا من كنانه و النصر

بحزم و إقدام و رأى و همّه و جزل هبات لا تنهه بالزجر

و فيهم فتى يدعى لكلّ ملّمه و خطب إذا ضاقت به سبل البرّ

قريع المعالى الشم بيت قصيدهم و واسطه العقد المنضد بالدر
مجيب الندى عبد المعين أخو الندى و مردى العدا جون المهامه و القفر
أخو كرم قد ساد كل قبيله عطاء و طعنا بالرديته السمر
فأضحى أمير الشام مع أرض ينبع و مقصد من يأتى من البر و البحر
لقد شن فى حرب و صبح غواترا يقصر عنها حرب تغلب أو بكر
أتاه شويخ الشام أعنى مباركا بسبعه آلاف من البدو و الحضر
و خان بعهد قد تقادم ربطه فأضحى إماما للخيانة و الغدر
و سار لحرب الهاشميين دافقا دماء بنى الزهراء و الأنجم الزهر
على أنهم فى العدّ عشرون فارسا و لكنهم فى الحرب أشجع من عمرو
فوافتهم الأقوام من كل جانب و دبوا ديب النمل فى السهل و الوعر
فثارت لهم أبناء موسى و مالك ثيار محب مخلص صادق ير
و ضمّ إليهم قوفه جياذ قوفه ملث يروى القاع من وابل القطر
كذا عروه لا شتت الله شملها و لا حلّ فى ساحاتها كلكل الدهر
و أزرق قد وافوا بأبيض باتر و أسمر خطى على الإبل الحمر
فجالت بمضمار الوغى خيل معشر نشاوى قراع لا نشاوى من الخمر
لهم فتكه البراض فى كل مأزق و عزم على يوم خير أو بدر
فخرت لهم أبطال حرب و أحجمت و قالت دهانا الخطب من حيث لا ندر
فولوا سراعا قائلين لشيخهم لك الويل دع هذا و هيتا بنا نسرى
فساروا و هم ما بين سلم و هارب و آخر ملقى للغراب و للنسر
فيا لك حربا لم يصر قط مثلها تريك نجوم الليل تسطع فى الظهر

فيا ابن مضيان علتك سحابه لابن هجار برقها في الدجا يسرى

ص: ١٤

غدوت بها قنًا و عبدا مملكا و ذى يا أخوا العصماء عاقبه المكر
حربت و لم تظفر و قد عدت هاربا و أذهبت عزًا ثم صرت أخوا ذعر
فهلّا اتّقيت الله فى آل أحمد بنى الهدى غوث الورى من لظى الحشر
بغيت و لم تعلم بأنّ أباهم عليا سيعليهم عليك مدى العمر
فقد قيل قدما للبغاه مصارع و أنّ مشير الشرّ يوقع فى الشرّ
فتبا لكم يا حرب إنّ شيوخكم زعانف من نسل ابن ملجم و الشمر
يجزون جيشا للسراه ذوى العلا بنى السبط بغيا مزعين على الكفر
لعمرى لم تسر الركاب بمثلها و لا نظمت أنظارها قطّ فى شعر
فعودوا بنى حرب إلى نخلاتكم و خلّوا طعان الخيل للساده الغرّ
و دونك يا عبد المعين خريده أتتك تجرّ الذيل كالغاده البكر
تبثّ إليك الشوق و المدح من فتى رآك لها أهلا و تنطق بالشكر
هديه خدن فاطمى مهذب تذللّ له الألفاظ فى النظم و النثر
ينضد من درّ الكلام قلائدا تناط بأعناق الكعاب و بالنحر
يدير على الألباب من سحر نطقه كؤوس سلاف تستميل ذوى السكر
فها هى قد وافتك يبسم ثغرها سرورا و تأييدا و تعلن بالنصر
فخذها عروسا قد تكامل حسنها و منّ عليها بالقبول و بالبشر
و دم صاعدا فى أوج عزّ مؤطد عظيما مهابا رافعا علم الفخر

و من شعره فى تاريخ وفاه الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن بركات الأحمدي الطنطاوى المكي، قال:

أقفر المنزل و ازداد ظلما و عفت آثار من فيه أقاما

و خلت دار التقى من عالم كان بالأمس بها صلّى و صاما

و دروس عطّلت من بعد ما كان يملئها جلوسا و قياما

فعدى الدهر عليه حاسدا لبنيه إذ رقوا فيها مقاما

بإمام عالم قد زانه منطق عذب و فضل لن يراما

فدنت منه المنايا شرّعا و قضت منه مرادا و مراما

لا سقى الله زمانا بعده عارض الرحمه تحدوه النعاما

بل و لا عيشا زهت نضرته لفتى من بعده يرجو مقاما

بل و لا كتب لعلم صنّفت فهى اليوم حيارى تتراما

بل و لا حلقة درس نضدت قد خلت من عالم يبرى السقاما

كان فى الدنيا إماما واحدا ثم فى الاخرى تسرّ و تساما

و بدا أخبرنا تاريخه فى جنان الخلد قد سمى إماما (١)

و من قصيدته فى الشيخ عمر بن عبد القادر المكى، قال: و كان قد صنع فى عمارته بمكّه أيوانا عظيما، حوى من اللطافه و حسن
الوضع منزلا- جسيما، قد حفّته الأشجار، و أحدقت به أنواع الأزهار، فالتمس من مخلصه تاريخا لعام عمارته، مع ذكر أوصافه و
نزهته، فقابلت أمره العالى بالطاعه، و جلبت إلى سوق بلاغته هذه البضاعه، و هى:

غنى على فنن الغصون هزار فتمايلت طرباله الأشجار

و النور يضحك و الغمام كعاشق يبيكى فيسكب دمه المدرار

و الورد يحكى حدّ شاد شادن خجل تمشت فى مطاه عقار

و الروض يشكر للغرام صنايعا شكرا به تترنم الأطيّار

ص: ١٦

و الماء كالمرآه يزهو منظرا فى بركه قدرانها الفؤار

فاغنم زمانك حيث دهرك باسم عن نعمه ما شابها أكدار

فى مجلس ضحك السرور لصحبه عن ناجذيه و أشرفت أنوار

قد شاده عين الوجود أخو العلا عمر بن عبد القادر المعمار

فخر الأنام سراج كل ملّمه دهما فهو لها ذكا و نهار

ذو الهّمه العليا بل ذو الفط -نه الغزاء بل هو صارم تبار

إن قال فهو أبو المحاسن كلّها أو طال فهو أبو النداء المغمار

مفتى الأنام أبوه من قد زانه علم و فخر ناله و وقار

محيى العلوم إمامها علامها مصباحها و شجاعها الكرار

ولى و خلف للمكارم فتيه يتناسقون كأنهم أقمار

فاهناً أبا حفص بما شيدته أثرا يدوم و نزهه تختار

لا زلت تجمع فيه كل مهذب ذى همّه عليا إليه يشار

فلقد تجمّعت المحاسن كلّها فيه و حفّت حوله الأزهار

فيغايه اليمن المخلد أرخوا هو نزهه حفّت به الأشجار

و له أيضا فى الشيخ على بن عبد القادر بن أبى بكر الأندى فى ضيافته لشريف مكّه الأمير مسعود:

لك السعاده يا ذا الفخر و النسب و الجود و المجد و الافضال و الحسب

زفت رئاسه هذا الوقت خاضعه إليك فى العلم فاصعد أشرف الرتب

فأنت مأوى الورى فى كل معضله وهما تحطّ فى أثوابها القشب

و أنت مغنى الملا فى كل حادثه عنها و فى فكر ذى كدّ و ذى طلب

خدن العلوم و محيياها و فارسها و قطبها حيثما دارت رحى الكتب

تجمعت فيك أوصاف عرفت بها ورثتها عن أب للفخر منتدب
مفتى مكه قاضيها محدثها إمامها المرتضى في الشرع و الأدب
رب الفضائل عبد القادر بن أبي بكر أخى الجود و الاحسان و القرب
فطل و قل فيه و انشد قول مفتخر بمجد والده فى سالف الحقب
هذا أبى حين يدعى سيد لأب هيهات ما للورى يا دهر مثل أب
فاشكر أباً حسن مولاك ملتصبا منه دوام الذى أولاك من نجب
فاغنم زمان العلا و العز مقتطفا زهر الهنا من رياض الانس و اقتضب
و اهناً بدار سرور أنت واضعها قد زخرفتها يد الأقدار بالذهب
حوت من الطرف أيوانا علا شرفا بالعلم و الفضل و التفريح للكرب
و زاد فخرا بسلطان سمي نبأ إذا زار صاحبه فى موكب نجب
شريف مكه مسعود الذى نطقت بمدحه ألسن الأقلام و الخطب
و ساد كل ملوك الأرض قاطبه بخدمه الحرم السامى ذرى الركب
ففاق أيواننا العالى بشائده على مباني الورى طراً بلا تعب
لذا غدا طائر الإقبال ينشدنا تاريخه ضمن بيت محكم الحسب
أيوان عزّها حسنا مصاحبه عين الوجود على القدر و النسب

ولادته و وفاته:

قال السيد عيسى المكي: كانت ولادته عام ألف و مائه و ثلاث، و اسمه تاريخه، كما لا يخفى لذي عينين، لكنّه زاد فى العدد
اثنين، فاستثناهما ولده؛ بقوله:

رضى الدين تاريخ لعام فطامه الشرعى

و قال السيد الصدر: كانت ولادته عام ألف و مائه و ثلاث، و اسمه تاريخه كما لا يخفى على ذى عينين، و لكنّه زاد فى العدد
اثنين فاستثناهما ولده رحمه الله بقوله:

رضى الدين تاريخ لعام فطامه الشرعى

و أنّه منطبق على سنه (١١٠٥) وقال أيضا:

رضى الدين تاريخ بحذف اثنين من عدده

و توفى على الأظهر الأصح عندى فى سنه (١١٦٣) كما صرح الكاتب لنسخه «د» و ذلك حيث تم تحرير تاريخ مكّه إلى نهايه سنه (١١٦٢) قال: إلى هنا انتهى ما وجد من التاريخ المذكور، فإنّ صاحبه رحمه الله فى أوائل سنه (١١٦٣) صار من أصحاب القبور.

و قال فى الأعيان: توفى قبل سنه (١١٦٨) و لا ينافى أن يكون فى التاريخ المزبور، حيث يطلق عليه القبليه.

حول الكتاب:

قال المحقق الطهرانى فى الذريعه: تنضيد العقود السّتيه بتمهيد الدوله الحسّيه، تاريخ جليل القدر، جمّ الفوائد، للسّيد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر آل نجم الدين الموسوى العاملى المكيّ، ولد سنه (١١٠٣) و فطم فى سنه (١١٠٥) المطابق لجمل اسمه «رضى الدين» كما فصل ترجمته السّيد عبّاس بن على بن حيدر آل نور الدين فى نزّه الجليس، و توفى قبل سنه (١١٦٨) لأنّه دعا له السّيد عبد الله التستري فى إجازته الكبيره الصادره فى هذا التاريخ ب«رضى الله عنه».

و ذكر هو نفسه فهرس تصانيفه و تصانيف والده المشهور بالسّيد محمّد حيدر المكيّ فى إجازته للسّيد نصر الله المدرّس الشهيد الحائري، و السّيد شبر بن محمّد المشعشى الحويزى فى سنه (١١٥٥) و عدّ فى الإجازه من تصانيفه «تنضيد العقود» هذا الذى رأيت منه نسخه فى مكتبه السّيد أحمد العطار البغدادى التى وقفها حفيده السّيد عيسى.

و مما استطرفت منه قوله: توفى في سنة (١١١٣) رئيس المحققين، و سلطان المدققين، العالم العلامة، و الفاضل الفهامة أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشى، ثم ذكر ترجمته عن كتاب لسان الزمان، ثم قال: و رأيت له تعليقه على الحديث الشريف «إني تارك فيكم خليفتين» و قد أورد على العائمه من هذا الحديث اثني عشر إشكالا و بحثا، ثم قال بعد تمام الأبحاث: رحم الله من يكشف القناع و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل كلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح.

و ينقل عن التنزيده هذا في العقبات كثيرا، منها: ترجمه الشيخ أحمد بن الفضل ابن محمّد باكثر المكي المتوفى سنة (١٠٤٧) مؤلف و سيله المآل في عدّ مناقب الآل (١).

و قد ذكر هذا الكتاب النفيس في عدّه من المعاجم و التراجم:

منهم: عمر رضا كحاله في كتابه معجم المؤلفين (١٦٧:٤).

و إسماعيل باشا في إيضاح المكنون (١:٢٦٠) و لكن اشتبه عليه عنوان الكتاب حيث حرّف الضاد بالفاء، فقرأ «تنفيد العقود» و هو تحريف واضح.

و السيّد حامد حسين في كتابه العقبات (١:٢٨٤ و ٢٩٢ و ٢٩٥).

و المحقّق الطهراني أيضا في كتابه الكواكب المنتشرة (ص ٢٧٦).

أقول: ألّف كتابه هذا لشريف مكّه المكرّمه، السيّد محسن بن السيّد حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمي الحسنی.

أقول: قول صاحب الذريعه «و مما استطرفت منه» الخ، إشاره إلى ما ذكره في

ص: ٢٠

هذا الكتاب بعد ما أورد ترجمه العلامة أحمد أفندي المعروف بمنجم باشى، قال بعد ذكر ترجمته:

قلت: و قد رأيت له تعليقه على الحديث الشريف، و هو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ، وَ عَتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا، وَ إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» الْحَدِيثُ. وَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ زِيَادَةٌ: فَاعْرِفُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا (١).

قال رحمه الله: و قد نقلها سيدي الوالد دام فضله من خطه رحمه الله، و من خطه نقلت: لا يخفى أن في هذا الحديث الشريف مواضع ينبغي للناظر المتبصر أن يقف فيها حتى يقف على ما فيها من النكات و المزايا:

أولها: تصدير الكلام بالجملة الإسمية المؤكدة بكلمة «إن».

ثانيها: وجه نصب الخليفين، و عدم الاكتفاء بواحد منهما.

ثالثها: أن الظاهر من خلافه الكتاب أن تكون في إفاده الأحكام الشرعية الاعتقادية و العملية، و سائر ضروريات الدين.

و أما خلافه العتره، ففيها احتمال إلى امور:

منها: كونها في بيان ما خفى من أحكام الكتاب، و توضيح مشكلاته.

و منها: أن يكون في إجراء الأحكام بين الأئمة.

و منها: تعليم الأخلاق المحمديّة، و الصفات الأحمديّة، بطريق الحال لا المقال، و على سبيل الإرادة دون الرواية.

و منها: الوقوف على أسرار النبوة و باطن الشريعة.

ص: ٢١

(١ - ١) و قد ذكرنا مصادر الحديث في محله من هذا الكتاب، فراجع.

و منها: المحبّه الخالصة التي تجب على كلّ مؤمن؛ لأنّ أصل الإيمان إنّما يحصل بتصديق النبي صلّى الله عليه و آله في جميع ما جاء به، و كمال الإيمان إنّما يحصل بالمحبّه الخالصة في حقّه، كما نطق به بعض الأحاديث الشريفه، فتكون المحبّه لتلك الخليفه عين المحبّه في حقّه عليه الصلاه و السّلام.

رابعها: تشبيه كتاب الله تعالى بالحبل، ثم وصفه بكونه ممدودا بين السماء و الأرض.

خامسها: تأكيد العتره بأهل البيت.

سادسها: تعليق النجاه عن الضلال بالتمسك بهما جميعا، و هذا يشعر بأنّ كلّ واحد من الخليفين في أمر غير ما استخلف فيه الاخرى، و الإقيل: بأيّهما أو بأحدهما.

سابعها: تعقيب هذا الكلام بعد تمامه بقوله «و إنّهما لن يفترقا» الخ، و وجه ارتباطه بما سبق.

ثامنها: إثباته بجمله إسميه مؤكّده، بأنّ خبرها جملة فعليّه منفيّه بأداه دالّه على تأكيد النفي.

تاسعها: تخصيص الحوض بالذكر من بين سائر المواضع.

عاشرها: ما وقع في الزيادة المرويّه من قوله «فاعرفوا» الظاهر منه أن يكون للتنبيه، فعلى أيّ شيء تبه و ما قصد بقوله «كيف تخلفوني فيهما».

و الحادي عشر: أنّ العتره إن اريد بها معناها الحقيقي على ما يقتضيه التأكيد بأهل بيتي، كان الحديث نصّا في خلافه أهل البيت عليهم السّلام، و هذا خلاف ما عليه أهل السنّه. و إن اريد بها المعنى المجازي، كان التأكيد لغوا، بالنظر إلى ما هو الأغلب في التأكيد؛ إذ الغالب فيه دفع توهم المجاز، و كلامه عليه الصلاه و السّلام مبرىء عن

و الثاني عشر: أنّ هذا الحديث الشريف يدلّ بطريق المفهوم على وعيد عظيم، و هو أنّ من لم يتمسك بشيء من الخلفتين، أو تمسك بأحدهما و لم يتمسك بالآخرى يقع فى الضلال و لا ينجو منه، مع خفاء ما هو المراد من الخليفة الثانى؛ إذ لو لم يكن فيه خفاء لم يقع الخلاف بأنّ المراد من العتره هل هو المعنى الحقيقى كما يقتضيه التأكيد، أو المعنى المجازى كما يقتضيه ما اتفق عليه أهل السنّه، و الله تعالى أعلم.

رحم الله تعالى من يكشف القناع، و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل ظلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح، و من الله التوفيق للتحقيق. إنتهت الرساله المشار إليها، و هى تدلّ على تمكّن عظيم فى علم العربيّه و غيره رحمه الله تعالى.

و أورد فى هذا الكتاب للشيخ الجليل الصالح الورع النبيل الشيخ محمّد جواد ابن الشيخ عبد الرزاق البغدادى من لطيف شعره الدالّ على علوّ قدره، و نقلها من ديوانه، يمدح بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام، و هى:

أما و ليال قد شجاني انصرامها لقد سخّ من عيني عليها سجامها

تولّت فما حالفت فى الدهر بعدها سوى لوعه أبدى بقلبي كلامها

و صرت امّنى النفس و القلب عالم بأنّ المنايا مخطئات سهامها

فلا حالفت قدرى المعالى و لا رعت ذمامى إن لم يرع عندى ذمامها

بها بلغت نفسى إلى جلّ قصدها على أنّها فى القصد صعب مرامها

و ما كلّ من رام انقياد العلى له بملقى إليه حيث شاء زمامها

ليال بأكناف الغررى تصرّمت فيا ليتها بالروح يشرى دوامها

سقى الله أكناف الغرى عهاده و حياه من عز الغواذى ركامها
ربوع إذا ما الأرض أضحت ركوبه فما هي إلا أنفها و سنامها
تباهى درارى الشهب حصباء درّها و يزرى بنشر المسك طيبا رغامها
بها جيره قد أرضعوا النفس وصلهم فأودى بها بعد الرضاع فظامها
سأرعى لهم ما عشت محكم صحبه مدى العمر لا ينفص عنها ختامها
إذا شاق صبّا ذكر سلع و حاجر فنفسى إليهم شوقها و هيامها
فكم عاذلتنى فى حماهم غزاله يليق عقودا للنحور كلامها
أقول و قد أرخت لثاما بوجهها هل البدر إلا ما حواه لثامها
أو الليل إلا من عذائر فرعها أو الصبح إلا ما جلاه ابتسامها
و ما المشرفى العضب إلا لحاظها و لا السمهرى اللدن إلا قوامها
فيا ليتها لما ألمت تيقنت بأنّ سويدا الفؤاد مقامها
فو الله مالى عن هوى الغيد سلوه و إن جار فى قلبى الشجى احتكامها
فلله نفسى كيف تبقى و فى الحشا تباريح وجد لا يطاق اكتتامها
و أنى لها تسلو الهوى و غريمها إذا أزمعت نحو السلو غرامها
ألا ليس منجى النفس من غمره الهوى و لا ركن يرجى فى ذراه اعتصامها
سوى حبها مولى البريه مدعنا بحقّ هو الهادى لها و إمامها
على أمير المؤمنين و من به تقوّض من أهل الضلال خيامها
مقام الندى ركن الهدى كعبه غدا على الناس فرض حجّها و استلامها
هو العروه الوثقى فمستمسك بها لعمري لا يخشى لديه انفصامها
وصى الرسول المصطفى و نصيره إذا اشتدّ من نار الهياج احتدامها

له الهمم القعسا و الرتب التي تجاوز ما فوق السماكين هامها

ص: ٢٤

ينير به المحراب إذ بات قائما بجنح ليال جفنه لا ينامها
و إن نار حرب يوم روع تسعرت و شقّ على قلب الجبان اقتحامها
سطى قاطعا هام الكماه بصارم غدا فيه يغتال النفوس حمامها
فكم فلّ جيشا للطغاه بعزمه يهدّ الجبال الشامخات اصطدامها
و أفناهم غزوا بكلّ كتيبه على منهل الأقدام يبدو زحامها
تثير رياح الخيل فيها سحاييا من النقع يهمل بالنجيع ركامها
بكلّ فتى ماضى العزيمه قد غدت له السابغات الفهد و هو حسامها
ألا إنّما أحكام دين محمّد بحيدر أضحى مستقيما قوامها
له معجزات يقحم الخصم ذكرها و يسجع بالحقّ المبين حمامها
فمنها رجوع الشمس فى أرض طيبه و فى بابل إذ كاد يغشى ظلامها
فيا نبأ الله العظيم الذى به قد اشتدّ ما بين البرايا خصامها
فمن فرقه بالخلد فازت بحبّه و اخرى رماها فى الجحيم أاثامها
فأنت لعمري فللك نوح و جذوه لموسى بدا من طور سينا ضرامها
لقد فزت من عهد النبى برتبه كهارون من موسى اتيح اغتنامها
و أعظم من ذا أن رقيت مناكبا له قد تناهى مجدها و احترامها
فكسرت أصناما خفضت دعائها برفعك حتى ليس يرجى التأمها
و كنت له فى ليله الغار واقيا بنفس لنصر الحقّ طال اهتمامها
عشيه إذ رام العداه اغتياله فخابت و لم تدرك مراما لثامها
وجود الفتى بالنفس أنفس جوده و أفضل من ساد الرجال كرامها
أبا حسن يا ملجأ الخاطيء الذى خطاياهم قد أعيأ الأساه سقامها

أغث موثقاً في قيد نفس شقيته تعاضم منها أصرها و اجترامها

ص: ٢٥

فليس لها حسنى سوى حبها لكم سيغدوا عليها بعثها و قيامها
و كن مسعفا فى الحشر منك بشره يبل بها إذ يجتبيها أوامها
فأنت قسيم النار و الخلد فى غد إذا آن ما بين العباد اقتسامها
إليك أبا السبطين منى مدحه يفوق على سمط اللاكى نظامها
هى الروضه الغناء باكرها الحيا و ذكرك أزهار مديحى كما مها
غدت دون مدح الله فيك و إنما بذكرك ييهى بدوها و ختامها
عليك سلام الله ما انهل بارق و ما ناح فى أعلى الغصون حمامها

فى طريق التحقيق:

قوبل هذا الكتاب الشريف على نسختين نفيستين كاملتين، وهما:

١-نسخه كامله مصوره من مكتبه جامع الحكمة ببغداد، تاريخ نسخها يوم الخميس المبارك سابع عشرين ذى القعدة الحرام
سنه (١٢٠٠) كاتبها مسعود بن عبد المحسن بن على ما خريب (كذا)، و جعلت رمز النسخه «د».

٢-نسخه كامله مصوره من إحدى مكاتب الهند، بخط جيد، تاريخ نسخها (٢٥) رمضان المبارك سنه (١٢٦٤) استنسخها كاتبها
للشريف عبد الله باشا بن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون الحسنى، و جعلت رمز النسخه «ن».

و لم آل جهدى فى تحقيق الكتاب و تصحيحه، و عرضه على الاصول المعتبره النسبيه و التاريخيه، و استخراج مصادرها، فخرج
بحمد الله حسب و سعى خاليا من الغلط، إلا ما شذ و ندر، فإن الإنسان محل السهو و الخطأ، و المرجو من الإخوان الأعزاء أن
يتفضلوا بما لديهم من الالتفات بما وقعنا فيه من السهو و الخطأ.

و الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطيبين الطاهرين.

قم المشرفه-٥-محرم الحرام-١٤٣١ هـ السيد مهدي الرجائي

الصفحة الاولى من نسخه «د»

ص: ٢٧

الصفحة الأخيره من نسخه «د»

ص: ٢٨

الصفحة الاولى من نسخه «ن»

ص: ٢٩

الصفحة الأخيره من نسخه «ن»

ص: ٣٠

بتمهید الدوله الحسیه

للعلامه المؤرخ السید رضی الدین بن محمد بن علی بن حیدر الموسوی العاملی المکی ۱۱۰۳-۱۱۶۳ هـ ق تحقیق السید مهدی
الرجائی الجزء الأول

ص: ۳۱

بسم الله الرحمن الرحيم و به الأمان من زوال الإيمان (١).

نحمدك اللهم يا من أطد قواعد الإسلام بالرضا من عباده، و نضد به عقود مبانيه على أكمل نظام، فكان أحمد عباده، و شيّد (٢) قبه الشريعة الغراء على أركان العترة الطاهره، و نصبهم للهدايه (٣) فأوضحوا موارد الدين مصادره، و جعل أهل البيت النبوى الكريم سفينه النجاه (٤)، و وسيله إلى نيل الفوز و علو الدرجات، و أنبت روض النسب الهاشمى نباتا حسنا، فكانوا أزاهر ذلك الروض، و صيرهم قرناء الكتاب الذين لا يفارقونه إلى أن يردوا الحوض.

و نصّ على فضلهم الجلى (٥)، و قدرهم العلى، و عمّم برحمته الواسعه، و شملهم بأنوار بركته الساطعه، فقال و هو العزيز الحميد:
رَحِمْتُ اللّٰهَ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

ص: ٣٣

١- ١) فى «ن» بعد البسملة: و به نستعين.

٢- ٢) فى «ن»: و رفع.

٣- ٣) فى «ن»: للهدى.

٤- ٤) روى الحافظ الطبرانى فى معجمه، بإسناده عن سعيد بن المسيّب، عن أبى ذرّ الغفارى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها غرق. فهو حديث صحيح متواتر مستفيض عن الفريقين. راجع حول مصادر الحديث: كتاب إحقاق الحقّ ٩: ٢٧٠-٢٩٣.

٥- ٥) فى «ن»: و أظهر فضلهم الجلى.

أَلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (١).

و حثّ على محبتهم المسعده فى العقبى، بمضمون قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٢).

و نشكر ك بعد على ما تفضّلت به من سوابغ النعم، شكر الرياض صنائع الدير (٣).

و نصلى على رسولك الذى خفضت له أجنحه الأملاك (٤)، و خاطبته بـ «لولاك» لولاك لما خلقت الأفلاك. و على آله ثمره فؤاد الزهراء، و نجوم سماء الشريعة الغراء، و أصحابه الباذلين بين يديه نفائس الأرواح و الأموال، و الخاذلين أعداءه لديه بإعمال القاضب (٥) و العسال (٦).

و بعد: فيقول اللانذ بأصحاب الصراط السوى رضى الدين بن محمّد بن حيدر (٧) الموسوى: إنى لّمّا رأيت علم التأريخ من أجلّ العلوم مقداراً، و أرفعها

ص: ٣٤

١-١ (١) سورة هود: ٧٣.

٢-٢ (٢) سورة الشورى: ٢٣. روى الثعلبى فى تفسيره، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: لّمّا نزلت قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: على و فاطمه و أبناؤهما. الكشف و البيان ٣٨٨:٥. و راجع: إحقاق الحقّ ٢:٣-٢٢ و ٩٢:٩-١٠١.

٣-٣ (٣) فى «ن»: شكر الرياض إذا الغيث انسجم.

٤-٤ (٤) فى «ن»: خفضت لهيبته أجنحه الملائكة الأملاك.

٥-٥ (٥) سيف قاضب و قضيب: أى: قطع.

٦-٦ (٦) العسل: الشديد الضرب، السريع رفع اليد.

٧-٧ (٧) نسبه إلى الجدّ الأعلى، فهو السيّد رضى الدين بن محمّد بن على بن حيدر الخ.

مناراً، وأعدبها مذاكره، وأقربها للمحاضره، وألطفها معنى، وأشرفها معنى، خصوصاً ما كان متعلقاً منه بذوى الشرف و
السياده، فإنه أجلّ قربه، وأعظم سعادته؛ لكونه منظوياً على نشر جميل صفاتهم، وتقييد مواليدهم ووفاتهم، ولا ريب أن صرف
الوقت فى هذا الأمر سعادته فاخره، كافله بنيل الحسنى فى دار الدنيا والآخرة.

فحيثذ سؤلت لى نفسى بأن (١) أفرغ فى بياض الطروس نفسى (٢)، فشحذت من طبعى مرهفاً (٣)، و بریت (٤) من نبعى مثقفاً، و
شرعت أجمع و أوّلف، و اخلّف، و انتخبّت من النقول ما رقّ وراق، و أودعته بطون هذه الأوراق.

و قصّيرت هذا المجموع، حال الاهتمام بالشروع، على ذكر تراجم من استقام بولايه مكّه المعظّمه، و تحلّى جيده بعقود الشرافه
المنظّمه، من دوله ذوى الشرف و السياده، الشريف قتاده، إلى هذا العصر، و هو أوائل القرن الثانى عشر (٥).

و إن كان إلى أواخر المائه الحاديه عشر، قد اعتنى به بعض العلماء الأعلام (٦).

ص: ٣٥

١- ١) فى «ن»: أن.

٢- ٢) النقس بالكسر: الذى يكتب به، و يجمع على أنقس و أنقاس، أى: فى القرطاس تقول منه: نقس دواته تنقيساً.

٣- ٣) أرهفت سيفى، أى: رققته، فهو مرهف.

٤- ٤) فى «ن»: و انتضيت.

٥- ٥) ذكر تواريخ الامراء الشرفاء من آل قتاده فى كتابه هذا إلى نهايه سنه (١١٦٢).

٦- ٦) كالعلامة باكثر الحضرمى فى كتابه وسيله المآل، و العلامة الشيخ محمّد بن أحمد عقيله فى كتابه لسان الزمان، و الطبرى
فى كتابه إتحاف فضلاء الزمن، و العلامة عبد الملك بن حسين العصامى، و غيرهم.

فأُتضح و ظهر، لكن ما صار بعد ذلك، من الحوادث و الحروب الواقعه بين ملوك هذه الأقطار و الممالك، و تتويج مفارق الطروس بأسمائهم الشريفه، و مكارمهم الوريفه.

و ترجمت كلّ منهم مع ذكر مولده و وفاته، و مدّه دولته، و عدله المقرون بجميل صفاته، فهو أمر لم يدوّنه أحد من ذوى العلم و الأدب، مع أنّ ذلك من أجلّ العلوم و أفضل القرب.

فاستطردت تراجم الملوك الأعظم، و الاسود الضراغم، من دوله جدّهم ذى خدين الإقبال و السعاده (١)، إلى عصرنا المؤلّف هذا التاريخ بقصده، و نظم درر ملوكه فى سموط عقده، لحيث المناسبه و طلب الكمال، و البعد عن أن يقال فيه إهمال، بأن يكون تأريخا جامعاً من دوله ذلك الأصل العظيم إلى هذا الزمن، و محتويًا على العجائب من الحروب و الفتن.

كلّ ذلك على طريق الاقتصار، طلباً للاختصار، حتّى نصل إلى ما نحن بصددّه، و ضبط مدده، فنعدل من ذلك إلى التطويل و الاطناب؛ لأنّه فى هذا الفنّ من أجلّ مطالب بنى الآداب.

هذا، و قد وضعت على ما جمعت إسما أحرز من حلبه القريض (٢) خصله، إذ قد طابق (٣) معناه أصله، و هو تنزيذ العقود السّيته بتمهيد الدوله الحسّيته.

ص: ٣٦

١- ١) فى «ن»: ذى الإقبال و السعاده.

٢- ٢) فى «ن»: الفريض. لا معنى له. و القرض: قول الشاعر خاصّه، و يقال: قرضت الشعر أقرضه إذا قلته، و الشعر قريض.

٣- ٣) فى «ن»: رجاء أن يطابق.

فإذا أزهر روضه الممطور، و تنضد دزه المنثور، و جرت مياه البراعه فى جداول صفحاته، و تلت ألسن البراعه ببينات آياته، و أشرق بدره المنير من افق تمامه، و أورد غصنه (١)النضير و تبسمت أفواه كمامه، و ترنم شحور (٢)بستانه، على عذبات أفانه (٣).

و برزت غادته المحجبه من خلل ستورها، و رفلت فى حلل محاسنها (٤)، متزينه بقلائد نحورها، و تمتعت الأسماع و الأبصار بما حواه من ملح (٥)الأخبار، و رقيق الأشعار، جلوته على منصات الأرائك السنيه، و قدمته على سبيل الهديه، رجاء أن يتشرف مؤلفه و منشيه، و حايك بروده و موشيه، فينال بذلك محلّه و مكانه، يشيد بها من مجده أركانه.

و ذلك لدى حضره السيد الشريف، و الهمام الغطريف، مالک أزمه المجد، و الراقى من المعالى كل ربي و نجد، أحد الساده الذين تسّموا ذروه غارب السعاده، و خلاصه الساسه، الذين رووا أحاديث الرئاسه.

قوم تخال وجوههم إن أسفرت يوم الفخار أهله الأعياد

رضعوا لبان المجد فى حجر العلا فصلوا على الأكفاء و الأنداد

ص: ٣٧

١- ١) فى «ن»: روضه.

٢- ٢) الشحير: ضرب من الشجر، و الشحور: طائر أسود فويق العصفور يصوت أصواتا.

٣- ٣) فى «د»: بانه.

٤- ٤) فى «ن»: حبورها.

٥- ٥) فى «ن»: دقائق.

معهد الكمالات الجليليه، و معقد خناصر ذوى الهمم العليه، الملك العظيم جلاله و مهابه، و الملك الكريم تقدّسا و إنابه.

ملك إذا ضاق الزمان بأهله بخلا توسّع فى المكارم و انفسح

خدين الصلات العميمه، و الهبات الجسيمه، و المراحم الكامله، و المكارم الشامله، المنشد فيه قاصده و آمله، حين تجفّ عليه مناهله.

هو البحر من أىّ النواحي أتيته فلجّته المعروف و البرّ ساحله

و لو لم يكن فى نفسه غير كّفه (١) لجاد بها فليتنق الله سائله

الفاضل الأديب، و الفائز من العلوم بأوفر نصيب، و الحائز من الأدب ما لم يحوه البحترى و ابن قريب، فهو الذى قيل فيه:

إن هزّ أقلامه يوما ليعملها أنساك كلّ كميّ هزّ عامله

و إن أقرّ على رقّ أنامله أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

حضره مولانا و سيّدنا، و ملتجانا و سندننا، و مرتجاها و مقصدنا، السيّد الشريف، ذى الحسب الباذخ المنيف، السيّد محسن (٢) بن السيّد حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبى نمى، أدام الله شريف وجوده، و منيف آبائه و جدوده، و وريف إفضاله وجوده.

و لا زال قمر (٣) سعاده متضاعف الإشراق، و عزّ سيادته ممدود الرواق، و لا

ص: ٣٨

١- (١) فى «ن»: و لو لم يكن فى كّفه غير روحه.

٢- (٢) سيأتى تفصيل ترجمته، و ذكرنا تفصيل ترجمته فى كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبى طالب، فراجع.

٣- (٣) فى «ن»: بدر.

برح جنابه الأجل (١) الأسمى الأسنى، مقرّ الرئاسه العظمى، و الأياله الحسنى (٢)، و لا- انفكت الأقدار مطابقه لنواهيه و أوامره، و الأيام خادمه (٣) له فى مواردّه و مصادره.

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله و هذا دعاء للبريه شامل

فالمأمول من حضرته العليّه و المسؤول، أن ينظر إلى هذا التأليف بعين القبول، جبرا لخاطر خادم جنابه، و رفق و دأده، و عبد أعتابه (٤)، و إلا إذا نظرت إلى ما حواه هذا الكتاب، المتشرف بالمثول لدى ذلك الجناب، و أمعنت نظرك فى أوّله و منتهاه، قلت: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ إذ هو فى الخبر و الخبر، برق و لا مطر، و شجر و لا ثمر.

و إن أحاط فيه فكرك (٥) لما فيه من المسائل، قلت طول بلا- طول و لا- طائل، و إنما شملته (٦) عين العنايه من ذلك المقام العالى، حلّ عند ذوى التوفيق و الهدايه محلّ النجوم العوالى؛ لأنّه حوى من الأخبار و الأشعار ما لم يحوه الذهبى و لا بشار، و من علم المحاضره الحلو المجانى، ما لم يطلع عليه أبو الفرج الأصفهانى.

ص: ٣٩

١- ١) فى «ن»: و لا برح رفيع مكانه الأجل.

٢- ٢) فى «ن»: و الأياله إليه أبدا تنمى.

٣- ٣) فى «ن»: مطاوعه.

٤- ٤) فى «ن»: و رفق و داد رحابه.

٥- ٥) فى «ن»: و إذا ألقيت فكرك.

٦- ٦) فى «ن»: و لكن إذا شملته.

و إنّما سلوكك الأدب اقتضى أن أقول في هذا المقام، سيف كهام (١)، و غمام جهام (٢)، تنزّلا عن رتب ذوى التأليف، تواضعا لدى ذلك الجنب الشريف.

ثمّ الملتمس من أرباب الفضائل الزكّيه، و الأفهام الذكّيه، إسبال الستر و الإغضاء من الانتقاد، و إصلاح ما عثروا عليه من الفساد، فقد قيل: إختيار الكلام أصعب من تأليفه، حال جمعه و تأليفه، فالجواد قد يكبو، و الحسام قد ينبو.

و من ذا على ترضى سجايه كلّها كفى المرء نبلا أن تعدّ معايه

أصل مؤّصل و عقد مفّصل

ترجمه الشريف قتاده

السيد الشريف، و الهمام الغطريف، خدين الإقبال و السعادة، و درّه تاج ذوى الشرف و السياده، الشريف قتاده، أناله الله تعالى من دار الآخره الحسنى و زياده.

قال الفاضل العلامه الشيخ أحمد (٣) بن الفضل باكثر في تأليفه وسيله المآل في

ص: ٤٠

١- ١) سيف كهام أى: كليل.

٢- ٢) الجهام بالفتح: السحاب الذى لا ماء فيه.

٣- ٣) ذكره العلامه السيد على خان فى كتابه سلافه العصر ص ٢٠٤، و قال: شهاب الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثر المكي، ابن الفضل و أبوه، و المذ عن لفضله أعداؤه و محبّوه، مقداره فى الأدب جليل، و مثل باكثر فى الأنام قليل، إن عدت فرسان اليراعه، فهو ملاعب أسنّه الأقلام، أو ذكرت فرسان البراعه فهو ثانى أعنّه الكلام، ملك زمام القريض فاقتاده حيث شاء، و تلا لسان قلمه إنّ الفضل بيد الله يؤتية من يشاء، و كان له فى التصدير و التعجيز، إعجازا أفحم مصاقع البلغاء بالتعجيز، إلى آخر ما قال، و قد طوّل فى ترجمته فى عدّه صفحات، فراجع. أقول: توفّى سنة (١٠٤٧) سبع و أربعين و ألف.

عدّ مناقب الآل (١): هو الأمير الجليل قتاده بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمّد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢).

قال سيّدنا الوالد (٣)- دام فضله- في تعليقاته على الكتاب المذكور، عند ذكر هذا النسب الشريف: الصواب سليمان بن علي بن محمّد، وهو أبو جعفر ثعلب بن عبد الله الأكبر بن محمّد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الثاني بن موسى الجون

ص: ٤١

١ - ١) قال المحقّق الطهراني في الذريعة (٢٥: ٨٣): وسيله المآل في عدّ مناقب الآل، لشهاب الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكي المترجم في سلافه العصر، أورد فيه فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام ما لا يعتقده إلاّ الشيعة، واسمه تاريخه، وهو سنه (١٠٢٧) نسخته منه من موقوفات السيّد علي الايرواني المتوفّى سنه (١٣٢٤) بتبريز، و نسخته اخرى في موقوفه السيّد البروجردى بالنجف. أقول: هو كتاب قيم في ذكر تاريخ شرفاء مكّه، و ذكر فضائل أهل البيت عليهم السّلام، و قد أورد المرحوم العلّامه السيّد المرعشى النجفي رحمه الله في ملحقات كتابه إحقاق الحقّ، من هذا الكتاب ما يرتبط بفضائل أهل البيت عليهم السّلام، و هناك نسخته مصوّره من الكتاب في مكتبته العامّه، و هي موجوده عندي، و الكتاب مع نفاسته غير مطبوع إلى هذا التاريخ، و أسأل الله تبارك و تعالی أن يوفّقني لتحقيقه و نشره.

٢ - ٢) وسيله المآل في عدّ مناقب الآل ص ٣٥ مخطوط.

٣ - ٣) هو العلّامه الأديب الفاضل السيّد محمّد بن علي بن حيدر الموسوى العاملي المكي، ذكرت تفصيل ترجمته في مقدّمه كتابه تنبيه و سنى العين، فراجع.

ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، كما في عمده الطالب (١) وغيرها، فقد أسقط في هذا المكان، وأسقط في تشجير الخطبه عبد الله الأكبر و محمد الثائر (٢). إنتهى.

قلت: و هو تنبيه حسن، و تمهيد مثل (٣) هذا النسب يفرض إذ تمهيد غيره يسنّ.

و ما أحسن قصيده للشيخ أحمد باكثر المذکور، نظم في سلكها هذا النسب السامى، و كتبت في محلّ يمناه (٤)، السيد على (٥) بن بركات بن أبى نمى، و هو مخدومه الذى أتخفه بتأليفه وسيله المآل (٦)، و الغرض من نقلها ما نحن بصدده من ضبط نسب الشريف قتاده، و ما زاد على ذلك يكون من باب الاستفاده، و هى:

سيدنا ذو الفخر و التطول جامع أنواع الكمالات على

ابن المليك ذى العلا بركات ابن أبى نمى ذى الهبات

و هو ابن بركات الأجلّ الأكمل ابن محمد بن بركات العلى

ابن الهمام المرتجى البدر حسن و هو ابن عجلان الشريف ذى المنن

ابن رميثة بن أبى نمى ابن أبى سعيد الوفى الصفى

ص: ٤٢

١-١) عمده الطالب ص ١٧٣ المطبوع بتحقيقى.

٢-٢) التعليقه على كتاب وسيله المآل للسيد محمد العاملى ص ٢٤ بخطه الشريف.

٣-٣) فى «ن»: أصل.

٤-٤) أى: فى يمين هامش الصفحه حين يسرد نظمه، كما هو المترآى من النسخه المصوّره.

٥-٥) فى «ن»: و كتبت باسم السيد على.

٦-٦) فى «ن»: بتأليف نظمها فيه.

ابن علي جامع السیاده ابن الملیک المرتضی قتاده

و هو ابن إدريس الذی أبوه مطاعن لا برّ من یجفوه

ابن الزکی عبد الکریم الأکرم و هو ابن عیسی بن الحسین الأفخم

ابن سلیمان المنیف بن علی و هو ابن عبد الله ذی القدر العلی

ابن محمّد بن موسی الأمجد و هو ابن عبد الله زاکي المحتد

و هو ابن موسی بن عبد الله ابن الولی الحسن الأواه

و هو ابن سبط المصطفی المولی حسن ریحانه النبی ذی الخلق الحسن

ابن الإمام المرتضی علی ابن أبی طالب الزکی

أکرم بها سلسله شریفه فی نسبه باذخه منیفه

قد فخرت بسید علی فی مبدء و منتهی بهی (١)

قلت: و فی هذه القصیده لم یذكر محمّدا، الذی هو أبو جعفر ثعلب بن عبد الله الأكبر، فتتبه.

و نسب أمير المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام إلى آدم، فسیأتی ذکره، إذا ضوّع هذا التألیف عرفه و نشره.

عودا إلى ذکر صاحب الترجمه رحمه الله:

قال الشيخ أحمد باکثیر: و کان یکنی أبا عزیز، صاحب مکّه و ینبع، و غیر ذلك من بلاد الحجاز، و هو أوّل من ملک مکّه المشرفه

من هذا الفخذ الشریف، فإنّه کان ذا بأس و نجده و شوکه، فجمع قومه (٢) و أربهم الخیل قبل أن یملک مکّه، و حارب

ص: ٤٣

١- ١) وسیله المآل ص ٢٥-٢٦ مخطوط.

٢- ٢) فی «ن»: فجمع بنی عمّه.

الأشراف بنى حراب من ولد (1) عبد الله المحض بن الحسن المثني بن الحسن السبط، و بنى علي، و بنى أحمد، و بنى إبراهيم، ثم إنه استألف (2) بنى أحمد و بنى إبراهيم، و ذلك بعد أن ملك ينبع و الصفراء (3).

و سبب طمعه في ملك مكة: ما بلغه من انهماك و لانتها الهواشم (4) بنى فليته على اللهو، و تبسّطهم في الظلم، و إعراضهم عن صونها ممن يريد بها بسوء، اغترارا منهم بما هم فيه من العزّ و العنف لرعاياهم (5) في مرادهم (و إن كان ظلما أو غيره) (6) فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعه من قوادهم.

و لما عرف قتاده ذلك منهم استمالهم إليه، و سألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء على مكة، و بعثه على المسير إليها أن بعض الناس فزع إليه مستغيثا به في ظلامه ظلمها بمكة، فوعده بالنصر، و تجهز إلى مكة في جماعه من قومه، فما شعر أهل مكة إلا و هو معهم بها، و ولاتهم (7) على ما هم عليه (8) من اللهو و الانهماك، فلم تكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم سنة (597) سبع و تسعين و خمسمائة.

ص: ٤٤

-
- ١- ١) في «ن»: أولاد.
 - ٢- ٢) في الوسيله: استأنف.
 - ٣- ٣) ما ذكره العلامة باكثير الحضرمي هنا، فهو مأخوذ من كتاب العقد الثمين للفاسي ٤٦٣: ٥-٤٧٥ برقم: ٢٣٣٧، فراجع.
 - ٤- ٤) في «ن»: ما بلغه من عكوف امرائها الهواشم.
 - ٥- ٥) في الوسيله: و الهسف لمن عارضهم.
 - ٦- ٦) الزيادة من الوسيله.
 - ٧- ٧) في «د»: ولاتها.
 - ٨- ٨) في الوسيله: فيه.

وقيل: إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظله، فملكها و أخرج منها مكث بن عيسى بن فليته إلى وادي نخله.

ثم في سنة ستمائه: مات مكث بن نخله، وجاء ولده محمّد بن مكث و قاتل حنظله ابن قتاده عند المتكا، و لم يحصل لمحمّد ظفر، و تمّت البلاد لقتاده، و جاء إليها قتاده بنفسه بعد ولده حنظله، ذكر ذلك ابن محفوظ (١)، و ابن فهد في إتحاف الوري بأخبار أم القرى.

ثم في سنة إحدى و ستمائه: وقع الحرب بين الشريف قتاده الحسنى سلطان مكّه و بين الأمير سالم الحسينى والى المدينة، و فى ذلك يقول الشريف قتاده:

مصارع آل المصطفى عدن مثل ما بدت (٢) و لكن صرن بين الأقارب (٣)

ثم حارب أهل الطائف و تملك البلاد منهم، و اتسع ملكه، و أحسن السيره، و اتسعت ولايته من بلاد اليمن إلى مدينة النبى صلّى الله عليه و آله، و كانت له قلعه بالينبع، و عظم شأنه جدًا، و صار له صيت فى العرب لم يكن لغيره، و كان أديبا، و له الشعر البليغ.

و ولد الشريف قتاده بالينبع فى حدود سنة سبع و عشرين و خمسمائه، و توفّى بمكّه المشرفه فى جمادى الاولى سنة سبع عشره و ستمائه فى سنّ التسعين، مات شهيدا بيد ولده الحسن، قيل: خنقا، و قيل: سَمَا. و كان مدّه ولايته على مكّه عشرين سنة، و له من الأولاد: الحسن، و راجح، و إدريس، و على، و غيرهم. انتهى النقل من

ص: ٤٥

١-١) عنه العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ٤٦٤: ٥.

٢-٢) فى «د»: بدأن.

٣-٣) إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ١١٠: ١.

قال صاحب النفحة العنبرية: أولاد قتاده ثمانية: الحسن، و راجح، و محمّد، و إدريس، و على الأكبر، و على الأصغر، و القاسم، و جسار. و المعقبون من ولده ستة: الحسن، و راجح، و إدريس، و على الأكبر، و على الأصغر، و جسار.

أمّا الحسن بن قتاده، فهو صاحب ينبع، و هو إسم لبندر المدينة الشريفة، و له من الأولاد أربعة: أحمد، و محمّد، و إدريس، و جمّاز. أمّا أحمد بن الحسن (فله من الولد ستّة: مسعود، و سعد، و حمزه، و إدريس، و شبل، و عراذه. و أمّا محمّد بن الحسن) (٢)، فله من الولد ثلاثة: فاضل، و جمّاز، و أبو عالي (٣).

و أمّا إدريس بن الحسن، فأولاده خمسة: راجح، و قتاده، و جسار، و سالم، و منيف.

و أمّا جمّاز بن الحسن، فأولد القاسم، و الحسين.

المعقب الثاني من ولد قتاده: السيّد راجح، و أولاده سبعة: غانم، و مطاعن، و قتاده، و الهادي، و محمّد، و عبد الكريم، و قاسم. أعقب منهم الهادي بن راجح، و له ثمانية (٤)، و هم: المهدي، و محمّد، و على، و الحسن، و أحمد، و الهادي، و قاسم،

ص: ٤٦

١- ١) وسيله المآل ص ٣٥-٣٧ مخطوط. و راجع: العقد الثمين ٤٦٣-٥:٤٧٥.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين، و أظفناها من المصدر.

٣- ٣) في النفحة: أبو عال.

٤- ٤) في النفحة: أعقب منهم الهادي، و راجح له ولد يسمّى إدريس. و الشريف قتاده

و أحمد الأصغر. و مطاعن بن راجح أعقب ولدين: القاسم، و محمد الحلبي بفتح الحاء و كسر اللام. و عبد الكريم بن راجح أعقب ولدا اسمه راجح.

و المعقب الثالث من ولد قتاده: علي الأكبر، أولد ولدا، و هو أبو سعد الحسن بن علي، و أولد من الذكور السيد أبو نمي، و عبد الكريم (١). إنتهى.

قلت: قد نقص صاحب النفحة ولدا عمّا ذكره صاحب العمده؛ لأنه قال: و أعقب تسعة رجال، و يقال لعقبه: القتادات (٢). إلى آخر ما ذكره.

و أيضا يرد عليه في قوله عند ذكر الحسن بن قتاده، و هو صاحب ينبع، و هو خلاف ما ذكره صاحب العمده، و غيره من أهل التواريخ، من أنه ولي مكّة المشرفة مدّة من الزمان (٣)، كما ستقف عليه في كتابنا هذا.

و لقتاده شعر يشهد بنبله، و تسمو الهمم العلية إلى مثله، منه ما كتب به إلى الخليفة الناصر لدين الله، لمّا أرسل إليه يستدعيه إلى العراق بعد مسيره إليه، و قد تلقاه أهل الكوفة و معهم أسد مربوط في سلسله، فرجع من فورهم، و قال: لا أدخل بلدا تدلّ فيه الاسود (٤)، ثمّ لمّا وصل أرض الحجاز كتب بهذه الأبيات للخليفة الناصر، و هي:

ص: ٤٧

١-١) النفحة العنبرية في أنساب خير البرية ص ١٢٤-١٢٦ المطبوع بتحقيقى.

٢-٢) عمده الطالب ص ١٧٤.

٣-٣) عمده الطالب ص ١٧٤.

٤-٤) في «ن» و العمده: الأسد.

بلادى و إن جارت (١) على عزيزه و لو أننى أعرى بها و أجوع

ولى كفّ ضرغام إذا ما بسطتها بها أشتري يوم الوغا و أبيع

معوّده لثم الملوك لظهرها و فى بطنها للمجدين ربيع

أتركها تحت الرهان و أبتغى بها عوضا إنى إذا لرقيع

و ما أنا إلا المسك فى غير أرضكم أضوع و أما عندكم فأضيع

إلى آخر ما ذكره صاحب العمده (٢)، و لخصت ذلك منها، و فيما أوردناه كفايه و نهايه بعد تصحيح سنده بالروايه، و الله أعلم.

فصل: وجيز و عقد عزيز

خلافه السيد الشريف حسن بن قتاده

قال الفاضل المؤرخ السيد السمرقندى فى تاريخه المسمى تاريخ خلفاء الزمن و ولاته و ملوكه السالكين أحسن سنن، و هو تاريخ جيد لا بأس به، قال فيه:

قال فى عمده الطالب: كان الحسن بن قتاده شجاعا شديدا الأيد، فاتكا، ملك مکه المشرفه، و قبض فى بعض السنين على أمير قافله العراق، فقتله و علّق رأسه فى ميزاب الكعبه، و دامت ولايته إلى عشرين و ستمائه (٣). إنتهى النقل من تاريخ السيد السمرقندى (٤).

ص: ٤٨

١- ١) فى «د»: و لو أسنت.

٢- ٢) عمده الطالب ص ١٧٤، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ١١٥.

٣- ٣) عمده الطالب ص ١٧٤، تحفه الطالب للسمرقندى ص ١١٥.

٤- ٤) تاريخ خلفاء الزمن للسيد السمرقندى-مخطوط. و لعله هو صاحب كتاب تحفه الطالب المطبوع، أو ابنه، أو غيرهما.

و ذكر غيره من أهل التواريخ أنّ الذي أخرج السيد حسن بن قتاده من مكّه هو الملك المسعود الأيوبي، و ذلك أنّه سار إلى مكّه المشرفه و السيد حسن بن قتاده بها في سنه عشرين و ستمائه، فاقتتلا في بطن مكّه المشرفه، فهرب الشريف حسن، و نهب عسكر الملك المسعود مكّه، إلى أن مات سنه ستّ و عشرين و ستمائه.

ثمّ من بعد هذه السنه و ليها ملوك اليمن و عساكرها أصلا و نيابه، و جرت بينهم و بين آل قتاده حروب فاحشه لم تصف لهم، بل كان آل قتاده معهم: إمّا اصولا، و إمّا نوابا، هكذا ذكر السمرقندي و غيره (١).

قلت: و من العجب أنّ الفاضل العلامه الشيخ أحمد با كثير لم يجعل لهذا السيد حسن بن قتاده ترجمه برأسه، كما هو دأبه مع غيره من ملوك مكّه المشرفه في كتابه و سيله المأل، بل أهمله و أهمل غيره ممّا سيأتى ذكره، كخلافه السيد راجح ابن قتاده، ثمّ بعده ولده السيد غانم، و السيد جمّاز بن السيد حسن بن قتاده، و لم يذكر شيئا من وقائعهم و لا أحوالهم و لا أفعالهم، بل أضرب عن جميع ذلك، و لم يذكر بعد الشريف قتاده إلاّ أبا سعد الحسن بن علي بن قتاده، و هو شيء غريب، فنتبه، و الله أعلم بولادته (٢).

ص: ٤٩

١-١) راجع: تفصيل ترجمته إلى كتاب العقد الثمين ٤٠٢:٣-٤٠٦ برقم: ١٠٠٨، و كتاب إتحاف فضلاء الزمن ١:١١٩.

٢-٢) أي: بولاده الشريف الحسن بن قتاده، حيث لم يذكر أرباب التراجم تاريخ ولادته.

خلافه السيد الشريف راجح بن قتاده

قال في عمده الطالب: ولى مكه المشرفه فى شهر رمضان، و دامت ولايته إلى آخر ذى الحجه الحرام عام إحدى و خمسين و ستمائه (١). إنتهى.

قلت: قول صاحب العمده «و دامت ولايته إلى عام إحدى و خمسين و ستمائه» هذا إجمال تحته تفصيل، ينطوى على العجائب من همّه هذا السيد الجليل، و إن كان فيها تطويل، فها أنا أذكر لك وقائع هذا السيد الشريف على طريق الاختصار من عام وفاه الملك المسعود الأيوبى إلى آخر سنه إحدى و خمسين و ستمائه التى أشار إليها صاحب العمده، و ارتبه لك على السنين إلى سنه اثنين و خمسين، فيندرج تحت ذلك خلافات أشخاص إلى أبى نعى محمد بن أبى سعد الحسن بن على بن قتاده.

فإذا وصلنا إليه عدلنا عن هذا الترتيب إلى الترتيب الأول الذى بدأنا هذا الكتاب به، و الذى أركبنا ذلك هو الاختباط الواقع فى هذه المدّه بين آل قتاده و بين ملوك اليمن و عساكرهم و عمّالهم و بين امراء مصر، فهذا اختباط كبير لا يمكن معه ترتيب إلاّ على السنين، و إن طال الكلام، فما يخلو من فوائد و عبر.

فنقول: ذكر أهل التواريخ المعتمده (٢): إنّ فى سنه (٦٢٦) ستّ و عشرين

ص: ٥٠

١- ١) عمده الطالب ص ١٧٤، و ليس فيه ما نقل عنه، بل قال: و منهم: الأمير راجح بن قتاده أمير مكه بعد أخيه الحسن.

٢- ٢) لعلّه ناظر إلى كتاب العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين، للتعقّى الدين الفاسى المكى ٧٨: ٤-٨٢ برقم: ١١٧٢.

و ستمائه،التي توفى بها الملك المسعود،و نائبه على مَّكَّة المشرفه نور الدين، وصل جيش من ناحيه مصر،و معه أمير عظيم من امراء مصر يسمّى طويكين (1)و دخل مَّكَّة،ففرّ نور الدين نائب صاحب اليمن،و استمرّ بها جيش مصر إلى سنه (٦٢٧)سبع و عشرين و ستمائه،فوصل جيش صاحب اليمن على بن رسول و صحبته الشريف راجح بن قتاده،فاستولوا على مَّكَّة المشرفه.

فجهّز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا و قاتل (٢)الشريف راجح، فانكسر،و استولوا على مَّكَّة بأمرهم الأوّل طويكين،فأسرف في القتل،و نهب البلاد،و أخاف مَّكَّة خوفا شديدا.

ثمّ عاد الشريف راجح بجمع عظيم،و أمده صاحب اليمن بعسكر،فقدم مَّكَّة و طرد أمير صاحب مصر،فلمّا بلغ الكامل صاحب مصر ذلك جهّز عسكرا مع الحاجّ،فلمّا بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مَّكَّة و دخل أهل مصر من غير محاربه،و ذلك في سنه (٦٣٠)ستمائيه و ثلاثين،و أراحوا البلاد،و ذهب عن أهلها الخوف و الرعب،و عدلوا فيهم،و أحسنوا إليهم.

و في سنه (٦٣١)إحدى و ثلاثين و ستمائه:جهّز الملك المنصور صاحب اليمن عسكرا جرّارا،و خزانه عظيمه،و معهم الشريف راجح بن قتاده،فدخلوا مَّكَّة و أخرجوا أمير صاحب مصر،فلمّا أن وصل الحاجّ بلغ الشريف راجح أنّ السلطان الكامل صاحب مصر واصل إلى مَّكَّة بنفسه على نجائب،فخرج منها،فلمّا رجع الملك الكامل عاد إلى مَّكَّة.

ص:٥١

١- ١) كذا في النسختين،و لعلّ الصحيح:«طغتكين» كما في العقد الثمين.

٢- ٢) في «ن»:فقاتلوا.

و فى سنه (٦٣٢) اثنين و ثلاثين و ستمائه: وصل عسكر من مصر، و أخرجوا الشريف راجح، فتوجه إلى اليمن، فبعث معه المنصور بخزانه و عسكر، فخرج إليه عسكر مصر، و وقع بينهما قتال كبير، إنكسر فيه عسكر السيد راجح، هذا كله إلى عام أربعة و ثلاثين و ستمائه.

و فى سنه (٦٣٥) خمس و ثلاثين و ستمائه: قدم السلطان نور الدين على بن رسول فى ألف فارس، فتلقاه الشريف راجح فى ثلاثمائة فارس، و دخلوا مکه و خرج عسكر مصر، فتصدق نور الدين على أهل مکه بأموال كثيره.

و فى هذه السنه: مات السلطان الكامل صاحب مصر، و خطب بمکه لصاحب اليمن المنصور، و أقام راجح فى ولايه مکه إلى سنه سبع و ثلاثين و ستمائه.

و فى هذه السنه: أرسل صاحب مصر الصالح الأيوبى ألف فارس، و معهم شيحه ابن قاسم أمير المدينه الحسينى، فلما سمع بهم راجح خرج من مکه و دخلها شيحه، فلما بلغ صاحب اليمن جهز عسكرا إلى مکه مع راجح، فلما أحس بهم الحسينى فرّ هاربا من مکه و أخلاها.

و فى سنه (٦٣٩) تسع و ثلاثين و ستمائه: أرسل صاحب مصر عسكرا إلى مکه، فلما بلغ صاحب اليمن تجهز و خرج إلى مکه بجيش كبير، فهرب المصريون و أحرقوا دار السلطنه بمکه، فدخل السلطان نور الدين على بن رسول، و صام رمضان بها، و أبطل المكوس و الجبايات و المظالم، و أرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن على بن قتاده، و ولّاه مکه، و أقام بها نحو أربع سنين، كل ذلك إلى سنه خمسين و ستمائه.

و فى سنه (٦٥١): قدم الشريف جمّاز بن حسن بن قتاده بعسكر من الشام، و كان قد وعد صاحب الشام الناصر ابن العزيز أن يخطب له بمکه، فدخل مکه

و قتل الحسن بن علي بن قتاده، واستولى على مكّه، وذلك في شهر رمضان (١).

و في شهر ذي الحِجّه: قدم عمّه راجح إلى مكّه، و فرّ جَمّاز بلا قتال، و كانت هذه السنه آخر ولايته على مكّه المشرفه، و إن وقع منه بعد هذه السنه امور و أحوال، فإنّما هي خاليه من الاستيلاء على مكّه، إلى أن انتقل إلى رحمه الله تعالى.

و قضيه استنجاهه بأخواله بني حسين و ما وقع لشيخهم الحرون (٢)، فستأتي في ذكر خلافة أبي نمى إن شاء الله تعالى.

ثمّ و في سنه (٦٥٢): هجم مكّه المشرفه السيد الشريف غانم بن راجح المذكور، و أخرج أباه منها، و استمرّ بها إلى شؤال من السنه المذكوره، فأخذها منه أبو نمى و إدريس بن قتاده بالقتال، إلى آخر ما أردنا نقله، و تلخيصه و ذلك إلى آخر سنه ثنتين و خمسين و ستمائه (٣).

لخصت ذلك من كتب معتبره في فنّ التاريخ و السير، كتاريخ خلفاء الزمن للفاضل السمرقندي (٤)، و كتاب لسان الزمان (٥) لأفضل المتأخرين ببلد الله الحرام، و شيخ مشايخ الإسلام العالم العلامة و الفاضل الفهامة سلطان العارفين،

ص: ٥٣

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٢٤.

٢-٢) ذكرها النسابة ابن عنبه في كتابه عمد الطالب ص ١٧٥، فراجع.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٢٩.

٤-٤) تاريخ خلفاء الزمن للفاضل السمرقندي-مخطوط.

٥-٥) كتاب لسان الزمان للشيخ محمّد بن أحمد عقيله-مخطوط. و قد نقل المؤلف من هذا الكتاب كثيرا، و سيأتي من المؤلف ذكر هذا الكتاب في سرد ترجمه مؤلفه.

شيخنا و مقتدانا، الشيخ محمد بن أحمد عقيله (١)، حرسه الله تعالى و أولانا ببركته فما توالى، و كتاب عمده الطالب فى أنساب آل أبى طالب (٢)، و غير ذلك من الكتب المشهوره المعتمده فى جميع الأقطار المعموره (٣)، و نسأله التوفيق للتحقيق و الاستقامه على أوضح طريق، إنه كريم و هاب.

فصل: على و عقد غالى

ترجمه السيد الشريف محمد أبى نمى بن أبى سعد الحسن

ابن على بن قتاده رحمه الله تعالى و رحم أباه و أجداده

(٤)

قال صاحب وسيله المآل: و كان يقال له: أبو مهدى، و يلقب ب«نجم الدين» و لى مكه المشرفه نحو خمسين سنه، إلا أوقات يسيره زالت ولايته عنها، و كانت ولايته مع أبيه و بعده (٥). إنتهى.

و قال العلامة الشيخ عبد القادر الطبرى فى نشأت السلافه بمنشآت الخلافه (٦)،

ص: ٥٤

١- ١) سيأتى ترجمته مفصلاً من المؤلف فى هذا الكتاب.

٢- ٢) عمده الطالب ص ١٧٤-١٧٥.

٣- ٣) راجع: كتاب العقد الثمين ٧٨: ٤-٨٢ برقم: ١١٧٢، و كتاب إتحاف فضلاء الزمن ١: ١٢١.

٤- ٤) فى «ن»: خلافه.

٥- ٥) وسيله المآل ص ٣٩-٤٠ مخطوط.

٦- ٦) ذكره فى كتاب إيضاح المكنون فى الذيل على كتاب كشف الظنون ٥٣٨: ٥، و فيه: نشأه السلافه بمنشأ الخلافه. و ذكره

أيضا إسماعيل باشا فى هديه العارفين المطبوع ذيل كشف الظنون (٦):

نقلا عن بهجه الزمان (١): إن ولايته تنوق على خمسين سنة، مشاركا لأبيه وعمه إدريس و منفردا، و أما مشاركته لأبيه، فكانت أيام صباه و صغر سنّه نحو سبع عشرة سنة.

و سبب ذلك: أنّ راجحا عمّ والده أبي سعد الحسن استنجد أخواله بنى حسين سگان المدينة، و طلب منهم الإعانه على إخراج ابن أخيه أبي سعد من مكّه المشرفه و أخذها منه، فسار معه من المدينة سبعمائه فارس من بنى حسين و جماعتهم، و عليهم الأمير عيسى الملقّب ب«الحرون» فارس بنى حسين فى زمانه، و كان أبو نمى حينئذ بالينبع.

فلما بلغه خروج راجح مع بنى حسين (٢) من المدينة إلى أبيه، قصد مكّه لنصره أبيه فى أربعين فارسا، فصادف راجحا و عيسى و جماعتهم سائرين إلى مكّه المشرفه، و ليس لهم به خبر، فلما ترآى الجمعان حمل أبو نمى عليهم، فما حملوه لحظه و ولّوا هارين إلى المدينة.

و لما هرب عيسى الحرون انتشرت عمامته، و ذهب يجرّها على خلفه.

ص: ٥٥

١- ١) هو كتاب بهجه الزمان بعمارته الحرمين لمملوك آل عثمان، لجار الله محبّ الدين محمّد بن عبد العزيز بن محمّد القرشى الشافعى المعروف بابن فهد المكي، المتوفى سنة (٩٥٤) أربع و خمسين و تسعمائه.

٢- ٢) فى الوسيله: فلما بلغه خبر راجح و خروج بنى حسين.

فقال السيد جعفر الحسنی النسابة رحمه الله (١)، و هو لسان بنی حسن بالعراق، قصیده یذكر فیها الواقعه، منها:

ألم یبلغک شأن بنی حسین و فرّهم و ما فعل الحرون

فیا لله فعل أبی نمی و بعض الناس تشبهه الجنون (٢)

یصول بأربعین علی مئات و کم من کثره طلبت تهون (٣)

ثم دخل مکة مسرورا منصورا، فقابله أبوه بالإعزاز و الإکرام، و شاركه فی الملک، و لم یزل مشارکا لأبيه حتى مات أبوه، ثم شاركه عمه إدريس بن حسن بن قتاده، ثم استقلّ بالولاية بعد قتله لعمه إدريس، فإنه جرى بينه و بين عمه بسبب ولايه أكثر امور و منازعات:

منها: أن فی سنه تسع و ستین و ستمائه وقع بينهما خلف، فاستظهر إدريس علی أبی نمی، فخرج أبو نمی هاربا من بين یدی عمه إدريس، و وصل إلى الینع، فاستنجد بصاحبها، و حشد العساكر و قصد مکة، فالتقى هو و عمه فی خلیص (٤)، و تحاربا بها، و طعن أبو نمی عمه إدريس، و ألقاه من جواده، فنزل و حزّ رأسه

ص: ٥٤

١- ١) هو النقیب تاج الدین أبو عبد الله جعفر بن محمد ابن معیه الحسنی النسابة، و هو استاذ العلامة النسابة ابن عنبه الداودی صاحب عمده الطالب.

٢- ٢) فی الوسيله: الجفون.

٣- ٣) راجع: عمده الطالب ص ١٧٦.

٤- ٤) خلیص: حصن بین مکة و المدینه، و خلص: موضع بآره بین مکة و المدینه واد فیہ قرى و نخل. معجم البلدان.

و استقلّ بالولايه. إنتهى النقل من وسيله المآل (١).

قال السمرقندى: و أخذ أبو نمى و عمّه إدريس الولايه من السيّد غانم بن راجح بالقتال فى شهر شوّال سنه ثنتين و خمسين و ستمائه، و دامت لهما إلى خامس عشرين ذى القعدة من العام المذكور.

ثمّ وليها ابن برطاس نيا به من الملك المظفرّ صاحب اليمن، و قاتله أبو نمى و إدريس المذكوران، و أسرا ابن برطاس، ثمّ فدى نفسه و خرج من مكّه مع عسكره منهزما، و ذلك عام ثلاث و خمسين.

ثمّ وليها أبو نمى بمفرده عام أربعين و خمسين، ثمّ شاركه إدريس المذكور، ثمّ انفرد إدريس أربعين يوما، ثمّ قتل إدريس المذكور فى عام تسع و ستين و ستمائه، ثمّ تفرّد بها أبو نمى، و هو أبو نمى محمّد بن أبى سعد الحسن بن على بن قتاده (٢).
إنتهى.

ثمّ ذكر أنّه لمّا تفرّد بها أبوه الحسن بن على بن قتاده عن عمّه راجح استنجد راجحا بأخواله بنى الحسين، و ذكر قصّه الحرون التى تقدّمت (٣).

قلت: كان هذا السيّد الشريف، و الغضنفر الغطريف، مشهورا بالشجاعه و الإقدام، و الكرم الشامل للخاصّ و العامّ، و الحلم و الرصانه (٤)، اللذين لا توازنهما الأطواد رزانه، و الشعر الفائق، و النثر الرائق.

ص: ٥٧

١- ١) وسيله المآل ص ٤٠-٤٢ مخطوط.

٢- ٢) تاريخ خلفاء الزمن و ولاته و ملوكه، للسمرقندى-مخطوط.

٣- ٣) تقدّم نقلها عن العمده، فراجع.

٤- ٤) الرصين: المحكم الثابت، و قد رصن بالضمّ رصانه.

و كان يقول ولده السيد حميضة: كان لأبي خمس خصال: العزّه، و الكرم، و الحلم، و الشجاعه، و الشعر.

توفى رحمه الله في رابع صفر سنة إحدى و سبعمائه، و دفن بالمعلاه، و ظهرت له كرامات عجيبة لما مات، سننقل منها شيئا في ترجمه السيد أحمد بن عبد المطلب لأمر اقتضى ذلك طلبا للمناسبة (١).

و ولد لأبي نمي هذا ثلاثون ذكرا و اثنتا عشر انثى، فمنهم: زيد الأكبر، و زيد الأصغر، و أبو الغيث، و شميلة، و عطيفه، و سيف، و لبيد، و مقبل، و حميضة، و عبد الله، و رميثة، و غير هؤلاء.

قال صاحب النفحة العنبرية: أولاد أبي نمي أربعة عشر ذكرا، و ذكر منهم: سميكة بضم السين و فتح الميم، و عبيّه بضم العين و فتح الباء الموحده، و عبد الله، و طاهرا، و حميضة، و رميثة، و أبا لغيث، و حمزه، و عطيفه، و عطافا، و نبيته (٢) بضم النون، و جسارا (٣).

و العمده على ما ذكرناه هو الموافق لما في عمده الطالب (٤)، و وسيله المآل (٥)، و غيرهما، لكن يستفاد من عباره النفحة من لم نذكره من أولاد أبي نمي المذكور،

ص: ٥٨

-
- ١-١) راجع تفصيل ترجمته: إلى كتاب العقد الثمين ١٤٨: ٢-١٦١ برقم: ١٤٤، و كتابنا الامراء و الحكام من آل أبي طالب.
 - ٢-٢) في النفحة: نكيته.
 - ٣-٣) النفحة العنبرية ص ١٢٦.
 - ٤-٤) عمده الطالب ص ١٧٦.
 - ٥-٥) تقدّم نصّ ترجمه الشريف محمّد أبي نمي من وسيله المآل للحضرمي.

فصل: لطيف و عقد ظريف

ترجمه السيد الشريف رميته بن أبي نمى بن

أبى سعد الحسن بن على بن قتاده

قال صاحب الوسيله: يكتنى ب«أسد الدين» و يلقب ب«أبى عراده» و كان سيّدا جليلا شجاعا كريما شاعرا، و لما تغلب ابنه على الحله و أعمالها من العراق، كتب إليه قصيده يذكر فيها شرف مكّه و فضلها (١)، و يذمّ العراق و أهلها، و يحذّره من سطوه (٢) المغول (٣)، فأجاب ابنه بقصيده على وزنها و رويها.

و لما قتل ابنه أحمد، و وصل إليه الخبر، قال: قد علمت منذ (٤) تعرّض لبلاد المغول أنّه مقتول، و لم تسر من العراق إلى مكّه قافله من بعد قتل أحمد خوفا من أبيه رميته (٥).

و لكيفيته قتله نقل طويل ينطوى على القتل، و على كيفيته الصلح بعد مدّه مع الشريف عجلان، ذكر ذلك مفصّلا صاحب عمده الطالب، فراجع هناك (٦).

و لرميته الوقائع المشهوره، و الشجاعه المذكوره، قصد من أطراف البلاد،

ص: ٥٩

١- ١) فى الوسيله: و فضائلها.

٢- ٢) فى «ن»: سطوته.

٣- ٣) هم المغول أتباع الملك الجائر جنكيز خان المغولى.

٤- ٤) فى «ن»: منه.

٥- ٥) وسيله المآل ص ٤٢-٤٣ مخطوط.

٦- ٦) عمده الطالب ص ١٧٩-١٨٢.

و مدحه الأمجاد من الشعراء، كموفق الدين الحديدي (١)، وغيره.

و ولي مكه المشرفه سبع مّرات متفرّقات، شريكا لأخيه حميضة نحو عشر سنين، و شريكا لأخيه عطيفه نحو خمس سنين، و منفردا نحو خمس عشر سنه، إلى أن مات، فكانت مدّه ولايته نحو ثلاثين سنه.

توفّي يوم الجمعة السادس من ذى القعدة الحرام سنه ستّ و أربعين و سبعمائه، و طيف به اسبوعا حول الكعبه كما كانت عادتهم، و ذلك وقت صلاه الجمعة و الخطيب على المنبر، فسكت الخطيب حتّى فرغوا من الطواف به، و كان ابنه عجلان يطوف مع الجنازه، ثمّ جعله فى مقام إبراهيم، و تقدّم القاضى شهاب الدين الطبرى و صلّى عليه، و دفن بالمعلاه عند القبر الذى يقال له: قبر خديجه بنت خويلد رضى الله عنها (٢). إنتهى النقل من الوسيله.

قلت: عباره أحمد فى الوسيله لا تخلو من اختصار، و المقام لا يقتضى الاقتصار، إذ علم التأريخ من شأنه التطويل؛ لأنّ الكثير منه و إن تعدّى الحدّ خير من القليل، فالأليق به التفصيل.

قال صاحب لسان الزمان ملخصا من أماكن عديده منه: فولياها إبنها أبى ندى حميضة و رميته بعد وفاه أبيهما أبى ندى، ثمّ وليها أبو الغيث و عطيفه إبنها أبى ندى، ثمّ أعيد بعد مدّه حميضة و رميته إلى إماره مكّه، ثمّ وليها أبو الغيث مفردا، و جرى بينه و بين أخيه حميضة قتال، فأسر أبى الغيث، ثمّ قتله و وليها حميضة مدّه، ثمّ أقبل رميته فى عسكر عظيم من مصر، ففرّ حميضة.

ص: ٦٠

١-١) فى العقد الثمين: الحنديدي.

٢-٢) وسيله المآل ص ٤٣-٤٤ مخطوط.

ثم لم يزل صاحب مصر يحتال به حتى حبسه بمصر مدّه، ثم فرّ من مصر و اتّصل بالعراق، ثم اتّصل بالحجاز، ثم لم يزل حتى و
ثب على أخيه رميثة، فأخرجه من مكّه و وليها، ثم لم يزل حتى وليها عطيفه بتوليه ملك مصر الناصر قلوون فأمده، ثم لم يزل
حميضة واليا إلى أن قتل بوادي نخله، قتله مملوك له تركي غيله، و أقام عطيفه والي مكّه إلى سنه ثلاثين و سبعمائه، فوقعت فتنه
عظيمه، فعزله ملك مصر و ولي أخاه الشريف رميثة، و لم يزل رميثة واليا حتى كبر، فعزل بابنه عجلان.

و توفي كما ذكره صاحب الوسيله و له من الأولاد عدد كثير، منهم: أحمد، و سند، و ثقبه، و مغامس، و مبارك، و عجلان، و
غيرهم، و الله تعالى أعلم (١).

فصل: نامی و عقد سامی

ترجمه السيد الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمي رحمه الله تعالى

قال أحمد صاحب الوسيله: و يكتنى أبا سريع، و يلقب ب«عزّ الدين» ولى مكّه غير مرّه نحو ثلاثين سنه مستقلاً و شريكا لأخيه ثقبه
و لولده أحمد، و وقعت بينه و بين أبيه و إخوته منازعات اقتضت عزمه إلى مصر مرارا، و تولّى منها مستقلاً

ص: ٤١

١- ١) ذكره أبو الفداء في المختصر في تاريخ البشر ٧٦: ٤-٧٧ و ٨٤ و ٨٥ و ١٠٣، و تقى الدين الفاسى في العقد الثمين ١٠٠: ٤-
١١٢ برقم: ١١٩٦، و ابن حجر في الدرر الكامنه ١١١: ٢-١١٢ برقم: ١٧٢٨، و المقرئ في السلوك إلى معرفه دول الملوک ٥٢٦: ٢
و ١٦: ٣ و ١٣٩-١٤٠ و ١٤١-١٤٢ و ٢٢: ٤، و ابن عماد في شذرات الذهب ١٤٩: ٦-١٥٠، و كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبي
طالب.

و شريكاً، و جميع ذلك مذكور في تاريخ الفاسي (١)، و غيره (٢).

و لم يزل كذلك إلى أن مات بالجديد في وادي مرّ من أعمال مكّه المشرفه، و حمل إلى مكّه و دفن بالمعلاه، و بنى عليه قبه، و كانت وفاته سنه سبع و سبعين (٣) و سبعمائه، و قد بلغ من العمر نحو سبعين سنه.

و كان رحمه الله شيخاً صالحاً سعيداً، فاتفق له ما لم يتفق لأسلافه من السعودات العظيمه، فإنه أول من ملك بلاد حلي (٤) من أهله السابقين، و بنى الحصون بأجياد و أرض حسان، و المدارس بمكّه، و ملك الخيول و العبيد و الدرود الكثيره، و أنشأ بمكّه سيلاً للماء بالمروه، و استمرت خيراته، و كثرت حسناته، و مدحه جماعه من الشعراء، و كان لعجلان جملته من الأولاد، منهم: أحمد، و محمد، و علي، و حسن (٥). إنتهى النقل من الوسيله.

قال صاحب العمده عند ذكر الشريف حسن ابن صاحب الترجمة: و انتسب إليه رجل اسمه كيش، و قبله عجلان، و أبوه رميته أيضاً، و أمه إمراه من عامه أهل مكّه شرفها الله، فيها ما فيها، و أهل مكّه متفقون على حكاية يحكونها لا يصح معها نسب كيش، و لا يتصل بعجلان، و إن كان قد قبله، و الله بها أعلم، و قد رأيت كيشاً

ص: ٦٢

١- (١) العقد الثمين ١٨٩-٥:١٩٨ برقم: ١٩٨١.

٢- (٢) راجع: المقریزی في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك ١٢١: ٤.

٣- (٣) في الوسيله: و تسعين.

٤- (٤) حلي: بالفتح ثم السكون بوزن ظبي، مدينه باليمن على ساحل البحر، بينها و بين مكّه ثمانيه أيام.

٥- (٥) وسيله المآل ص ٤٤-٤٥ مخطوط.

هذا بمكّه جليل المقدار (١)، كان إليه أمر جدّه (٢)، و كان أبوه يوصى به، و أخوه الشريف يجلّه، و الناس يخاطبونه بالشريف، و لكبيش هذا عقب، و كان في غايه النجده و الشجاعه (٣).

قلت: و على الفرض بأنّها كانت فاسقه و فيها ما فيها، إلا أنّ عجلان المذكور حجرها، و عقد بها، و أتى منها بكبيش و أقرّ به، فما وجه هذا الطعن من صاحب العمده و التجزّي؟!.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

قلت: تقدّم النقل من لسان الزمان بأنّ الشريف رميته عزل يابنه عجلان، ثمّ قال بعد: و لم يزل عجلان واليا بمكّه و يشاركه أخوه ثقبه، و تاره يتغلّب، و غالبا يستقلّ عجلان بولايه مكّه.

ثمّ في سنه ستّين ولى مكّه سعد بن رميته، و محمّد بن عطيفه، ثمّ اعيد عجلان، ثمّ ترك الإمارة لابنه أحمد على أن يبقى الخطبه له، إلى أن توفّي سنه سبع و سبعين و سبعمائه، و هو أوّل من أخذ حليا من أرض اليمن من ولاة مكّه المشرفه (٤).

إنتهى النقل من لسان الزمان ملخصا.

إنتهت ترجمه السيّد عجلان، فرحمه الله رحمة الأبرار، و حشره مع أجداده

ص: ٦٣

١-١) في العمده: القدر.

٢-٢) في العمده: أمر ساحل جدّه.

٣-٣) عمده الطالب ص ١٨٤-١٨٥.

٤-٤) لسان الزمان لمحمّد بن أحمد عقيله-مخطوط، راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:١٦١.

الأئمه الأطهار، إنه على ما يشاء قد ير.

فصل: أنيس و عقد نفيس

ترجمه السيد الشريف أحمد بن عجلان

عليه الرحمه و الغفران، و أسكنه فسيح الجنان

قلت: قد أهمل الشيخ أحمد ترجمه هذا الشريف في كتابه وسيله المآل، و لم يذكر بعد عجلان إلا ابنه الحسن بن عجلان، مع أن الحسن المذكور إنما ولى شرافه مکه المعظمه بعد أخيه علي بن عجلان، و هو أيضا بعد ابن أخيه عنان بن مغامس ابن عجلان، و هو بعد ابن عمه محمد بن أحمد بن عجلان، و هو بعد أبيه الشريف أحمد بن عجلان صاحب الترجمه، فتكرر بين الشريف حسن بن عجلان و بين أبيه الشريف عجلان في ولايه مکه المشرفه أربعه أشخاص، أحدهم الشريف المذكور، هكذا ذكر أهل التواريخ (١).

قال صاحب العمده: و كان الشريف شهاب الدين أحمد سائسا عادلا، شديد الحكومه، تهابه الأشراف و القواد و من دونهم، و كانت القوافل في زمانه آمنه من السراق و القطاع.

إلى أن قال: و طال حكمه، و عظم أمره، و استشعر سلطان مصر منه الاستبداد، فغلبه مرارا، فاعتذر إليه، و كان قبل وفاته عدّه سنوات يلبس الدرع أيام الموسم تحت ثيابه و لا يحجّ؛ لعدم تمكنه من لبس ثياب الإحرام، فاحتالوا عليه بكتاب

ص: ٦٤

١ - ١) راجع: العقد الثمين للفاسي ٥٥: ٣-٦٢ برقم: ٥٩١، و درر العقود السنيه للمقريزي ٣١٩: ١-٣٢٥ برقم: ٢٣٠، و انباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ٢٢٧: ٢-٢٢٨.

سَمِّوهُ، و أرسَلوه إليه، فلم يستتمَّ قراءه ذلك الكتاب حتَّى انتفخت أوداجه و دماغه، و ظهرت البثور بوجهه، و مات رحمه الله تعالى، و فتكوا من بعده بابنه الذي قام بعده، نهض عليه رجل في سوق منى، فضربه بسكين مسمومه، و غاب بين الناس فلم يعرف (١). إنتهى.

و قال صاحب لسان الزمان بعد قوله السابق في ترجمه عجلان: ثم ترك الإمارة لابنه أحمد، و استمرَّ أحمد بن عجلان، إلى أن مات سنه ثمان و ثمانين و سبعمائه، ثم وليها ابن محمّد بن أحمد المذكور مائه يوم مستقلاً إلى أن قتل، فوليها عنان بن مغامس، ثم عزل عنها بعلي بن عجلان، و أقام على منفردا بالولاية.

ثم شاركه عنان أيضاً، ثم خرج عنان إلى مصر، و استقلَّ على بن عجلان إلى أن قتل سنه سبع و تسعين و سبعمائه، و مات مغامس بمصر، فجعلت إماره مكّه لحسن ابن عجلان (٢). إنتهى كلام صاحب لسان الزمان، فانظر بعين الفضيله إلى ما أهمله صاحب الوسيله، مع سعه اطلاعه، و تتبعه للنقول بطول باعه، و الله أعلم.

فصل: موصوف و عقد موصوف

ترجمه السيد الشريف حسن بن عجلان بن رميته بن أبي نمي

رحمه الله تعالى

قال صاحب الوسيله: كانت ولادته في سنه خمس و سبعين و سبعمائه، و نشأ في كفاله أخيه أحمد بن عجلان، و ولي مكّه من غير شريك إحدى عشر سنه و تسعه

ص: ٦٥

١-١) عمده الطالب ص ١٨٤، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٦٢: ١.

٢-٢) لسان الزمان - مخطوط.

أشهر و ستّه أيتام، و ليها شريكا لابنه بركات بسعى منه سنه و أربعه (١) أشهر، و ولى نيابه السلطنه ستّ سنين إلا أشهر، و وقع له من المنازعات فى الأمر ما اقتضى أنه سافر إلى مصر مرارا، و قبض عليه بها فى بعض المرات، و له وقائع مشهوره فى التواريخ (٢) مذكوره مسطوره مع بنى عمّه و إخوته و ملوك مصر و مع القواد و غيرهم.

و كان ذا ثروه عظيمه، و حشمه وافره جسيمه، و خيرات كثيره عميمه، بنى بمكّه رباطا للرجال، و رباطا للنساء، لم يل مكّه قبله من يدانيه فى شىء من ذلك.

و قد مدحه كثير من الشعراء المعترين، منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الفاسى والد التقى الفاسى مؤرخ مكّه (٣). و منهم: شيخ الإسلام عالم الأئمه الأعلام، قاضى القضاء، شرف الدين إسماعيل ابن المقرئ.

و كان الملك الناصر صاحب اليمن تشفع إلى الشريف حسن بن عجلان فى ترك التشويش على موسى صاحب حلّى، و حتّه على الموافقه على ذلك القاضى شرف الدين ابن المقرئ بقصيدته النويته التى مطلعها:

أحسنت فى تدبير ملكك يا حسن و أجدت فى تحليل أخلاط الفتن

ص: ٦٦

١- ١) فى الوسيله: و سبعة.

٢- ٢) راجع: العقد الثمين ٣: ٣٤٧-٣٩٤ برقم: ٩٩٥، ذكر تفصيل ترجمته، و ابن حجر فى إنباء الغمر بأبناء العمر ١٠٣: ٦-١٠٥.

٣- ٣) و له عدّه كتب فى تاريخ مكّه المكرّمه، منها: كتابه القيم العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين، و كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، و غيرهما.

ما كنت بالترق (١) العجول إلى الأذى عند النزاع و لا الضعيف أخا الوهن

تمسى (٢) و رأيك عن هواك معوّق و العزّ ملقى فى يد الأهوى الرسن

داء الرئاسه فى متابعه الهوى و دواؤها بالدفع (٣) بالوجه الحسن

و إذا الفتى استقصى لنصره نفسه قلب الصديق لحربه ظهر المجن

و منها:

بالسيف و الإحسان تقتنص العلا و حصولها (٤) بهما جميعا مرتهن

لا خير فى منن و لا سيف بها ماض و لا فى السيف (٥) ليس له منن

و منها:

أما حلى (٦) فإنّ خوفك لم يدع أهلا بها للزائرين و لا وطن

أجلبتهم (٧) منها و جسمك وادع فى مكّه لم يخرجوك إلى ظعن

و منها:

أغمد سيوفك رغبه لا رهبه ما فى قتيل فرّ مرعوبا سمن

و اكرم سيوفك من دما طردا بها و الحرّ يكرم سيفه أن يمتهن

ص: ٦٧

١- ١) فى «د»: بالنزق، و فى «ن» و الاتحاف: بالترف.

٢- ٢) فى الوسيله: تمشى.

٣- ٣) فى الوسيله: فى الدفع.

٤- ٤) فى «د» و الاتحاف: و حصوله.

٥- ٥) فى «ن»: السبق.

٦- ٦) فى «ن»: حلى.

٧- ٧) فى الاتحاف: جلبتهم.

قد كان لا يرضى يخطط سيفه في ظهر من ولى أبوك أبو الحسن

و منها:

موسى هزبر لا يطاق نزاله فى الحرب (١) لكن أين موسى من حسن

هذاك فى يمن و ما سلمت له يمن و ذا بالشام لم يدع اليمن

فانظر إلى موسى و قد لعبت به لَمَا سخطت عليه أحداث الزمن (٢)

و امنن بمهجته و خذ ما عنده عوضا يكن منك المثلن و الثمن

لا زلت بالشرف المخلد بانبا شرفا و مجدا ثابتا لبني حسن

جننا بحسن الظن نسالك الرضا و العفو عنه فلا تخيب فيك ظن (٣)

فصل: بديع

ينطوى على فرائد من علم البديع حسن الابتداء

قال أديب العصر صاحب سلافه العصر فى كتابه أنوار الربيع فى أنواع البديع (٤)،

ص: ٦٨

١-١) فى «ن»: بالسيف.

٢-٢) فى «ن»: الفتن.

٣-٣) وسيله المآل ص ٤٥-٤٧ مخطوط، و راجع: العقد الثمين ٣:٣٥٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:١٧٣-١٧٤.

٤-٤) قال فى الذريعة (١:٤٢٦): أنوار الربيع فى أنواع البديع، للسيد صدر الدين على ابن نظام الدين أحمد الحسينى الدشتكى الشيرازى المعروف بالسيد على خان المدنى، المتوفى سنة (١١١٨) و كانت ولادته فى المدينة المشرفة سنة (١٠٥٢) شرح لبديعيته التى نظمها فى اثنتى عشره ليله فى مائه و سبعة و أربعين بيتا بزياده بيتين لنوعين من البديع على بديعيه صفى الدين الحلى المولود سنة (٦٧٧) و المتوفى سنة (٧٥٠) التى سماها بالكافية البديعيه فى مدح خير البرية.

و هو كتاب جليل عدّه في الأدب، لم يؤلّف في هذا العلم أحسن منه: قال أهل البيان: من البلاغه حسن الابتداء، و يسمّى براعه المطلع، و هو عبارته عن أن يتأتق المتكلم في ابتداء (١) كلامه، و يأتي بأعذب الألفاظ، و أجزلها و أرقها و أسلسها، و أحسنها نظما، و ألطفها سبكا، و أصحها مبنى، و أوضحها معنى، و أخلاها من الحشو و الرّكّه و التعقيد، و التقديم و التأخير الملبّس، و الذى لا يناسب.

إلى أن قال: و يعتبر في مطلع القصيده زياده على ذلك أن لا يكون متعلّقا بما بعده من الأبيات، و أن يناسب بين قسميه أتمّ المناسبه، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنيا عن الآخر لفظا و معنى، فإذا اجتمعت هذه الشروط في مطلع القصيده كان غايه في بابه.

إلى أن قال: و كثيرا ما يستشهد أرباب هذا الفنّ في هذا الباب بقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٢)

قالوا: وقف و استوقف، و بكى و استبكى، و ذكر الحبيب و المنزل في مصراع واحد، و مع ذلك فقد انتقده بعض الحدّاق بعدم المناسبه بين شطريه؛ لأنّ صدر البيت جمع بين عذوبه اللفظ و سهوله السبك، و كثره المعاني، و ليس في الشرط الثانى شيء من ذلك، قال ابن المعتزّ: قول النابغه:

كلينى لهمّ يا اميمه ناصب و ليل اقاسيه بطىء الكواكب

مقدّم عليه؛ لأنّ امرىء القيس و إن بالغ في الشرط الأوّل، لكن قصر في الثانى،

ص: ٦٩

١- ١) في المصدر: أوّل.

٢- ٢) غير موجود في ديوان امرىء القيس المطبوع.

حيث أتى بمعانى قليلة فى ألفاظ كثيره غريبه،و النابغه راعى التناسب (١).إنتهى النقل من أنوار الربيع رحم الله مؤلفه.

فأقول:قد ينتقد مطلع قصيده ابن المقرئ المتقدمه،و هو:

أحسنت فى تدبير ملكك يا حسن و أجدت فى تحليل أخلاط الفتن

بمثل ما انتقد به مطلع قصيده امرئ القيس المتقدم ذكره،و هو«قفا نبك» البيت،و ذلك من وجوه:

الأول:عدم التناسب بين الشطرين فى عدوبه الألفاظ،و قوه السبك،ألا ترى عدوبه ألفاظ الشطر الأول،و عدم عدوبه ألفاظ الشطر الثانى.

و الثانى:أنك إذا قرئ عليك الشطر الأول،قلت:هذا عربى،لم تخالطه حضاره،قد تمكّن من قوه السبك و جزاله الألفاظ.و إذا قرئ عليك الشطر الثانى، قلت:هذا حكيم قد صرف نفيس عمره فى تحقيق معرفه الأخلاط،و التفريق بين أنواعها و طبائعها،ثم صرف مدّه فى بيان الأدويه و العقاقير المحلله للأخلاط، فكأنه أفلاطون زمانه،فأى (٢)مناسبه بين عربى لم تخالطه حضاره و بين حكيم تلك صفاته؟و جميع ذلك محمول على الذوق الصحيح،فكل ذلك عند صاحب تلك السليقه فى غايه التوضيح.

و الثالث:أنّ هذا المطلع لم تكن فيه براعه استهلال،و هى كما ذكره أهل هذا الفنّ عبارته عن أن يكون أوّل الكلام دالاً على ما يناسب ذلك حال المتكلم متضمناً لما سيق له الكلام من غير تصريح،بل باللفظ إشارة يدركها الذوق

ص:٧٠

١-١) أنوار الربيع فى أنواع البديع ٣٤:١-٣٦ طبع النجف الأشرف.

٢-٢) فى «ن»:فأين.

الصحيح، و في بيت ابن المقرئ تصريح، و أى تصريح، مع ذكر الممدوح صريحا في الشطر الأول، فأى براعه استهلال تلائم هذا التصريح الظاهر؟

فأين براعه استهلال هذا المطلع من براعه استهلال مطلع قصيده أبى تمام يهتئى المعتصم بالله بفتح عموريه (١):

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجدّ و اللعب (٢)

و مطلع قصيده أبى عبد الله محمّد الخازن يهتئى الصاحب ابن عباد (٣) بسبطه

ص: ٧١

١- ١) عموريه: بفتح أوله و تشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم، غزاه المعتصم حين سمع شراه العلويّه، و فتحها سنه (٢٢٣) و كانت من أعظم فتوح الإسلام، قيل: سميت بعموريّه بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. معجم البلدان.

٢- ٢) ديوان أبى تمام ١: ٩٦ طبع دار صادر بيروت.

٣- ٣) هو كافي الكفاه أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن عباس الطالقاني، أحد من يشدّ إليه الرحال لأخذ الأدب، و نال من الدنيا و الآخرة مرتجاء، ولد سنه (٣٢٦) و سمع العلم و الحديث عن أبيه، و قيل: إنّما سمى الصاحب؛ لأنّ أول من استوزره هو مؤيد الدوله أبو منصور بن ركن الدوله ابن بويه الديلمي، فصحبه كثيرا من زمن صباه، و هو سمّاه الصاحب فغلب عليه. و كان اعجوه عصره، و وحيد دهره، و نسيج وحده في العربيّه، له كتب و إنشآت كثيره، و أشعار وافره في مناقب الأئمه الطاهره عليهم السلام، فمن شعره: لو شقّ عن قلبى يرى وسطه سطران قد خطّا بلا كاتب العدل و التوحيد فى جانب و حبّ أهل البيت فى جانب و قبره باصفهان مزار معروف، و قد زرته مرارا، رحمه الله عليه.

الشريف أبي الحسن عبّاد (١) بن علي الحسنى، وهو ممّا يشعر بقرينه الذوق أنّه يريد التهنئه بمولود:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا و كوكب المجد فى افق العلا صعدا

و كادت الغاده الهيفاء من طرب تعطى مبشّرها الأوصاف و الغيدا

لم يتّخذ ولدا إلاّ مبالغه فى صدق توحيد من لم يتّخذ ولدا (٢)

فانظر إلى حسن هذا المطلع و براعه استهلاله،الذى يعدّ مطلع ابن المقرئ من جمله خدامه و عياله،و ما أحسن معنى البيت الثالث،فهو من غريب المعانى التى لم يسبق إليه،وكذلك البيت الثانى.

و من البراعات التى تشعر بالتهنئه بالقدوم،قول والد صاحب السلافه السيّد أحمد (٣) بن معصوم،يهنئ ملك مكّه المشرفه الشريف زيد بن محسن بن الحسين ابن الحسن الآتى ذكر ترجمته،وقد قدم إلى الطائف:

قد أقبل السعد بالأفراح يتندر و الدهر يرتاح مختالا و يفتخر

ثمّ و على الفرض بانتقاد مطلع قصيده ابن المقرئ المذكور،و تسليم هذا الانتقاء المسطور،فلا يسقط باقى القصيده،فكلّها غرر و درر،و أمثال و حكم،

ص: ٧٢

١- ١) هو السيّد الشريف أبو الحسن عبّاد بن أبي الحسين علي بن أبي عبد الله الحسين الاطروش بن أبي الحسن علي بن الحسين بن الحسن البصرى بن القاسم بن محمّد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٢- ٢) راجع:عمده الطالب ص ٩١.

٣- ٣) قد ذكر تفصيل ترجمته ولده العلامة السيّد علي خان المدنى فى كتابه سلافه العصر فى محاسن الشعراء بكلّ مصر ص ١٠-٢٢.

و هي من القصائد الطنّانه، التي شيّد بها من المجد مكانه، و أظّد قواعده و أركانها.

و لنشئ عنان القلم إلى صاحب الترجمة، و تنضيد عقود أخباره المنظّمه بما وقفنا عليه، و ساقنا الاطلاع إليه، فالحديث شجون، و العلم مذاهب و فنون، و الجمع يتبع أدنى مناسبة، و به تقع المؤلفه بين النقول و المجاذبه.

إن لم أقل هذا و هذا و ذا بأى شيء كنت أملاً الكتاب

توفّي الشريف حسن بن عجلان المذكور في سادس جمادى الآخره سنه تسع و عشرين و ثمانمائه بالقاهره، و دفن بها، و قبره فيها مشهور، و ذلك بعد أن تجهّز للسفر إلى مكّه متولّياً لها، و كان له جملته من الأولاد، منهم: أبو القاسم، و على، و إبراهيم، و بركات، رحمهم الله تعالى جميعاً، إنّه كريم و هّاب (١).

فصل: جلى و عقد مقداره على

اشاره

ترجمه السيّد الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميئه

رحمه الله تعالى

قال أحمد صاحب الوسيله: أمّا بركات بن حسن بن عجلان بن رميئه، فإنّه كان شريكاً لأبيه في ولايه مكّه، ثمّ استقلّ (٢) بها بعد وفاه أبيه، فإنّ سلطان مصر

ص: ٧٣

١ - (١) و سيله المآل ص ٤٧ مخطوط، و راجع تفصيل ترجمته إلى كتاب العقد الثمين ٣: ٣٤٧-٣٩٤ برقم: ٩٩٥، و كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر ٣: ٢٨٦-٢٨٧ و ١٠٣: ٦-١٠٥ و كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٥: ٣٧٥-٣٧٦ و كتاب سمط النجوم العوالى ٤: ٢٦٧-٢٧٩ و كتابنا الامراء و الحكّام من آل أبى طالب.

٢ - (٢) فى الوسيله: اشتغل.

برسيای استدعاه إليه (١) بعد موت أبيه، فقدمها في ثالث عشرين من رمضان سنة تسع و عشرين و ثمانمائه، و فوّض إليه ولايه مكّه في سادس عشرين من رمضان المذكور، و استقرّ أخوه إبراهيم نائبا عنه، و خلع عليهما، و توجّها إلى مكّه في عاشر شوال، فوصلها في أواسط ذى القعدة من السنه المذكوره، و قرىء عهد الشريف بركات، و لبس الخلعه بالمطاف، و استمرت ولايته إلى جمادى الاولى سنة خمس و أربعين.

ثمّ جاء عزله بأخيه على و هو بوادى الآبار، و ذلك في شهر رجب، فتوجّه إلى اليمن، و أخلى مكّه من نوابه، فوصل على في مستهلّ شعبان سنة خمس و أربعين متوليا لها، و استمرّ على واليا على مكّه المشرفه، إلى أن قبض عليه مع أخيه إبراهيم في يوم الثلاثاء رابع شوال سنة ستّ و أربعين و كبلا (٢) بالحديد، و ظهر عزله بأخيه أبى القاسم، و كان أبو القاسم بالقاهره، و قام بحفظ مكّه ولده زاهر، و توجّه بالأخوين على و إبراهيم إلى جدّه، و اركبا في جلبه (٣) إلى القاهره.

ثمّ وصل أبو القاسم بن حسن إلى مكّه يوم السبت سابع عشرين من ذى القعدة من السنه المذكوره، لا بسا خلعه الولايه، و قرىء توقيعه بالحطيم، و استمرّ واليا على مكّه إلى ربيع الأوّل سنة خمسین، فعزل بأخيه بركات بن حسن، فأمر أبو القاسم أتباعه أن يخرجوا منها إلى وادى الآبار، فخرجوا في سلخ ربيع الأوّل (٤).

ص: ٧٤

١-١) في الوسيله: إلى مصر.

٢-٢) أى: قيّدا.

٣-٣) الجلبه: ما يحمل عليه لجلب المتاع من بلد إلى بلد، و المراد منها هنا السفينه.

٤-٤) وسيله المآل ص ٤٧-٤٨ مخطوط.

إنتهى.

قال صاحب لسان الزمان ملخصاً: ثم ولي مكه المشرفه بركات بن حسن بن عجلان بعد أبيه، واستمر إلى أن عزل بأخيه على بن حسن، ثم عزل بأخيه أبي القاسم بن حسن، ثم عزل أبو القاسم بالشريف بركات بن حسن يعنى صاحب الترجمة، وطلبه سلطان مصر، فرحل إليه، فبالغ في إكرامه، حتى أن السلطان نزل للقائه إلى الرميـله (١) بنفسه، وأقام بمصر، فأخذ العلماء عنه، وازدحموا عليه، لعلمهم بصحة سنده، وأخذ عن المشايخ الأجلاء، وعاد إلى مكه شرفها الله، وكان يوم مدخله يوماً مشهوداً، وذلك في سنة إحدى وخمسين وثمانمائة (٢). إنتهى.

و هو مطابق لما ذكره صاحب الوسيـله، إلا في قوله «و طلبه سلطان مصر فرحل إليه» فهي فائده زائده لم تكن في الوسيـله.

و كذلك ذكر في الوسيـله فيما سيأتى أن عود بركات إلى مكه كان في أثناء سنة خمسين بعد الثمانمائة، كما ستقف عليه، و هو مخالف لما ذكره صاحب لسان الزمان من أن عوده كان في سنة إحدى وخمسين كما مرّ، والعمده على ما ذكره صاحب لسان الزمان، و عليه التواريخ.

عاد النقل من الوسيـله، قال: ولما كان ليلة السبت خامس جمادى الاولى من السنه المذكوره، دخل السيـد بركات بن حسن إلى مكه محرماً بالعمره، فطاف و سعى، و خرج إلى الزاهر، و بات به، و دخل مكه في صبح يوم السبت لابسا التشریف، و قرىء توقيعه بالحطيم، و طاف و نودى له بالدعاء على زمزم، كأسلافه

ص: ٧٥

١-١) الرميـله: قريه من قرى بيت المقدس.

٢-٢) لسان الزمان - مخطوط.

و استمرّ على ذلك إلى أن توهّن (1) بالمرض في عام تسع و خمسين و ثمانمائه، فسأل مشدّد جدّه جاني بيك الظاهري، بأن يرسل إلى السلطان الظاهر جقمق يسأله و لايه مكّه لولده السيّد محمّد بن بركات؛ لأنّه ضعيف قليل الحركة بموجب المرض، فأرسل جاني بيك يسأل في ذلك، فقدّرت وفاه السيّد بركات قبل ورود الخبر، و جاء الجواب بعد موته بيوم بولايه ولده السيّد محمّد.

و كانت وفاه بركات بن حسن في عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنه تسع و خمسين و ثمانمائه بأرض خالد من وادي مرّ، و حمل على أعناق الرجال، و دخل به مكّه في أثناء ليله الثلاثاء، و غسّل و كفنّ و صلّى عليه بالمسجد الحرام بعد صلاه الصبح، و دفن بالمعلّاه، و بنى عليه قبّه، و هي موجوده إلى الآن، و رثاه الشهاب المنصوري بقوله:

قالوا قضى بركات قلت يحقّ لي أن أتبع العبرات بالزفرات

يا نزحه (2) الأحباب عند فراقه و بقربه يا فرحه الأموات

و الكعبه الغراء قالت قد غدا لبس السواد عليه من عادات

فانظر إلى آثاره في مكّه فرحا بها لم تخل من بركات

و كان الشريف بركات بن حسن مهيبا موقرا شجاعا مقداما غضنفرًا، كثير الحروب، كثير الخيرات، جزيل المبرّات، ميمون الحركات، بنى بمكّه رباطا للفقراء و المساكين، و هو موجود إلى الآن و هم به قاطنون، و له النثر الفائق، و الشعر

١- ١) أي: ضعف و استكان.

٢- ٢) في «د»: ترحه.

الرائق، فمن شعره قوله:

يا من بذكراهم قد زاد وسواسي و قد شغلت بهم عن سائر الناس

و من تقرّر في قلبي محبتهم و جنتهم طائعا أسعى على الرأس

سألتكم شربه من ماء مشاربكم تغني عن الراح إذا ما لاح في الكأس

و كان له جملة من الأولاد، منهم: محمد، وغيره (١). إنتهى النقل من الوسيله.

فصل

إشاره

في الحوادث الواقعة في دولته

نذكر فيه لمعه من الحوادث الواقعة في دولته و أيامه بمكّه المشرفه و غيرها، من سنه إحدى و خمسين و ثمانمائه إلى سنه وفاته، و هي سنه تسع و خمسين و ثمانمائه.

ففي سنه إحدى و خمسين: كان عود الشريف بركات إلى مكّه المشرفه، و خروج السيد أبي القاسم (٢).

و في سنه ثنتين و خمسين: عمرت عين حنين و مسجد الخيف، عمّرها بيرم

ص: ٧٧

-
- ١ - ١) وسيله المآل ص ٤٨-٥٠ مخطوط. و راجع: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ٧:٢٢١، و السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٦:٤٢١ و ٧:١٨-١٤٠ و ٤٦٤، و الضوء اللامع للسخاوي ١٢:٣-١٣ برقم: ٥٠، و شذرات الذهب لابن العماد ٧:٢٩٤، و سمط النجوم العوالي للعصامي ٢٧٩:٤-٢٨٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:١٨٦-١٨٩، و غيرها.
- ٢ - ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٣٩.

ناظر الحرمين (١).

و فيها: وصلت كسوه لمقام إبراهيم الخليل عليه السلام، فلم يكس بها (٢).

وفاه ابن حجر العسقلاني:

و فيها: توفى العالم العلامة، و الفاضل الفقيه، الحجّه البالغه، أبو الفضائل أحمد ابن علي بن محمّد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني المصري، المعروف بابن حجر.

و في سنه ثلاث و خمسين: وضعت الكسوه على مقام الخليل عليه السلام.

و فيها: عزل بيرم ناظر الحرمين.

و في سنه أربع و خمسين: عمّرت بعض سقوف المسجد الحرام.

و فيها: استبدل بردق بيك رباط رامشت، و عمّره لنفسه، و جعل له شبايك على المسجد الحرام، و هو المسمّى الآن بالنخليه، و هي مدرسه عظيمه.

وفاه السلطان مراد خان العثماني:

و في سنه ستّ و خمسين: توفى السلطان مراد خان العثماني، و اقيم على السلطنه ابنه محمّد خان فاتح القسطنطينيه.

وفاه السلطان جقمق:

و في سنه سبع و خمسين: توفى السلطان جقمق، و ولي بعده ابنه عثمان، ثم خلع بعد مدّه و تولّى الملك الأشرف أبو نصر دانيال (٣).

ص: ٧٨

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٣٩-٢٤٠.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٤١.

١-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٤٣.

وفاه الشريف بركات بن حسن:

و فى سنه تسع و خمسين و ثمانمائه: توفى السيد الشريف بركات بن حسن شريف مكّه، و هو صاحب الترجمة، كما فى وسيله المآل (١).

و ذكرت ذلك كلاً بطريق التلخيص و الاختصار من كتاب لسان الزمان، فإنّ فيه بعض فائده زائده عن الغرض المؤلّف هذا الكتاب بصددّه، و الله أعلم.

ترجمه السيد الشريف محمد بن بركات بن حسن

اشاره

ابن عجلان بن رميثة صاحب مكّه

قال أحمد فى الوسيله: فأما محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان، فولى مكّه بعد وفاه أبيه، و قد تقدّم ذكر التماس أبيه له الولاية فى مرض موته.

و فى عصر يوم الثلاثاء ثانى يوم موت والده وصل المرسوم بالإجابة إلى ما سأل فيه والده، و صحبه المرسوم خلعه الولاية عوضاً عن أبيه.

فلما ورد المرسوم بذلك، كان محمّد غائباً ببلاد اليمن لحفظ بعض أموال والده، فدعى له على زمزم بعد صلاة المغرب من ليله الأربعاء.

فلما كان يوم الجمعة قرىء المرسوم مخاطباً فيه السيد بركات، و مضمونه: إنّه ورد إلينا مكتوب (٢) الأمير جاني بيك مشدّد جدّه بالثناء على المخدوم، و قد بلغنا ضعفه، و توّعك جسمه (٣)، و قامه حركته، فأقمنا مقامه فى إمره مكّه ولده السيد محمّد ابن بركات، و المرسوم مؤرّخ سادس عشرى رجب سنه تسع و خمسين و ثمانمائه.

ص: ٧٩

١-١) راجع: إتخاف فضلاء الزمن ٢٤٤:١.

٢-٢) فى الوسيله: كتاب.

٣-٣) فى «د»: جسمك، و فى الوسيله: جسده.

فلما كان رابع شوال من السنه المذكوره:وصل كتاب من السلطان جقمق إلى السيد الشريف محمد بن بركات بالعزاء في والده،و توقيع يتضمّن استقراره و استمراره عوضا عن والده،مؤرخ بأوائل شهر رمضان (١).إنتهى كلامه.

قلت:قد تقدّم في حوادث سنه سبع و خمسين و ثمانمائه المنقوله من لسان الزمان،انتقال السلطان الظاهر جقمق،و تقدّم أيضا في حوادث سنه تسع و خمسين،كما هو في لسان الزمان و وسيله المآل،أنّ انتقال الشريف بركات كان في تلك السنه،فكيف يجتمع هذا و ما ذكره صاحب الوسيله من ورود المرسوم بالإجاباه إلى ما سأل فيه السيد (٢)بركات من طلب الولاية لولده محمد المذكور؟

و كان وصول ذلك المرسوم و الخلعه يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان سنه تسع و خمسين و ثمانمائه،ثمّ ورود (٣)كتاب العزاء من السلطان جقمق إلى الشريف محمد بن بركات،و الاستمرار له على الولاية،و كان الكتاب مؤرخا بأوائل شهر رمضان من السنه المذكوره،و هذا تناقض ظاهر لا يمكن الجمع بينهما،إلا بأن يقال:لعلّ المرسل بمرسوم الإجاباه و كتاب العزاء(من)السلطان أبو نصر دانيال، المتولّي للسلطنه بعد خلع ولد السلطان جقمق.

رجع النقل من الوسيله،قال:و استمرّ إلى سنه ثلاث و تسعمائه متوليا على مكّه، مظهرا للعدل في الرعيه،و دانت له العباد،و اتّسع ملكه و تصرّفه في البلاد،و كانت مدّه ولايته ثلاثا و أربعين سنه،إلى أن توفّي في حادي عشرين المحرّم سنه ثلاث

ص: ٨٠

١- ١) وسيله المآل ص ٥٠-٥١ مخطوط.

٢- ٢) في «ن»:الشريف.

٣- ٣) في «ن»:ورد.

و تسعمائه بوادی الآبار من جهة اليمن، و حمل إلى مكّه على أعناق الرجال، و دفن بالمعلاّه، و بنى عليه قبّه موجوده إلى الآن.

و كان-رحمه الله تعالى-جَمّ الفضائل، شريف الشّمانل، ظاهر الكرم، طاهر الشّميم، شجاعا مقداما، بطلا ضرغاما، مسعودا في سائر أحواله (١)، مشكورا في جميع أفعاله، له الخيرات المستمرّه، و الصدقات المستقرّه، بنى بمكّه رباطا، و بالنواريه سبيلا في طريق وادي مرّه، و بنى سبيلا- بطريق جدّه، و أوقف على ذلك أوقافا كثيره، و هي بوادي مرّ شهيره، ضاعف الله له الثواب، و قابله على ذلك يوم المآب، و تغمّده برحمته، و أسكنه فسيح جنّته.

و خلّف من الأولاد ستّه عشر ذكرا غير الإناث، منهم: حميظه، و رميّه، و جازان، و هزاع، و قايتباي، و على، و راجح، و بركات (٢). إنتهى كلام صاحب الوسيله.

فصل

اشاره

في الحوادث الواقعه في دولته

نذكر فيه من الحوادث الواقعه في مدّه ولايته بمكّه و غيرها من فتوح البلدان، و وفيات الملوك و أعيان العلماء، و لطيفه حسنه، و أشياء تتعلّق به رحمه الله تعالى، و ابتداء ذلك من ابتداء دولته، فأولها سنه تسع و خمسين و ثمانمائه.

ص: ٨١

١- ١) في «ن»: أقواله.

٢- ٢) وسيله المآل ص ٥١-٥٢ مخطوط، و راجع: التحفه اللطيفه في أخبار المدينه للسخاوي ٢: ٤٥٢-٤٥٣ برقم: ٣٦٧٩، و الضوء اللامع ٧: ١٣٢-١٣٥ برقم: ٦٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٤٩.

و فى هذه السنه: وقع فتح القسطنطينيه (١)، و مبدؤه أنّ السلطان محمد بن مراد خان المتقدم ذكره لما أراد فتحها، و كان مستعظما لذلك، لما بلغه من أنّ المسلمين من عهد الصحابه لم يزالوا يغزون و يقصدون هذه المدينه، و لم يتيسر لهم ذلك، و اجتهدت بنو اميه فى ذلك، و كذلك بنو العباس، فلم يتيسر لهم ذلك، و أكرم الله هذا الملك بفتحها، و هى من أعظم المناقب له، و قد جرى فى فتح هذه المدينه امور عجيبه.

و كان المشير عليهم بالتوجه فى فتحها الشيخ العارف الكبير الولى الشهير الشيخ آق شمس الدين، و كان وزير السلطان محمد يعتقد الشيخ كثيرا، فأشار عليهم بالتوجه، و أنّها تفتح عن قريب.

فتوجه السلطان محمد و صحبته الشيخ المذكور، و جماعه من أكابر العلماء و الأولياء، فأقاموا على حصار المدينه مدّه، فطال عليهم الحصار، فتعب السلطان محمد من ذلك، و ساء ظنه بالشيخ آق شمس الدين، و قال لوزيره: شيخك يزعم أنّنا نفتح هذه المدينه سريعا، و قد مضت مدّه و لم تفتح، و أخشى أن لا يتيسر لنا ذلك، فأخبر الوزير الشيخ بذلك.

فقال الشيخ: ليس تعويق الفتح بسبب تحصن الكفار و قوتهم، و إنّما سبب ذلك

ص: ٨٢

١ - ١) قسطنطينيه: كانت روميّه دار ملك الروم، و كان بها منهم تسعه عشر ملكا، و ملك بها قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بزنيه و بنى عليها سورا، و سمّاها قسطنطينيه و هى دار ملكهم، و اسمها اصطنبول، عمّرها ملك من ملوك الروم يقال له: قسطنطين، فسُميت باسمه. معجم البلدان.

ولى من أولياء الله تعالى مقيم عند الكفار، وقد أسند ظهره إلى باب المدينة، وقال:

و عزّتك لا- تفتح و لا- أدعها يدخلها هؤلاء، فامتنع الفتح بسبب ذلك، وقد أرسلنا إليه من يخاطبه بأنّ هؤلاء على غير مله الإسلام، وقصدنا أن تكون معموره بالدين و الإيمان، فأجابنا بأنّ هؤلاء قوم أكرموني و أحسنوا إليّ، و أنا أنوب عن المسلمين (١) فى إقامه الدين بهذه البلاد، و قد أرسلنا إليه فلم يفد معه الكلام، و الآن لا يمكن إلاّ أن نتوجه إلى الله تعالى أن يتولاه، فإذا أجاب الله ذلك بانتقاله لا يتعسر الفتح لهذه المدينة.

ثمّ توجه الشيخ المذكور و من معه من الفقراء كثيرا، ثمّ قالوا: قد توجه إلى جنان ربّه، فتوجهوا أنتم، ففعلوا ذلك، فلم يكن لهم معوق و لا مانع من الفتح، و فتحت المدينة، و دخل السلطان محمّد و من معه إلى المدينة، و صلّوا بأعظم كنائسها، و هى الكنسيه التى يقال لها: آيه صوفيه، و هى من عجائب الدنيا، و هى قبه واحده تشتمل على مواضع صفه الروايات، و هى قبه لم يوجد فى سائر المعمور مثلها، فجعل السلطان محمّد هذه الكنسيه مسجدا، و هذا المسجد الآن أشهر و أعظم مساجدها، و هذه المدينة هى التى تسمى الآن باسطنبول (٢)، و هى أعظم بلدان الدنيا فى سعتها و كثرة عمرانها (٣).

وفاه سعد الدين الكاشغرى:

و فى سنه ستين و ثمانمائه: توفى الشيخ الكبير المولى سعد الدين الكاشغرى

ص: ٨٣

١- (١) فى «ن»: المؤمنين.

٢- (٢) و كان اسمها قديما قسطنطينيه، كما تقدّم.

٣- (٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٥٠.

تعمیر مسجد میمونہ:

و فی إحدى و ستین و ثمانمائه: عمّر مسجد میمونہ-رضی اللہ عنہا- بسرف، و جعل علی قبرها سقیفہ بأربعہ أعمدہ، و بین سرف و مکّہ تسعہ أمیال (١).

وفاه العلامہ ابن ہمام:

و فی هذه السنه: توفی العلامہ محمّد بن ہمام الدین عبد الواحد المعروف بابن الہمام.

وفاه السلطان اینال:

و فی سنه خمس و ستین و ثمانمائه: توفی السلطان اینال، و استقرّ فی السلطنہ ولده أحمد بن دانیال، و لقب ب«المؤید» و خلعتہ الطوائف فی سنتہ، و وضعوا فی محلّہ خوش قدم، و هو من عیید الملک المؤید، و لقب بالناصر (٢).

و فی هذه السنه: کان بمکّہ الأمير جانیک مشدّا علی جدّہ، و هو البانی للبستان الموجود بأعالی مکّہ، المسمی جانی بیک، و جعل فیہ مدرسه عظیمہ، و أوقف علیها بیوتا بمکّہ.

و فی سنه ستّ و ستین و ثمانمائه: أرسل السلطان خوش قدم منبرا إلی مکّہ خطب علیہ.

وفاه الشیخ عبد الکبیر المتوکل:

و فی سنه تسع و ستین و ثمانمائه: توفی الشیخ العارف الشیخ عبد الکبیر

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٥٦:١.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٥٧:١.

المعروف المتوكل بمكّه المشرفه، و له عقب موجود إلى الآن بمكّه المشرفه (١).

وفاه السلطان خوش قدم:

و فى سنه اثنتين و سبعين و ثمانمائه: توفى السلطان خوش قدم، و استقرّ فى السلطنه بعده بلباتى، ثم خلع فى سنته، و وليها بعده أبو سعيد تمرباغا، و هو من عبيد السلطان جقمق (٢).

و فى هذه السنه: خلع الأمير التمرباغا (٣)، و كان أمير الامراء و المعظم فيهم (٤) السلطان قايتباى، فتولّى السلطنه بعد خلعه، فبعد تسلطن أكرم تمرباغا، و اعتذر إليه، و أرسله إلى دمياط، و ولي السلطنه السلطان الأشرف قايتباى فى سنه اثنتين و سبعين و ثمانمائه (٥).

إرسال السلطان قايتباى بخلع لشرىف مكّه:

و فى هذه السنه: أرسل السلطان قايتباى إلى الشرىف محمّد بن بركات صاحب الترجمه بخلع التأيد، و كذلك أرسل بخلعه إلى القاضى بمكّه المشرفه برهان الدين إبراهيم بن على بن ظهيره، و أرسل يأمر برفع المكوس بمكّه و إبطالها، و أمر أن ينقر ذلك باسطوانه من أساطين الحرم الشرىف (٦).

ص: ٨٥

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٥٨.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٦٩.

٣-٣) فى الاتحاف: تمرىغا.

٤-٤) فى «ن»: منهم.

١-٥) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٣٩.

١-٦) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٠.

وقعه زبيد:

و فى سنة ثلاث و سبعين و ثمانمائه: صار حرب بين الشريف محمّد بن بركات و بين زبيد، و هم قبيله من عرب الشام منازلهم بين خليص و رابغ، فقتل شيخهم ابن رومى و أخاه و نحو سبعين رجلا منهم، و غنم منهم مغنما جزيلًا (١).

بناء مسجد الخيف:

و فى سنة أربع و سبعين و ثمانمائه: أمر السلطان قايتباى ببناء مسجد الخيف، فبنى بناء محكما، و جعل فى وسط المسجد قبه عظيمه واسع، و بنى إلى جانب القبه مأذنه، و عند باب المسجد اخرى، و بنى دارا إلى جانب المسجد يسكنه أمير الحاج، و جعل للمسجد ثلاثه أبواب موجوده إلى الآن (٢).

بناء مسجد النمره:

و فى هذه السنه: عمّر مسجد نمره، و جدّد أعلام الحلّ من جهه عرفه، و بيّض مسجد مزدلفه، و نظّف عين عرفه، و عمّرها من جبل الرحمه إلى وادى نعمان، فجرى الماء، و كانت قد انقطعت هذه العين منذ مائه و خمسين سنه.

منع الحاج العراقى:

و فى سنة سبع و سبعين و ثمانمائه: منع أمير الحاج المصرى حاجّ العراق، و خرج هو و الشريف محمّد بن بركات و أحاطوا بالحاجّ العراقى، و أخذوا أميره، و أخذوا المحمل، و لم يدخل مكّه محمل من العراق بعد ذلك (٣).

ص: ٨٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠، و اتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٤.

و فى هذه السنه: وصل أمر من السلطان قايتباى بطلب صاحب الترجمه الشريف محمّد بن بركات، والقاضى إبراهيم بن ظهيره، فتوجه القاضى إبراهيم و أرسل الشريف محمّد ولده الشريف بركات.

بناء سقف الكعبه:

و فى سنه إحدى و ثمانين و ثمانمائه: عمّر السلطان قايتباى سقف الكعبه و رخمه (١).

ورود محمل العراقى:

و فى هذه السنه: ورد محمل العراق، و بذل لصاحب مكّه أموالا و لم يدخل (٢).

بناء مدارس بمكّه:

و فى سنه ثنتين و ثمانين و ثمانمائه: أرسل السلطان قايتباى وكيله شمس الدين محمّد بن عمر ليحصل له موضعا مشرفا على الحرم، يبنى فيه مدرسه يدرّس فيها أئمّه المذاهب الأربعة، و رباطا يسكنه الفقراء، و يعمّر لهم ربوعا و مسقّفات و بيوتا يحصل منها ريع (٣) يصرف على المدرّسين، و على ربعه تقرأ كلّ يوم يحضرها العلماء و الفقراء، و مكتبا للأيتام، فاستبدل له بعض رباطات.

و اشترى له دار الشريفه شمسيه، و جعل الجميع مدرسه و رباطا كبيرا مشتملا على خلاوى كثيره، و مكتبا للأيتام، و مجمعا لوضع الكتب، و أرسل خزانة كتب إليه و وضعت فى ذلك المجمع.

ص: ٨٧

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٧٤: ١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٢٩٠: ٤.

٣-٣) الريع: النماء و الزيادة، و أرض مريعه، أى: مخصبه.

وقد ذهب الآن غالب تلك الكتب لسوء سيره النظّار فيها، ومنعهم إيّاها مدّه، و الآن قد انتقل النظر فيها إلى الشيخ الأجلّ المعتمد المؤتمن شيخنا الشيخ تاج الدين الدهان، فسببه حصل الانتفاع بها للطلبه.

و رتب السلطان قايتباي لسكان الرباط من القمح ما يكفيهم في كلّ سنه، و جعل للمدرّسين مبلغا كبيرا، و أوقف لتحصيل ذلك المبلغ أوقافا كثيره بمصر، و هذا الرباط باق بمكّه إلى الآن، و هو من أعمار الربط و أشرحها، لكن تلك المقرّرات قد ذهبت و لم يبق منها غير نزر قليل. و أمّا المدرسه، فصارت في هذا الزمن مسكنا لأمير الحاجّ المصرى فى الموسم (١).

غزوه جازان:

و فى هذه السنه: غزى الشريف محمّد بن بركات جازان، و هى بلده من بلد اليمن، و نهبها و أحرق حصنها، و قتل عدّه من رجالها، و غنم مغنما جزيلًا (٢).

تغسيل داخل البيت:

و فى سنه أربع و ثمانين و ثمانمائه: وصل مرسوم من السلطان قايتباي يتضمّن أنّه رأى رؤيا، فعبرها له بعض العلماء بأن يغسل البيت الشريف من داخله و يطيبه، ففعل الشريف ذلك هو و أكابر العلماء، و فاتح البيت الشريف الشيخ عمر بن راجح الشيبى، و طيّبت ظاهرا و باطنا (٣).

ص: ٨٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٧٥-٢٧٧.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦.

حجّ السلطان قايتباي:

و في هذه السنه: حجّ السلطان قايتباي، فخرج شريف مكّه و القضاء إلى ملاقاته إلى بدر، فتوجّه إلى المدينة و زار قبر النبي صلّى الله عليه و آله، ثمّ توجّه منها إلى مكّه المشرفه و معه شيخ الإسلام إبراهيم بن ظهيره، و هو المعلم له الأدعيه في المآثر.

و لما وصل إلى باب السّلام الأقصى طلع بفرسه (1) منه، فحفل به الفرس، فسقطت عمامته، و بقي مكشوف الرأس ساعه، و كان ذلك تأديبا له حيث لم ينزل قبل ذلك و يدخل محرما متواضعا.

و طاف بالبيت الشريف و الرئيس يدعو له على زمزم، و الناس محيطون بالمطاف يشاهدونه و يدعون له، إلى أن أتمّ طوافه و سعيه (2) و حجّ، و عاد إلى ملكه في أسرّ حال، و لم يتغيّر شيء من أحوال الدوله، قاله صاحب لسان الزمان (3).

و قد أطل أهل التواريخ كيفيه حجّ السلطان قايتباي، فراجع ذلك في تواريخ مكّه تجده مفصّلا (4).

وصول المرسوم من السلطان قايتباي:

و في سنه خمس و ثمانين و ثمانمائه: وصل مرسوم من السلطان قايتباي إلى الشريف محمّد بن بركات بالإنعام عليه بجميع العشر اليماني، و كان السلطان

ص: ٨٩

١- ١) في «ن»: بقرب.

٢- ٢) في «ن»: و سعى.

٣- ٣) لسان الزمان لابن عقيله-مخطوط.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٦: ٤-٥٨ و ص ٢٩١.

قايتباى قد أخذ نصف العشر منه مدّه ثمّ أعاده إليه (١).

وقوع الحريق بالمسجد النبوي:

و فى سنه ستّ و ثمانين و ثمانمائه: كان الحريق الكبير المهيل بالمسجد النبوي، و ذلك فى ثلث الليل الأخير من ليله الاثنين ثالث عشر رمضان، فعرض ذلك إلى السلطان قايتباى، فندب لعمارتة و هياؤ المؤونه العظيمه، و عمّره أحسن عماره، و تمّ ذلك فى عام ثمان و ثمانين و ثمانمائه.

و عمّر أيضا بالمدينه المنوره مثل ما عمّر بمكّه من مدرسه و رباط، و أوقف عليهما أوقافا كثيره، و جعل كتبا عظيمه و مصاحف (٢).

وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه

و فى هذه السنه: توفى السلطان محمّد بن مراد خان فاتح القسطنطينيه العظمى، و استقرّ عوضه ابنه السلطان بايزيد.

ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوى:

و فى سنه ثمان و ثمانين و ثمانمائه: كان ظهور الشاه إسماعيل (٣) بن حيدر الصفوى بأرض العجم، و دعى إلى التشيع، و حكى عنه حكايه لطيفه، و هو أنّه كان فى ابتداء ظهوره يكسر فى الحروب كثيرا.

ص: ٩٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٢٩٠.

٣-٣) له ترجمه مبسوطه فى المعاجم الرجاليه الفارسيه، و ذكر تفصيل ظهوره و استقلاله بالملك و السلطنه، العلامه السيّد أحمد كياء الكيلانى فى أوّل كتابه سراج الأنساب، المطبوع بتحقيقى.

فاتفق أن مرّ في حال انكساره بإمرأه و هو متنكر، فأضافته هو و من معه، و قدّمت لهم طعاما حارّا في صحفه، فشرع الشاه إسماعيل من وسط القصعه و هى حارّه و المرأه تنظر إليه، فقالت: ما أشبهتك يا هذا الرجل (١) إلا بشاه إسماعيل الذى ظهر الآن، فإنّه يريد أن يقصد محلّ الشوكه و وسط الدوله و القوّه فيأخذه و ذلك خطأ، فينبغى له أن يأخذ أطراف البلاد ليبرد الوسط ثمّ يهجم، فأنت كل من الأطراف حتّى يبرد الوسط ثمّ كل منه.

فتبته من قولها و عمل بإشارتها، فصار له ما صار، و قد ملك هذا الشاه إسماعيل جميع إقليم العجم، و بواسطته انتشر التشيع و ظهر إلى الآن، و ملوك العجم من ذريته إلى وقتنا هذا.

وفاه السلطان قايتباى:

و فى سنه إحدى و تسعمائه: توفّى السلطان قايتباى الجركسى، و كان ملكا جليلا عظيما، و أيامه حسنه من حسنات الزمان، و كانت مدّه ملكه ثلاثين سنه إلا ثلاثه أشهر، و ولى السلطنه بعده ابن الناصر و اسمه محمّد بن قايتباى (٢).

وفاه الشريف محمّد بن بركات:

و فى سنه ثلاث و تسعمائه: توفّى الشريف محمّد بن بركات صاحب الترجمه، رحمه الله تعالى، و ولى شرافه مكّه المعظمه بعده ابنه الأعظم الشريف بركات بن محمّد بن بركات (٣)، و ستأتى ترجمته بعد هذه الترجمه بلا فصل.

ص: ٩١

١-١) فى «ن»: أيها الرجل.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٨٨.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٨٩.

و أقول: هذا ما تهيأ لي جمعه من حوادث الزمان، و ذكر أخبار ملوك مصر و بعض الأعيان، و نقل ما عثرت عليه من آثارهم و وفياتهم، مع مزيد الاعتناء في جمع جميل صفاتهم، و ما ذاك إلا لارتباطهم بأحوال مکه المعظمه، و جريان أحكامهم على من تحلى بعقود شرافتها المنظمه، و لا يخفى ما في أثناء ذلك من فوائد ستيه المقدار، كانت متفرقه في كتب التواريخ و الأخبار، لا يمكن جمعها إلا بعد الجهد الجهد، و النظر السديد.

و مزجت تلك الحوادث المصريه، بما هو مستحسن عند ذوى الأنظار العليه، من ظهور ملك، أو فتح مملكه، أو وفاه عالم، أو حكاية لطيفه، أو غير ذلك مما يقاربه أو يدانيه، فكن بجميع ذلك ظنين، و وضعه من زوايا فكرك بحصن حصين، و ما توفيقى إلا بالله، إنه نعم المعين.

ترجمه السيد الشريف بركات بن محمد بن بركات بن

اشاره

حسن بن عجلان بن رميته

قال أحمد في الوسيه: كانت ولاده الشريف بركات في سنه إحدى و ستين (١) و ثمانمائه في ربيع الأول بمکه المشرفه، و امه عمره بنت محمد بن على بن أحمد ابن ثقبه بن رميته بن أبى نمى بن أبى سعد. دخل القاهره في سنه ثمان و سبعين و معه قاضى القضاء إبراهيم بن ظهيره، فأكرم السلطان و من دونه موردهما، و أشركه مع أبيه، و رجع متزايد العز، و استمر بتزائد فى الترقى، حتى صار مرجعا فى حل الامور و حل المشكلات و دفع العدو (٢).

ص: ٩٢

١- ١) فى «ن»: و تسعين، و هو غلط.

٢- ٢) و سيه المال لأحمد بن باكثر الحضرمى ص ٥٢ مخطوط. و راجع: سمط

و قال العلامه عبد القادر الطبرى فى نشآت السلافه بمنشآت الخلافه: و قد ترجم الشريف بركات حافظ عصره الشيخ عبد العزيز بن فهد الهاشمى فى مؤلف عمله له سماء غايه المرام بأخبار سلطنه البلد الحرام (١)، و ساق نسبه فى ديباجته، و ختمه باستيفاء أخباره و ما مدح به.

و ملخصه: أنه سمع الحديث الشريف بالقاهره فى رحلته الاولى عام ثمان و ثمانين (٢) و ثمانمائه على المسند شهاب الدين أحمد الشاوى ثلاثيات صحيح البخارى، و حضر مجلس ختمه و بدئه.

و أجاز له من عدّه من البلدان جمله من المشايخ، منهم: عبد الرحمن بن خليل القابوتى، و أسماء بنت المهرانى، و أم هانىء بنت الهورى، و نشوان الحنبلية، و هاجر المقدسيه، و العلم صالح البلقينى، و السعد ابن الديرى (٣)، و الشهاب الحجازى، و البرهان البقاعى، و قاسم بن الكويك، و الأمين (٤) الأقسرائى، و أبو بكر بن صدقه المناوى، و العز الكنانى، و التقى الشمينى، و الجلال ابن الملتن، و اخته صالحه، و البهاء المصرى، و الجلال القمصى، و التقى ابن فهد، و ولداه أبو بكر و عمر، و أخوه عطيه، و عبد الرحيم الأسيوطى، و إبراهيم الزمزمى، و القاضى

ص: ٩٣

١- ١) طبعته جامعه ام القرى معهد البحوث العلميه و إحياء التراث الإسلامى فى ثلاث أجزاء.

٢- ٢) فى الوسيله و السمط: و سبعين.

٣- ٣) فى السمط: الرزى.

٤- ٤) فى السمط: الأمير.

عبد القادر المالكي، و أبو الفضل المرجاني، و أبو الفرج المراغي، و زينب بنت الشويكي، و آسيه بنت جار الله الشيباني، و إبراهيم ابن القاضي عجلون، و أبو ذرّ الحلبي، و أحمد بن الصلف، و أبو السعود العراقي، و أبو نافع الأزهرى، و الخضر ابن المصرى، و التقى القلقشندى، و الشموس الخمسه المشهورون (1)، و الشيخ الفخر السيوطى، و الجمال إمام الكاملية، و المحبّ ابن الشحنة، و يحيى المناوى، و خلق كثيرون.

و خرّج له الشيخ الرحله جار اللّٰه بن عبد العزيز بن فهد عن أربعين شيخا من مشايخه أربعين حديثا فى فضل أهل البيت النبوى، سمّاها غايه الأمانى و المسرّات بعلوّ سند سلطان الحجاز أبى زهير بركات، و ذلك فى سنه ستّ عشره و تسعمائه، و قرأ على الشريف بركات بعضها بمنزله دار السعاده من أول الأربعين التى خرّجها له إلى آخر الحديث الثالث، مع الكلام على الحديث، خلا شرح الحديث الثالث، و أجاز له روايتها عنه، و كتب له بخطّه تحت طبقه قراءتها و سماعها ما صورته:

الحمد لله ما ذكر من القراءه و السماع و الإجازة صحيح فى تاريخه، و كتبه الفقير إلى اللّٰه تعالى بركات بن محمّد بن بركات، عفى الله عنه و عن والديه و عن المسلمين أجمعين.

و كانت القراءه المذكوره فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجّه الحرام عام سبع عشره و تسعمائه، و حصل للشريف بركات غبطه عظيمه بتخرّج تلك الأحاديث،

ص: ٩٤

١ - ١) و هم: الأفهسى، و القلوانى، و الزفتاوى، و السخاوى، و السيوطى.

و أكرم بسبب ذلك الشيخ جار الله إكراما عظيما، كما هو شأنه من إكرام العلماء (١).

إنتهى.

أقول: كان هذا السيد من أعظم العلماء الأعلام، الذين أظهدوا قواعد الإسلام، فلقد أحرز من العلوم ما حلّى به معانيه، و شيد مبانيه، خالط العلماء و استفاد منهم، و سمع الحديث و رواه عنهم، هذا مع كونه ملك مكيّ المشرفه، و الرافل في حللها المفوفه، و الناشر من العدل و الأمان ما لم يؤلف من قديم الزمان.

ولى الشرافه بعد وفاه أبيه، و ذلك في يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الثاني سنه ثلاث و تسعمائه، و استمرّ على الولاية، إلى أن حصلت المنابذه بينه و بين أخويه هزاع و أحمد، و هو المدعوّ بجازان، و كان ذلك في سنه أربع و تسعمائه، ثم وقع الصلح بينهم، و انتفض بحروب جمّه في سنتهم، حتّى عزل الشريف بركات بأخيه هزاع، لمباطنه الأمير قانصوه و أمير المحمل لهزاع المذكور، فهزموا عسكر الشريف بركات، و نهبت خيله، و قاسا من ذلك شدّه عظيمه.

و توجه الشريف بركات إلى جدّه، و أقام بها إلى بعد الحجّ، فعاد لملكه، و فرّ منها هزاع إلى نواحي ينبع، و جمع منها جموعا و عاد لحربه من ثانيه في العشر الأوّل من جمادى الثاني عام سبع و تسعمائه، فالتقيا و كسر عسكر الشريف بركات، و توجه إلى نواحي اليمن، و أقام بالليث حتّى مات هزاع في خامس شهر رجب من السنه المذكوره.

ص: ٩٥

١ - ١) و سيله المآل ص ٥٢-٥٥ مخطوط عن نشآت السلافه بمنشآت الخلافه للطبري. راجع: سمط النجوم العوالي ٢٩٤: ٤-٢٩٥ عن غايه المرام لابن فهد ملخصا، كأنه أخذ ما تقدّم نقله من هذا الكتاب، كما لا يخفى على المراجع.

فخلف هزاعا جازان، فقصده الشريف بركات فى شهر شعبان، فخرج جازان إلى جهه الينبع حين سمع بوصول أخيه الشريف بركات، فقدم الشريف بركات إلى مكّه، فجاءت إليه المراسيم و الخلع بالاعتذار إليه فيما صار سابقا من المباطنه لأخويه.

ثم إنّ الشريف بركات توجه مع الحاجّ إلى ينبع؛ لأنّ أخاه جازان نهب الحاجّ الشامى عند خليص، فقاتله مع أهلها لأربع بقين من ذى الحجّه الحرام، و كسر بركات مع أمير الحاجّ كسره ثالثه، و نهبوا نهبا شنيعا، و مسك ولده إبراهيم، و قتل مع جماعه من عسكره، ثمّ بها ولده السيّد عجلان.

ثمّ لمّا كان أول صفر تجهّز عليه أخوه جازان بعسكر عظيم، و بركات مريض لا يمكنه المحاربه، فتوجّه إلى اليمن، فأقام بها إلى شهر رجب حتّى شفى، فتجهّز على مكّه و التقى بأخيه جازان بأعلى مكّه و تقاتلا، فانكسر بركات رابعه، فتوجّه إلى اليمن، فسبقه جازان بعسكره، فخلفه الشريف بركات فى جملة من خيله و دخل مكّه من طريق اخرى فى غيبه جازان، و ذلك يوم الجمعة حادى عشر رمضان، ففرح به أهلها لظلم أخيه، و بذلوا الهّمه فى مساعدته، و اجتهدوا فى نصرته.

و رجع إليه جازان فى يوم الأربعاء ثالث عشرين رمضان من أسفل مكّه، و حاربه مع أهلها و أتراكها، فهزم جازان و لم يتبعه أحد منهم، و توجه جازان إلى جهه حدّاء (1)، و أقام هو و جماعته فى بئر شميس و هم خائفون، و أرسلوا يطلبون

ص: ٩٤

١- ١) حدّاء: بالفتح ثمّ التشديد و ألف ممدوده، واد فيه حصن و نخل بين مكّه و جدّه و يسمّونه أيضا حدّه.

النجده من أهل ينبع، فجاءهم عسكر كبير (١)، ورحلوا معه (٢) لحرب مكّه مرّه سادسه فى يوم السبت لستّ بقين من شؤال من السنه المذكوره، وجاهها من أعلاها من شعب ذاخر (٣)، و كان الشريف بركات واقفا مع خواصّه خلف خندق عند باب المعلاّه، فانهزم عسكره من غير قتال، و لم يثبت إلّا هو و الأتراك، فنقل عنه فى ذلك اليوم نقول غريبه ممّا تدلّ على شجاعته، و قوّه صولته و عزمه.

فممّا نقل عنه أنّه كان على فرس، يقال لها: الجراده، و هو بيت معروف فى الخيل، و أنّه أقحمها الخندق بمفرده، ففرّ منه الجيش بأجمعه، و هو يضرب بالسيف فيهم حتّى ابعدوا عنه، فذرع بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع.

ثمّ إنّّه توجه إلى جهه اليمن، و دخل جازان و أصحابه مكّه، و أهانوا أهلها لمساعدتهم الشريف بركات، فلم يستمرّوا قليلا إلّا و قد وصلت تجريده من مصر، فخرج جازان هاربا، و عاد الشريف بركات إلى مكّه لسبع بقين من ذى القعدة، و توجه لملاقاه مقدّم التجريده المقرّ الأشرف قيت الرحبى، فواجهه بالإكرام و الطاعه، و خلع عليه، و دخل معه بإخوانه و عسكره، حتّى وصلوا مدرسه الأشرف قايتباى، فقبض على الشريف بركات، و وضعه فى الحديد مع بعض إخوانه و جماعته، و انهزم الباقون، و حجّ بهم الأمير، ثمّ بعد ذلك سار بهم إلى مصر، و مرّ بهم على (٤) ينبع، و اتّفق مع أهلها على توليه جازان بمال سلّم له.

ص: ٩٧

١-١ فى «ن»: عظيم.

٢-٢ فى «د»: معهم.

٣-٣ فى السمط: أذاخر.

٤-٤ فى «ن»: إلى.

فلما دخل بهم إلى مصر على هذه الصفه أنكر عليه الناس، و ما هان ذلك على الغورى و تعب من ترك مكّه فى أيدى العصاه، و فى ذلك يقول أبو الطيّب أحمد بن حسين العليف المكى قصيدته الكافيه يسلى بها الشريف بركات، و يحثه على الصبر، و مطلع القصيده:

عزيز على بيت النبوه و الملك مقام على ذلّ المهانه و الفتك

و أعظم ما يلقى الكريم من الأسى (١) على النفس ما يلقى من الضيم و الضنك

برغم العلا و السيف و المجد و الندى حصلت أبا عجلان فى قبضه الترك

و هى من غرر القصائد، و درر القلائد، و لو ظفرت بها حال الكتابه لأثبتها (٢)، لا كما قال صاحب الوسيله: فلا نحتاج نطيل الكلام بذكرها. و هو يطيل الكلام فى بعض الأحيان بما لا فائده فيه، فكيف بهذه القصيده الغراء.

ثم إن الغورى أطلق الشريف بركات من الأغلال التى كان بها، و أكرم نزله هو و جماعته، و رتب لهم الكفايه، و صار يتردد الشريف بركات على الغورى و أعيان مملكته، ثم فر بعد ذلك إلى مكّه المشرفه، و ذلك فى أواخر سنه تسع و تسعمائه، فظفر فى طريقه بقاصد أعدائه (٣) متوجها إلى السلطان، و هو السيد بطاح الحسنى، فقتله، و حاز ما معه من الأموال و الهدايا.

و فى غيبته فتك الأتراك المقيمون بمكّه بأخيه الشريف جازان، و قتلوه فى المطاف ضحى يوم الجمعة عاشر رجب من السنه المذكوره، و ولوا أخاه السيد

ص: ٩٨

١-١) فى السمط: الأذى.

٢-٢) و هى بكاملها موجوده فى السمط النجوم العوالى ٣٠٠:٢-٣٠١، فراجع.

٣-٣) فى «ن»: فظفر بأعدائه.

حميضة، فحج بالناس في ذلك العام.

و في رجوعه هذا قصد زياره جدّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَوَجَّهَ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ، وَتَزَوَّجَ عَلَى الشَّرِيفَةِ غَبِيَّةَ (١) بِنْتِ حَمِيدَانَ بْنِ شَامَانَ الْحُسَيْنِيِّ، فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ أَبِي نَمِي الْآتِي ذَكَرَهُ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ تَوَجُّهًا تَامًّا، وَارْسَلَ إِلَيْهِ بِتَفْوِيضِ الْحِجَازِ، فَقَدَّمَ أَخَاهُ السَّيِّدَ قَايْتَبَايَ فِي وِلَايَةِ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ، وَاشْرَكَ مَعَهُ وَلَدَهُ الشَّرِيفَ عَلِيَّ بْنَ بَرَكَاتٍ، وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يَخْتَلِعُ، وَيَنْفَرِدُ عَنْهُمَا الشَّرِيفُ بِبَرَكَاتٍ بِالِدَعَاءِ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ قَايْتَبَايَ مَوَدَّةٌ وَصِدَاقَةٌ، وَدَامَتْ إِلَى أَنْ مَاتَ السَّيِّدُ قَايْتَبَايَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ لِتِسْعِ بَقِيَّةٍ مِنْ صَفَرِ عَامِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ وَتِسْعِمَائَةٍ، وَدُفِنَ بِالْمَعْلَاهِ.

و بَعْدَ وَفَاةِ الشَّرِيفِ قَايْتَبَايَ ارْسَلَ الشَّرِيفُ بَرَكَاتٍ وَلَدَهُ أَبَا نَمِيٍّ إِلَى مِصْرَ، وَصَحْبَتَهُ السَّيِّدَةَ عِرَارَ بْنَ عَجَلٍ، وَفِي خِدْمَتِهِ الْقَاضِي صِلَاحَ الدِّينِ بْنِ ظَهِيرِ الشَّافِعِيِّ، وَالْقَاضِي نَجْمَ الدِّينِ بْنِ يَعْقُوبَ الْمَالِكِيِّ، وَعَمَرَ السَّيِّدَ أَبِي نَمِيٍّ إِذْ ذَاكَ ثَمَانِ سِنَوَاتٍ.

و حَكَى عَنْهُ أَنَّ السُّلْطَانَ وَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، وَ قَالَ لَهُ: مَا سَوْرَتُكَ؟ فَأَجَابَهُ وَ قَالَ:

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مَبِينًا، فَأَعْجَبَ الْغُورَى ذَلِكَ وَ تَفَاءَلَ بِهِ، وَ اشْرَكَهُ مَعَ وَالِدِهِ فِي نِصْفِ وِلَايَةِ مَكَّةَ، فَصَارَ يَخْطُبُ لَهُ مَعَ أَبِيهِ عَلِيَّ الْمَنَابِرَ فِي الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، لَخَّصَتْ ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ مِنْ وَسِيلَةِ الْمَالِ، وَ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ التَّأْرِيخِ (٢).

ص: ٩٩

١- ١) في «ن»: عيشته، و هو غلط.

٢- ٢) راجع: وسيله المال ص ٥٥-٦٣ و السمط النجوم العوالي ٢٩٥: ٤-٣٠٢.

قال صاحب الوسيه: و كان الشريف بركات بليغا مصقعا، له النظم الرائق، و النثر الفائق، فمن نظمه قوله فى الغورى فى سفرته الثانىه إلى مصر عام تسع و تسعمائه، و هو:

هلمّوا معى نحو الفلاح (١) و سارعوا إلى جامع للذكر و الحسن جامع

تأسس مبناه (٢) على الخير و التقى أ لست تراه بالمحاسن ساطع

أيا قانصوه اسمع بحقّك قصّتى فإنى لشرح الحال نحوك رافع

بليت بجور من زمان أمّضىنى و مالى و لا فى الناس غيرك نافع

و حقّك ما أفنيت مالى و مهجتى سوى فى رضا (٣) السلطان و الله سامع

فإن يك قد أرضاك ما قد لقيته فإنى به راض بلى ثمّ قانع

ولى اسوه فى الناس بالساده الالى لكم بذلوا أرواحهم ثمّ بايعوا

و أرسل الغورى موشحا، و سأل من الشريف بركات أن يعارضه بهذا، و مطلعاه:

يا غزالا بلحظه (٤) ينشى نشأه الأكواس

فقال الشريف بركات على وزنه و رويّه، و هو هذا:

أكتم السرّ فيك (٥) لا تفشى بالرشا الألعس

فهو يزرى بالغصون إذ يمشى فى الرداء السندس

ص: ١٠٠

١-١ فى السمط: الصلاح.

٢-٢ فى الوسيه و السمط: بنيه.

٣-٣ فى السمط: سوى لرضا.

٤-٤ فى الوسيه: لحاظه.

٥-٥ فى السمط: ويك.

ما على العتب (١) في الهوى عار إن تمادى الكمد

إن لي في الغرام أوطار و اصطبارى نغد

و اللواحي في لومهم جاروا و أنا ابدى الجلد

ربّ يا ذا الجلال و العرش كن به مؤنسى

و بوصل (٢) الحبيب فى الفراش جد و لا تحبسى

يا غزالا بوصله ندرك (٣) كلّ ما يستطاب

غائتى فى الغرام (٤) من أمرك أننى مستراب

جد لمن فى هواك لا يشرك زينا و الرباب

لم أزل فى وصاله أرشى كى يجىء مجلسى

هل لهذا القتل من أرش يا منى الأنفس (٥)

و توفى الشريف بركات بن محمد صاحب الترجمة ليله الأربعاء، كما ذكره صاحب الوسيله و غيره (٦)، لست بقين من ذى القعدة الحرام سنه إحدى و ثلاثين و تسعمائه بمكة المشرفة على فراشه، ثم صلى عليه ضحى يوم الأربعاء بالمسجد

ص: ١٠١

١-١) فى السمط: الصبّ.

٢-٢) فى «د»: و بوصول.

٣-٣) فى السمط: تدرك.

٤-٤) فى الوسيله: المرام.

٥-٥) وسيله المآل ص ٦٣-٦٤، و راجع: السمط النجوم العوالى ٣٠٤-٤:٣٠٥.

٦-٦) السمط النجوم العوالى ٣٠٥:٤.

الحرام، و طيف به حول الكعبه اسبوعا كعاده أسلافه (١) و لاه مكّه، و دفن بالمعلاّه، و بنى عليه بها قبّه عظيمه، و هي موجوده إلى الآن.

و كانت مدّه ولايته مشاركا لأبيه و ولده و إخوته نحو ثلاث و خمسين سنه، و مات و عمره أحد و سبعون سنه.

و كان له من الأولاد: ثقبه، و أبو القاسم، و حازم، و واصل، و سند، و علي، و أبو نمى، رحمه الله تعالى (٢).

فصل

اشاره

فى الحوادث الواقعه فى دولته

نذكر فيه جانباً من الحوادث من أول دولته إلى حين وفاته على المنسق المتقدم، و فى ذلك فوائد جمّه، و امور مهمّه، فأول ولايته كانت سنه ثلاث و تسعمائه.

قتل السلطان ناصر:

ففى أربع و تسعمائه: قتل سلطان مصر الناصر بن قايتباى، و ولى السلطنه بعده خاله الملك الظاهر قانصوه (٣).

ص: ١٠٢

١- ١) فى «ن»: سلفه.

٢- ٢) ذكره السخاوى فى كتابه الضوء اللامع ٣: ١٤ برقم: ٥٥، و ابن شدقم فى تحفه الأزهار ١: ٥٠٢-٥٠٧، و العصامى فى سمط النجوم العوالى ٤: ٢٩٣-٣٠٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٩٠، و زينى دحلان فى تاريخ الدول الإسلاميه بالجداول المرضيه ص ١٤٩، و غيرهم.

٣- ٣) راجع: السمط النجوم العوالى ٤: ٦٠، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٢٩٠.

خلع السلطان قانصوه:

و فى سنه خمس و تسعمائه:خلع السلطان قانصوه،و كانت مدّته سنه و سبعة أشهر،و ولى السلطنه جان بلاط،و لقب بالملك الأشرف (١).

خلع السلطان جان بلاط:

و فى سنه ستّ و تسعمائه:خلع السلطان جان بلاط،و ولى مكانه طومان بيك، و فى يوم ولايته خلع و قتل،فما أقدم أحد على السلطنه،و صار الأمر يشير بعضهم على بعض،ثمّ أجمعوا على توليه السلطان قانصوه الغورى،و ذلك لظنّهم أنّه سهل المآخذ،قريب التناول،أى وقت أرادوا إزالته أزالوه،ثمّ ظهر منه خلاف ذلك من الحزم و العزم و الفتك بهم (٢).

القبض على القاضى ابن ظهيره:

و فى سنه سبع و تسعمائه:قبض الشريف بركات على القاضى أبى السعود بن ظهيره قاضى مكّه المشرفه.

و سببه:أنّه كان مباطنا لجازان فى ولايته مكّه المشرفه،و كتب أبو السعود إلى جازان يستحثّه و يعده بالإعانه على بركات،فظفر الشريف بركات بكتابه،و قبض عليه فى سابع رمضان،و أرسله إلى جزيره القنفذه و أمر بتفريقه.

ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسينى:

و فى سنه اثنى عشر و تسعمائه:كان ابتداء ظهور دعوه الإمام الورع شرف الدين يحيى بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسينى.

ص:١٠٣

١-١) راجع:السمط النجوم العوالى ٤:٦٠،و إتحاف فضلاء الزمن ١:٢٩١.

٢-٢) راجع:السمط النجوم العوالى ٤:٦٠-٤١.

قال صاحب لسان الزمان: و كان ظهوره بجهه صنعاء، و لم تساعده فى ذلك الوقت لقوه الشوكه فى اليمن، إلى أن قوى شأنه، و اشتدت شوكته فأخذ صنعاء.

قتل مالك شيخ قبيله زبيد:

و فى سنه ثلاث عشره و تسعمائه: وقع حرب بين الشريف بركات و مالك بن رومى الزبيدى شيخ قبيله زبيد من حرب، فقتل مالك و أخوه و طائفه كبيره منهم (١).

تعمير عين حنين و سور جدّه:

و فى سنه ستّ عشره و تسعمائه: عمّر السلطان الغورى عين حنين، و أمر بترخيم المطاف.

و فى سنه سبع عشره و تسعمائه: أرسل الغورى أحد امرائه لعماراه سور بجدّه، و كانت العرب أيام الفتن تهجم على جدّه فتنهبها، و كان هذا الأمير ظلوما غشوما فتآكاه، و اسمه حسين الكردى، بنى هذا السور بالعنف و الشدّه (٢)، و استخدم فيه عامّه أهل جدّه و خاصّتهم، و هدم كثيرا من بيوت الناس، و بنى بها السور بأقلّ من عام (٣)، هكذا ذكر صاحب لسان الزمان.

و ذكر أيضا أنّ الغورى أمر هذا الأمير حسين أن يتوجّه إلى بحر الهند لدفع الأفرنج، فإنّهم أضروا ببنادر الهند، و استطرقوا إلى جزيره العرب و بنادر اليمن، فتجهّز إليهم حسين هذا فى خمسين غرابا مشحونه بالمغاربه و اللوند، فقطع بحر

ص: ١٠٤

١-١) راجع: السمط النجوم العوالى ٣١٧:٤.

٢-٢) فى «ن»: و الشرّ.

٣-٣) راجع: السمط النجوم العوالى ٦٤:٤-٦٥.

الهند و ارتفع الأفرنج، فدخل الأمير حسين إلى أرض الهند، فاجتمع بسطانها السلطان خليل شاه فأكرمه، و دخل في طريقه اليمن، فأخذها من أيدي ملوكه بنى ظاهر.

وفاه السلطان بايزيد:

و في سنة ثمانيه عشر و تسعمائه: توفي السلطان بايزيد بن السلطان محمد خان العثماني، و استقر في السلطنه بعده ابنه السلطان سليم خان (١).

خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه:

و في سنة تسعه عشر و تسعمائه: خرج السلطان سليم إلى قتال أخيه أحمد، فكسره و أخذه أسيرا، فأتى به و أمر بخنقه، و تطلبه أخوه السلطان فرقد، فجيء به فأمر بقتله و قتل جماعه من أقاربه و أبناء عمه (٢).

حج بعض نساء الغوري:

و في سنة عشرين و تسعمائه: حج بعض نساء الغوري و ولده الناصر محمد، و صحبتهم كاتم السر محمود، فأكرمهم الشريف بركات، و قام بهم أحسن قيام، و طلبوا منه السفر معهم إلى القاهره، و دخلها مره ثالثه، فأنعم عليه الغوري بخلعه ستيه، و إكرامات مرضيه، لم يسبق إلى مثلها، و لم يشاركه أحد في فضلها، و هنا الشعراء بذلك، منهم العليف المشهور بقصيدته القافيه (٣)، و الفاضله الأديبه سقيفه (٤).

ص: ١٠٥

١- ١) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢١، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٣٨.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٣٨.

٣- ٣) ذكرها بتمامها الطبري في إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٤٠-٣٤٤.

٤- ٤) في «ن»: سبيته.

بنت القاضي جمال الدين محمد بن سيرين القاهريه، و ذكرت الإنعامات التي تفرّد بها الشريف بركات في قصيده داليه (١) مطلعها:

قفوا و اسمعوا قولاً صحيحاً له سند عن الأشرف الغوري ما عنه يعتمد

و ما نال مولانا الشريف من العطا ثمانيه ما نالها قبله أحد

ثم عدّدت الثمانيه في القصيده، و هي طويله مشهوره، فلا نطوّل بذكرها الكتاب، قاله صاحب الوسيه (٢).

توجّه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوي:

و في سنه إحدى و عشرين و تسعمائه: توجّه السلطان سليم لقتال (٣) الشاه إسماعيل الصفوي، و كان الشاه إسماعيل قد اتّسع ملكه، و قوى أمره، و أظهر مذهب التشيع في أرض العجم، و كانت لعاقته فيه اعتقاد كبير و غلوّ (٤)، و قتل امما كثيره ممّن عانده.

فتوجّه السلطان سليم إلى قتاله، فالتقيا بمحلّ قريب من تبريز، فانكسر الشاه إسماعيل، فرجع و تحصّن بالجبال، و أمر بحرق الأتوات، فاشتدّ الغلاء بالسلطان سليم و من معه من العساكر.

و كان السلطان سليم قد طلب قوافل من الأتوات أن تلحقه من جهه مصر، فلم

ص: ١٠٦

١-١) ذكرها بتمامها الطبري في إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٤٤-٣٤٦.

٢-٢) وسيه المال ص ٦٢-٦٣، و راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢٨-٣٢٩، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٣٣٩-٣٤٠.

٣-٣) في «ن»: لقتل.

٤-٤) في «ن»: و علوّ.

تأتيه، فاشتد الغلاء بهم، فرجع إلى بلاده، و كان قصده الاستيلاء على ملك العجم، فلم يمكنه لشده الغلاء، و سأل عن سبب تخلف القوافل، فآخبر أنّ الغوري بينه و بين الشاه إسماعيل موّده و مواصله، فحقد على الغوري، و عزم على أخذ مصر منه، و إزاله دوله الشراكسه، قاله صاحب لسان الزمان دام بقاءه.

وقائع السلطان سليم:

ثم قال: و في سنه ثنتين و عشرين و تسعمائه: توجه السلطان سليم إلى قتال الغوري سلطان مصر، فالتقوا ببير دابق (١)، فجرى القتال بينهم، فكسرت عساكر الغوري، و فقد الغوري تحت المعركة (٢)، إنتهى كلامه.

و في سنه ثلاث و عشرين و تسعمائه: أمر السلطان سليم بالدعاء له في الخطبه، و ضرب السكّه باسمه بمصر.

و في هذه السنه: أرسل السلطان سليم مرسوما بولايه مكّه المشرفه للشريف بركات و ابنه أبي نمى، فأطاعاه (٣).

و في هذه السنه: توجه الشريف أبو نمى بن الشريف بركات إلى السلطان سليم بمصر، فاجتمع به و قرّره هو و والده في شرافه مكّه.

و في هذه السنه: أرسل السلطان سليم محملا و كسوه للكعبه و صرّا لأهل مكّه (٤).

ص: ١٠٧

١-١) في السمط: بمرج دابق.

٢-٢) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢٩.

٣-٣) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٢٩-٣٣٠.

٤-٤) راجع: السمط النجوم العوالي ٤:٣٣٠.

و فى هذه السنه:ورد أمر من السلطان سليم بقتل الأمير حسين الكردى أمير جدّه،و كان قد عاد من اليمن إلى مكّه،و قد انقرضت دوله الشركسه،فقيد و جعل فى رجله حجر كبير،و اغرق فى بحر جدّه.

و فى سنه ستّ و عشرين و تسعمائه:توفى السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان،و استقرّ بعده فى السلطنه ولده السلطان سليمان بن السلطان سليم خان.

وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى:

و فى سنه إحدى و ثلاثين و تسعمائه:توفى صاحب الترجمه الشريف بركات ابن محمّد صاحب مكّه المشرفه (1)، كما تقدّم.

و هذا آخر ترجمته و الكلام فيها،فرحمه الله تعالى،و رحم آباءه الكرام،و الله أعلم.

فصل: نذكر فيه

اشاره

ترجمه السيد الشريف أبى ندى بن بركات بن محمّد بن

بركات بن حسن بن عجلان بن رميئه صاحب مكّه المشرفه

قد تقدّم لهذا السيد الشريف ذكر فى ترجمه والده رحمه الله تعالى.

و كانت ولادته الميمونه ليله تاسع ذى الحجه الحرام سنه إحدى عشره و تسعمائه،و امّه الشريفه الطاهره،و الدرّه الفاخره،الشريفه غيبه (2) بنت السيد حميدان بن شامان الحسينى.

ص: ١٠٨

١-١) راجع:إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٠٥.

٢-٢) فى «ن»:عيشه،و هو غلط.

و كان -رحمه الله تعالى، و أفاض عليه شآبيب غفران توالى- من حال من مفيض الكرم و الجود، بإبرازه إلى (١) عالم الوجود، ذا جدّ و إقبال، و سعد يستخدم به في جميع الأحوال. و كان والده رحمه الله تعالى يضع يده الشريفه على ناصيته، و يقول: لم تنزل الأكرار عليّ متواليه، حتّى ظهرت هذه الناصيه.

قال صاحب لسان الزمان دام وجوده: و في سنه إحدى عشره و تسعمائه ولد للشريف بركات بن محمّد ابنه السيّد الجليل رئيس الساده الحسينين و زعيمهم و مقدّمهم، الشريف أبو نمى بن بركات صاحب السعود و الشهره التامه.

إلى أن قال: و قد أعزّ الله هذا الشريف و أعلاه و رفع شأنه، و جعل له من الذكر و الصيت ما لم يكن لأحد من أسلافه و آباءه (٢). إنتهى.

قال أحمد صاحب الوسيله، و هو الثقة الأمين في كلّ فضيله: و كان يكتنى نجم الدين، شارك أباه في ولايه مكّه المشرفه، و عمره ثمان سنين، بولايه الغورى، و هى آخر ولايه صدرت من الجراكسه سنه ثمان عشره و تسعمائه.

ثمّ أبقاه السلطان سليم خان على مشاركه أبيه سنه ثلاث و عشرين و تسعمائه، و هى أوّل ولايه صدرت من العثمانيه.

ثمّ استقلّ بأعباء السلطنه بعد موت أبيه، و كان استقلاله بها في سنّ عشرين سنه، فوصلت إليه المراسيم السلطانيه السليمانيه الخاقانيه، فخدمت نار الفتن، و ابتهج بمكّه وجه الزمن، و لم يزل متمّعا بمكارم الشيم، متقلّبا في النعم، و قد رزقه الله تعالى الذريه الصالحه، و دانت له رقاب الامم.

ص: ١٠٩

١-١) في «ن»: بإبراز والى.

٢-٢) لسان الزمان لابن عقيله-مخطوط.

ثمّ لَمَّا كان موسم سنه خمس و أربعين و تسعمائه وصل إلى مكّه الباشا سليمان من جهاد الفرنج بالديار الهندية، و عزم إلى الديار الروميه، فأرسل الشريف أبو نمى ولده السيد أحمد صحبه الباشا المذكور لمواجهه السلطان الأعظم سليمان خان بن سليم خان، و فى خدمته السيد عرار بن عجل، و القاضى إبراهيم بن ظهيره، و القاضى تاج الدين المالكى، فدخلوا إلى القاهره.

ثمّ توجهوا منها إلى الديار الروميه فى البرّ، فوصلوا بالسلامه (١) إلى السلطان المذكور، و اجتمع السيد أحمد بالسلطان سليمان، و جلس على يساره، و قابله بالإكرام، و عامله بالاحترام، و أشركه مع والده فى ولايه مكّه المشرفه، كما هو عاده سلفه، و ذلك فى سنه ستّ و أربعين، و أقام مدّه فى الروم متوعّكا حتّى فاته الحجّ فى ذلك العام، و مات السيد عرار ثمّه بالطاعون.

ثمّ عاد القاهره عام سبع و أربعين، و توجه قاصدا مكّه المشرفه، فلاقاه والده أبو نمى بوادى مرّ، و جعل له سماطا عظيما حضره الأعيان، ثمّ قرأت مراسيمه بمكّه بالعاشر الأوّل من ربيع الأوّل، و لبس الخلعه السلطانيه و طاف بها، و صار يدعى لهما فى المنابر، إلى آخر ما ذكره صاحب الوسيله (٢).

و قال صاحب لسان الزمان: و فى سنه سبع و أربعين و تسعمائه عاد الشريف أحمد بن أبى نمى إلى مكّه المشرفه، و كان يوما مشهودا، و مدحه الشعراء، منهم القاضى الفاضل الشيخ عبد الرحمن باكثر (٣) بقصيده عظيمه، و مطلعها:

ص: ١١٠

١- ١) فى الوسيله بالسلامه و العزّه و الكرامه.

٢- ٢) وسيله المآل للحضرمى ص ٦٦-٦٧ مخطوط.

٣- ٣) فى السمط: الكثيرى.

وفت صبّها بعد الجفا غاده عذرى و مذ لامها قالت لعلّ لنا عذرا

و زارته لكن بعد طول تشوّق إليها و لا لؤم عليها و لا وزرا

و منها:

مهاه فلاه غاده عربيه عقيله حىّ كالضراغم بل أضرى

و منها:

فيا أبا نمى الملك و الملك الذى يجلّ عن الألقاب و المدح و الأطرا

لقد صدقت فى الكون هاتفه الهنا (١) تفرد فيه بالمسرّه و السرا

بمقدم من انتجته و ادخرته وليا لعهد الملك أعظم به ذخرا

بمقدمه ورق البشائر قد شدت و كلّ فؤاد من بشائره سرّا

و قد عمّ أقطار الحجاز قدومه سرورا كما عمّ العراقين مع بصرا

إنتهى صاحب لسان الزمان.

قلت: و الشيخ عبد الرحمن هذا هو الفاضل العلامة الفهّامه، وجيه الدين القاضى عبد الرحمن بن عبد الله باكثر والى الشيخ أحمد صاحب الوسيله رحمه الله.

و لقد أطنب ولده فى الوسيله عند ذكر هذه القصيده، فقال: و هى من غرر القصائد التى انتظمت فى سلكها درر المدائح فرائد، اشتملت على الغزل المصنع، الذى بمثله لم يسمع، و على المخالص العجيبه التى لم يسبق إلى مثلها، و كلّ من وقف عليها يشهد بفضلها، إلى آخر كلامه (٢).

و الذى يجب أن يحمل إطنابه هذا على المثل المشهور «كلّ فتاه بأبيها معجبه»

ص: ١١١

١- ١) فى «ن»: الهوى.

٢- ٢) وسيله المآل ص ٦٧ مخطوط.

دفعاً عن أن يعترض عليه فيما سطره و كتبه، من وضع الندا موضع السيف، إذ حكمه المتقدم لا يخلو من حيف، والله أعلم.

ثم قال في الوسيله: واستمر السيد أحمد شريكا لأبيه أبي نمي، إلى أن انتقل إلى رحمه الله تعالى في أثناء شهر رمضان سنة إحدى و ستين و تسعمائه بأرض الشرق، و حمل إلى مكه، و صلى عليه بالمسجد الحرام، و دفن بالمعلاه، و بنى عليه قبه، و هي موجوده إلى الآن (١). إنتهى كلام صاحب الوسيله.

قلت: و أعقب الشريف أحمد هذا رحمه الله تعالى عقبا، و هو جدّ الساده ذوى حراز و ذوى منديل الموجودين الآن.

رجع النقل من الوسيله، قال: ثم إن الشريف أبا نمي عرض (٢) إلى السلطنه العثمانيه، و التمس أن يكون ولده الشريف حسن عوض الشريف أحمد، فاجيب إلى ذلك، فشارك الشريف حسن والده في الأوامر، و الدعاء على رؤوس المنابر، حتى تخلى الشريف أبو نمي عن الأمر و فوضه إليه، و عول في جميع مهمات الملك (٣) عليه، و اختار الشريف أبو نمي الانقطاع في العباده، و الانهماك في مطالعه العلوم و الإفاده.

و ما زال حريصا على اقتطاف ثمره الفضائل، و مجالسه العلماء الأفاضل، ممتحنا بذكائه قرائنهم المجيده، مستخرجا بفهمه كنوز ملائحتهم الحميده، حتى أنهم خدموا جنباه العالی بكلّ تصنيف بديع، و رتعا في رحابه ذات المعالی، و نالوا

ص: ١١٢

١- ١) وسيله المآل ص ٦٧-٦٨ مخطوط.

٢- ٢) في «د»: أعرض.

٣- ٣) في «ن»: المهالك.

ذلك المربع الربيع (١).

و كان من جملة خدامه بذلك،الكاشفين له وجوه عرائس العلوم على تلك الأرائك،عمّ والدى،قاضي القضاة،و شيخ الحرم المكي المنيف،القاضي عبد اللطيف بن عبد الله باكثر صاحب الفضل الشهير،فإنه خدم جنابه،و أمّ رحابه بشرح القصيده الهمزيه المسماة أمّ القرى،و جعل ذلك مقدّمه لاستعطافه،و سببا لإسعاده (٢)و إسعافه.

فإنّ القاضي المذكور لما سافر إلى الديار الروميّه،وقد منّصّب القضاء بمكّه البهيّه،و حصل (٣)له من العنايةات (٤)السلطانيّه،ما اشتهر بين البريّه،و شى به بعض الحساد،الساعين في الأرض بالفساد،و نقلوا إلى السيّد الشريف من أباطيل القول ما لم يقع،و ظنّوا أنّ ذلك يجديهم فيما هم بصدده من الطمع،حيث جاء القاضي بعزلهم من مناصبهم،و الحطّ عمّا كانوا عليه من مراتبهم،فاستعطف بهذا التّأليف، خاطره الشريف (٥).

خطبه القاضي عبد اللطيف باكثر:

قلت:لهذا التّأليف خطبه هي في غاية البلاغه،و حسن الصياغه،تشير أكفّ البلغاء بالتعظيم إليها،و يعتمد في تعلّم الأدب عليها،و لا بأس بأن نذكر قطعا منها،

ص:١١٣

١-١) في الوسيله:و نالوا ذلك الخصب المريع.

٢-٢) في الوسيله:لاشغافه.

٣-٣) في «ن»:و جعل.

٤-٤) في «ن»:العنايه.

٥-٥) وسيله المآل ص ٦٨-٦٩ مخطوط.

و قد أوردھا برمتھا صاحب الوسيله، فأول الخطبه هو هذا:

سلام على آل يس ثمره فؤاد الرسول، المنتخبين من أكرم سلاله، و أفلاذ أكباد البتول، المغتذين بلبان (١) الرساله، و أهله سماء الكمال، المحيط بهم من نور النبوه هاله، و غره محيا الجمال، و طراز حلّه الجلال.

مغارس طابت في ذرى (٢) المجد فالتقت

على أنبياء الله و الخلفاء

معدن السؤدد و كيما السعاده، و عنصر المجد و تاج مفرق السياده، تتاج فاطمه الزهراء، و عماد الحنيفيه الغراء.

فخار لو أنّ النجم أعطى مثله ترّفّع أن يأوى أديم سماء

نور كمام الهدايه اليانع، و نور افق الشريعه الساطع، طرّه جبهه الدهر، و شامه و جنه الفخر.

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شمّ الانوف من الطراز الأول

سلا- ما نصب لهم في أرجاء الخافقين علم المدح، فما برح على ذؤابتهم خافقا، و سمك (٣) لهم على هام السماكين أرفع صرح، فما زال على وفود الجوزاء شاهقا، و صير لهم هاتف السعادتين دائم الصدح، فما فتى بيديع شمائلهم ناطقا، و طيبهم من شدّ الرياحنتين أعطر نفع، فما دام الوجود إلاّ من عبيره عابقا.

ص: ١١٤

١-١) في الوسيله: بلسان.

٢-٢) في الوسيله: زبا.

٣-٣) في الوسيله: و أسمك.

هذا هو الفخر المؤيد قد (١) غدا عقدا لجيد مفاخر الأمجاد

فخر سرادق أهله أمسى على هام السماك مطّب الأوتاد

قوم تخال وجوههم إن أسفروا يوم الفخار أهله الأعياد

رضعوا لبان المجد في حجر العلا فعلوا على الأكفاء و الأنداد

لا جرم فقطب فخارهم الراسخ، و محتد شرفهم الشامخ، و ارومه مجدهم الباذخ، و جر ثومه سؤددهم الماذخ.

هو معصم الفخر الذي حاطت به أحساب أهل الفخر (٢) مثل سوار

زاكى الفخار أبو نمى نفحه الر يحانتين و نخبه الأخبار

إنسان عين المجد و القمر الذى حفّته أنجم هاشم و نزار

و غدت (٣) له مثل الأكام و قد بدا من بينها يفتّر كالنّوار

حامى حمى البيت الشريف و طيبه الغراء بالخطى و البّار

أعظم مليك خفقت عليه البنود، و تشرّفت بمدحته رؤوس المنابر، و أجل سلطان جنّد الجنود، و كتب الكتائب، و حشد العساكر. إلى أن قال:

ملك إذا ضاق الزمان بأهله بخلا توسّع فى المكارم و انفسح

تكبوا السحائب إذ تجارى كفه فالغيث فى جبهاتها عرق رشح

تستحقر الأسياف عاتق غيره و تقول دونك و القلائد و السبح

و يكلف الأسد الهصور بعذله فى القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

ص: ١١٥

١-١ فى الوسيله: من.

٢-٢ فى الوسيله: أهل البيت.

٣-٣ فى «ن»: وفدت.

كم من خطيب ذاكر غير اسمه لما تنحنح قال منبره تنح

صفوه الله التي أفرغ عليها في مواكب العظمة حلّه الشريف، و نخبته التي ملكها زمام المكارم فحازت تالدها و الطريف. إلى أن قال:

ما ضرّ من ضربت به أحسابه حتّى بلغن إلى النبي محمّد

أن لا يمدّ إلى المكارم باعه و يحوز (1) منقطع العلا و السؤدد

الذابّ عن مهبط وحى الله و مهاجر رسوله، و من فى بلد بيته، و معاهد تنزيله.

إلى أن قال: الحائز من أشرف الشيم، ما لا يحصره عدّ و لا حدّ، المتشرفّ أبا و أمّا و جدّا.

أبو نمى من قد حوى شرفا ما حازه قبل عبد مطّلبه

ذاك إلى هاشم نمى فسمّا و ذا قسيم النبي فى نسبه

شّان ما بين فخر ذاك و ذا فذا فخار قد صيغ منه و به (2)

كيف لا؟ و أنت الملك الذى هزّ الملك به عطفه، و أبدى به ثغره و ابتسامه، و المطاع الذى ألقى إليه الأيّام أزمّتها و ملكه (3) الدهر زمامه، و الإمام الذى وافق المقدّر (4) يراعه، و قارن القضا حسامه.

له يراع و غضب ما جرى و برى إلّا قضى و مضى بالرزق و الأجل

فلله درّك من مهّاب قد غشى بصر العين مهّابه، و ملأ الفم فخامه، و من أغرّ

ص: ١١٦

١- ١) فى «ن»: نو يجوز.

٢- ٢) فى «ن»: منه به.

٣- ٣) فى «ن»: نو ملكها.

٤- ٤) فى «د»: المقدور، و فى «ن»: المقدار.

أضحت أيام دولته في جبهه الدهر غزه، و في وجنه الزمان شاهده (١)، و من حلیم غلب صفحه غضبه، و سبق عفوه انتقامه.

و إذا الأبا المر قال لك انتقم قالت خلائتك الكرام لك أحلم

شرع نراك قد انفردت بدينه و فضيله لسواك لم تتقدم

حتى لقد ودّ البرى بأنه يدلى إليك بفضل جاه الحرم

فلا بدع أن ساقنى كريم حلمك إليك، و دلنى عظيم صفحك عليك، فاستغنت بلسان تضرعى و فقري، و استملت عطفك
بجزيل مدحى و شكرى، و استعطفت جيد صفحك ببديع نثرى، و بليغ شعرى.

ذو الصفح أنت و مثلى من جنى وهفا و رام عفوك عما منه قد سلفا

و إن يكن بالقضا زلت له قدم فإنّ مثلك عند الاقتدار عفا

فلمست أول ذى حلم قسى فبدا منه الصدود و لكن بعد ذا عطفنا

و لست أول جان ظلّ يعطف من كمام حلمك نورا ظلّ مقتطفنا

و إن أكن بذنوبى أستحقّ جفا فحسبك الله من هذا الجفا و كفى

حاشا ذوى مجدك السامى و عنصر ك الزاهى و حلمك أن يرضوا لك الجنفا

فلا تخيب رجاء من جاء مبتهلا بحار عفوك محتاجا و مغترفا

هبنى أسأت أ ليس العفو منك غدا طبعاً و حسن التفاضى منك قد ألفا

سجيه فيك ما كلفتها و لكم تكلف الخلق خلقاً يوجب الشرفا

و طالما طبت يا ذا العفو نرشف من سلاف عفوك كأسا طاب مرتشفا

حتى لقد كاد يدلى بالذنوب إلى عليك من لم يكن للذنب مقترفا

ص: ١١٧

إلى آخر الخطبه (١)، و ما أوردته هو المقدار المتضمن لما أردت.

إهتمام الشريف أبي نمي بأهل الشرف:

ثمّ قال (٢) بعد إيراد الخطبه ما ملخصه: إن السيد أبا نمي صاحب الترجمة كان كثير الاهتمام بأحوال ذوى البيوت القديمه، المشهوره بالعلم و الفضل بمكّه المشرفه، بل و كان -رحمه الله- لا يقوم فى محافله السنيه إلا لحضراتهم العليه، و إن لم يكونوا أهلا لذلك فى ذواتهم، و إنما رعايه لكونهم من ذوى البيوتات، اعتمادا على محبتهم و مودّتهم الراسخه له و لأبائه الكرام.

و ربما سأله بعض خواصّه القيام لبعض أشخاص قد وردوا إلى مكّه المشرفه، و رتبتهم فى العلم قد انتهت إلى حدّ الافتاء، فلم يجب سؤالهم، إلى آخر ما ذكره نقلا بالمعنى (٣).

قلت: ما ذكره أحمد فى الوسيله من توصيف هذا السيد الشريف بعدم القيام لمن وصل حدّ الافتاء من الآفايين، و القيام لذوى البيوت القديمه المشهوره بالفضل، و هم دون رتبه الكمال، بل لم تشمّ له رائحه فيهم، فهو وصف له بضدّ الكمال، و الجهل بمعرفه الأقدار، حماه الله عن ذلك، و هو من أجلّ من يعرف ذلك.

بل المنقول عنه و عن آبائه الكرام و من خلف من نسله الشريف إلى زماننا هذا، أنّ من تهياً بغير هيئه أبيه من ذوى القومات، يعنى ترك العلم و طلبه و مال إلى ما لم يسلكه أبوه من بيع و شراء، كتعاطى المتاجر و غيرها، و إهمال العلوم و طلبها، ربما

ص: ١١٨

١-١) وسيله المآل ص ٦٩-٧٤ مخطوط.

٢-٢) أى: العلّامه السيد أحمد باكثر الحضرمي.

٣-٣) وسيله المآل ص ٧٥-٧٦ مخطوط. و راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٤.

تسقط قومته، و يهبط مقامه، و قد شاهدنا هذا غير مرّه.

فظهر من ذلك أنّ قيامهم إنّما هو لأجل العلم و الكمال، فإذا كان كذلك فلائى شىء لم يقم لمن أحرز هذه الرتبة السّتيه، و هى رتبة الافتاء.

و أغرب من ذلك أنّه أورد بعد سرده لهذا الكلام أحاديث يستدلّ بها على زعمه، منها: قوله صلّى الله عليه و آله «أنزلوا الناس منازلهم» (١) و ما فى هذا المعنى، و هو يدلّ على خلاف ما ذكره، و هو القيام لمن ليس أهلاّ له، و عدم القيام لمن يستحقّه استحقاقا واجبيا، و حمى الله الملوّك عن مثل هذا السلوك.

و ربما يؤول ممّا ذكره لو كان واقعا ضرر عظيم، و هو عدم الاهتمام بالكّد و الاجتهاد فى تحصيل الكمالات، اعتمادا على أنّه ابن فلان، و أنّه من ذوى البيوتات، و أنّه إذا كان كذلك، فهو يكفى فى حفظ المقام عند الملك، فيذهب صارفا لنفيس عمره فيما لا يكسبه كمالا و فضلا.

و الذى بلغنى أنّ ذلك المذكور فى الوسيله إنّما كان منشأه و صدوره عن هوى و غرض واقع بين المؤلّف و بين بعض معاصريه من ذوى الفضيله و الافتاء، غير أنّهم لم يكونوا من ذوى البيوتات، و ربما ذكر ذلك بعض العلماء.

و تبّه على مثل ما تبّهت عليه العصامى (٢) فى تاريخه ٣، و غيره فى غيره، فلا

ص: ١١٩

١-١) كتر العمّال للمتقى الهندى ٣:١٠٩ برقم: ٥٧١٧ و ٦:٦٣١.

٢-٢) هو العلامه المؤرّخ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعى المكى الشهير بالعصامى، ولد بمكّه سنه (١٠٤٩) و توفى بمكّه أيضا سنه (١١١١)هـ، و له مؤلّفات، منها كتابه التاريخ المسمّى سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل و التوالى، مطبوع فى سنه (١٤١٩)هـ فى أربع مجلّدات.

يتوهم أنّ ذلك كان واقعا من صاحب الترجمة.

وفاه الشريف أبي نمي:

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

قال صاحب (١)النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر:و في يوم عاشوراء من سنة ثنتين و تسعين و تسعمائه (٢)توفّي الشريف أبو نمي بن بركات صاحب مكّه المشرفه.و لبعض الفضلاء من أهل مكّه في تأريخ وفاته:

يا من به طبا و طاب الوجود قد كنت بدرا في سماء السعود

ما صرت في التراب و لكنّما أسكنك الله جنّات الخلود (٣)

قلت:التأريخ هو الشطر الأخير،و هو مطابق لعام الوفاة،إلاّ أنّه لم يتبه بلفظ التأريخ.و ما ذكره صاحب النور السافر هو طبق ما ذكره صاحب لسان الزمان، و قال (٤)بعد ذلك:و كانت ولايته مستقرا و مشاركا لوالده و أولاده نحو ثلاث و سبعين سنة،و كان رحمه الله فيه نفعا محضا،و خيرا تاما.

ص:١٢٠

١-١) هو العلامه عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس الحسيني الحضرمي اليمني الهندي،ولد بمدينه أحمد آباد من الهند سنة(٩٧٨) و توفّي بمدينه أحمد آباد الهنديه سنة(١٠٣٨)و دفن فيها،له كتب و مصنّفات،منها كتابه النور السافر عن أخبار القرن العاشر،طبع في سنة(٢٠٠١)م في مجلّد واحد

٢-٢) ذكره في سنة تسعين بعد التسعمائه.

٣-٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٤٩٦.

٤-٤) أى:قال صاحب لسان الزمان.

إلى أن قال: وهو الذى نسج لأهل بيته القواعد، والإعاس (١) المستحسنه بينهم حفظا للمودّه و الحرمة، فانتظم بذلك شملهم، و حسن حالهم. و كان رحمه الله من أكابر العلماء، و أجله الأولياء، و قد أخذ عن (٢) كثير من العلماء، و أخذ عنه كثيرا أيضا من العلماء الأفاضل الأجله. إنتهى كلامه.

و أقول: كان هذا السيد قد تخلى فى آخر عمره عن الملك لولده الحسن الآتى ذكره، و أقبل على العباده، و معاشره العلماء الأعلام، فصنّفوا المصنّفات الحسنه برسمه، و توجّوا رؤوسها باسمه.

أدب الشريف أبى ندى:

و أمّا شعره، فرياض نصره، و أراض قد نثر عليها درره، فمن شعره الرائق، و نظمه الفائق، قصيدته التى عارض بها قصيده التلعفرى التى مطلعها:

سمحت بإرسال الدموع محاجرى لَمّا تزايد فى التجنى هاجرى

فقال رحمه الله تعالى:

نام الخلى فمن (٣) لجفنى الساهر إذ بات سلطان الغرام مسامرى

جفت المضاجع جانبى كأنما شوك القتاد على الفراش مباحرى

و تأججت نار الغرام و أضمرت بين الجوانح فى مكنّ سرائرى

و شجيت من ألم الفراق و خاننى صبرى الوفى على الخطوب و ناصرى

افّ على الدنيا فما من معشر إلاّ و أودتهم بخطب قاهر

ص: ١٢١

١ - ١) فى «ن»: الأقداس. و الإعاس: الغنى و الاكثار، و رجل أقعس: أى منيع.

٢ - ٢) فى «ن»: عنه.

٣ - ٣) فى «د»: فما.

فى كل يوم للنواب غاره أيدى النواب هن أغدر غادر

خلت المنازل من أهيل مودتى و هم هم فى الحى قزه ناظرى

إلى آخر القصيده (١).

تجدید سقف البيت و الميزاب:

و فى سنة تسع و خمسين و تسعمائه:جدد سقف البيت الشريف بأمر سلطانى و فتوى،لاختلال بعض الأخشاب عن محالها (٢).

و فى سنة ستين و تسعمائه:جدد ميزاب الرحمه (٣).

تشارك الشريف أبى نمى مع ولده الحسن:

و فى سنة إحدى و ستين و تسعمائه:عرض الشريف أبو نمى إلى السلطان سليمان يلتمس منه أن يكون ولده الشريف حسن الآتية ترجمته عوضا عن ولده الشريف أحمد المتقدم ذكره فى الولاية؛لانتقاله فى هذه السنه إلى رحمه الله تعالى،فوصل إليه الأمر بذلك،و دعى للشريف حسن على المنابر مع أبيه رحمه الله.

ورود محمل من طريق اليمن:

و فى سنة ثلاث و ستين و تسعمائه:ورد محمل على طريق اليمن من مصطفى باشا عامل السلطان سليمان على القطر اليمانى،فخرج له الشريف أبو نمى،و لبس خلعتة،و لم يزل كذلك إلى سنة ألف و تسع و أربعين (٤).

ص: ١٢٢

١-١) راجع:سمط النجوم العوالى ٤:٣٥٥.

٢-٢) راجع:إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٨٢.

٣-٣) راجع:إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٢.

٤-٤) راجع:سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٦،و إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٥.

ورود ميزاب من ذهب للبيت:

و في هذه السنه:ورد ميزاب من ذهب للبيت الشريف،و رفع الميزاب الفضة للتبرك.

إجراء عين عرفات إلى مكه:

و في سنه خمس و ستين و تسعمائه:قلّ الماء بمكّه،و انقطعت عين عرفه لقلّه الأمطار،فرفع ذلك إلى السلطان سليمان،فأمر بالفحص عن أحوال العيون،و كيف يمكن إجراؤها إلى مكّه المشرفه،فاجتمع الناس و رؤساء مكّه و أهل الرأى و تشاوروا فيما بينهم،و رأوا أنّ أقوى العيون و أحسنها عين عرفه،و أنّها أقرب إلى العماره،و أنّ طرقها و دبولها متّصله إلى بئر زبيده فى أعلى منى،و قدّروا أنّ مصرفها خمس و ثلاثون ألف دينار،فعرض بذلك إلى السلطان سليمان.

فلَمّا وصل إليه الخبر بذلك،التمست كريمه السلطان سليمان جانم من أخيها أن يكون هذا الخير لها،حيث كانت زبيده هى المبتدأه بفعل هذا الخير العظيم بمكّه شرفها الله،فعينوا لذلك دفتر دار مصر الأمير الكبير إبراهيم بيك،و كان قد عزل عن دفتر داريه مصر،فارسل إلى عماره العين،و أعطته جانم اخت السلطان سليمان خمسين ألف دينار ليصرفها على العين،و كان إبراهيم هذا صاحب همّه عاليه، و مروءه و كرم،فتوجّه إلى مكّه شرفها الله تعالى.

و فى ذى القعدة من سنه تسع و ستين و تسعمائه:وصل الأمير إبراهيم إلى مكّه المشرفه،و أنزله الشريف أبو نمى بمدرسه قايتباى،و أكرمه إكراما عظيما،و وصل إليه أعيان البلاد،و منهم رئيس رؤساء زمانه،و درّه تاج أقرانه،القاضى حسين المالكى،ثمّ توجّه الأمير إبراهيم بصدد ما هو قاصده،فابتدأ بتنظيف الآبار التى بمكّه،فانتفع الناس بذلك،ثمّ شرع فى تنظيف الدبول و المسالك و حفرها،و كان

يقوم على ذلك بنفسه و أولاده و خدامه، و كان معه أربعمائه مملوك.

فاشتغل بهّمه عاليه، و جلب المهندسين و العمّال و الحفّارين من مصر و بلاد الصعيد و الشام و حلب، طوائف بعد طوائف، و لم يزل إلى أن وصل بئر زبيده، ثم سار بعد ذلك، فرأى الخطب جسيما، و الحال شديدا، و كان تلك المجارى غالبها فى الحجر الصوّان (١).

فخشى أن لا يتمّ ما أراد، فجمع الخطب الجزل، و صار يوقده، فلا يحصل منه إلاّ نتيجته ضعيفه، و أقبل يشتري الخطب من أطراف مكّه المشرفه حتّى قلّ، فضجر الناس من ذلك، و تعب الأمير، و أنفق مالا عظيما، و مات كثير من خدامه و مماليكه.

و فى رجب من سنه أربع و سبعين و تسعمائه: توفّى الأمير إبراهيم معمار العين، و دفن بالمعلاه فى موضع عمّره بنفسه، و هو الذى يقال له: الدفتر دار، و قبره فيه (٢) ظاهر، و ذلك بعد أن اجتهد بنفسه و أولاده و خدامه فى حفر العين حين أنفق ماله و خزائنه، و اشتدّ به الحال، و كثرت عليه المصائب، و مات أكثر مماليكه، و مات له ولدان مراهقان، و اشتدّ عليه القهر (٣).

ثمّ بعد انتقاله اقيم فى خدمه العين سنجق جدّه الأمير قاسم بيك، أقامه فى ذلك الشريف أبو نمى صاحب الترجمه، و القاضى حسين المالكى، و عرض إلى السلطان سليم، و ذلك بعد وفاه السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد، فى هذه السنه

ص: ١٢٤

١- ١) الصوّان: بالتشديد، ضرب من الحجاره، الواحده صوّانه.

٢- ٢) فى «ن»: فيها.

٣- ٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٥٢٣-١: ٥٢٤.

المذكوره، فعين دفتر دار مصر محمد بيك أكمل زاده (١)، فوصل إلى مكّه المشرفه و باشر عماره العين.

و في سنه خمس و سبعين و تسعمائه: اجتهد في عماره العين، و بذل في عمارته (٢) نفسه و ماله، و قطع فيها مسافه عظيمه و ما بلغ التمام.

و في سنه ستّ و سبعين و تسعمائه: توفّي إلى رحمه الله تعالى، و دفن بمحلّ مقابل للدفتردار، و هو موضع معمور تحته سبيل قد خرب في زماننا، و لم يبق منه إلا رسوم، ثم اعيد قاسم بيك أمير جدّه في خدمه العين مرّه ثانيه، و اقيم القاضي حسين المالكي كالناظر عليه و المعين، و عرض بذلك إلى الأبواب، فبرز الأمر باستقراره في الخدمه، و أن يكون القاضي حسين ناظرا عليه.

و في سنه تسع و سبعين و تسعمائه: توفّي الأمير قاسم بيك أمير جدّه، و لم تتمّ عماره العين، و لا أدخلها إلى مكّه المشرفه، و دفن بالمعلاه (٣).

ثم توجه القاضي حسين المالكي المتقدم ذكره لعماره العين بهّمه عليه، و ساعفته الأقدار على ذلك، فأدخلها في أقلّ من خمسه أشهر إلى مكّه، بعد أن تعب فيها غيره عشره أعوام.

و كان يوم دخولها إلى مكّه المشرفه يوم عيد عظيم، و عمل القاضي حسين ذلك اليوم في بستانه بالأبطح ضيافه عظيمه جمع فيها أعيان مكّه و أكابرها، و عمّ السرور سكان مكّه شرفها الله، و مدحه الشعراء، و أخلع على المعلمين

ص: ١٢٥

١-١) في السمط: يكمجي زاده.

٢-٢) في «ن»: عمارتها.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٢٥.

و المهندسين، و تصدّق بـمال عظيم على الفقراء.

و جهّز البشائر إلى السلطان سليم، و إلى حضره الملكة جانم سلطانة، فأنعمت عليه بإنعامات جزيله، و ضبط جميع ما صرف على العين، فكان خمسة لكوك و سبعة آلاف دينار، و ذلك غير ما صرف على أرباب الصناعات من البلدان البعيده، فرحمهم الله جميعا و جزاهم خيرا (١).

عمارته المسجد الحرام:

و في هذه السنه: عرض للسلطان سليم خان في عماره المسجد الحرام، و كان قد اختلّ فيه بعض المواضع و خرب، فأمر ببنائه على غايه الإتقان و الإحكام، و أن يجعل عوض السقف قبابا دائره بأروقه، و قد كان السقف قبل ذلك بأخشاب، فورد الأمر إلى سنان باشا صاحب مصر، فعين أحمد بيك، و كان رجلا ذا همّه عليّه و صلاح، مستحقّا لهذه الخدمه، و أنعم على أحمد بيك بإماره جدّه، فورد إلى مكّه المشرفه في هذا العام، و معه الأوامر السلطانيه بأن يباشر ذلك، و أن يكون بنظر مدبّر الدوله الحسنيه القاضي حسين المالكي.

و في سنه ثمانين و تسعمائه: وضع أساس المسجد الحرام، و بدأ بالهدم من باب السلام (٢).

وفاه السلطان سليم خان:

و في سنه ثنتين و ثمانين و تسعمائه: توفّي السلطان سليم خان، و كانت مدّه

ص: ١٢٦

١-١) راجع تفصيل ذلك: سمط النجوم العوالي ٤:٩٦-١٠٢، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٤٩٧-٤٩٩.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:١١٠-١١١، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٢٦.

سلطنته ثمان سنوات، و تولّى بعده السلطنه ولده السلطان مراد، و لمّا جلس على تخت سلطنته أرسل إلى ولاة الأقطار حتّى إلى شريف مكّه المشرفه بالتأييد، و أمر بالاهتمام فى تعمير المسجد الحرام (١).

و فى سنه أربع و ثمانين و تسعمائه: تمّت عماره المسجد الحرام، و هو إلى الآن على تلك العماره (٢).

وفاه الشريف بركات بن أبى نمى:

و فى سنه خمس و ثمانين و تسعمائه: توفّى السيد الشريف بركات بن أبى نمى صاحب الترجمه (٣).

قلت: و هذه بركات -رحمه الله تعالى- لم يكن ولي مكّه المشرفه، و إنّما أعقب كثيرا، و عقبه موجودون كثيرون، أكثر من مائتى نفر صغارا و كبارا، يقال لهم:

البركاتيون و آل بركات، و هم فخوذ و بطون، و أكثر منازلهم فى وادى مرّ، ملك مكّه المشرفه منهم جماعه، لكن ليس على طريق الاسترسال، و إنّما بين كلّ واحد و الآخر فتره، يليها فيها جماعه من أبناء عمّهم الشريف حسن بن أبى نمى الآتى ذكره، و سيأتى ذكر الملوك منهم على سبيل التفصيل إن شاء الله تعالى.

ورود مرسوم بالكتابه:

و فى سنه ثمان و ثمانين و تسعمائه: ورد مرسوم أن يكتب ما بين باب على عليه السلام و العباس رضى الله عنه، بخط جلى بالذهب، ما هذا صورته: الله، محمّد، أبو بكر،

ص: ١٢٧

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٣٠.

١-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٣٢.

١-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٣٤٦، و إتحاف فضلاء الزمن ١:٥٥١.

و عمر، و عثمان، و على. و اتى بورقه مكتوب فيها ذلك بخط نفيس، قاله صاحب لسان الزمان (١).

وفاه القاضى حسين المالكى:

و فى سنه تسعين و تسعمائه: توفى رئيس العلماء الأعلام، و قاضى قضاة الإسلام، بلد الله الحرام، القاضى حسين المالكى (٢).
قلت: كان هذا السيد غره دهره، و شامه وجه عصره، رئيس رؤساء الدوله الحسنيه، و مدبر أوامرها و أحكامها السنيه، برأى ثاقب، و همّه تراحم الكواكب، و نسب شريف، و حسب منيف، مع كرم عامّ، شمل به الخاصّ و العامّ.
و كان أيضا فى ذلك الزمان، ناظر النظار من قبل سلاطين آل عثمان، و أمّا مناقبه و أخباره، فكثيره لا تحصى، و لو بلغت النهايه فى الاستقصاء.

وفاه قطب الدين النهروانى:

و فى هذه السنه: توفى الشيخ العلامة، مفتى مكه المشرفه و مؤرخها قطب الدين النهروانى (٣).

ص: ١٢٨

-
- ١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ١١٣، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٥١.
 - ٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٥٢.
 - ٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٤٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١: ٥٥٣. أقول: و هو العلامة قطب الدين محمّد بن علاء الدين أحمد بن محمّد بن قاضى خان محمود بن بهاء الدين بن يعقوب القادري الخرقانى النهروانى المكي الحنفى المشهور بقطب الدين النهروانى، المولود سنه (٩١٧) و المتوفى سنه (٩٨٨) و له كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، رتبّه على مقدّمه و عشره أبواب و خاتمه،

و فى سنه ثنتين و تسعين و تسعمائه: توفى السيد الشريف أبو نمى صاحب الترجمة، كما تقدم ذلك (١).

و لنقتصر فى ترجمه الشريف أبى نمى -رحمه الله تعالى- على ذلك، و نسأله التوفيق و السداد فى جميع المسالك، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

فصل: نذكر فيه

إشاره

ترجمه السيد الشريف و الهمام الغطريف

الشريف حسن بن أبى نمى بن بركات

أقول: قد تقدم لهذا السيد الشريف ذكر فى ترجمه والده الشريف أبى نمى، و هنا نذكر ترجمه مطوله؛ لأنها تشتمل على محاسن قد أعجز شرحها ذوى البيان و اللسن، و ما محاسن شىء كله حسن، قد تضمنت التواريخ ذكرها، و أدى لسان الدهر شكرها، و صرفت الادباء إلى مدحها أفكارهم، و جلوا فى ذلك عونهم و أبكارهم.

و كانت ولادته الميمونه فى شهر ربيع من عام اثنين و ثلاثين و تسعمائه.

قال الفاضل العصامى فى تأريخه: تولى شرافه مکه المشرفه بعد انتقال والده

ص: ١٢٩

الشريف أبى نمى، أول عام اثنين و تسعين و تسعمائه، و ذلك بعد وفاه أخيه الشريف أحمد بن الشريف أبى نمى، و كان فى زمنه يلبس الخلع الثانى دلاله على أنه ولى العهد من بعده (١). إنتهى.

قلت: قول العصامى هذا يدلّ- و الله أعلم- على أنّ الشريف حسن كان شريكاً لأخيه الشريف أحمد، و لأبيه الشريف أبى نمى، و أنّه كان يلبس الخلع الثانى دلاله على أنّه ولى العهد بعد أخيه الشريف أحمد لأبيه الشريف أبى نمى.

و هو خلاف ما تقدّم نقله من التواريخ المعتبره، من أنّ الشريف أبى نمى لم يكن عرض لولده الشريف حسن فى أن يكون شريكه فى ولايته مكّه المشرفه إلّا- بعد انتقال الشريف أحمد، و ذلك سنه إحدى و ستين و تسعمائه، و فيها عرض للشريف حسن، فوصلت الأوامر السلطانيه بإقامته شريكاً لأبيه، فدعى له على المنابر، و قد ذكرت ذلك فيما سبق فى حوادث ترجمه الشريف أبى نمى فى سنه إحدى و ستين و تسعمائه، فتنبّه لذلك، فقد و هم العصامى.

رجع النقل من التأريخ المذكور، قال: و لم يزل مشاركاً لأبيه أبى نمى فى الإمرة، مطيعاً له فى كلّ نهى و أمر، يدعى له معه على رؤوس المنابر، كما هو عادته أشرف مكّه المشرفه كابر عن كابر، و التوقيعات العثمانيه إنّما ترد باسمه، و التشرifications الخنكاريه (٢) إنّما تصل برسمه، ثم استقلّ بعد وفاه أبيه بالشرافه، و رفل فى حلل الخلافه.

فلم يزل قائماً بأمرها، شاداً لأزرها، حامياً حقائقها، ناهجاً طرائقها، فاتحا

ص: ١٣٠

١-١) سمط النجوم العوالى ٣٦١:٤.

٢-٢) كذا فى «د» و السمط، و فى «ن»: الخاقانيه.

بجدّه السعيد أخلاقها، مهذباً بسعيه الحميد أخلاقها، بالغا غاياتها، ناشراً راياتها، تاليا معجزات آياتها، إلى أن لبس ولده الشريف أبا طالب خلعه ولايه عهده، وقلمده الأمر من بعده، وألقى إليه مقاليد حياته، فقام بالأمر متهيئاً إلى أحكامه وإشاراته، سالكا نهج سداة، واقفا عند مراده، إلى أن توجه الشريف حسن إلى نجد، وقد اكتفى بولده في تشييد معالم المجد.

فلم يزل ذاهبا إلى أن بلغ محلاّ- يسمّى الفاعيه، وهناك دعاه الله إلى لقائه، فأجاب داعيه بعد أن أقام بذلك المكان مدّه من الزمان، توعّك يوم الثلاثاء غرّه جمادى الآخرة، وانتقل ليله ثالث الشهر إلى نعيم دار الآخرة، وذلك في سنه عشر بعد الألف.

فحمل إلى مكّه المشرفه صبيحه تلك الليله، وأجهد السير به بغاله وخيله، وكانت قد أعدت قبل ذلك في المنازل، لما علموا أنّ قضاء الله به نازل، فساروا به يوم الخميس و الجمعة، ودخلوا به منتصف ليله السبت، وذلك من غايات السرعة، ويقال: لو لا مفارقتهم الطريق، وقد حصل لهم من الظلام و تراكم الغمام تعويق، لدخلوا به يوم الجمعة، مع أنّ المسافه تزيد على عشره أيام، وذلك معدود من كرامات هذا القطب الهمام.

و ذهب الخبر من حينه المبعوث إلى الشريف أبي طالب، وكان في جهه المبعوث، فبادر بالوصول إلى مكّه المعظمه، ودخلها ليله السبت قبل وصول جنازته المكرّمه، و بمجرد وصولها بادر إلى تجهيزه بالاهتمام، و صلّى عليه قبل الفجر بالمسجد الحرام، و دفن بالمعلاه الشريفه الشأن، و بنى عليه قبه عظيمه، و هى باقيه إلى الآن، مات و له من العمر تسع و سبعون سنه، و مدّه ولايته مشاركا

و مستقلاً نحو خمسين سنة (١). إنتهى بنهايه التلخيص.

و أقول: كان هذا السيد الشريف الطاهر، و الأيد في اقتناء المحامد و المآثر، الجامع بين الفتوّه و البساله، كما جمع جدّه صلى الله عليه و آله بين النبوه و الرساله، معهداً للكمالات الجليله، و معقد خناصر أرباب الهمم العليّه، و قرّه عين الزمان، و غرّه جباه الملوك في ذلك الأوان.

كيف لا؟ و هو درّه تاج الملوك الحسنيه، و واسطه عقد فرائدهم السنيّه، و من نبعته الشريفه تفرّعوا، و من صوب محامدهم الحميده ملأوا حياضهم و اترعوا، و في حجر مساعيه المنيفه شَبّوا و ترعرعوا، و إلى غايته (٢) البعيده سابقوا و اسرعوا.

و كان للعلماء الأعلام، القاطنين ببلد الله الحرام، و الوافدين من جميع الأقطار، لقصد الإقامه و الاستقرار، عند هذا السيد الشريف محلّه و مكانه، شيد كلّ منهم بها من مجده أركانه، أنتج كلّ منهم مصنّفاته برسمه، و توجّح مفارق رؤوسها باسمه، مع تقرب لديه، و تدرب لاستنزال غيث فضله من سحائب يديه.

منهم: الفاضل العلامه، و القدوه الفهّامه، الإمام عبد القادر محيي الدين ابن الإمام محمّد بن الإمام يحيى الطبري الحسيني (٣) المترجم في السلافه (٤)، رحمه الله تعالى و رحم أسلافه.

ص: ١٣٢

١- ١) سمط النجوم العوالي ٣٦١: ٤- ٣٧١.

٢- ٢) في «ن»: غاياته.

٣- ٣) في السلافه: الحسنى.

٤- ٤) سلافه العصر ص ٤٢ طبع مصر.

فإنه كان له عنده المقام الأسمى، والمحله العظمى، وأغلب مؤلفاته ومصنّفاته أبرزها إلى الوجود جزيل فضله و هباته (١)، منها: حسن السريره في حسن السيره، ومنها: الآيات المقصوره على آيات المقصوره، شرح الدرديّه. و له معه وقائع لطيفه، يقصد بها تعظيمه و تشريفه.

منها: أنه لما حضر بشرح الدرديّه لديه، و قدّمها بين يديه، ذكر له أنه نظم بيتين على لسان الكتاب هما تأريخ تأليفه بالحساب، و أراه إيّاهما، لينشق عرف رياهما، فقرأهما مولانا الشريف، بعد أن تناول الكتاب بكفّه الشريف، و هما:

أرّخنى مؤلّفى بيت شعر ما ذهب

أحمد جود ماجد أجازنى ألف ذهب

فتلطف حين قرأهما و تبسّم، و هبّ روح إفضاله و تنسّم، و وضع يده الشريفه على رأسه كالممثل لأمره، بعد أن وضع الكتاب فى حجره، و قال: على الرأس و العين. و الله إنّ ذلك نزر يسير فى مقابلته، و إنى أحمد الله تعالى حيث أوجد مثلك فى زمنى، ثم أنعم بذلك و وهب، و أمر له بألف ذهب (٢).

و منها: ما وقت عليه فى أثناء شرحه لديوان المتنبى الذى سمّاه الكلم الطيب على كلام أبى الطيب (٣)، و هو أيضا ممّا ألفه باسمه الشريف، عند قول أبى الطيب:

و أنا منك لا يهنىء عضو بالمسرات سائر الأعضاء (٤)

ص: ١٣٣

١- ١) و من تأليفاته: نشأت السلافه بمنشآت الخلافه، و قد تقدّم النقل عنه.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٥٠.

٣- ٣) راجع: ايضاح المكنون ٣١١: ٢.

٤- ٤) ديوان أبى الطيب المتنبى ص ٢٨٧ طبع دار صادر بيروت.

قال: وقد نظمت هذا المعنى فى موشحه بعثت بها إلى حضره من أَلّف هذا الكتاب لخزائنه العالیه، و هو حسن بن أبى نمى، و شرحت فيه قصّه اتّفقت بى سنه سبع بعد الألف، و هى أنّه كان لى عبد كبير مسنّ، و له أصحاب من جنسه، فأفسدوه و هربوا به من مكّه، و أدخلوه حمى نجل سيّدنا الشريف المذكور.

إلى أن قال: و كنت عوّلت فى استخلاصه على كاتب حضرته العليّه، الصاحب المجيد فخر الدين الخاتونى، و توقّف الأمر على عشره أشرفيه للخادم الذى حفظه حسبما يشرح فيها، و القصيده هى هذه:

هَيِّجَتِ يَلامعُه البروق

ما اكَتَنَ فى جوانحِ المشوق

باللّه إن عاودتِ بالبريق

حَيّ لهُ معاهدُ الغريقِ و حَيّه أنّهم أشرفِ حى

واسقِ برى ربّ هاتيكِ الربا

و امددِ على الفرقِ تلكِ الطنبا

و اذكرِ بخيرِ من بها قد طنبا

لا سيما من بعلاه أطنبا تفاخرا فهر و كعبِ بن لؤى

سيّدنا المتحفِ بالخلافه

بسعيها إذ جاوزتِ خلافه

مذ رضعِ المجد لها أخلافه

الحسنِ الشريفِ ذو العفافه مفخرِ آل المرتضى أبى نمى

الملكِ الشهمِ سليلِ المصطفى

فخرِ السلاطينِ و تاجِ الخلفا

إمام هذا الدهر من غير خفا

ربّ الجميل فى الورى أهل الؤفا فهو الجواد الحقّ لا حاتم طى

دع ابن سعدى عنك و ابن أمامه

و خلّ يا ذا من مضى أمامه

فمن يعادل بالسوى إمامه

لا سيما العادل فى الإمامه فواجب الخفض بنصب بعد كى

من ذا يساوى آل طه و على

أو ينتهى لذلك القدر العلى

من ملك أو ملك أو مرسل

إنّ صحيح ذا الحديث المرسل يؤخذ منى فارو عنى اسندا لى

فمدحهم دينى العظيم الشيم

تقفينه (١) كلّ ندب شهم

و الطبرى حجّتى فى القدم

ششنه أعرّفها من أخزم فنحن أهل البيت لم نعدل بشى

يا فاتح الإسلام بالنبى

و مثبت الؤلاء للولى

أدم معالى الشهم الأبى (٢)

للحسن الخليفه المرضى خير الأنام كلهم بيتا و حى

ص: ١٣٥

و ابق لنا طلعتہ السّیّہ

و ذاته المحروسہ البہیّہ

و اهد لنا ہباتہ الرضیّہ

فی صحّہ الإجابہ المرضیّہ فأنّی اتّفقت فی ذاک ہوی

و من عداى ہام فی التشیب

فی زمن الصبوه و المشیب

و لم أهم بما سوى النسیب

فی مدح هذا السید النسیب مذ كنت طفلا فی مرضی أبوی

و لم أزل أهدی له من الثنا

أبیات مجد معربات فی البنا

تشهد بالفضل لمن لها بنا

ما طرقت عند التباہی اذنا إلا و قال سامعی زد یا أخی

و کم و کم أتحفہ تصنیفا

وصفتہ (1) من مدحہ ترصیفا

لا أرتضی الغیر له و صیفا

یا عاذلی شتیا و صیفا فی مربع أغنت ظباہ عن ظبی

فالفخر کلّ الفخر ما قد ذکرا

من غیر شکّ یعتریہ و مرا

و لتنهیا إن شتّما أو تأمرا

فعدل سلطان الملوک الامرا یفرق ما بین هدی حقّ و غی

أین من الابریز شبه البهرج

أین من الصحیح مشی الأعرج

فالفرق کالصبح الأغز الأبلج

إنّ دلیل المسک عرف الأرج کم دلّ سار یا غوی بکلّ لی

یا سیّد السادات بأفخر الامم

یا صاحب المعروف من أهل الکرم

یا شاهرا للعلم أعلاما علم

میّز بحقّ بین أصحاب الهمم واصغ لنشر مشکى من بعد طی

فإنّی شاک إلى العدل الأغر

أمرا عظیم الشأن عندی و الخطر

ذکرنی ما کان فی شأن نثر

فإنّ لی عبدا شویخا ذا کبر إذا دعا مولاه قال یا ملی

مبارک الاسم أغر اللقب

لما انتمی لعبدک المنتسب

و تلک یا مولای إحدى النسب

فعمّنی و کان لی مثل أبی فی سنّ سبعین سنینا و شوی

لما استحیل من جنوس بازه

یأتونه لفاقه و عازه

یرکز کلّ منهم عکازه

و يطلب الضيفه و الإجازة أكثرها خبزا و سمنا و لحي

ص: ١٣٧

حتّى انتهوا به إلى المكرّم

سيّدنا السيّد عبد المنعم

و أمّنه بحلول الحرم

و ما رعوا ما قد أتى من حرمى ممّا به استوجب قلبا بعد شى

فأرسل العبد إلى الخاتونى

كاتيك المعتمد الأمين

فشفع الدعاء بالتأمين

و واجه السيّد كالمعين و لا معين فى الورى غير الذهبى

و انحطّ أمر العبد بعد القلقله

و تعب الرسول مع من أرسله

و أنّها لسيره مطوّله

قد شرحت فى رسله مفضّله للفخر و الإيجاز أولى بالعبي

على عطاء عشره أشارفه

من فضّه خالصه مصارفه

و عاد مندوبى برجوى كاسفه

ليس لها من دون هذا كاشفه إلاّ الشريف دام بين الحى حى

و حقّ فضل السيّد الشريف

و الأدب المرقص للشنوف

ما كان ظنّى الرّدّ بالتسويق

فإنّ قطع الوصل بالسيوف أهون من رائج مندوب و حى

مع أنّ مولانا يقينا يعلم

ص: ١٣٨

بأنّ مولى القوم قطعاً منهم

هلاً رعى ما قد رآه منكم

فيا مليكاً كلّ خير يختم به اعف و اصفح واردد العبد على

و عنوان الكتاب:

إلى حمى معاهد الخلافه

و الحرم الآمن من مخافه

بملك مدرّب أعرافه

الحسن الشريف ذى العفاهه من أكسب الفخر كفهر و قصى

قال: فردّه أحسن ردّ، سالما ممّا رسم من ذلك الحدّ، أدام الله دولته العادله، و متّع بشيمه الشريفه الفاضله (1). إنتهى كلامه.

قلت: و قد اتّصل بهذا الملك غير الشيخ عبد القادر من العلماء الأكابر، و لهم معه جمله من النوادر، غير أنّا سلكنا سبيل الاختصار، لعلنا بأنّها مدوّنه فى كتب التواريخ و الأخبار.

إذ قد أخدم هذا السيّد الشريف، الذى لم يزل طود مكارمه العميمه منيف، و ظلّ سعاده و مجده و ريف، خلق كثير من بنى الأدب، فتراهم ينسلون إلى جنباه العالى من كلّ حدب، فأنشأوا الخطب و وشوا القصائد، و نظموا فيه من جواهر القريض قلائد، و أورى كلّ منهم زناد مدحه، فما و فى هذا الممدوح العظيم حقّ حمده، و أجاد فى قدحه، و فاز بذلك أمن صيب فضله الهامى بمعلّى قدحه، و هذا شأن الملوك، العارفين بحقائق السلوك.

ص: ١٣٩

(١-١) الكلم الطيب على كلام أبى الطيب للطبرى-مخطوط.

و لو أطلقت عنان القلم فى مضممار بدائعه و صنائعه، و سيره و وقائعه، و أفعاله و أقواله، و عجائب أحواله، لمألت صفحات هذا الكتاب، ممّا تهنىء (١) له القلوب، و تأنس به اولوا الألباب، ففى هذا القدر بلاغ كافى، و بيان وافى.

و أمّا عقبه الشريف، فنحو ستّه و عشرين ذكرا، و هم: سالم، و على، و أبو القاسم، و حسين، و مسعود، و باز، و أبو طالب، و عقيل، و عبد المطلب، و عبد الله، و عبد الكريم، و عبد المحسن، و عدنان، و إدريس، و فهيد (٢)، و شبر (٣)، و عبد المنعم، و المرتضى، و هزاع، و عبد العزيز، و عبيد الله، و جود الله، و بركات، و قايتباى، و محمّد الحارث، و آدم.

و من الإناث نحو خمس و عشرين بنتا لم نذكر هنّ؛ إذ ليس عليهنّ فى إيصال النسب عمدته، فإن أردت الإلمام بأسمائهنّ الشريفه، فعليك بوسيله المآل تجدهنّ مفصّلات فيه (٤).

و لنشرع الآن فى الحوادث بعد الفراغ من ترجمته العليّه، ففى ذلك فوائد سيّئه، يعرف مقدارها ذووا الأنظار الجليّه.

فصل فى الحوادث

إشاره

و قد وقفنا فى ترجمه الشريف أبى نمى على سنه ثنتين و تسعين و تسعمائه، و هى سنه وفاته، و استقلال الشريف حسن صاحب الترجمه، ثمّ استمرّ إلى سنه

ص: ١٤٠

١- ١) فى «ن»: تهشّ.

٢- ٢) فى السمط: و فهد.

٣- ٣) فى السمط: و شبر.

٤- ٤) و سيله المآل ص ٩٢ مخطوط، و راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٧٢.

عشر بعد الألف، و عندها نقف إن شاء الله تعالى، و هي ابتداء دوله الشريف أبي طالب الآتي ذكره الشريف.

بنايات و عمارات بمكّه:

ففي سنه أربع و تسعين و تسعمائه: أرسل السلطان مراد مصطفى شاووش لهدم بيوت في مكّه، و مدارس كانت في طريق السيل من جهه اليمن، و هي المقابله الآن للصفاء، ممتدّه إلى جهه السوق الصغير، فهدمت و بنيت أروقه بطواجن، يأوى إليها الفقراء و الغرباء، كيلا يباتوا في المسجد، و بنى أيضا سيلا يشرب منه خارج باب الصفاء، و تحته حنفيه (١) للوضوء، و بنى أيضا حنفيه اخرى في جدار مدرسه قايتباي في المسعى (٢).

و في سنه خمس و تسعين و تسعمائه: تمّت عماره هذه الأشياء (٣).

وصول خيرات من السلطان مراد لأهالي مكّه:

و في سنه ثمان و تسعين و تسعمائه: وصلت خيرات من السلطان مراد لأهل (٤) مكّه المشرفه، و الحقت بدفتر الجديده المعروف، و لم تزل تتزايد إلى أن بلغت عشره آلاف دينار.

ص: ١٤١

-
- ١-١ الحنفيه: انبوهه ذات لولب تزجّ في ثقب من الحوض لاستفراغ الماء منه عند الحاجه، و هو ما يسمّى الآن بالبالوعه.
 - ٢-٢ راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٥٦٥-١-٥٦٦.
 - ٣-٣ راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٥٦٧:١.
 - ٤-٤ في «ن»: لأهالي.

وصول الشريف مسعود إلى مكة:

و في سنة إحدى و ألف: حضر بمكة المشرفه الشريف مسعود بن الشريف حسن أمير مكة الآتي ذكره، و كان نائبا عن أبيه الشريف حسن و هو غائب، و حضر لمحضره أكابر العلماء و الأعيان، و قيس طول الكعبه من داخلها ليصنع لها ثوب، فصنع و ارسل إلى مكة المشرفه، و وضع لها من داخل، و كان سبب ذلك ورود أمر سلطاني بذلك (١).

و في سنة ثنتين و ألف: جدّد ترخيم المطاف الشريف (٢).

وفاه السلطان مراد خان:

و في سنة ثلاث بعد الألف: توفّي السلطان مراد خان بن سليم خان، و ولي السلطنة بعده ابنه السلطان محمّد خان (٣).

لبس الشريف ثقبه الخلعه:

و في سنة ستّ و ألف: أرسل الشريف حسن صاحب الترجمة إلى أخيه السيد ثقبه يلتمس منه أن يلبس خلعتة من امراء الحجّ أكبر أولاده مسعود بن حسن، و أقام هو بركبه في جهة الشرق، فلمّا كان يوم المختلّع لبس الشريف ثقبه الخلعه و لم يشر إلى مسعود، فاغتاظ مسعود لذلك و رجع مقهورا، و مات بعد ذلك بمده يسيره، و ستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى (٤).

ص: ١٤٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٥-٣٦٦.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:١١٤-١١٥ و ٣٦٦.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٣٦٧-٣٦٨.

وفاه الحكيم داود الأنطاكي:

و في سنه ثمان بعد الألف: توفى العالم العلامه الفاضل الحكيم داود بن عمر الأنطاكي صاحب التذكرة، اجتمع بالشريف حسن صاحب الترجمة بمكة المشرفه، و له معه محاورات و لطائف، و كان آيه في الحدق و النباهه.

من جمله ذلك: أنه حضر بمجلس الشريف المذكور، فأمر الشريف أحد إخوانه يمدّ يده ليجسها على أنها يد الملك، فلما جسها قال: ليست هذه يد الملك، فأعطاه الاخرى، فقال له: و هذه أيضا ليست يد الملك، فأعطاه الشريف حسن يده، فقبلها و قال: هذه و الله يد الملك، فانظر إلى فطنته و ذكائه مع كفاف نظره، فرحمه الله تعالى (١).

وفاه الشريف ثقبه:

و في هذه السنه: توفى السيد الشريف ثقبه بن أبي نمي أخى الشريف حسن (٢).

قلت: و هذا ثقبه هو جدّ الساده الموجودين في زماننا هذا، و يقال لهم: آل ثقبه، و ذووا ثقبه، بعضهم بمكة المشرفه، و بعضهم في البرّ، كثر الله منهم و أيدهم.

ولايه عهد الشريف أبي طالب:

و في هذه السنه: التمس الشريف حسن صاحب الترجمة من السلطان محمّد بن مراد خان أن تكون إماره مكّه المشرفه في أكبر أولاده و أرشدهم، و هو السيد الشريف أبو طالب بن السيد حسن الآتى ذكره العالى.

و في سنه تسع بعد الألف: وصل الأمر العالى من السلطان محمّد بولايه الشريف

ص: ١٤٣

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٣٦٨:٤-٣٦٩.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٣٦٨:٤.

أبي طالب المذكور شريكاً لأبيه الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة.

وفاه الشريف حسن:

و في سنة عشر بعد الألف: توفى الشريف الحسن صاحب الترجمة، كما تقدّم ذلك في أثناء الترجمة، والله تعالى أعلم (١).

فصل: فريد و عقد نصيد

ترجمه السيد الشريف أبي طالب بن الشريف حسن

ابن الشريف أبي نمي

أقول: هذا سيد تولى شرافه مكه المعظمه، و تحلى بعقود الرئاسه المنظمه، و ملك أعنه المجد و زمامه، حتى صار إمامه، مع صيت ملاء الأقطار، و بلغ الغايه القصوى من الاشتهار، و سار مسير الشمس في كلّ بلده، و هبّ هبوب الريح في البرّ و البحر، و أخلاق حميده، و آراء سديده، و أفكار رشيده، و عزمات إسكندريه، و سطوات حيدرته، و كرم يهزأ بالغيث الهاطل، و عماره لربوع العدل و الأمان بعد أن كانت عواطل، و همّه تراحم النجوم الثواقب، و فطنه أحرز بها غرر المناقب، فرحمه الله تعالى، و أفاض عليه شآبيب غفران توالى.

قال الشيخ عبد الملك العصامي في تأريخه، إلا أنّي نقلت ذلك بالمعاني، و طرحته جوف هذه المباني: تولى مولانا الشريف أبو طالب، و جدّه السعيد و أمره الغالب، و ذلك بعد وفاه والده، فهو بولايه عهده، و قيامه بالأمر من بعده، قد استولى على طريف المجد و تالده، و أحواله العجيبه، و أوضاعه الغريبه، و وصولته القاهره، و ولايته الباطنه و الظاهره، و صوادق كراماته الخارقه، و صواعق عزماته البارقه،

ص: ١٤٤

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٣٧٠.

أشهر من أن تذكر، وأغرق من أن تنكر.

دوخ البلاد في الأفاصي والأداني، وملك الرقاب والنواصي، واستولى على الحصون والصياصي، وأذل بقهر سطاها المناصي، وجعل أرض خطاه خد المعاصي، وله في الكرم أخبار وآثار، ضارعت شهره شجاعته في النقع المثار.

مولده في جمادى الأولى سنة ست و ستين و تسعمائه، و لبس خلعه ولايه العهد سنة ثمان بعد الألف، واستقل بالأمر عام عشر بعد الألف، كما تقدم.

واستمر في الملك إلى أن كان يوم الثلاثاء حادي عشرى جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة و ألف. ووصل إلى مكة خبر وفاته، فدهى شمل المجد بشتاته، و منى جبل السعد ببتاته، و كان بمحلّ قرب بيشه (١)، و وصلوا به ضحوة يوم الأربعاء ثاني عشرى الشهر المذكور، و قد حثوا السير في الإدلاج و البكور، و دفن بالمعلاة، و بنى على ضريحه قبة (٢). إنتهى ملخصاً.

أقول: و من عجيب أمر هذا السيد الجليل، أنّ أكثر هذا العالم إلا القليل يعتقدونه بنيه خالصه من قلبه، و يتخذونه حجّه و وسيله بينه و بين ربّه، و ما ذاك عن ضعف عقل و دين، لهؤلاء المعتقدين، بل إنّما نشأ ذلك الاعتقاد بعد ظهور الأسرار الخارقة لبصائر العباد، مع أنّه كان ملكاً ظلوماً، و جباراً غشوماً، طالما قتل و سلب (٣)، من غير ذنب و لا سبب (٤)، فما أدري هل هذه ولايه؟ أم لعقول هذا الخلق غوايه،

ص: ١٤٥

١-١) بيشه: قريه من بلاد اليمن.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٣٩٣:٤-٣٩٤.

٣-٣) فى «ن»: و صلب.

٤-٤) لم يذكر أرباب التواريخ أنّه كان جباراً غشوماً، بل صرّحوا بشفقته على الرعيه،

و لأبصارهم عمايه، فلله عزّ و جلّ في ذلك إرادته، يستدرج بها عباده.

و من العجب العجائب: أنّ جميع البادية و الأعراب، يقسم برّبّه كاذبا، و إذا امر بأن يقسم به ولى هاربا، و أمّا قِبته الشريفه، المحتويه على الأسرار المنيفه، فحمى كليب بن وائل، يستجير بها السارق و القاتل، و المطرود لجميع القبائل، و لا يسمع فى اللائذ بها قول قائل، حتّى يخرج منها و يبعد عنها، فسبحان الكريم الوهّاب، المعطى من غير حساب، فليعتبر اولوا الألباب، و الله سبحانه أعلم بالحقائق، فى العظام و الدقائق.

فصل: غريب و أصل عجيب

ترجمه السيد الجليل و السند الأصيل، المستنىء من كهف الشرف

الأثيل ظلّه الضليل الشريف إدريس بن الشريف حسن

قدّس الله سرّه و أعظم صلته من رحمه و برّه

تولّى الشريف إدريس مكّه المشرفه بعد وفاه أخيه الشريف أبى طالب فى سنه اثنتى عشره و ألف، و استمرّ بها مشاركا لابن أخيه الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن، و لأخيه فى محاصيل ربع البلاد الشريف فهيد بن الشريف حسن اثنين و عشرين سنه، و كانت وفاته رابع عشر جمادى الاولى من سنه أربع و ثلاثين و ألف.

و كان مولده الشريف فى ذى القعدة سنه أربع و سبعين و تسعمائه، و كان يكتنى

و أما شرح مبدأ حاله و كيفيه استقامه أحواله مع هذين الشريكين، و الشريفين المليكين، و ما وقع بينهم من العناد الباعث لجلب الفساد، في تلك البلاد، ثم ما استقرّ عليه الحال، و زوال تلك الفتن و الأهوال، فلذلك نقل طويل ينطوي على عدّه أقاويل، لم أوردّه خوف الإطالة، الجالبه للملاله، و الشرط أملكك عليك أم لك، فإنّ هذا شيء قد هدّبه إمام الأدب و ربّه، و هو الشيخ عبد الملك في تأليفه، بعد أن أتعب نفسه في توليته، فعليك به تجد ذلك مفصّلا و أصلا مؤصّلا (١).

ثمّ أقول: إنّ هذا السيّد الشريف الماجد، صفوه الملوّك الأماجد، كان منتجج الرحال، و مصطنع الرجال، ولى مكّه المشرفه فاقتادها، و أحلّته الشرافه فؤادها، مع صوله قاهره، و عزمه باهره، غدت غرته بها سافره، و كرتّه ظافره، خدمه جماعه من الادياء فشغف ببضاعتهم و صبا، و هبت به ريحهم شمالا و صبا، قامت به سوق أهل العلم، فاستقوا في حلبه الفكر حتّى أحرزوا القصبا.

مدحه فاضل زمانه، و مفرد عصره و أوانه، الأديب الأريب، المحيي آثار ابن عبّاد و ابن قريب، القاضي تاج الدين المالكي، لما عرض له في وظيفه الخطابه بالمسجد الحرام، و ألبسه القفطان يوم مباشرته لها، و ذلك لتسع عشره ليله خلون من شهر رمضان عام ثمان و عشرين و ألف، بقصيده لو رآها أبو العلاء لوقف دونها متأملا، أو رام شرحها ابن الأثير لأحجم، و هو كالحائر الأسير، و سأبثها لك بتمامها، لتجتني من حدائقها مفتحات كامها، و هي هذه:

زها بك دست الملك و التاج و العقد غداه إليك الحلّ أصبح و العقد

مطاعا يعطف الله بعد رسوله اولى الامر فالعاصى لأمر ك مرتد
أبا شرف إدريس منتخب العلا أبا الشرف الوضاح غيرك و المجد
لقد خطبت (١)شمس الخلفه بدرها فقارنها فى الأوج و الطالع السعد
قنصت العلا بالزاعبيه و اللهى (٢) هما شركاها لا الأمانى و الوعد
و قمت بعبء آد غيرك حملة منال المهارى ليس تدركه الربد
و شرفت دست الملك حين حلته و مرقاتك المرقال و الفرس النهد
فكنت به إدريس إدريس إذ رقى مكانا عليا خصه الصمد الفرد
و كنت و لم تفتن سليمان إذ دعا فإوتيت ما لا ينبغى لفتى بعد
و ما لم ينله غير آبائك الالى ربوع النداء شادوا و أزر (٣)العلا شدوا
ملوك هم الأناب للملك و السوى إذا نسبوا كانوا الزوائد أو عدوا
تولوا و أفضى ملكهم لمحجّب تصادم تيجان الملوك إذا يبدو
تأخر عصرا فاستزاد من (٤)العلا كما زاد (٥)بالتأخير ما ترقم الهند
و أصبح عطلا جيد من رام عقدها سواه و أضحى يستضىء به العقد
تفرّد طود الملك بالمجد جامعا مزايه فهو الجامع العلم الفرد
رأى أن عدته خلّه منه خلّه فصيره قصرا عليه فلا يعدو

ص: ١٤٨

١-١) فى السمط: طلبت.

٢-٢) فى السمط: و النهى.

٣-٣) فى السمط: و زند.

٤-٤) فى السمط: فاستزادك فى.

٥-٥) فى السمط: از داد.

فيا ملكا بالفضل أذعن ضده و ما الفضل إلا ما أقرّ به الضدّ

بك الدست يزهو يوم سلمك و البرد (١) و يوم الوغى يزهو بك السرج و السرد

و ما زلت فى حالىك سلم و ضده عليك رواق الملك (٢) يرفع و البند

فيشقى بك الجانى و يسعد مخفق و يأمن مطرود و ترهبك الاسد

إذا بيّت الأعداء أمرا تضاءلت لدى خطبه الآراء و استتر الرشد

و ترت قويم الفكر قوسا لو ترهم و أنفذت سهم الرأى ليس له ردّ

و حكمت فيهم قاضيا غير مغمد من (٣) العزم لم يكهم له أبدا حدّ

و قدت من القود الجياد مقانبا إذا طلبت يدنو بتقريبها البعد

و غلّ إلى الأعناق أيدى بطشهم من الرعب جيش لا تشام له جند (٤)

فأحياهم فى الأرض موتى كأنهم عليهم و قد ضاقت بما رحبت لحد

سجايأ أبى لا يجار طريده و لا راع يوما جار غفوته طرد

ملىك هو الطود الأشمّ للاند هو البطل الطعان (٥) و الأسد الورد

جواد له فى المال صوله ثائر تحكّم فى الجانى و أحفظه الحقد

طوت نحوه بالوفد كلّ تنوقه نجاه نجد (٦) الأرض من و خدها حدّ

ص: ١٤٩

١-١ فى السمط: و الندى.

٢-٢ فى السمط: المجد.

٣-٣ فى السمط: هو.

٤-٤ فى السمط: جيش ليس تكبو له جرد.

٥-٥ فى السمط: المطعان.

٦-٦ فى السمط: بخات بخدّ.

و جاد فلم يفقد مراما بجموده فقل عوضا عن جاد قد فقد العقد
هو البحر عذب للموالى و للعدى عذاب لهم من لجه الجزر و المدّ
هو الغيث يهيمى للولى وليه فينبت إلا أنّ منبته الحمد
و يعدو العدى و سمي هامى ربابه و تبلغها منها الصواعق و الرعد
أخا الجود قد قلّدت جيدي و دون ما تقلّدت أعناق المطامع تنقد
و أمطيتنى من كاهل العزّ مركبا ترينى ذكا كالغور صهوته النجد
فقت خطيبا فى المحامل (١) بالثنا و بالشكر أتلو ذا و ذاك به أشدو
ينافسنى قوم شأوت و قَصروا و ما كظليع ظالع (٢) خلفه يعدو
و يبخص منهم درّ نظمى زعانف فوا عجا من أين للنقد النقد
سماء سمات الفضل لفظى نجمها و لم يخفه ألا ترى ضوءه الرمذ
و إئنّى لما خوّلت أهل و لم أكن كقول حسود إنّما أسعف (٣) الجدّ
و لست به لا غير أسمو (٤) و إن يكن هو الفخر يوم الفخر و الشرف العدّ
و لكن بنفسى و العبوديّة التى بها شرف الآباء من قبل و الجدّ
و إئنّى لأرجو منك ما نال من مضى و لا عجب إن عزّ بالسيد العبد
بقيت بقاء الدهر فينا مملكا (٥) بك التاج يزهو و الغلائل و البرد ٦

ص: ١٥٠

١-١) فى السمط: بالمحافل.

٢-٢) فى السمط: كضليع ضالع.

٣-٣) فى السمط: أسعد.

٤-٤) فى السمط: و لست مدلاً حين أسمو.

٥-٥) فى السمط: مؤمّلا.

أقول: وعارض هذه القصيدة سيّدنا الوالد دام بقاءه، بقصيده دالية على هذا الوزن و الروى، و ضمّنها بعض أشطار من هذه القصيدة، مدح بها السيّد الشريف أحمد بن غالب، أحد ملوك مَكَّة المشرفه الآتى ذكره المعالى، و سَأثبت لك هذه القصيدة فى ترجمته الشريفه إن شاء الله تعالى إذا وصلت إليها.

فصل: مسدّد و عقد منضد

ترجمه السيّد الشريف السامى، و الأيد فى اكتساب الحمد النامى،

بصيب كرمه الهامى، الشريف محسن بن الشريف حسين بن

الشريف حسن

أقول: كان بين هذا السيّد الشريف و بين عمّه الشريف إدريس بن حسن رحمهما الله تعالى رحمت توالى، فى آخر أمرهما بعد أن كانا كشخص واحد فى الاتّفاق، و عدم النفاق، و المصافاه و الصداقه، و سعى كلّ منهما فى مرضى صاحبه بقدر الطاقه، و لم يزالا كذلك فى جميع الأحوال، متشاركين فى الشرافه و ما تدخله مَكَّة من الأموال، ثمّ الدعاء لهما على المنابر، و اقتران اسميهما فى جميع الموارد و المصادر.

إلاّ أنّه كان لهما شريك ثالث فى محاصيل ربع البلاد فقط غير مشارك لهما فيما عدا ذلك من الدعاء على المنابر، و حمايه الأقطار و المسالك، و هو السيّد الجليل فهيد ابن الشريف حسن، فلم يزل معهما على ذلك حتّى خلع من ربه، و قنع بأن يسكن بمكّه المشرفه فى ظلال ربه، فممنع من ذلك الأمر، فأخذ مهله شهر، ثمّ فارق مفارقه الدهر، و خرج من مكّه سنه تسع عشره و ألف، فتوجه إلى

ص: ١٥١

بلاد الروم، رجاء أن ينال ما يروم.

فقيل: إنّه انيل الملك لو لا أن بادرت باختطافه يد الهلك، فتوفى سنة إحدى و عشرين و ألف في تلك الأقطار، و اَرخ انتقاله بشر من جمله الأقطار، و هو «مات بالروم فهيد بن الحسن».

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة، أفاض الله عليه شآبيب غفرانه المنسجمه:

قال العلامة الشيخ عبد الملك العصامي في تأريخه: ثم استمرّ الشريف محسن مشاركا في الأمر لعمّه، صارفا إلى طاعته، و ضمّ جماعته كلّ همّه، و هما كالتيّرين المشرقين، و الفرقدين المتّقين، يتعاضان في المهمّات و يتناصران، و يصطحبان في الغزوات و يتباصران، تهبّ بينهما نسائم المصافات قبولا و شمالا، و كلّ منهما لصاحبه يمين و شمال، و البلاد بهما آمنه مطمئنّه، و النفوس راضيه مرضيه مستكنّه.

إلى أن قال: حتّى أذنت بالتحغير و الاستحاله، و مراد الله واقع لا محاله، فشرعت آثار انقلاب النصل إلى الصيف بعد الربيع، و ظهرت أمارات انتقالات التيرين بعد التثليث و التسديس بالمقابله و التريبع.

و هو أن اتفق أهل الحلّ و العقد، و كلّ من ينتظم في هذا العقد، من الساده الأشراف، و العلماء الأعيان، الذين لهم النظر و الإشراف، فجزموا برفع إدريس عن ولايه الحجاز، و نصبوا بينه و بين تصرّف عوامله المؤثّره في ذلك أمنع حجاز، و فوضوا الأمر إلى الشريف محسن بالحثم و الانجاز، و وجهوا (1) بالعزم تلك الحقيقه حين سلكوا ذلك المجاز.

و أوّل ما ظهر من هذا الأمر، و اشتهر بين زيد و عمرو، يوم الأربعاء ثالث شهر

ص: ١٥٢

(١ - ١) في «ن»: و حموا.

محرم الحرام سنه أربع و ثلاثين و ألف، فوَقعت بينهما المنافره، و امتلأت البلاد بالأراجيف المتظافره، و حاولوا ثانى ذلك النهار، بالمنادات للشريف محسن و الإشهار، فصَدَّ المنادى و حماته الأنجاد، و ردَّهم بالبنادق بعض الأجناد، الموزعين من جانب الشريف إدريس فى الأرصاء، فرجعوا ذلك اليوم و لم ينفذوا القضاء، بعد أن اصيب بعضهم من رمى البنادق ففضى.

ثمَّ لَمَّا كان الضحى تبادروا إلى ذلك بالوحاء، فركب الشريف أحمد بن عبد المطلب و المنادى معه، تحفَّ به خيل و رجال متجمعه، فأشهبوا النداء للشريف محسن بين كلِّ أحد، و الشريف محسن حلَّ بالبلد، و الناس من خوف الفتنة فى أشدَّ محنه و كبدا.

إلى أن قال بعد كلام طويل ما على نقله تعويل: ثمَّ قام بالأمر الشريف محسن، فأحسن كما أحسن الله إليه، و نهض من إحكام الأحكام بما وجب عليه، فصفت من الأمن مناهله، و وضحت من طريق الجهل مجاهله، و نشر لواء العزِّ، فوطأت أكباد العصاه جنوده و صواهله، و كان على كافه الأحوال شديدا بأعباء الخلافه كاهله (١)، إلى آخر ما ذكره العصامى فى تأريخه ملخصا.

أقول: كان هذا السيد الشريف الماجد، قبله لكلِّ قاصد و وافد، و سم فى سباب (٢) كرمه لأهل العلم مشاعر، فحجَّ إليها كلُّ أديب شاعر، و وسم قلوب الملوك الأعاضم، بميسم الرهبه، فغدا كلُّ منهم ناشرا لمدحه و ناظم، و بسم له الدهر عن ثغر الإقبال و السعاده، فمنح من شاء برّه و إسعاده، نحت نحوه العلماء فأقبل

ص: ١٥٣

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤: ٤١٣-٤١٨.

٢- ٢) السبب: المفازة، يقال بلد سبب و بلد سباب.

عليهم، ووجه همته العلية إليهم، فواصل صلاتهم، وقاموا بخدمته قيامهم بصلاتهم، وهم علماء أماجد، وفضلاء لهم في بقاع العلم مساجد.

منهم: العالم الشهير، والمسائل (١) بالفضل الأثير، الشيخ أحمد بن الفضل باكثر، فقد خدمه هذا الفاضل العلامة بتأريخه الذي طلع في الدهر غزوه، ووجه العلوم علامه (٢)، وهو وسيله المآل في عد مناقب الآل، فلقد صدق العصامي، حيث قال: أبدع فيه و أغرب، وسلط عوامل فكره على معمولات الأدب فأعرب. إنتهى.

و مدحه بقصائد طنانه، أناف بها ذكره، وشيد أركانه، فإن أردتها فحث ركائب همتك إليها، تجد الوسيله قد انطوت عليها، ولو لا خوف التطويل لأوردتها لك بالتفصيل.

و منهم: وجيه الدين و صدر الإسلام، و شيخ مشايخ بلد الله الحرام، الشيخ عبد الرحمن المرشدي، فإنه حل عند الشريف محسن بن حسن المحلل الذي يحله من الجفن الوسن، فاغتنى من لبان إقباله، في مهاد رأفته و تحت ظلاله، و له فيه المدائح الحسان، التي لم يحم حول بلاغتها زهير و لا حسان.

و بالجمله فقد خدم هذا السيد الشريف خلق كثير من العلماء و غيرهم، فأحرزوا به نهاية التشريف، فرحمه الله تعالى و رحم أجداده، و سقاه من صوب غفرانه صيب السعاده.

ثم إنه ليملكني الإعجاب، من كتاب صعد جو البلاغه فغاب، كتبه الشيخ

ص: ١٥٤

١-١) في «ن»: و المسائر.

٢-٢) في «ن»: غلابه.

عبد الرحمن المذكور إلى الشريف محسن بن حسن، حين صالح عمه الشريف إدريس، فأزال ما كان بينهما من الفتن، و ذلك في سنة ألف و مائه و خمس عشر، هكذا وجدت في سلافه العصر (١)، و الظاهر أنّ هذا الصلح و هما بالبلاد، إلاّ أنّه وقع بينهما شيء من التضادّ، و هذه صورته ما كتبه إليه، و عرضه عليه:

يقبل الأرض مهتئا بما عمّ بشره كافه البشر، و رفعت له في قلوب الرعايا رايات الفرح و الظفر، و دقت له نوبات التهاني، و بلغت به نفوس (٢) الأوداء غايه الأمل و الأمانى، و أنشد لسان الحال في (٣) الارتجال:

حسم الصلح ما اشتتهه الأعداى و أذاعته ألسن الحساد

و أرادته أنفس حال تدبيرك ما بينها و بين المراد

فلعمرى لقد كانت الداهيه الدهيا، و الصاخه العميا.

فكيف يتمّ بأسك فى اناس تصيبهم فيؤلمك المصاب

هل أنتم إلاّ نفس تفرقت فى أجسام، و نفس تصاعد من أخشام.

لأعدا الشرّ من بغى لكما الشرّ و خصّ الفساد أهل الفساد

أنتما ما أتفقتما الجسم و الروح فلا احتجتما إلى العواد

فو الله لقد ناجتني بذلك نفسى، و قرطس فى غرض الإصابه سهم حدسى،

ص: ١٥٥

١- ١) سلافه العصر ص ٧٠، و فيه: عام خمس عشره بعد الألف، فلا يرد عليه ما أورده، و لعلّ نسخه المؤلّف من السلافه كانت فيها زياده «و مائه» سهوا من النسخ، و العجب أنّ فى نسخه «ن» ليست فيها كلمه «و مائه».

٢- ٢) فى السلافه: أنفس.

٣- ٣) فى السلافه: على.

و كنت جازما بأن هذه الحالة لا تستقرّ، وأن نار الحرب بينكما لا تستقرّ، أنى يتم ذلك و أنتم السنم رصانه، التي لا توازيها الاطراد ثباتا و رزانه، لستم ممن يستخفه الطيش و يستشير، و لا- ممن لا- ينظر فيما يقتضيه قبيال الأمر و لا دبيره، بل أنتم ممن جبل على الرحمه و الرأفه، و استحكمت بينكما اللحمه و الالفه، و تواصلت بينكم الأرحام، و حفظ فيكم الدمام.

منع الودّ و الرعايه و السؤدد أن تبلغا إلى الأحقاد

و حقوق ترفق القلب للقلب و لو ضمّنت قلوب الجماد

حتى أنى كنت ممن يشاهد هذا الأمر من كتب، و يحقّقه تحقّق من سطر و ثائقه و كتب، فأرخت ذلك بقولى «عاقبه الأمر هو الصلح» فكان فالأجاء كفلق الصبح، فالحمد لله الذى أبدل الضراء بالسراء، و أزال عن المسلمين البأس و البأساء، و جمع بكم شمل السيادة، و حرس بكم بلاده.

فغدا الدهر (1) باهرا من رآه شاكرا ما أتيتما من سداد

فيه أيديكما على الظفر الحلو و أيدي قوم على الأكباد

هذه دوله المكارم و الرأفه و المجد و الندى و الأيادى

كسفت ساعه كما تكسف الش-مس و عادت فنورها فى ازدياد

فله درّ أبى الطيب كأنما شاهد هذه الواقعه، فوضع هذا الدرّ مواضعه، فلا بدع للمتنبى أن يخبر بالمغيبات، و حدّث عمّا هو آت، و كان ذلك ممّا له من المعجزات، و الآيات البيّنات، فالله تعالى يصون شملكم عن التفريق، و يوشى شملكم بطراز

ص: ١٥٦

١-١) فى السلافه: الملك.

الوفاق و التوفيق، و يمتع بكم الرعايا، من كافه البرايا، و السلام على الدوام (١).

و ممن مدحه بالنظم الفائق، و النثر الرائق، الفاضل العلامه، الشيخ عبد القادر الطبرى، المتقدّم ذكره، فمن جمله مدائحه التى هى ببركات تفضلاته و منائحه، قصيده النويّه النائل بها أشرف الرتب السّتيه، و هى التى مطلعها:

لا و النواعم فى حدود العين ما احتجت فى حمل الهوى لمعين

و لو لا- طلب الاختصار و خوف الإطناب، لأوردتها لك برمتها فى هذا الكتاب؛ لأنّها كلّها غرر و درر، و آيات فى البلاغه و سور، و إن أردت الإشراف عليها و الإطلال، فهى مسطرّه فى وسيله المآل (٢).

قال فيها عند ترجمه هذا السيّد الشريف: فممنّ خدم خزانته العاليه، و قصد سدّته الساميه، بالتصنيف الفائق، و الشعر الرائق، عند بابه، و خادم جنابه، المتشرّف بالنسبه إليه عند الانتساب، العبد الفقير مؤلّف هذا الكتاب، فإنّى خدمته بهذا الكتاب الذى لم يسمح بمثله الزمان، و يأمن مؤلّفه أن يعزّز لعلوّ محلّه شأن، و مدحته بجمله من القصائد، و هى فى جيد الزمان قلاند (٣). إنتهى.

و ممّا أورد لنفسه من المدائح السّتيه، قصيده يعجز أن يأتى بمثلا ابن القرية (٤)، لأنّها حوت من البلاغه، و إتقان الصنائه، ما يشهد له بالقوّه فى النظم

ص: ١٥٧

١-١) سلافه العصر ص ٧٠-٧٢.

٢-٢) وسيله المآل ص ١٠٢-١٠٤ مخطوط، و أورد القصيده أيضا بتمامها العصامى فى كتابه سمط النجوم العوالى ٤:٤٢٤-٤٢٦.

٣-٣) وسيله المآل فى عدّ مناقب الآل للحضرمى ص ٩٨ مخطوط.

٤-٤) فى «ن»: ابن القرية.

و البراعه؛ لأنها احتوت على نمط التشجير، لأنه ضمّنها ثلاث آيات و تاريخا، و لو لا خوف الإطاله المورث للملاله لأوردتها لك.

و ولد هذا السيد الماجد فى جمادى الاولى سنه أربع و ثمانين و تسعمائه، و توفى سنه... (١) و الله أعلم.

فصل: عظيم و عقد تنظيم

ترجمه السيد الشريف أحمد بن الشريف عبد المطلب

ابن الشريف حسن رحمه الله تعالى

استولى على شرافه مكه المعظمه سنه سبع و ثلاثين و ألف، و دخلها متوجّها إليها من جدّه، ضحى اليوم السابع عشر (٢) من شهر رمضان من السنه المذكوره.

و قصّه مبدأ حاله، و اخضلال روضه بعد إمحاله، هو أنّ للدهر عبر، فى كلّ مبتدء و خبر، و هو فى ذاته أهل لما نال، إلا أنّ العجب من مقتضيات الأحوال.

و ذلك أنّه ورد فى آخر شهر صفر من السنه المذكوره إلى جدّه الوزير أحمد باشا متولياً الجهات اليمتية، و كان قد انكسر مركبه قرب جدّه، و غرقت جميع أمواله، فأرسل إلى الشريف محسن بهديّه، ثمّ نزل إليه الشيخ عبد الرحمن المرشدى بمكاتيب من الشريف محسن، فأقام عنده أياماً.

ص: ١٥٨

١ - ١) بياض فى النسختين، و توفى الشريف محسن فى شهر رمضان سنه (١٠٣٨) كما ذكره العصامى فى السمط النجوم العوالى ٤:٢٢٩، و زينى دحلان فى كتابه تاريخ الدول الإسلاميه بالجداول المرضيه ص ١٥٢، قال: و توجه محسن إلى اليمن و توفى هناك سنه (١٠٣٨).

٢ - ٢) فى «د»: السابع من شهر رمضان.

ثم إنَّ الباشا طلب من حضره الشريف محسن الإعانة، فشرعوا في تدبير ما يرسل إليه، و طلب غواصين لإخراج ماله، فغاصوا فلم يخرجوا شيئاً، فتخيّل الباشا أنّهم مأمورون بذلك، فتغيّر و تنكّر و تزائد (١) الحال، إلى أن حبس حاكم مولانا الشريف بجده، و رجلاً آخر كان قد أرسله الشريف إليه بمكاتيب.

فأرسل الشريف من حضرته من ينظر في هذا الحال، رجاء في تدارك الاختلال، فلم يجد شيئاً، ثمَّ إنّه ورد الخبر بأنَّ الباشا صلب الحاكم الذي قد كان حبسه، فأوسع الخرق، و ظهرت أماره الفتنة، و كثرت الوسوسة.

و كان الشريف أحمد المشار إليه قد نزل إلى جدّه حين سمع به، فكان يتردّد عليه مدّه متعلّقاً بسببه، و أحواله رثه مختلّه، و ذات يده بدءاً الاملاق معتلّه، و عرى آماله عن التعلّق بالملك بحسب العقل منحلّه، حتّى أنّه لم ينزل جدّه إلاّ على حمار، و له في ذلك بين الناس نقول و أخبار، و هي دالّة على علوّ همّته، و وفاء ذمّته.

و كان متمسّكاً في رجاء الملك بعروه و ثقى، و وعد ممّن لا يقول إلاّ صدقا و حقّاً، تمسّك بأذيال أهل الحقائق، فأخذ العهود و الطرق (٢) على عدّه من مشايخ الطرائق (٣)، من أجلهم الشيخ أحمد الشناوى، و هو الذى بشّره بما بلغه من السعادة، لكنّه قال له: على الشهاده يا أحمد، فقال: على الشهاده.

و كان حين قصد قصده، و وجّه عزمه إلى بندر جدّه، قد ربّ مع الشريف

ص: ١٥٩

١-١) في «د»: و زاد.

٢-٢) في «ن»: الطريق.

٣-٣) في «ن»: المشايخ للطرائق.

مسعود بن الشريف إدريس، ترتيباً رجوع بعد تمكنه من الملك كريع دريس، فقرّر معه أنى أسعى فى الأمر و يكون إليك، و أجلو بدره إذا تمّ عليك، فاستملّ الأشراف عن الشريف محسن، و أتقن استجلايهم بالباطنه و أحسن، فاتفقا على ذلك، حتّى ظهر ما هنالك.

فلما وقع من الباشا ما وقع، اضطربت مكّه حين وصل الخبر بما صنع، و ماج الناس، و هاج الوسواس، ثمّ بعد مدّه تزايدت الشدّه، و وصل الخبر بأنّ أحمد باشا قد هلك، و أنّ الشريف أحمد استمال عساكره إليه، و سلك ما سلك، و استولى على أموال جدّه و ملك.

ثمّ فى أواخر شعبان ورد الخبر بأنّ الشريف أحمد سار من جدّه بعساكره المنظمه، قاصدا مكّه المعظمه، و سار أيّاما عديده على جهه وادى مرّ، تالياً و السّاعه أذهى و أمرٌ (١) حتّى وصل الخبر سادس عشر رمضان بأنّه قارب مكّه أو كاد، فبرز الشريف بما لا يحصيه إلاّ الله من الأشراف و الأجناد، ف وقعت بالقرب من التنعيم، معرکه خطبها عظيم، توقّف فيها الأشراف عن الفتك بالشريف أحمد، و ودّوا أنّ نار الفتنة تخمد.

فأسفر الحال بعد مثار القتال عن توجه الشريف محسن مع بعض الساده الحسيّيه، إلى جهه الحسيّيه، و دخل الشريف أحمد إلى مكّه المشرفه، و جرت بها أحكامه المتصرّفه، و ذلك ضحى يوم الأحد السابع عشر من رمضان سنه سبع و ثلاثين و ألف، فصار ما صار، و اتفق ما اتفق، و قام سوق الفتك، فراج فيه متاع الأرواح و نفق، و وقعت امور و أحوال، تتناقلها الناس إلى الآن بالأقوال، و عاقب

ص: ١٦٠

كثيرا ممن كان يظهر استبعاد ولايته، و يطلق لسانه بغوايته في ميدان غايته، و يقيس نهايته على بدايته، فكانت أيامه أيام فتن و محن، و حقوق و إحن.

و استمرّ في الولاية إلى أن حجّ بالناس حجّه ثمان و ثلاثين و ألف، و مات شهيدا ليله الأحد خامس شهر صفر من سنة تسع و ثلاثين و ألف. و سبب قتله و القاتل له يأتي في ترجمه السيّد مسعود بن الشريف إدريس إن شاء الله تعالى، و دفن بالمعلاة، و لاقى ربّه و مولاه.

نقلت ذلك من خطّ سيدنا الوالد، مع اختصار صدر منّي، و قال هو دام ظلّه: هذا ما لخصته بالمعنى اختصارا من تأريخ الشيخ عبد الملك العصامي، و قد قال -يعنى العصامي- في آخر ما أورده: كذا في عقود (١) الجواهر و الدرر في أهل القرن الحادي عشر (٢). إنتهى.

أقول: و هذا التاريخ الذي ذكره العصامي و غالب نقوله منه، هو من مؤلفات السيّد العلامة العارف بالله السيّد محمّد بن السيّد أبي بكر الشلّي، و اسمه عقد (٣) الجواهر و الدرر في أخبار أهل القرن الحادي عشر، كذا رأيت في لسان الزمان، للعالم العامل الفاضل الكامل، واسطه عقد ذوى المعارف الإلهية، و درّه تاج أهل التاله و البحوث العلميّه، العالم العلامة، القدوه الفهامة، مولانا و شيخنا و مقتدانا (٤)، الشيخ محمّد بن الشيخ أحمد المعروف ب«عقيله» حرسه الله تعالى، و أولاه أطفافا

ص: ١٦١

١- ١) كلمه عقود غير موجوده في النسختين.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤١٤.

٣- ٣) فى السمط: عقود.

٤- ٤) فى «د»: و معتقدنا.

توالى، و له مؤلفات عديدة، و مصنفات مفيدة، نفعنا الله بها، و أذاقنا حلاوه طعم العلم بسببها.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة:

كان هذا السيد من ذوى الهمم العلية، التى تراحم الأفلاك و تقصر عن مداها ملوك الساده الحسنيّه، المنتمين إلى المخاطب ب«الولاك» صلى الله عليه و على آله و سلم، و هداانا لنهجه القويم و علم، إلا أنه كان له فى الظلم قصور مشيده، و إقدامات فيه غير مقيدة، قتل فى دولته خلقا كثيرا، و أوردهم حياض المنيه من غير نظر فى العواقب و لا تدبير.

ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدى و سبب قتله:

فمن جمله من كسف قمره، و أخفى أثره، الفاضل الأديب، الشيخ عبد الرحمن المرشدى.

قال السيد على فى سلافه العصر: و لم يزل ممتطيا صهوة العزّ المكين (1)، راقيا ذروه طود الجاه الركين، لا يقاس به قرين، و لا تطأ آساد الثرى له عرين، إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبد المطلب مكّه المشرفه، و رفل فى حلال ولايتها المفوفه، و كان فى نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن، حلّ بصميم مهجته و ما ظعن، فأمر أولا بنهب داره، و خفض محلّه و مقداره.

ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمّار، و جزاه الدهر على يديه جزاء سنّمار، إلا أنّ المعتمد أغمض ابن عمّار بالحسام الأبيض، و هذا طوّقه هلال فتر من أنامل عبد أسود، فجرعه طعم الموت الأحمر، و كان قد أبقاه فى محبسه إلى ليله

ص: ١٦٢

(١-١) فى السلافه: المتين.

ثمّ خشى أن يسعى في خلاصه من أكابر الروم من عرفه، فوجه إليه بزنجى أشوه خلق الله خلقا، وتقدّم إليه لقتله في تلك الليلة خنقا، فامتثل أمره فيه، وجلّله من برد الهلاك بضافيه، فأفقرت بموته المدارس، وأصبحت ربوع الفضل و هي دوارس، و ذلك في عام سبع و ثلاثين و ألف.

و من الاتفاق أنّ الشريف المذكور قتل هذه الليلة بعينها، حين (١) تقاضت منه الليالي ما أسلفته من دينها، و في الأثر «كما تددين تدان» و هذا حال الدهر مع كلّ قاص و دان (٢). إنتهى.

و في تاريخ العصامي ما هذا صورته: و اختلفت الأقوال في سبب قتل الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى، فقيل: تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب في خطبه عقده التي خطب بها في زواج سلطانه بنت على شهاب، و كان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوجه، فعرض الشيخ بذلك، حيث قال في مبتداء الخطبه: الحمد لله الذى أعزّ سلطانه، و دحض شيطانه.

و قيل: إنّه جاء إلى الشريف المذكور عند موت أخيه محمّد بن عبد المطلب معزّيا لابسا صوفا أبيض.

و قيل: إنّ الشريف أحمد حين استولى على مكّه، و طلع إلى دار السعاده على فرش الشريف محسن، و جد تحت طرف المرتبه فتيا من الشيخ المذكور بتسميتهم بغاه جائرين ظالمين، و بوجوب قتالهم، بخطّه المعروف، و اسمه الموصوف، و الله

ص: ١٤٣

١- ١) فى السلافه: حتى.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٦٨-٦٩.

أعلم أيّا كان سبب ذلك (١). إنتهى.

وجوب محبته ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله:

و على الجملة، فقد كان هذا السيد طالما (٢) فتاكا للدماء، ذا جرأه على حرّات الله تعالى، هكذا ذكر أهل التواريخ و السير، غير أنّ اتّصال نسبه الشريف برسول الله صلى الله عليه وآله لا ريب فيه، و لا تشكيك ينافيه، فلعلّ الرحمة الإلهية تداركه ببركه ذلك و توافيه، فمن كان فرعا لهذه الجرثومه الشريفه، و النسبه المنيفه، فقد أوجب الله علينا تعظيمه و تشريفه، من غير تعرّض لما يصدر منه و ينقل عنه من الامور القبيحه، و الحركات المستهجنه، و الإغضاء و عدم الانتقاد، لما يصدر من ذريته صلى الله عليه وآله و سلّم من أجلّ القربات، و أعظم المثوبات.

ففى توثيق عرى الإيمان للبارزى (٣): إنّ من علامات محبته صلى الله عليه وآله محبته ذريته، و إكرامهم، و الإغضاء عن انتقادهم، فما انتقد ذريته محمّد صلى الله عليه وآله محبّ لمحمّد صلى الله عليه وآله قطّ، و أن يغضى المؤمن عن انتقاد أولاد الصحابه أيضا، كما أغضى عن انتقاد ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله، و أهل البيت؛ لأنّهم قوم شرفهم الله تعالى، و أخلاقهم فلا تغلب

ص: ١٦٤

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٢٧-٤٢٨.

٢- ٢) فى «ن»: ظلوما.

٣- ٣) توثيق عرى الإيمان فى تفضيل حبيب الرحمن، لشرف الدين أبى القاسم هبه الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم المعروف بابن البارزى الحموى الشافعى، المتوفى سنة (٧٣٨) و هو مجلّد واحد، رتبّه على أربعة أركان: الأوّل فضائله عليه الصلاه و السلام، الثانى: فى أوصافه، الثالث: فى إغاثة من استغاث به، الرابع: فى كراماته.

عليها أفعالهم، كما تغلب الأفعال في من أقدارهم بحسب أفعالهم (١). إنتهى.

نقل ذلك السيّد العلامة السيّد عبد الرحيم السمهودى فى تأليفه الإشراف فى فضل الأشراف (٢)، و كأنه مختصر جواهر العقدين لعمّه العلامة السيّد على السمهودى (٣).

ثمّ قال: قلت: و الإغضاء هو غُضُّ البصر، و الانتقاد هو التطلّع إلى الشىء ليعرف حقيقه ذلك الشىء، فلا ينبغى التطلّع إلى أحد من ذريه محمّد صلّى الله عليه و آله و أهل البيت، يعنى: إذا كانوا على شىء من القبائح، بل يغضّ طرفه و يتشاغل (٤) عنهم. هذا ما ظهر لى فى معنى ذلك (٥). إنتهى كلامه رفع بيركتهم مقامه.

أقول: هذا كلّه نظرا إلى أن فاطمه عليها السّلام بضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله، فإنّ أولادها بضعه منها، فلا شكّ أنّهم بضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله بواسطتها.

و إلى هذا الأصل الأصيل طمّح نظر عمر بن الخطّاب حين خطب امّ كلثوم ابنه فاطمه عليها السّلام، بل قال: إنى أحبّ أن يكون عندى عضو من أعضاء رسول

ص: ١٦٥

-
- ١- ١) توثيق عرى الإيمان للبارزى، لم أظفر عليه.
 - ٢- ٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٦ طبع قم.
 - ٣- ٣) قال فى مقدّمه كتابه الإشراف ص ٢٦: و قد جمعت ذلك من كتاب العمّ السيّد الشريف الإمام العلامة القدوه المحقّق، فريد عصره، نور الدين على الحسنى الشافعى السمهودى نزيل طيبه المشرفه، و عالم الحجاز، المسمّى بجواهر العقدين فى فضل الشرفين، شرف العلم الجلى و النسب العلى.
 - ٤- ٤) فى الإشراف: و يتغافل.
 - ٥- ٥) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٦-٢٢٧.

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (١).

قال السيّد على السمهودي: فكلّ من يشاهد اليوم من ولدها، فهو بضعه من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط، كما سبقت الإشارة إليه، فمن تأمّل في ذلك كيف لا- ينبعث عن قلبه داعي الإجلال و التعظيم لهم، و يجتنب بغضهم على أيّ حاله كانوا عليها (٢). إنتهى.

و قال في موضع آخر: و احذر أن تمنى النفس في بغضهم بما يرمى به بعضهم من الابتداء، و مجانبه الأتباع، فهذا لا يخرجهم من دائره الذريه، و لا النسبه النبويه، و قل كلّ يعمل على شاكلته (٣). إنتهى.

قلت: هذا إذا كان في الأديان التي عليها المشاخره العظيمه، و إراقه الدماء في بعض المخالفات، كارتكاب ما لا يليق من سبّ و نحوه، فما بالك بمن كان على سنن مستقيم، إلاّ أنّه صدر منه بعض امور، قحمه على ارتكابها ما يحتاج الملك إليه من السياسات (٤). و على كلّ حال فلهم رحم و قرابه، يستوجبون بها غفرانه تعالى و ثوابه، و كيف لا نسلم هذه المقدمه المهمه، و جدّهم شفيع هذه الامه.

فقد روى عبد الرحمن بن أبي رافع، عن امّ هانئ ؓ ابنه أبي طالب رضى اللّٰهُ عنها، أنّها خرجت متبرّجه قد بدت أقدامها، فقال لها عمر بن الخطّاب: إعلمي أنّ محمّدا لا يغني عنك شيئا، فجاءت إلى النبي صلّى اللّٰهُ عليه و آله فأخبرته، فقال رسول اللّٰهُ صلّى اللّٰهُ عليه و آله: ما بال

ص: ١٦٦

١-١) ذخائر العقبى للطبري ص ٢٢٧.

٢-٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٧.

٣-٣) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٢٩.

٤-٤) في «ن»: السياسه.

أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وأنّ شفاعتي تنال حا و حكم.

روى هذا الحديث السيّد السمهودي في الإشراف، قال: وأخرجه الطبراني في الكبير (١)، و«حا و حكم» قبيلتان من اليمن (٢).

و روى أبو سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول على المنبر: ما بال رجال يقولون إنّ رحم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لا ينفع قومه يوم القيامة؟ بلى و الله إنّ رحمى موصوله في الدنيا و الآخرة، و إنّى أيتها الناس على فرط لكن على الحوض.

قال السيّد السمهودي: رواه أحمد (٣)، و الحاكم في صحيحه (٤)، و البيهقي من طريق عبد الله بن محمد، هو ابن عقيل، عن حمزه بن سعيد، عن أبيه به (٥).

و روى ابن عباس رضي الله عنه، أنّه صَلَّى الله عليه و آله قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلا سببي و نسبي، و إنّ رحمى موصوله في الدنيا و الآخرة (٦).

قال عمر بن الخطاب: فتزوجت أمّ كلثوم بنت علي عليه السّلام من فاطمة عليها السّلام، لما سمعت من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يومئذ، و أحببت أن يكون بيني و بينه نسب و سبب (٧).

ص: ١٦٧

١-١) المعجم الكبير للطبراني ١٠: ٣٨٥ برقم: ٢٠٤٩٥ طبع دار الكتب العلميه بيروت.

٢-٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢.

٣-٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٨.

٤-٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٤: ٧٤.

٥-٥) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢.

٦-٦) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢، و ذخائر العقبى ص ٦.

٧-٧) الإشراف على فضل الأشراف ص ١٤٢-١٤٣.

رواه المحبّ الطبري (١) بغير إسناد، ولا غرو.

و الأحاديث متوفّره بهذه المعاني، عامره لأغاني هذه المغاني، و ما أوردناه لمعه من رياض، و جرحه من بحر فياض، و إلاّ فما ورد في أهل البيت عليهم السّلام و ذريّتهم من بعدهم، من الحثّ على إكرامهم و تعظيمهم، و الإغضاء عنهم فيما يصدر عنهم من المخالفات، فهو شيء قد طفحت به كتب الحديث و التواريخ و السير، و شاع بين أهل الملل الإسلاميّه، و استمرّ و ظهر.

و ها نحن نغضّ البصر عن انتقادهم، و التعرّض لهم، كما حكم به و أمر، فصلّى الله عليه و على آله، و رزقنا السعاده بالمودّه لقربه، فهي سعاده فاخره، كافله بنيل الحسنى فى الدنيا و الآخره.

ثمّ نقول: إنّ هاهنا نقول: لا بأس بإيرادها فى هذا المقام، إلحاقا بما تقدّم من الكلام، فهي بالمقصود وافية، و لتعرّض الجهّال ناهيه.

روى العلامه السيّد عبد الرحيم السمهودى فى كتابه الإشراف، عن عمّيه السيّد الجليل السيّد على السمهودى فى جواهر العقدين، قال رحمه الله تعالى: أخبرنى الإمام الشيخ العلامه المحقّق شيخ المالكيه فى زمنه شهاب الدين أحمد بن يونس القسطنطينى (٢) المغربى نزىل الحرمين الشريفين فى مجاورته بالمدينه النبويه سنه خمس و سبعين و ثمانمائه: إنّ بعض مشايخه ممّن يثق به أخبره أنّ شخصا من أعيان المغاربه عزم على التوجّه من بلاده للحجّ.

قال: فأحضر إليه شخص من أصحاب الثروه مبلغا أظنّه مائه دينار، و قال له: إذا

ص: ١٤٨

١-١) ذخائر العقبي للمحبّ الطبري ص ٤٠٦.

٢-٢) فى الاشراف: القسطنطينى.

وصلت إلى المدينة النبويّة، فسل عن شخص من الأشراف بها يكون صحيح النسب، فتدفع ذلك إليه، عسى أن يكون لي بذلك وصله بجده صلوات الله و سلامه عليه.

قال: فلما رجع إليهم ذلك المغربي، أخبر أنه قدم المدينة و سأل عن أشرافها، ف قيل له: إن نسبهم صحيح، غير أنهم من الشيعة الذين يسبون، قال: فكرهت دفع ذلك لأحد منهم.

قال: ثم جلس إلى واحد منهم، أو قال: جلست إليه، فسألته عن مذهبه، فقال:

شيعي، فقلت له: لو كنت من أهل السنّة لدفعت إليك مبلغا عندي، قال: فشكى فاقته و شدّه احتياجه، و سألتني شيئا منه، فقلت له: لا سبيل إلى أن أعطيك شيئا، فذهب عني.

قال: نمت تلك الليلة، رأيت أنّ القيامة قامت، و الناس يجوزون على الصراط، فأردت أن أجوز، فأمرت فاطمه عليها السلام بمنعني، فمنعت، فصررت أستغيث و لا أجد مغيثا، حتى أقبل رسول الله صلّى الله عليه و آله فاستغثت به، و قلت: يا رسول الله منعني فاطمه عن الجواز على الصراط، فالتفت إليها رسول الله صلّى الله عليه و آله، و قال: لم منعني هذا؟ فقالت: لأنّه منع ولدي رزقه.

قال: فالتفت و قال: قد قالت إنك منعت ولدها رزقه، فقلت: و الله يا رسول الله ما منعه إلا لأنّه يسبّ الشيخين، قال: فالتفت إليها، و قال: قد قال إنّه ما منعه إلا لأنّه يسبّ الشيخين، قال: فالتفت فاطمه عليها السلام إلى الشيخين، و قالت لهما: أتواخذاني ولدي بذلك؟ فقالا: لا، بل سامحناه بذلك، قال: فالتفت إليّ و قالت: ما الذي أدخلك بين ولدي و بين الشيخين؟ فانتبهت فزعا، و أخذت المبلغ، و جئت به إلى ذلك الشريف، فدفعته له، فتعجّب من ذلك، و قال: بالأمس أسألك في يسير منه

فامتنعت و الآن كيف جئنى به؟! قال: فقصت عليه القصة (١)، فبكى و قال:

أشهدك على و أشهد الله و رسوله أنى لا اسبهما أبدا ما حيت (٢). إنتهى.

و روى السيد المذكور، قال: روى التقى المقريزى عن يعقوب بن يوسف بن على بن محمد المغربى، أنه كان بالمدينه الشريفه فى رجب سنه تسع عشره و ثمانمائه، فقال له الشيخ العابد أبو عبد الله محمد الفارسى و هما بالروضه النبويه:

إنى كنت أبغض أشراف المدينه النبويه بنى حسين، لما يظهرون من التعصب على أهل السنه، و يتظاهرون به من البدع.

فرايت و أنا نائم بالمسجد النبوى تجاه القبر الشريف رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو يقول: يا فلان-باسمى-مالى أراك تبغض أولادى؟ فقلت: يا رسول الله ما أكرههم (٣)، و إنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنه، فقال لى:

مسأله فقيهيه، أليس الولد العاق يلحق بالنسب؟ فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: هذا ولد عاق، قال: فانتبهت صرت لا ألقى أحدا من بنى حسين أشراف المدينه إلا بالغت فى إكرامه (٤). إنتهى.

و ذكر صاحب وسيله المآل فى ترجمه الشريف أبى بن نمى بن أبى سعد المتقدم ذكره، أنه لما توفى و قدّم للصلاه عليه، امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصى من الصلاه عليه، فرأى فى المنام السيده فاطمه بنت النبى صلى الله عليه و آله و هى فى المسجد

ص: ١٧٠

١-١) فى الإشراف: الرؤيا.

٢-٢) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٣٠-٢٣١.

٣-٣) فى الإشراف: يا رسول الله حاش لله أن أكرههم.

٤-٤) الإشراف على فضل الأشراف ص ٢٣٣.

الحرام و الناس يسلمون عليها، فجاء الشيخ عفيف الدين ليسلم عليها، فأعرضت عنه، و منعتة ثلاث مرّات، ثمّ تحامل (١) عليها و سألتها عن سبب إعراضها عنه، فقالت له: يموت ولدى و لا تصلّى عليه، فاعتذر منها و تاب، و اعترف بالظلم.

قلت: الظاهر أنّ الشيخ عفيف الدين لم يصلّ عليه من حيث إنّه كان ظالماً، أو منتهكاً لحرّمات الله، و ما أشبه ذلك من الامور التى ثبت عنده ما ينافى الصلاة عليه بسببها، فلا حول و لا قوّه إلاّ بالله العلى العظيم، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

و فيما أوردناه كفايه لمن ألهمه الله التوفيق، و رزقه الهدايه، و إن أردت زياده على ذلك، فعليك بخاتمه و سيله المآل، و بجواهر العقدين، و غيرهما من كتب التواريخ تجد بحرا زاخرا.

ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى:

عودا إلى صاحب الترجمة رحمه الله تعالى:

قال بعض أهل التواريخ: و ممّن نابذ هذا السيّد، و رماه بالقذف و الطعن، فى قصيده يمتدح بها إمام اليمن محمّد بن القاسم ابن عمّه السيّد أحمد بن مسعود بن الشريف حسن (٢). إنتهى.

قلت: هذا تذييب لطيف، و تذييب لترجمه هذا السيّد الشريف، و هو أن أذكر هنا ترجمه السيّد أحمد المذكور، و ما وقفت عليه من أخباره، و رقيق أشعاره، و هممه العليّه، و مكارمه السيّه.

و ما أدرجت ترجمه هذا السيّد الأجد، فى ضمن ترجمه الشريف أحمد، إلاّ

ص: ١٧١

١- ١) فى «ن»: تحايل.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٤٩.

لأنه قد منح بشرافه مَّكَّةَ من ممدوحه السلطان مراد، وإنَّما حال بينه وبين ذلك حكم القضاء النافذ على العباد، بأن دعاه الحقَّ إلى لقائه، وصرَّم مَدَّه بقاءه، كما ستقف عليه إذا وصلت إليه، وحين منحه السلطان مراد بذلك، كان الشريف أحمد ملك الأقطار الحجازية و تلك المسالك.

قال السيد على معصوم، وهو أديب العصر، في مؤلَّفه سلافه العصر، عند ذكر السيد أحمد بن مسعود رحمه الله، ما هذا لفظه: نابغه بنى حسن، و باقعه الفصاحة و اللسن، الساحب ذيل البلاغه على سحبان، و السائر بأفعاله و أقواله الركبان، أحد الساده الذين رووا أحاديث (1) السيادة بَرًّا عن بَرِّ، و الساسه الذين فتقت لهم ريح الجلاذ بعنبر، فاقتطفوا نور الشرف من روض الحسب الأنضر، و جنوا ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر.

كانت له همَّه تراحم الأفلاك، و تراغم بعلو قدرها الأملاك، لم يزل يقدر من نيل الملك ما لم يف به عدده و عدده، و لم يمده عليه من القضاء و الزمان مدده و مدده، فاقتحم لطلبه بحرا و بَرًّا، و قلَّد للملوك بمدحه جيذا و نحرا، فلم يسعفه أحد و لم يساعده، إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد.

و كان قد دخل شهراره من بلاد اليمن في إحدى الجمادين من سنة ثمان و ثلاثين و ألف، و امتدح بها إمامها محمَّد بن القاسم، بقصيده راح بها ثغر مديحه ضاحكا باسم، و طلب منه مساعدته على تخلص مَّكَّة المشرفه له، و إبلاغه من تحليته بولايتها أمله، و كان ملكها إذ ذاك الشريف أحمد بن عبد المطلب، فأشار في بعض أبياتها إليه، و طعن فيها بسنان بيانه عليه، و مطلع القصيده:

ص: ١٧٢

سلا عن دمی ذات الخلاخل و العقد بماذا استحلّت أخذ رومی علی عمد

فإن أمنت أن لا تقاد بما جنت فقد قيل أن لا یقتل الحرّ بالعبد

و منها: یخاطب الإمام المذكور، و طاعنا علی سلطان مکّه المشرفه:

أغث مکّه و انهض فأنت مؤید

من الله بالفتح المفوض و الجدّ

و قدّم أخوا ودّ و آخر مبغضا

یساور طعنا فی المؤید و المهدي

و یطعن فی کلّ الأئمه معلنا

و یرضی عن ابن العاص و النجل من هند

فلم یحصل منه علی طائل، إلا ما أجاز به من فضل و نائل، فعاد إلى مکّه المشرفه سنه تسع و ثلاثین و أقام بها سنتین، ثمّ توجه إلى الدیار الرومیّه فی أواسط شهر ربیع الثانی فی سنه احدى و أربعین قاصدا ملکها السلطان مراد خان، فورد علیه فی القسطنطینیّه العظمی مقرّ ملکّه، و اجتمع به و مدحه بقصیده فريده سأله فیها توليته مکّه المشرفه، و أنشده إياها فی أواخر شوال سنه احدى و أربعین و ألف، و مطلع القصیده قوله:

ألا هبّی فقد بكر الندامی و میج المرج من ظلم الندامی (١)

إلى أن قال: فیقال: إنه أجابه إلى ملتسمه و مراده، و أراه من مقصده أخصب مراده، و لكن مدّت إليه يد الهلك، قبل نیل الملك، و قيل: بل أجزل صلته فقط، فقد طمّعه علی ما یتمناه و قط، و لم يعد إلى مکّه شرفها الله تعالى، و توفّي فی تلك السنه

ص: ١٧٣

١- ١) ذكر تمام القصیده فی السلافه، فراجع.

أو التي تليها، والله أعلم (١). إنتهى النقل من السلافه، رحم الله مؤلفها و رحم أسلافه.

أقول: كان هذا السيد من ذوى الهمم العليه، و النفوس الأبيّه، و الشهامات القرشيّه، لم ترض نفسه الشريفه إلا بتسنّم ذروه الرتب المنيفه، مع فضل زاحم به العلماء الأعلام، و أدب يقف دون معرفه نهايته أبو تمام، و له ديوان شعر أرقّ من النسيم، و أذكى من الشميم، و سننقل ملحا من أخباره، و تحفا من نبات أفكاره.

فمن ذلك قصيدته الداليه التى تقدّم ذكر مطلعها فى أثناء ترجمته المنقوله من السلافه، و هى هذه:

سلا (٢) عن دمي ذات الخلاخل و العقد بماذا استحلّت أخذ روعي على عمد

فإن أمنت أن لا تقاد بما جنت فقد قيل أن لا يقتل الحرّ بالعبد

و إن أخذتها دون كلّى فإننى جليد و موهى (٣) العزائم بالصدّ

خذنا قبله منها تديه فإنّه قتيل و لكن ليس يلحد فى لحد

صريع بسهم اللحظ و البين لم تزل مقسّمه أجزاءه فى القرب و البعد

أخو لوعه لو أنّ أيسر بعضها بصلد لكان العهن أقوى من الصلد

و مرّا على الوادى الذى قد تفاوحت جوانبه عرفا بما ضاع من هند

و عوجا رقاب العيس فيها عشيه لنبكي بها عصرا تولّى على نجد

و نقضى لبانات الصبا بمحلّه بوجنه وجه الدهر كالخال فى الخدّ

ص: ١٧٤

١- ١) سلافه العصر ص ٢٢-٢٥.

٢- ٢) فى السمط: سلوا.

٣- ٣) فى السمط: و مضعوف.

زمان و وجه الدهر طلق و قدّه نضير و ثغر الوصل يفتّر عن عقد
أجرّ به ذيل الخلاعه رافلا و أركض خيل الغيّ في حلبه الرشد
و أمرح في خيل (١) الشباب و حاسدى يدعدع لى أن أكبّ يوما على وعد
فله أياّم و ربع تصرّمت لياليها عنى و عوّضنى وجدى (٢)
فأصبحت فى جيش من الحبّ أرعن على أننى فى مهجه (٣) مفرد وحدى
أعض به كفى و أقرع بالحيا بنانى (٤) و لا يغنى فتبلا و لا يجدى
و أندب أياّما على غيضة الفضا و غيضى بها غيضى الأسير على القدّ
فحيا الحيا دارا بنجد و اختها معطّله بالغور و العلم الفرد
و منعرج بالجزع هل مات رسمه فأحبيه بالتأبين أم هو على عهدى
فثمّ به قلب فقيد حبسنه عيون المها بين الأجارع و الرند
و لكنّها لم تدر أنّ محمّدا طلب لنا لو كان فى مريض الأسد
إمام شأى فى الفخر أهل زمانه فأنسى و أعيأ فيه للقبل و البعد
ينادى أمير المؤمنين لأنّه تقمّمها إرثا عن الأب و الجدّ
و غيث إذا ما النوء خوّت رعوده فراحاته فى المحل تغنى عن الرعد
و ضرغام حرب حين تنصلت الظبا و ينقصم المران فى السرد و السرد
إذا انكسر الهندى فى رأس قرنه فمن عرضه غضب أحدّ من الهندى

ص: ١٧٥

١-١) فى السمط: شرح.

٢-٢) فى السمط: وحدى.

٣-٣) فى السمط: نهجه.

٤-٤) فى السمط: لسانى.

أخو صبوه فى المكرمات فلم تزل بمنظره فى أشرف الزمن الرغد

فبدر لمستجل و ورد لمجتن و غيث لمستجد و ليث لمستعدى

و أيامه بيض و خضر بجوده ألا إنَّها من عدله زمن الورد

(فإن يك بالإفضال و البأس و التقى و ربّ الثنا و الحلم و العلم و الزهد) (١)

دعى بأمير المؤمنين محمّد خليفتنا المهدي هذا هو المهدي

محكم سيف الحقّ فى كلّ ملحد و مرجع أهل العقل فى الحلّ و العقد

و طلاب و تر الدين فى كلّ مأزق و لم ينتصف فى المال و النفس و الولد) (٢)

شكته المطايا و الفيافى لفرط (٣) ما يطأها و يمطيها إليه من الوفد

و لو أنه خلّى شهره سائرا لسار إليه القاصدون إلى السدّ

و لولاه لم يشهر حسام و لم يثر قتام و لم يسفر ظلام لمستهدى

ففى الذهن و الآراء قيس و عتبه و فى الجود و الهيجاء جود و ذو لبد

فلو لامست يوم الرغائب كفه يدا مادر كانت لها بالندى تعدى

أيا بن رسول الله جتتك شاكيا لأعداء دين الله فى الهزل و الجدّ

و منها:

خطيب إذا ما قام فى رأس منبر و خطب على ظهر المطهّمه الجرد

فيالك من حبر ليوم مجادل و ذمر يسمّى فى المجالد بالجلد

فليث و غيث فى قراع و فى ندى و سعد و نحس للولى و للضدّ

ص: ١٧٦

١- ١) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين.

و خذها عروسا ذات دلّ تزفّها من الشكر أجناد فيالك (١) من جند

مفوّفه دبجتها بمديح مستن (٢) تزوع بذكراه على المسك و الندّ

لدين و جاه ذا ارتفاع و نجده أعيش بها لا للمعائش و النقد

و إئى من القوم الذين وليدهم ترجيه أرباب المطامع (٣) فى المهد

أعزّ ملوك الأرض فرعا و محتدا و أوفى الكرام الغرّ فى العقد و الوعد

إذا عدّدت للعبد (٤) بعض محاسن فأحسابهم فى المجد تربو على العدّ

بأفنيه خضر و سود مراجل و ألويه حمر و أسنه لدّ

و لم يخلقوا إلّا لكشف ملّمه غشى خطبها أهل البسيطة بالربد (٥)

أقول: هذا ما رأيت إيراده من القصيده اختصارا، و هى اخت قفانيك اشتهارا.

قال سيّدنا الوالد فى بعض مجاميعه، بعد نقله لهذه القصيده من ديوان شعره:

أقول لمثل هذا المادح: يقال إعظاما و إجلالا، و خير الشعر أكرمه رجالا، و يتبين فى مثل هذا المقام، إنّ كلام الملوكة ملوك

الكلام، ألا- تراه مع كونه فى مقام المادح الراجى، و اللائذ اللاجى، كيف أناف بمدح قومه على كلّ مادح، و أورى بذلك زناد

مجده القادح، و ليس فى القصيده مثل قوله «و إئى من القوم الذين وليدهم» و أردفه بأفعل التفضيل و قصده توحيدهم.

ص: ١٧٧

١-١) فى السمط: قلّله.

٢-٢) فى السمط: من.

٣-٣) فى السمط: ترجيه إنهاء المطالب.

٤-٤) فى السمط: للصيد.

٥-٥) سمط النجوم العوالى ٤٤٩-٤٥١.

و يحكى أن ممدوحه جهّز إليه صله جليله، تسمو إلى مثلها الهمم النبيله، و كان مشتغلا بسبت (١) رأسه عند وصولها، فأمر في الحال مباشر ذلك منه بقبض محصولها، ثمّ تمثّل بيته السابق، فكبت دون مداد السوابق، و هكذا فعل في قصيدته الميميه، من مظاهر العزّه و الحميه.

هذا، و ممدوحه الملك الذى تعنو له جابره الأكاسره، و تذهل بحضرتة الاسود الكواسره، و حسبك بيت فيها، و أبلغ قوافيها، و هو:

برانا الله للدينيا سناء و للاخرى إذا قامت سناما

هكذا تقوم الملوک، بحقوق الهمم العليه فى السلوک. إنتهى كلامه رفع على هام السماک مقامه.

و أما قصيدته الميميه، التى عبرت فى وجوه القصائد البحرية، فسندكر منها ما رقّ معناه، و أغدق مرعاه.

ألا هبى فقد بكر النداما و مَجّ المزج من ظلم النداما

و هينمت القبول فضاع نشر روى عن شيخ نجد و الخزاما

و قد وضعت (٢) عذارى المزن طفلا بمهد الروض تغذوه النعاما

فهبى و امزجى خمرا بظلم لتحيى ما أمّتى يا اماما

فكم خفر الفوارس فى وطيس فتى منّا و ما خفر الذماما

و كم جدنا على قلّ بوفر و اعطينا على جذب هجاما

و كم يوم ضربنا الخيل فيه على أعقابها خلفا أماما

ص: ١٧٨

١- ١) فى «ن»: بسبب.

٢- ٢) فى «ن»: رضعت.

فنحن بنو الفواطم من قريش و قادات الهواشم لا هشاما

برانا الله فى الدنيا سناء و للاخرى إذا قامت سناما

و خصّ بفضله من أمّ منّا مليكا كان سابورا هماما

فتى الهيجا مراد الحقّ من لم يخف فيه للائمه ملاما (١)

محشّ (٢) الحرب إن طارت شعاعا نفوس عندها قلّ المحاماما

و غيث قطره ورق و تبر وجود اذا شكى المحل (٣) الركاما

فيثنى سبيه حربا (٤) و شيكا و يثنى سيفه (٥) موتا زؤاما

و فى شفتيه آجال و رزق بها أمن الصواعق و الرجاما (٦)

يقود له الملوكة الصيد مجرا (٧) فيمنحه الخوامع و الرجاما

و إن وفدوه أغناهم و أقنى و أجلسهم على العليا مقاما

مليك الأرض و الأملاك طرّا و حاوى ملكها يمنا و شاما

و يجرى (٨) من دم الأعداء بحرا و لا قودا يخاف و لا أثاما

بييت مراعيّا أمر الرعايا إذا باتت ملوكهم مناما

ص: ١٧٩

١-١) فى السلافه: يخف من فضل خالقه ملاما.

٢-٢) فى السلافه: محشّ.

٣-٣) فى السمط: إذا طارت به المحل.

٤-٤) فى السلافه: جدبا، و فى السمط: فيثنى سيفه حرب.

٥-٥) فى السمط: سبيه.

٦-٦) فى السمط: و السماما.

٧-٧) فى السلافه: جيشا.

٨-٨) فى السلافه: و مجر.

تسنّم غارب الدنيا فألقى إليه جموحها طوعا لزاما

و منها:

فيا ملك الملوک و لا ابالی و لا عذرا أسوق و لا احتشاما

إذا قویت لم أنزلک فیهم (١) بمنزله الرجال من الأيامی

إلى جدواک کلّفنا المطایا دواما لا نفارقها دواما

و جبنا یابن عثمان الموامی إلى أن صرن من هزل هیاما

و ذقنا الشهد فی طعم (٢) الترجی و نلنا (٣) الصبر من جوع طعاما

و منها:

نؤمّ رحابک الفیح اشتیاقا و نأمل منک آمالا جساما

و من قصد الکریم (٤) غدا أمیرا علی ما فی یدیه و لن یضاما

و حاشا بحرک الفیاض أنا نردّ بغلّه عنه حیاما

فقد و افاک عبد مستمیح ندا کفیک و الشیم الکراما

و قد نزل ابن ذی یزن طریدا علی کسری فأنزله شماما

أتی فردا فعاد یجزّ جیشا کسى الآکام خیلا و الرغاما

به استبقی جمیل الذکر دھرا و أنت أجلّ من کسری مقاما

و سیف فی العلا دونی فإنّی عصامیّ و أسموه عصاما

ص: ١٨٠

١-١) فی السلافه: إذا ما قست لم أنزلک فیهم. و فی السمط: أنفت بأنّنی انزلک فیهم.

٢-٢) فی السمط: مغنی، و فی السلافه: معنی.

٣-٣) فی السمط: و ذقنا، و فی السلافه: و قلنا.

٤-٤) فی السلافه: الأمير.

بفاطمه و نجليها (١) و طه و حيدرہ الذي فاق الأناما

عليهم رحمہ تہدی سلاما يكون لشرها مسكا ختماما

و لا بدع (٢) إذا ما جاك (٣) عاف و عاد يجزّ ذو الجب لهما

فخذ بيدي و سئمني محلاً بقربي منك فيه لا اساما

و هب لي منصبى لتنال أجرى و شكرى ما بقيت (٤) له دواما

فقد لعبت بيت الله حقاً زعانف يستحلون الحراما (٥)

قلت: هذا ما استحسنته من القصيده فأوردته، و هو المقدار المتضمن لما أردته، و له قصائد آخر، فقد انطوى عليها ديوانه، و مدائح
غرر افتخر بها دهره و زمانه.

فمن مدائحه السئيه، قصيدته السئيه، فلله درّه فيها، حيث صاغ ألفاظها و أحكم قوافيها، و مطلعها:

حثّ قبل الصباح نجب كؤوسى فهى تجرى مجرى الغذاء فى النفوس

و تخلّص فيها بمدح جدّه صلى الله عليه و آله و سلّم، و هداانا إلى طرق سننه و علم، فقال فى أثنائها بعد نشر عبير ثنائها:

فرعى الله فى الأجارع عصرا و بدورا غصونها فى طموس

حيث جوّ الشباب سحو و بحر الل - هو رهو لم ألق فيه بروسى

ص: ١٨١

١-١) فى السمط: و ابنيها.

٢-٢) فى السمط: و لا عجب.

٣-٣) فى السلافه: إذا و افاك.

٤-٤) فى السمط: حيت.

٥-٥) سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٢-٤:٤٥٤، سلافه العصر ص ٢٣-٢٤.

و محلّى (١) بين الأباطح و القّب ه من طيبه بسوح الرئيس

أحمد الإسم (٢) أحمد الخلق فى اللّ ه غياث المنجود و المبلوس

شافع الامّه التى جاء فيها كنتم من مهين قدّوس

و ما أحسن قوله منها:

إنّما أنت آصف و نجاتى منك أدنى إليك من بلقيس

لو تشفّعت فى سبا لعلمنا أنّهم فائزون بالمحوس (٣)

و لو لا خوف الإطاله لأوردتها؛ لأنّها كلّها درر و غرر، و عقود لم تحم حولها من النقائص عرر.

و من مدائحه النبويّه، قصيدته البائيه، و مطلعها:

كيف العزا و الفؤاد ملتهب و الحىّ زمت لبينه النجب

و العين عبرى و الجسم منقطع و النفس حرّى و العقل مضطرب

و هذه أربع بكاظمه عفتّ قديما غيد بها نجب (٤)

و منها:

و بالنقا غاده إذا خطرت تغار منها العصون و الكتب

كأنّها فى الأثيث إن سفرت بدر بسجف (٥) الظلام محتجب

ص: ١٨٢

١-١) فى السمط: و محلاً.

٢-٢) فى السمط: الخلق.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٦-٤٥٩.

٤-٤) سلافه العصر ص ٣١.

٥-٥) فى «ن»: بسحب.

غازلتها و الرقيب فى شغل يقرع سنا طوراً و ينتحب

و الدهر سلم و الحى فى دعه و البين حرب يحفه الحرب

و الوصل صاف يروق مورده و العيش ضاف و الشعب منشعب

و الوصل يحلى بذكر ذى هيف يسجد شوقاً لها و يقترب

و الروض مطولوه غلالته و الورق تشدد و ترقص القضب

كأنها ناقتى و قد سطعت أنوار طه و لاحت القتب

محمد خير من له وفدت قلائص قد أمضها القتب (١)

و هى طويله جداً أوردت منها هذا المقدار طلباً للاختصار.

و من مديحه الحسن قصيدته التى امتدح بها ابن عمه الشريف محسن بن حسين بن حسن، الذى مر ذكره قبل ولايته إماره مكه المعظمه، و تحليه بعقود الشرافه المنظمه، و يشكو تقصيرا حصل منه فى حقه، و يصف أيامه، و قالها تأدبا لا تسببا، هكذا وجدته فى ديوانه، أفاض الله عليه شآبيب غفرانه، و مطلعها:

أشجاك رسم برامه حرب أم صادح بان الفه طرب

أم ناسم عنهم روى خبراً أم بارق بالعذيب ملتهب

لا بل تذكرت أعصرا سلفت به و أثواب صبوتى قشب

و غصن لهوى غص و مورده عذب و بأناته لها عذب

و منها:

أما تراعى جبلاً و ثققت به بمنع من قد أضله السحب

ص: ١٨٣

فعلّمه أننى صريع هوى ... (١)

يوجب أن ثار فى الأوان و إن يفعل فى البين فوق ما يجب
و هو الفتى المحسن الذى حسنت به المزايا و الشعر و الخطب
ملك إذ همت الملوكة بأن تعصيه فى ساعه جرى العطب
يأخذ أرواحهم و يسلبهم لوفاديه و ما له سلب
فللموالى أهلا به ولهى و للمعادى الحروب و الحرب
يا سيّدا طال عصره شرفا به و عزّت بذاته الرتب
ما بال حظّى أراه فى صيب و تسعد العجم معك و العرب
و أنت لو شئت سبق صافيه بالسقب حاز المعالى السقب
أو لو تشا أمس أن يعود غدا لم تثنه عن مرادك النوب
و منها:

و إننى من عرفت حين بدت مطامع الأقربين و الريب
أمنحك الودّ ثم أتبعه بالحمد فالصدق بان و الكذب
و لست عيرا للدار أو و تدا أو ثقه بعد شجّه الطنب
و فيك لو لا الرجاء أو ثقنى لكان لى فى البلاد مضطرب
فاحفظ أخا خله و كارهه ليس له نحو غيركم إرب
يحفظ ما ضاع من و داد أخ أفرغ فيه الوفا و الأدب
من نبعه كلّها غطارفه غلب بها ليل شانها الغلب
إن أجذب الوقت أخصبوه و إن دارت رحى الحرب لها قطب

فأدر كههم فالزمان عاث بهم و لمّ شعبا قد كاد ينشعب

و اسلم و دم ما شدت مطوّقه و ما تولّت بذكر كرك الكرب

و من غزلياته الشعريّه، و نفثاته السحريّه، قصيدهه تأخذ بمجامع القلوب و الألباب، و تصبو إليها أسمع ذوى الآداب؛ لأنّها من الرّقّه و السهوله بمكان رفيع، و عن الرّكّه و غيرها بحصن منيع، و مطلعها:

حَتّ فأبكت ذات ثكل (١) حنون و غنّت الورقا بأعلى الغصون

و هيئمت مسكيه ذيلها أرّجها (٢) نشر طوى و الحجون

و شقّ برد الليل برق فما ظننته إلاّ حسام الجفون

كأنّه مذ شقّ قلب الدجى جبين ليلي فى دياجى القرون

فقمتم كالهادر (٣) فى شجوه لم أدر ما بي فرح أم جنون

و أرسل الدمع نجيعا على خدى فيجرى أعينا من عيون

فلم أخل نوما و لا مجثما (٤) و موقدا أو علما فى دمون

إلاّ و بات الناعم الفرش لى شوكا و ميعاس (٥) الروابى حزون

فالبرق نوحى فى الربى (٦) رعدده و الورق من شعرى تجيد اللحون

ص: ١٨٥

١-١) فى السمط: شجون، و فى السلافه: شكل.

٢-٢) فى السلافه: غطره.

٣-٣) فى السمط: كالهادل.

٤-٤) فى السمط: لم أر نؤيا و لا مجثما.

٥-٥) فى السلافه: و مبسوط.

٦-٦) فى السمط: الدجى.

عهدي بها كانت كناس الظبا و غابه (١)الاسد حماه الظعون
حتّى غدا من بعدهم ربعها مستقفرا (٢)جارت عليه السنون
كأنّه جسمى و إن لم يكن جسمى فوهما أو خيالاً يكون
الله لى من مهجه مزّقت و مقله عبرى و نفس رنون (٣)
تحنّ للشعب و أوطانه مهما سرى برق بليل دجون
و فتيه من آل طه لهم فى الحرب أبكار مزايا و عون
من كلّ طلق لا يرى كالسها لضيفه ثله ذات القرون
مبتذل الساحات فى قطرهم للخائف الجانى أعزّ الحصون
كلّ طويل الباع رحب الفنا تصدق للوفاد فيه الظنون
يحمده السارون إن أدلجوا و يعمر (٤)النادى به السامرون
لا ينتهى الجارون منه إلى شأو و لا يعسفه الجائرون
فيا نسيما الصبا عزّجى بهم و بثى غامضات الشجون
و حاذرى أن تصحبي لوعتى و استصحبي بثى عسى يفهمون
و بلّغهم حال من لم يزل حليف أشجان كثير الشؤون
ناء عن الأهلين صعب الأسى من بعد ما فارق قلبا شطون
يحفظ للرميل عهود الوفا و إن طلبت القرب منه يخون

ص: ١٨٦

١-١) فى السمط: و مرتع.

٢-٢) فى السمط: مفتادا.

٣-٣) فى السمط: و نون.

٤-٤) فى السمط: و يقتضى.

قولى لهم يا عرب وادى النقا و جيره الجرعا و ذات الحزون

نسيتم صببا غدا دمعته من بعدكم صببا قريح الشؤون (١)

و هو و ماضى العيش ما ساعه فيها تناسى جدكم و المجون

فشأنه يخبر عن شأنه و حاله إن يسأل السائلون

و أنت يا شادى (٢) بشأم اللوى و يا حويدى الطعن بين الرعون

عزض بذكرى لا شجاك (٣) النوى لعلهم لى بعد ذا يذكرون

و هات لى عن رامة و النقا هل طاب للساكن فيها السكون

و هل أثيلات النقا فرعها يهصره من لينه الهاصرون

و صادح تلحينه صادع على فنون باعثات الفنون

منازل كنا عهدنا بها ثقال أرداف خماص البطون (٤)

أقول: إنتهى ما أردت نقله من هذه القصيده، و هى فى عقود شعره واسطه و فريده، و الشىء بالشىء يذكر، و الجمع إذا تبع المناسبه، كان ممّا يحمد عند ذوى الأدب و يشكر.

فمّمّا ذكرته فى هذا الموضع قصيده على هذا الوزن و الروى، لسيدى الوالد أدام الله بقاه، و أيد سعده و ارتقاه، و هى مقصوره على الغزل الصريح، لم يتشبث فيها بأهداب المديح، عارض بها قصيده السيد أحمد المذكور، فغدت فى بابها

ص: ١٨٧

١-١ فى السمط: قريح الجفون.

٢-٢ فى السمط: يا سارى.

٣-٣ فى السلافه: شجتك.

٤-٤ سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٥-٤:٤٥٦، سلافه العصر ص ٢٨-٣٠.

مشهوره، و فى فنّها مشكوره، و هى من غرر غزلياته الرقيقه، التى ملكت من سوق البلاغه حرّه و رقيقه، و هى هذه:

لو لا محيّاك الجميل المصون ما بتّ تجرى من عيونى عيون
و لا عرفت السقم لو لا الهوى و لا تباريح الأسى و الشجون
كم وقفه لى فى طول الحما روى تراها صوب دمعى الهتون
يا ربع خبّر لا جفاك الحيا و لهان لا يعرف غمض الجفون
هل أنت مغنى للغزال الذى إليه أصبوا و التصابى فنون
و أشرفت فيك بدور الدجا و رنّحت فيك الروابى غصون
من كلّ غيداء إذا أسفرت جلا محيّاها ظلام الدجون
سيوف لحظيها إذا جرّدت أثارت الحرب بكسر الجفون
و عامل القامه كم أعربت أفعاله عن صرف ريب المنون
و الشامه السوداء فى خدّها تعلّم الصبّ فنون الجنون
منيعه الحجب فنيل اللقا منها بعيد عن مرادى الظنون
مصونه تحمى حمى حيّها أسد الثرى من فوق قبّ البطون
حسبك لؤما يا عدولى اتّئد إنّى لعهدى فى الهوى لا أخون
لا تطلب السلوان من وامق فذاك شىء أبدا لا يكون
فدع سكارى كأس خمر الهوى يا صاح فى سكرتهم يعمهون
يا ويح عدالى أما شاهدوا طلعه من أهواه بل هم عمون
ظنّوا اتّباعى فى الهوى ظلّه و هم برشدى فيه لا يعلمون
أما و وجدى بأهيل الحما و عهدى الوافى و سرّى المصون
و ما لهم من منزل عامر بسفح قلبى هم به نازلون

لقد أطعت الحبّ في حكمه جوراً و عدلاً في جميع الشؤون

بذلت فيه الروح بذل امرئ لديه صعب الحتف فيهم يهون

و قد عارض هذه القصيده غير واحد من الادباء المشاهير، فأحرزوا قصب السبق من الأدب في مضممار روضه النضير، كأديب العصر صاحب سلافه العصر، و مطلع قصيدته:

و ما أحسن قوله في المديح:

مديحك السامى كبحر طمى لذا أتت قافيتى فيه نون

و ممّن عارضها بشعره، و سحر الألباب بمخدّرات فكره، الفاضل الأديب شهاب الدين الشيخ أحمد الخلى (١)، و مطلعها:

جرت دموعى من عيونى عيون حين استقلت عينهم بالضعون

ودّعتهم و القلب أودعتهم رفقا بقلبي أيها الظاعنون

فى ذمّه الله و فى حفظه تلك المراسيل و ما يحملون

و هى قصيده أطف من نسيم الصبا، و أرقّ من أحاديث الصبا، لم تزل تتناقلها أبناء الزمان، و تسير بها الركبان، يحدو بها الحادى، و يترنّم بها الشادى، قد انطوى عليها ديوانه البديع، الحالّ من قصور البلاغه بمكان رفيع.

و قد عارض قصيده الشيخ أحمد السابقه خلق كثير، إلا أنّ رتب معارضاتهم غير متناسقه، بل درّه مع آجره، و قحبه جاورت حرّه، و لولا خوف التطويل لأوردتها لك بالتفصيل.

ص: ١٨٩

(١-١) هو الفاضل الأديب العلامة الشيخ أحمد بن قاسم الخلى له ديوان شعر، ينقل عنه المؤلّف فى كتابه هذا عنه.

و إن أردت الاطلاع عليها، فوجه نجائب هممتك إليها، تجد منها عدّه قصائد، تنتظم في بحور الخرائد، مقاصر و قلائد، و إنما إذا أقمت ميزان المعرفه، و فوّقت سهام الإنكار المتصرّفه، و قست تلك الفروع عن الأصل، بعد القطع و الفصل، قلت في ذلك الأوان ماء و لا- كالصدا، و مرعى و لا- كالسعدا، و إن نظرت بعين كمالك قلت فتى و لا- كمالك، و إن حققت الأمر قلت فارس و لا كعمرو.

و أما ما سطرته من المعارضات في هذا التأليف، فهو من البلاغه و حسن الصياغه بمكان منيف، و ما تقدّم من الكلام، فهو منصب إلى ما عدا المثبت من ذلك النظام؛ إذ هو فرع فاق أصله، و سابق حاز من صلبه البلاغه خصله.

لا يستوى البدران بدر غدا ملقى على الأرض و بدر مصون

و للسيد أحمد صاحب الترجمة في هيكل التعاويد و الحروز، المنوطه بهيكل الغيد و قايه من سحر لحظها المرموز، قوله:

لله ظبي سربه يزهبه في المحفل

قنص الاسود بقالب قيد الأوابد هيكل

و له الجوار المنشآت حوى الحشاشه للخلي

من كلّ خود (١) لحظها يسطو بحدّ المنصل (٢)

مشتاقها من ثغرها و أثبتها في مشكل

ما قال في ظلمائه يا أيها الليل انجلي

فاق الغواني خاليات عاطلا في هيكل

ص: ١٩٠

١- ١) في «ن»: زود، و في السلافه: بكر.

٢- ٢) في السلافه: الفصيل.

و بدا (١) ينصّ به فأزرىء الحلّى بالنصّ الجلى (٢)

و قد حذى حذو هذه الأبيات، جماعه من أرباب هذه الصناعه؛ لأنها انطوت على معنى غريب، و اسلوب عجيب، فقد نفث به ساحر أقلامه، و قذف بحر فكره جواهر نظامه، فاقترفوا فى معارضه أثره، و اقتطفوا من روض مخترعاته ثمره، و كلهم من عين فضله مقترف، و ليس فيهم إلا من هو مقرّ بذلك و معترف، و قد أورد جانبنا من المعارضه فى الديوان، مع نثر تحلّى بعقائده العقيان.

و ممّا رأيتّه فى ديوانه، من صنيع بنانه، و بديع بيانّه، ما كتبه إلى الجمال محمّد بن أحمد الشاهد المكي، و كان بينهما محبّه شديده، و موّدّه أكيدّه، و هو:

و شاذن وفا و كانت خلسه من بعد أودت مهجتي عطّله

لما بدا محتجبا بمرطه كى لا يتم ضوءه لأهله

قلت له البدر إذا الغيم غشى أنواره ترجو الورى لوبله

فقال لى مستهزء بمطلبى ما أحسن الشاهد فى محلّه

و كتب إليه مع هذه الأبيات نثرا، فقال: يا جمال أشرف على هذه الأبيات، و حلّ عاطل ذاتها منك بفرائد الصفات، فإن استدعيتنا إلى محلّك و لا زال أهل، و كواكب افقه بوجودك زاهره و نجم أعدائك آفل، قلنا ما أحسن الشاهد فى محلّه، و لا بدع أن يرجع الشاهد فى محلّه، و لا يدع أن يرجع الفرع إلى أصله، و تبقى و تدوم، فى حفظ الحى القيوم، و السّلام على المظلل بالغمام، و إله الكرام.

كتب إليه الشاهد المذكور:

ص: ١٩١

١- ١) فى السلافه: و غدا.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٢٥-٢٦.

لله ما أبدت و ماذا أبدعت من عقد درّ قد زهى من أهله

بديهه لواحد العصر و من حاز المعالى ناشئا كأصله

مشرفى بقطعه من نظمه أحلى من الحبّ وفا بوصله

نظم لآل من مليك ماجد فاق الاولى هيهات درّك مثله

أشار فيها أن يزور منزلا ما فيه إلا ما نمى من فضله

ما هو إلا روضه غراسها ما سخّ من هامى قطار وبله

فإن يزور شاهد نعماء يقل ما أحسن الشاهد فى محلّه

و كتب إليه نثرا هذا صورته: ناظم دررها، و ناسج حبرها، و وصلته الأبيات الشريفه، من الحضرة العالیه المنيفه، فحير عقله ما حير منشيها، و أبرد كلّ قريحه و قّاده، و قاد قريحه موشيهها، فو الله لو لا أن يقال علّ و ليت، لكتبت تحت كلّ بيت «فليعبدوا ربّ هذا البيت» كيف لا و مفترع بكرها، مخترع الأبقار البديعه النظام، البديعه المرام، المتقدّمه على من تقدّمها من الجاهليّه و غيرهم من شعراء الإسلام، ليث بنى هاشم الضراغم، حماه الحرمين الشريفين، و واسطه عقد الأكارم، بحيث إنّى لّمّا سرحت علوف الظرف فى ميدان رياضها، و نشقت عبير عنبر ذلك العرف من أريح الظرف من غياضها، و اكتحل ناظرى بنثر مدادها المرقوم، و رشف سمعى من رحيق معناها المسك المختوم.

فو الله ما أدرى أزهر خميله بطرسك أم درّ يلوح على نحر

فإن كان زهرا فهو صنع سحابه و إن كان درّا فهو من لّجه البحر

فأمّا ما لّوح به سيّدنا و مولانا، و سندننا و أولانا، بزياره العبد فى الدار، التى هى و ما فيها و ما بها من بعض فضلكم المدرار، فلسان الحال ينشد هذا المقال:

قالوا يزور كأحمد و تزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أو زرتة فلفضله و الفضل فى الحالين له

فتشريفى الحظّ الأوفى الأوفر،و المنال الأزهى الأزهر،عطر الله به مراتب الخلافه القعساء،و طرز بفضائل ذكره الشريف صحف الأدب مدحا و ثناء،و أزكى منه أخلاقا و نفسا،و ذلك بعد تقبيل الأقدام الكرام،و السلام.

و من بليغ شعره،الدالّ على شرف نفسه،و علوّ قدره،و هو ما كتب به إلى عمّه الشريف إدريس بن حسن،و الذى مرّت ترجمته،و قد أنكر منه بعض تقصيره:

رأيتك لا توفى الرجال حقوقهم توهم كبر ساء ما يتوهم

و تزعم أنّى بالمطامع أرتضى هوانا و نفسى فوق ما أنت تزعم

و ما مغنم يدنى لذلّ رأيتة فيقبل إلّا و هو عندى مغرم

و أختار بالإعراض عنه منيه لأنى من القوم الذين هم هم

و لهذه الأبيات نقل غريب،لا يصدر إلّا عن مثل ذاك السيّد النسيب،و هو أنّه ربما عرض لجنابه،توعّك لازم داره بأسبابه،فاخبر الشريف إدريس بعد أيام قلائل،بأنّ السيّد أحمد له علّه لم يبرز من داره،و لم يقف أحد على أخباره،فاختبط الشريف إدريس بذلك،حتّى سدّت عليه المسالك،فأراد زيارته و عيادته فى الحال،فلم يتمكّن له ذلك بسبب ما عرض من الأحوال،فطلب من الدراهم مقدارا جزيلا،و أرسله إليه إرسالا جميلا،و شرح له عذره عن الوصول إليه حال الارسال،و أنّه لا بدّ أن يصل إليه فى الاستقبال.

فحين ورد الخادم إليه بالصله الجزيله،التي لمثلها تسمو ذووا الأقدار النبيله،لم ينظر إليها،و وضع هذه الأبيات عليها،و قال للخادم:ردّها لا صحبتك السلامه، و لا تجلّيت بجلباب الكرامه.

فلما وصل بها الخادم إلى الشريف إدريس،و أشرف على الأبيات،قال:هكذا

تكون النفوس الأبيات، فركب في الحال إلى داره العليّ، واعتذر إليه بما هو أهله عن التأخير، فرحمهما الله تعالى، وأفاض عليهما شآبيب غفران متوالى.

و هذا أوان أن نشئ عنان القلم، و نقتصر على ما أوردناه مخافه حدوث السأم، و نرجع إلى تتميم ترجمه السيّد أحمد بن عبد المطلب.

ف نقول: قد تقدّم ذكر وفاته رحمه الله تعالى. و أمّا عقبه الشريف، فهم الشريف مسعود.

ترجمه السيّد الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبي نمي

اشاره

نقول: الأصل في ولايه الشريف مسعود - رحمه الله تعالى - ما نقله المؤرّخون (1) من غير اختلاف، و هو أنّ في سنه ثمان و ثلاثين و ألف وصل من جهه السلطنه الروميّه بالمسير إلى قطر اليمن لإزاحه من فيه من الأئمّه، و الاستيلاء عليه، و تمهيد أطرافه، و معه من العساكر نحو ثلاثين ألفاً.

فاتفق أن كان بين الشريف مسعود المذكور و بين الشريف أحمد بن عبد المطلب المتقدم ذكره، محبّه و مودّه قبل ولايته لشرافه مكّه المشرفه، فبعد تولّى الشرافه استبدل ذلك بالعداوه و البغضاء للشريف مسعود، حتّى فرّ من البلاد خوفاً منه، و هذا مصداق قول الشاعر العارف:

إذا رأيت امرئ في حال عسرته مصافياً لك ما في ودّه خلل

فلا تمنّ له أن يستفيد غنيّ فإنّه بانتقال الحال ينتقل

فلما سمع الشريف مسعود بقصّه قانصوه باشا و تغلّبه، لاقاه قبل وصوله إلى مكّه

ص: ١٩٤

(١ - ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٤٢٩ - ٤٣٠.

المشرفه،و التمس منه أن يولّيه شرافه مكّه المعظمه،بعد أن شحّن صدره عن الشريف أحمد بن عبد المطلب،مع كونه قد سمع بمظالم الشريف أحمد المذكور، فوعده (١)بذلك،و لم يزل صحبته.

فلما قرب إلى مكّه المشرفه أخفاه،ثم جاء إلى مكّه و نزل بالزاهر،فركب إليه الشريف أحمد بن عبد المطلب زائراً،فقبض عليه،و قتله ليله الأحد لخمس خلون من شهر صفر سنه تسع و ثلاثين و ألف،و ولى الشريف مسعودا المذكور.هذا ما رأيته فى بعض التواريخ (٢)و نقلته بالمعنى.

ثم طالعت ترجمته فى تاريخ العصامى،فرأيتة لا يخلو من فائده زائده، فأحببت نقل عبارته من موضعين:

الأول:ما ذكره فى آخر ترجمه السيد أحمد بن عبد المطلب،و كيفيه قتله من ذلك الشقى قانصوه باشا،و ولايه السيد مسعود؛لأننا قد وعدنا سابقا بذلك.

و الموضع الثانى:ترجمته برمتها الموضوعه باسمه الشريف فى التأريخ المذكور.

فالأول منها،قال:و جاء قانصوه باشا متوجّها لفتح اليمن،و صحبته من العساكر ثلاثون ألفاً،فنزل بأسفل مكّه،و قد تقدّم أنّ الشريف مسعود كان بينه و بين الشريف أحمد شروط و وعود،و قد فعل له ما أشار إليه،فلما تقمّصها لم يف له بما اتّفقا عليه،بل اتّبع ختله (٣)،بأن قصد قتله.

ص: ١٩٥

١- ١) فى «ن»:فأوعده.

٢- ٢) راجع:إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولايه بنى الحسن ٢:٤٤-٤٥.

٣- ٣) فى «ن»:خيله.

فالتجأ الشريف مسعود إلى قانصوه، و روج إليه (١) أمره، و أوغل على الشريف أحمد صدره، و كان لاقاه من الينبع و جاء معه مختفياً، و لم يزل به مختفياً، و أتجه به الشريف أحمد مسلماً عليه عند القدوم، ثم عزم على حربه لعلمه بما يروم، فعلم بذلك قانصوه، فازداد عليه حنقا، و لم يزل كذلك حتى أوردته من حياض المنيه و ردا رنقا.

فشرع أولا- فى استماله عساكره فأطاعوه، و خرجوا من مكه و باعوه، ثم خيم قانصوه بالزاهر، لتنفيذ أمر الله القاهر، فما قضت الحجاج مناسكهم، و سلخوا إلى أوطانهم مسالكهم، و تحرك قانصوه للرحيل، و جبل غدره غير سحيل، قدّم ثقله أمامه، و لم يبق إلا و طاف عسكره و خيامه.

ثم احتال بأن أرسل إليه من نَمَق له الخداع، و حسن له إلى أن يأتي قانصوه بقصد الوداع، فجاء إليه و حصل لديه، و تم لمراد الله عليه ذلك، و ألقى بيده إلى المهالك، فجاء معه ثلاثه من الساده الأشراف و وزيره و صاحب بيت ماله، و رجل آخر يسمّى فليقلا من رجاله، و لم يزالوا يدخلون فى سرادق قانصوه باشا بأتباعه، و يمنع عند كل باب جماعه من أتباعه، فلمّا وصل إليه حادثه مليا بالمجالسه، و لعب معه الشطرنج للمجالسه، و كان ذلك ليله الأحد خامس شهر صفر من سنه تسع و ثلاثين.

فلما كانت الساعه الخامسه من تلك الليله قبض عليهم أجمعين، و أوردهم حوض الحتف المعين، إلا- من كان أطاعه من الأشراف، فإنه أذن لهم بالانصراف.

إلى أن قال: ثم خلع على الشريف مسعود، فأشرق بمكّه الطالع المسعود،

ص: ١٩٦

(١ - ١) فى «ن»: لديه.

و جرى الماء في العود، و وفي الدهر بوعيد و وعود (١). إلى آخر ما ذكره ملخصاً بالمعنى.

ثم قال في الموضع الثاني، و هي ترجمته الموضوعه باسمه الشريف، بعد أن ذكر اسمه، و أغلب الألفاظ و السجعات فيها تغيير و تبديل، كما هو دأبي فيما أنقله من عبائر العصامي، و قد مرّ بك كثير من ذلك فاستقره تجده.

قال: نشأ في كفاله والده الشريف إدريس، و انتشأ من كؤوس العزّ بسلاف الخندريس، فنامى نموّ أشكاله، و سمي فوق سموّ أمثاله، و نهض بأعباء الكرم نهوض كافل كافي، و طار في جوّ الهمم موفور القوادم و الخوافي.

و جرت بينه و بين الشريف محسن، و علمك محيط بما سلّكه في والده، حروب ما وريت عند اقتداح زندها بصالده، و أظهر فيها بساله يحتم لها الاسود في الآجام، و ضرامه تسمّ مضاء الصوارم بالأحجام.

أولها سنه سبع و ثلاثين و ألف، و كان للشريف محسن فيها الظفر، حتّى كان انتهاء المكر و الفرّ، استيلاء محمّد بن الشريف محسن بالغلبه عليه، و قد ندبه والده إليه، في معركة اشتدّ خطبها، و ثبت في دور رحاها قطبها، و أنفقت نقود الأرواح بالإسراف، و قتل فيها عظيمان من الأشراف، فنجى الشريف مسعود، و كفّ عن الحرب متوقّعا لها الطالع المسعود.

ثم دخل مكّه برضا من الشريف محسن على شرط المسالمه، و اندمال قروح المكالمه، و كفّله جماعه من الأشراف، بأن لا يكون له على الخلف تشوّق و إشراف.

ص: ١٩٧

فلم يزل مستمراً على ذلك، حتى اتفق في مجال الشريف أحمد بن عبد المطلب ما تقدم شرحه من المسالك، فوفى الدهر بالوعود للشريف مسعود، و انجابت (١) عن عيون الأماني تلك الصواعق و الرعود، و حلّ كوكب الطالع في شرف الأوج بالصعود، فتولّى شرافه مكره المعظمه، و تقلد عقودها المنظمه، و حمد صباح السرى، و استقرّ في خيسه ليث الشرى، و أغمد البواتر الماضيه الفرار في الأجفان، و أغمضت على لذيذ القرار سواهر الأجفان، و كفت الصوله، و صفت الدوله، و حمى الفحل شوله، و ساس الشريف مسعود الامور فأحسن فعله و قوله.

و كانت مكره في زمانه، ممتعه بسلم الدهر و أمانه، شملها رخاء الأسعار، و رخاء البال، و أنبت بقلها ربيع العدل بصوب الإقبال، صفت الموارد من الأكدار، و بسطت بساط الراحه أيدي الأقدار، و أهمل الدهر عجم الشرور، و قيل أوابد السرور، إلا أنّ عصر ملكه السعيد، كفّ الدهر المقتضب بالجزر المديد، فأوجز في مدّته بالاختصار، و قصرها على الاختصار، و كذاك أيام السرور قصار، فكانت مدّه ملكه إلى حين هلكه سنه و ثلاثه أشهر؛ لأنّه انتقل في سنه أربعين بعد الألف، فرحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار (٢).

قال صاحب لسان الزمان: و كان أديبا لطيفا، مجالسا للعلماء و الصالحين، و امتدحه الادباء بقصائد عظيمه، منهم: الشيخ أحمد بن عيسى المرشدي، فإنّه مدحه بقصيده داليه، و هي في غايه الجوده، و هي هذه:

ص: ١٩٨

١- ١) في «ن»: و انجلت.

٢- ٢) سمط النجوم العوالي ٤: ٤٣٢-٤٣٣.

عوجا قليلا كذا عن أيمن الوادى و استوقفا الركب (١) لا يحدو بها الحادى

و عزجا بى على ربع صحبت به شرح الشبيهه فى أكناف أجياد

و استعطفنا جيره بالشعب قد نزلوا على (٢) الكتيب فهم غيبى و إرشادى

و سائلا عن فؤادى تبلغا أملى إن التعلل يشفى غله الصادى

و استشفعا تشفعا نسألکم فعسى يقدر الله إسعافى و إسعادى

و أجملا بى و حطا عن قلوبكما فى سوح مردى الأعداى الضيغم العادى

مسعود عين العلا المسعود طالعه قلب الكتيبه صدر الحجفل البادى (٣)

شهم السراه الالى سارت عوارفهم شرقا و غربا بأغوار و أنجاد

نرد غمار العلى فى سوحه و نرح أيدى الركائب من و خد و إسآد

فلا مناخ لا فى غير ساحته وجود كفيه فيها رابع (٤) غادى

يعشوشب العز (٥) فى أكناف عقوته يا حبذا العشب فى الدنيا لمرتاد

و نجتنى ثمر الآمال يانعه من روض معروفه من غير (٦) ميعاد

فأى سوح يرجى بعد ساحته و أى قصد لمقصود و قصاد

ليهن ذا الملك إن ألبست حلته تحيى مآثر آباء و أجداد

ص: ١٩٩

١- ١) فى السمط: و استوقفا العيس.

٢- ٢) فى السمط: أعلى.

٣- ٣) فى السمط: الحفل و النادى.

٤- ٤) فى السمط: رائح.

٥- ٥) فى السمط: العشب.

٦- ٦) فى السمط: من قبل.

لبستها فكسوت الفخر مرسلها (١) مشهرا يبهر المصبوغ بالجاد
علوت بيتا ففاخرت النجوم علا و الشهب فخرأ بأسباب و أوتاد
و لحت بدرا بافق الملك تحسده شمس النهار و هذا حرّها بادي
و صنت مكّه إذ طهّرت حوزتها من ثلّة أهل تثليث و إلحاد
قد غرّ بعضهم الإمهال يحسبه عفوا فعادوا لإتلاف و إفساد
فدذتهم عن حمى البيت الحرام و هم من السلاسل فى أطواق أجياد
كأنّهم عند رفع الزند أيديهم يدعون حبّا لمولانا بإمداد
و ما أروعوا فشهرت السيف محتسبا يا برد حرّهم فى حرّ أكباد
غادرتهم جزرا فى كلّ منجدل كأنّ أثوابهم مجّت بفرصاد
و أثمر السدر فى (٢) أجسامهم ثمرأ حلوا بأفواه أجداث و أنجاد
سعيت سعيا جتيا من خمائله نور الأمان لأرواح بأجساد
فكم بمكّه من داع و مبتهل و من محبّ و من مثن و من فادى
و عاد كلّ قصيّ مصلحا و غدت أيماننا بالهنا أيام أعياد
و قاد كلّ قصيّ ذلّه مهلا و كان من قبل صعبا غير منقاد
نفى لذيد الكرى عنهم تذكّروهم و قانعا لك بين الخرج و الوادى
أباح سرحك أن يرعى منازلهم مهلا كلّ معوج و مناد
من كلّ أبيض قد صلّت مضاربه لئما ترقيّ خطيبا منبر الهادى (٣)

ص: ٢٠٠

١- ١) فى السمط: ملبسها.

٢- ٢) فى السمط: من.

٣-٣) وقع تقديم و تأخير فى بعض الآيات فى السمط.

و كلّ أسمر نظام الكلى و له إلى العدى طرفه النظام مباد
و صان و سمك في جاش يخالطه عن ربّ عزّ تنصاه بأجشاد
أسكنت قلبهم رعبا تذكره ينسى الشفوق الموالي ذكر أولاد
أقبلتهم كلّ مرقال و سابعه يسر عن عدوا إلى الأعدا بأطواد
من كلّ شهيم إلى العلياء منتسب بساده قاده للخيل أجواد
فهاك يابن رسول الله مدحه من أورت قريحته من بعد إخماد
فأحكمت فيك نظما كلّه غرر ما أحرزت مثله إقبال (١) بغداد
أضحت قوافيه و الآمال (٢) يشرحها روض البديع بإرصاد بمرصاد
ترويه عنى الثريا و هى هازئه بالأصمعى و ما يروى و حمّاد
و تستحث مطايا الزهر إن ركدت كأنها إبل يحدو بها الحادى
و توقظ الركب ميلا من خمار كرى و الليل من طول تدآب السرى هادى
أتتك تشفع إذلالا لمنشئها فاقبل تذللها يا نسل أمجاد
و أسبل الستر صفحا (٣) إن بدا خلل تهتك به ستر أعدائى و حسادى
و قل تقرب إلينا تستعز بنا ما حقّ مثلك أن يقصى بإبعاد
لا زلت يا عزّ أهل البيت فى دعه تحفّ منهم بأنصار و أنجاد
مسعود جدّ سعيد الفأل طالعه سعد السعود و ملقى كلّ إسعاد
بحقّ طه و سبطيه و أمهما و المرتضى و المثنى الطهر و الهادى

ص: ٢٠١

١- ١) فى السمط: أقيال.

٢- ٢) فى السمط: و الإحسان.

٣-٣) فى السمط: و أسبل الصفح سترا.

صَلَّى عَلَيْهِمْ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا سَجَعَتْ قَمْرِيهِ أَوْ شَدَا فِي مَكَّةَ شَادَى (١)

و عارضه القاضى تاج الدين المالكى ممتدحا صاحب الترجمة، وقد زفت القصيدتان إليه فى يوم واحد، و ذلك يوم الجمعة الثانى من شهر رجب الفرد سنة ألف و تسع و ثلاثين، و مطلعها:

غذيت درّ التصابى قبل ميلادى فلا ترم يا عدولى فيه إرشادى

و هى مشهوره موجوده فى كلّ كتاب و مجموع (٢)، فلا يحتاج الى التطويل بنقلها.

فصل

إشاره

فى الحوادث المتعلقة بدوله صاحب الترجمة

قد تقدّم بأنّ ولايته كانت فى شهر صفر من سنة تسع و ثلاثين.

وصول قانصوه باشا إلى اليمن:

ففى هذه السنه: وصل قانصوه باشا إلى اليمن، و كان كلّما دخل قريه نهب أهلها و ظلمهم، فعاد عليه شوم فعله، و لم يفلح فى سعيه، بل اهين و اردل، و شئت الله شمله (٣).

نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف:

و فى هذه السنه: نقل المؤرّخون أنّه نزل ليله الأربعاء لأحد عشر ليله بقين من شعبان مطر شديد، و نزل فى خلاله برد مالح شديد الملوحة، و سالت الأوديه،

ص: ٢٠٢

١-١) سمط النجوم العوالى ٤:٤٣٧-٤:٤٣٩.

٢-٢) راجع تمام القصيده: سمط النجوم العوالى ٤:٤٣٩-٤:٤٤١.

٣-٣) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٠، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٤٤.

و خربت دور كثيره، و دخل المسجد الحرام، و علا الماء إلى أن وصل إلى طراز البيت الشريف، و امتلأ المسجد من التراب، و مات من الخلق نحو خمسمائه شخص، و تغير ماء زمزم بملوحه شديده حتى صار لا يساغ.

و فى ثانى يوم سقط البيت العتيق من جهه الحجر جميعا، و من جهه الشرق إلى الباب، و ثلاثه أرباع الجهه الغربيه، و لم يبق غير جهه اليمن، فانزعج الناس لذلك أشدّ انزعاج، و لم يقع البيت الشريف من عهد النبى صلى الله عليه و آله إلى عهدنا مثل هذا الانهدام، فجمع شريف مكّه العلماء، و سألهم عن حكم عماره البيت، فأجابوه بأنه فرض كفايه على سائر المسلمين، ثم اجتمعوا الناس فبرحوا المسجد الحرام، و جعل أخشاب على دائر البيت الشريف، و وضع من فوقها ثوب أخضر، و رفع الأمر إلى السلطان مراد بما صار (١).

عماره البيت الشريف:

و فى سنه أربعين و ألف: وصل رضوان آغا المعمار من طرف السلطان مراد، و ابتداء بالعماره فى البيت الشريف، و أتمّ عمارته له فى السنه المذكوره على أحسن منوال (٢).

وفاه الشريف مسعود:

و فى هذه السنه: توفى الشريف مسعود صاحب الترجمه، فكانت مدّه ولايته سنه و ثلاثه أشهر، رحمه الله تعالى (٣).

ص: ٢٠٣

-
- ١-١) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٤، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٤٦.
 - ٢-٢) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٦، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٥٠.
 - ٣-٣) سمط النجوم العوالى للعصامى ٤:٤٣٧، إتحاف فضلاء الزمن للطبرى ٢:٥٠.

ترجمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي

صاحب مكه المشرفه رحمه الله

قد تقدم أن في سنة أربعين بعد الألف: توفي الشريف مسعود المذكور سابقا، فضبط البلاد بعد وفاته الأمير رضوان المعمار المتقدم ذكره، و نادى في البلاد باسم السلطان فقط مطلقا.

ثم جمع الساده الأشراف، و طلب منهم الاتفاق على شخص معين منهم، فأجمعوا على السيد الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي المذكور أعلاه، فألبسه الأمير رضوان خلعه الولاية، إذ كان من أكابرهم و أجلائهم.

و استمر في الولاية إلى أواخر شهر محرم الحرام سنة إحدى و أربعين و ألف، ثم خلع نفسه منها تعففا و ديانته، و أفرغ بها لابنه محمد بن عبد الله، و أشرك معه زيد بن محسن بن حسين بن حسن و تركها، فكانت مدته ولايته تسعة أشهر و ثلاثه أيام.

ثم توفي في ليلة الجمعة عاشر جمادى الاخرى من هذه السنه المذكوره بعد خلعه للشرافه، و دفن في قبه والده الشريف حسن بن أبي نمي.

هذا زبده ما ذكره الثقات من المؤرخين في ترجمه هذا السيد الشريف (١).

و أعقب الشريف عبد الله المذكور جمله من الذكور، و هم: محمد، و أحمد، و حمود، و حسين، و هاشم، و ثقبه، و زامل، و مبارك، و زين العابدين، و حامد، و والدته الشريفه شمسبه بنت... (٢).

ص: ٢٠٤

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٤٤١-٤:٤٤٣، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٥١.

٢- ٢) بياض في النسخين.

ترجمه مولانا الشريف محمد بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي

صاحب مکه المشرفه قدس سره

قال العصامي في تأريخه: لما كان يوم الجمعة غرّه شهر صفر من سنه إحدى و أربعين و ألف، قلّمد الشريف عبد الله بن حسن رحمه الله ولده السيد الشريف محمد بن الشريف عبد الله إمره مکه المشرفه، و أشرك معه الشريف زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نمي.

و كان قد استدعاه قبل ذلك من نواحي اليمن؛ لأنه فرّ إلى تلك الجهة في زمن ولايه الشريف مسعود مکه المشرفه، لما صدر من الشريف محسن إلى أبيه الشريف إدريس أولاً، ثم إليه نفسه ثانياً، فنودي بالبلاد لهما، و تخلّى الشريف عبد الله بن حسن للتوجه للعباده، إلى أن أتاه الأمر المحتوم بأمر الحى القيوم، فى التأريخ المذكور فى ترجمته الشريفه، و البلاد بهما قارّه، و الأحوال طيبه ساّره.

إلى أن كان العشر الأوّل من شعبان المعظم من السنه المذكوره، فوصلت أخبار من جهه اليمن بأنّ عسكريا خرجوا على قانصوه، و أنّ يتّهم الوصول إلى مکه المشرفه، و كان ذلك شايعا على الألسنه، ثمّ ورد مورق من القنفذه يخبر وصولهم إليها، و معه مكاتيب إلى مولانا الشريف محمّد و مولانا الشريف زيد، و مصطفى بيك السنجق المقيم بمکه إطراقاً من آغاتى العسكري المذكور محمود و على بيك.

و مضمون مكاتيبهم: إنّنا نريد مصر، و نريد الإقامه بمکه أياماً لنتهيّاً للسفر. فأبى صاحب مکه خوفاً من الفتنة و الفساد، و دفن بعض آبار كانت فى طريقهم.

فلما وصل الخبر إليهم أجمع رأيهم على دخول مکه قهراً، و استعدادوا لذلك، بعد أن كتبت الأجوبه بالمنع، فحصل فى البلد قيل و قال، و اضطراب شديد.

فلما أن كان يوم الجمعة عشرى شعبان من السنه المذكوره بعد العصر، توجه

مولانا الشريف محمّد، و مولانا الشريف زيد، و الساده الأشراف و الأعراب إلى جهه برکه ماجن وقوس (١) المكاسه؛ لأنه بلغهم أنّ الأتراک قاربوا السعديه، و برز معهم السنجق مصطفى بيک، بعد أن طلب من الشريف محمّد خيلاً لمن معه، فتوّهّم من ذلك و منعه من الخيل، فبرز معه بعسكره و جنوده.

فلَمّا كان ضحى يوم الأربعاء خامس عشرى شعبان المذكور وقع اللقاء بالقرب من وادى الآبار بين الساده الأشراف و بين الأتراک، فحصلت ملحمة عظيمه، و قتال شديد، قتل فيه الشريف محمّد بن الشريف عبد الله بن حسن صاحب مکه، و قتل معه من الساده الأشراف جماعه، منهم: مولانا السيّد أحمد بن حراز، و مولانا السيّد حسين بن مغامس، و مولاه السيّد سعيد بن راشد، و خلق آخرون.

و اصيبت يد مولانا السيّد هزاع بن محمّد الحارث، فقطعت و لم تنفصل، فدخل بها كذلك إلى مکه، و مرّ على جهه سوق الليل قائلاً: عذرى إليکم يا أهل مکه ما ترونه، و توجه بقيه الأشراف إلى وادى مرّ.

فبعد تمام الوقعه دخل الأتراک، و نودى بالبلاد للشريف نامى بن عبد المطلب ابن حسن.

و كان دخولهم من جهه برکه ماجن، فتعب الناس أشدّ التعب، و حصل الخوف الشديد، و تسلّطت هذه العساكر على الناس، و أتعبوهم و أهلکوهم فسقا و نهباً، و ظلما و شرباً للخمور، و تقطّعت الطرق، و عصت العربان، و حمل الشريف محمّد بن عبد الله فى عصر ذلك اليوم، و دفن بالمعلّاه فى مقابر آباءه و أجداده، بعد أن قاتل

ص: ٢٠٦

قتال من لا يخاف الموت، وكانت مدّه ولايتهما سبعة أشهر إلا ستّة أيام (١). إنتهى.

قال صاحب لسان الزمان: وفي سنة إحدى وأربعين و ألف: خلع الشريف عبد الله بن حسن نفسه من إماره مكّه، وجعلها لابنه الشريف محمّد، وأشرك معه الشريف زيد بن محسن، ونودي في البلاد لهما، وفي هذه السنه انتقل الشريف عبد الله بن حسن، ودفن بقبه والده الشريف حسن رحمهما الله تعالى، وكانت مدّه ولايته تسعه أشهر و ثلاثه أيام.

قال: وفي هذه السنه: وصل عسكر من اليمن قد خرجوا على قانصوه باشا، فأرسلوا من القنفذه إلى الشريف محمّد و الشريف زيد أننا نريد الدخول إلى مكّه، و نتهيتاً منها إلى مصر، فأبيا من ذلك خوف الفساد، و وقوع الفتنة، و أمرا بدفن الآبار التي في طريقهم.

فلما بلغهم ذلك عزموا على ذلك قهرا و قسرا، و استعدّوا للحرب، فخرج إليهم شريف مكّه و الشريف زيد، و معهم مصطفى بيك سنجق جدّه بالعساكر، فالتقوا في جهه برکه ماجن، فجرى القتال بينهم، و كان حربا شديدا، قتل فيه الشريف محمد ابن عبد الله، و ثمانية من الساده الأشراف، و جرح كثيرون، و كان المقتول من عسكر الشريف و السنجق و المتفرجين نحوا من خمسمائه شخص، و انكسر الشريف زيد و رجع مكّه، ثمّ توجّه إلى المدينه، و مات مصطفى بيك بعد رجوعه من المعركة (٢). إلى آخر كلامه دام فضله.

و هذه زبده ما وجدناه من النقول التاريخيه في كيفيه شرافه صاحب الترجمة

ص: ٢٠٧

١-١) سمط النجوم العوالي ٤٤٣-٤٤٥.

٢-٢) لسان الزمان-مخطوط. راجع: إتحاف فضلاء الزمان ٦١:٢-٦٢.

الشريف محمّد بن الشريف عبد الله رحمهما الله تعالى، و سبب وفاته، و مدّه دولته، و هى سبعة أشهر إلاّ ستّه أيام، كما مرّ.

و هؤلاء العساكر المذكورون الواصلون من جهة اليمن شرذمه من الثلاثين الألف الذين دخل بهم قانصوه باشا إلى مكّه المشرفه عام وصوله و مسيره إلى جهة اليمن، و هى سنة تسع و ثلاثين و ألف، التى قتل فيها الشريف أحمد بن عبد المطلب، و ولى الشريف مسعود بن إدريس، ثمّ توجه إلى اليمن، و لقد صار منهم الفساد العظيم، و الشنّاعه فى أهالى مكّه المشرفه، كما سيأتى فى ترجمه الشريف نامى بن عبد المطلب، لكن حصل منهم القضاء التام، لسكّان بلد الله الحرام، و هذا من أقلّ ما يحلّ بالمعترضين لهم لأنّهم عيال الله، كما ورد فى الحديث الشريف، و جيران بيته السامى المنيف.

فالويل لمن اعترضهم بسوء، أو آذاهم، أو أراد فساد بلدهم و مأواهم، و سيأتى مثل ذلك ممّا رأيناه و شاهدناه فى بعض تراجم ملوك مكّه المشرفه من مثل هذا النوع، و حسبنا الله و نعم الوكيل.

اتّفاقيه

قال العصامى: و كان خروج الشريف محمّد بن الشريف عبد الله إلى لقاء هؤلاء الأتراك فى مثل سقوط البيت الشريف فى اليوم و الساعه، فإنّه كان يوم عشرين من شعبان بعد العصر من سنة تسع و ثلاثين بعد الألف، و خروج الشريف المذكور كذلك فى يوم عشرين من شعبان بعد العصر سنة إحدى و أربعين بعد الألف، فبين سقوط البيت الشريف و خروج مولانا الشريف سنتان بغير زياده، فلله هذا

ص: ٢٠٨

الاتفاق (١). إنتهى.

قلت: إتفاق حسن، يدلّ (٢) على صحّته ما ادّعاه من أنه كان سقوط البيت الشريف فى يوم عشرين من شعبان من السنه المذكوره، ما تقدّم فى هذا التأريخ فى حوادث سنه تسع و ثلاثين بعد الألف، أنه نزل ليله الأربعاء لإحدى عشر بقين من شهر شعبان مطر شديد، و سقط البيت الشريف ثانى يوم لعشر بقين، فرحمه الله تعالى رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار، آمين.

ترجمه السيد الشريف نامى بن عبد المطلب

ابن حسن بن أبى نمى صاحب مكّه

لما دخلت العساكر الجلاليه إلى بلد الله الحرام، و قتل الشريف محمّد، و توجه الشريف زيد إلى مدينه جدّه عليه السلام، علموا أنّ مكّه المشرفه و أقطارها لا بدّ لها من ضابط سنى، من هذا الفخذ الشريف الحسنى، و إلاّ تقطّعت عليهم السبل و المسالك، و وردوا حياض المهالك.

فطلبوا صاحب الترجمه، و ولّوه إماره مكّه المعظمه، و أشركوا معه الشريف عبد العزيز بن إدريس فى الربع بالإشعار، و خطب لهما على المنابر، و شاع ذكرهما فى جميع الأقطار، فاطمأنت البلاد بعض الاطمئنان، و سكن قليلا ما حلّ بقلوب أهاليها من الروع و الخفقان.

إلاّ أنه صدر بعد ذلك من هؤلاء العساكر أحوال، هى فى الحقيقه مصائب

ص: ٢٠٩

١- ١) سمط النجوم العوالى ٤:٤٤٥.

٢- ٢) فى «ن»: دالّ.

و أهوال، و فسقوا بكلّ صبيّ و حرّه، فسق جيوش مسلم عقيب يوم الحرّه (١)، فلم يلبثوا عدّه من الشهور، إلا قد حلّ بهم البلاء المشهور، المثبت في كلّ كتاب مسطور.

قال بعض المؤرّخين: لما دخل عسكر قاصوه إلى مكّه بعد القتال، طلبوا الشريف نامى بن عبد المطلب، فولّوه إماره مكّه، و أشركوا معه في الأمر الشريف عبد العزيز بن إدريس في الربع، و نادوا في البلاد لنامى، و أرسلوا إلى نائب سنجق جدّه ليسلمهما إليهما، فأبى، فتوجّهوا إليه و حاصروا جدّه، ثم دخلوها و نهبوا، و صار الشريف نامى يصادر الناس، و العساكر تفسد و تؤذى.

فلما وصل الشريف زيد إلى المدينه المنوره، بعث إلى باشه مصر بعروض و أرقام، مضمونها ما صار، فأرسل على الفور سبعة سناجق و معهم العساكر، و أرسل بالخلع السلطانيه للشريف زيد، فتوجّهت العساكر و قصدوه إلى المدينه المنوره، و أخلعوا عليه ثمّه، و توجّهوا جميعا إلى مكّه المشرفه.

و لما بلغ أهل مكّه إقبال العساكر اختلفت آراؤهم، ثم خرجوا من مكّه إلى جهه الشرق لمحلّ يقال له: ترابه.

ص: ٢١٠

١ - ١) حادثه يوم الحرّه، هي حادثه عظيمه مؤلمه جدّا، حدثت في زمن خلافة يزيد ابن معاويه، حيث أباح لجيوشه أهالي المدينه المنوره، و ذلك بعد اعتراضهم الشديد لقتله الإمام السبط الشهيد حسين بن على عليهما السلام، فدخلوا المدينه، فنهبوا البيوت و قتلوا كلّ ذى روح من صغير و كبير، و فسقوا بالحرائر، و جنوا ما استطاعوا من أنواع الجنائيات، و تحمّل الناس من المصائب و الشدائد ما لا يمكن عدّه، و كان قائد الجيش هو مسلم بن عقبه الخارجي الكافر.

و فى سنه ثنتين و أربعين و ألف: بعد مضى الحجّ، توجّه الشريف زيد مع العساكر، فأدرّكوهم بموضع يقال له: تربه، و جرى بينهم حرب عظيم، ثمّ التجأوا إلى حصن كائن فى تربه، فحاصرهم العساكر، فطلبوا الأمان، فأتمنّوهم، بشرط أن يأتوهم بالشريف نامى و أخيه السيّد و محمود رئيس الجلاليه، فأتوا بهم إلى مكّه المشرفّه، فقتلوا جميعا، و كانت مدّه و لايه الشريف نامى مائه يوم و يوم عدد حروف اسمه (١). إنتهى.

و أوضح منه بيانا العصامى فى تأريخه، حيث قال: ثمّ توجّه الشريف زيد إلى وادى مرّ، بعد أن دخل مكّه المشرفّه، و معه السيّد أحمد بن محمّد الحارث، و مرّا على بيت الشريف نامى بن عبد المطلب، فدعاه مولانا الشريف زيد، فخرج إليه، فناوشه بعض كلام، فقال السيّد أحمد: ليس الوقت وقت كلام، و كان من جمله ما قاله الشريف زيد:

تجازى الرجال بأفعالها خيرا بخير و شرّا بشرّ

فاللّه بالحرّيم. أو ما يقرب من هذا الكلام. ثمّ سار إلى المدينه الشريفه، و كتب عروضاً بالتعريف بالواقع، و أرسلها إلى باشا مصر صحبه السيّد على بن هيزع حواله مكّه بمصر.

و لما وصل الخبر إلى صاحب مصر، أرسل إليهم سبعة سناجق، و أرسل بخلعه سلطانيّه لمولانا المرحوم الشريف زيد بالمدينه المنوره، فدخلوا إليها، و خلعوا عليه بملك الحجاز فى الحجره النبويه، و توجّه إلى العسكر، و أتوا جميعا إلى مكّه.

فلما وصل خبر ذلك إلى مكّه، اضطربت آراء العساكر الجلاليه اليمنيه، فمن

ص: ٢١١

(١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٦٣:٢-٦٤.

قائل: نخرج، و من قائل: نقاتل. ثم وصل الخبر بأن العساكر المصريه وصلت عسفان، فاقضى رأى عسكر اليمن أن يرسلوا من يكشف لهم الخبر، فأرسلوا جماعه، فوصلوا إلى وادى مز، و العساكر المصريه قد أقبلت، فرجعوا إلى مكه، و أخبروا من بها بذلك، فأظهروا حركه الرحيل عنها.

فلما كان يوم الأربعاء خامس ذى الحجه خرجوا كلهم و معهم الشريف نامى و أخوه السيد السيد، و السيد عبد العزيز بن إدريس، و لم يبق منهم أحد، و كان بروزهم وقت أذان العصر.

فلما أن حاذوا باب النبى صلى الله عليه و آله، و هو المسمى الآن بباب الحريريين، قال المؤذن: «الله أكبر» فسقط بيرق محمود منهم، فكان سقوطه فألا عليهم، ثم ساروا فنزلوا عند جبل حراء و باتوا.

فلما كان أثناء الليل سرى السيد عبد العزيز بن إدريس على نجبيه له أعدت له خلف الجبل، ففقد عليها و سرى، و توجه إلى ناحيه ينبع فنجا، فلما أسفر الصبح لم يجدوه، فعلموا أنه اختلس نفسه، فزاد احتفاظهم على الشريف نامى و أخيه السيد، و أمست مكه بعد خروجهم خاليه، و كان بها مولانا السيد أحمد بن قتاده بن ثقبه، فنادى فى البلد: إن البلاد بلاد الله و بلاد السلطان مراد، و عسّ البلد تلك الليله.

ثم لَمَّا كان شروق يوم الخميس خامس (1) ذى الحجه الحرام، ختام سنه إحدى و أربعين و ألف، دخل مولانا الشريف زيد بن محسن بمن معه من السناجق، و كان نزوله بدار السعاده، ثم نزل وقت الضحى من ذلك اليوم إلى المسجد الحرام، فجلس فى السبيل الذى بجانب زمزم، و معه الأمير على الفقارى أحد السناجق

ص: ٢١٢

الواصلين، ثم خرج مولانا الشريف زيد من السبيل المذكور، وطاف بالبيت اسبوعاً، والرئيس يدعو له على قبه زمزم، ثم خرج المنادى ينادى باسمه الشريف.

ثم طلب بعض السناجق الخروج إلى الجلاية لقرب إدراكهم، فقال له مولانا الشريف زيد: الرأي أن نحجّ، و تحجّ الامة، و تفلح ثم نلحقهم، فيقرب الله بعيدهم و لا يفوتون، فحجّ الشريف زيد بالامة تلك السنه، و أزال الله به عن أهل مكّه و أقطار الحجاز كلّ بأس.

و بعد أن أتمّ الشريف المناسك، و وصل إلى مكّه بعض العساكر اليمية بشفاعه إبراهيم باشا أمير الحاجّ الشامي في تلك السنه.

و لما كان يوم الثلاثاء ثاني محرّم الحرام افتتح سنه ثنتين و أربعين و ألف، عقد مجلس بالمسجد الحرام عند مقام المالكي، حضر فيه الشريف زيد و غالب السناجق، و غالب الساه الأشراف، و الساده الفقهاء، و تفاوضوا في أمر العسكر اليماني.

فاتفق الحال على أنّهم يعزمون إليهم، فبرزوا ذلك اليوم و معهم مولانا الشريف زيد و جماعته، فأدركوهم في محلّ يقال له: تره، فحاصروهم.

ثم وقع القتال بينهم بالبندق، فاستمسك على بيك لنفسه من السناجق على أن يسلم من القتل، و التزم لهم بمحمود بيك، فقبلوا ذلك، و مسكوا محمود بحيله دبروها.

ثم رجعوا فدخلوا مكّه المشرفه في أول يوم الخميس ثامن عشر محرّم الحرام من السنه المذكوره، و معهم محمود بيك أحد آغاتي العسكر اليمني، فعذب بأنواع العذاب، و طيف به على جمل في شوارع مكّه عارى الجسد لا ساتر لعورته، و مدّ

باعه بعصى، و ربطت يدها عليها عورضت من خلفه، و شقت يدها و عضداه و ذراعاه، و غرز فيها خرق (١) الزيت موقده، (و وكل بتلك العصا من يضربها من خلف حيناً بعد حين) (٢) فيتناثر سقطها على يده (٣)، و العياذ بالله.

ثم علق بكلاب ادخل في رأس ذراع يده اليمنى، ثم ادخل تحت عصب عقب رجله اليسرى، و دفع إلى شجره جميز عند باب المعلاه، فمكث كذلك نحو ثلاثه أيام حياً يسب و يفحش و يفجر إلى أن مات، فانزل و اخذ إلى شعبه العفاريت فاحرق ثم.

و أتميا الآغا الآخر على بيك، فلم يحصل عليه سوء أصلاً، و ذلك لتدبيره تلك الحيله على محمود، و لحسن سلوكه حال دخوله مكة مع بعض حريم للشريف زيد، فإنه آمنهم، و أوصلهم (٤)، و كان يتردد عليهن و يتفقد أحوالهن و يبشرن، فكان ذلك سبباً لسلامته، و خلوصه مما وقع لرفيقه.

ثم لمّا كان أواخر شهر محرم الحرام إفتتاح السنه المذكوره، صار مجمع كبير أمام باب مدرسه السلطان قايتباى، و حضر فيه السناجق و الامراء و القضاة، ثم جىء بالمرحوم الشريف نامى بن عبد المطلب، و أخيه السيد بن عبد المطلب، فاستفتيت العلماء فيهما، فأجابوا بحكم الله تعالى، فذهب بهما فى شردمه من العسكر إلى أعلى الردم، فتوفيا شهيدين، رحمهما الله تعالى رحمه واسع، و غفر

ص: ٢١٤

١- ١) فى السمط: فيها مصطفه خرق.

٢- ٢) ما بين الهاليتين ساقطه من النسختين، و أضفناها من المصدر.

٣- ٣) فى السمط: جسده.

٤- ٤) فى السمط: و وصلهم بخير.

لهما مغفره جامعه.

و كانت مدّه ولايته على مكّه مائه يوم و يوم واحد، و هى حروف اسمه «نامى» لأنّه دخلها يوم خمس و عشرين من شعبان من سنه
إحدى و أربعين بعد الألف، و خرج منها عصر اليوم الخامس من ذى الحجه من السنه المذكوره كما تقدّم، و تلك المدّه مائه
يوم و يوم واحد، و فى ذلك يقول المهتار:

تأمل لدنياك التى بصروفها أبادت علا ملك تأطد سامى

بدا فأضا ثم اعتدى الحقّ فانقضى فمدّه نامى عدّه أحرف نامى

كذا ذكره الطبرى (١) فى تاريخه المسمّى بالأرج المسكى فى التاريخ الملكى، فليراجع (٢).

ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن

اشاره

ابن أبى نemy صاحب مكّه المشرفه

قد تقدّم فيما أملينا، و اندرج فى ضمن ما أسلفناه، من النقول الصحيحه، و العبائر الصريحه، كيفيه شرافه هذا الملك المسدّد، ذى
الملك المؤطد، و البيت السامى المشيد، جزم الساده الأشراف، و القاده من آل عبد مناف، فإنّه (٣) انتشر من عقبه الشريف أمجاد
كرام، و أنجاد لم يلف فيهم إلا ذابل أو حسام، إن غرب من سمائهم كلّ نجم متقد، طلع كلّ ذى فهم منتقد.

نجوم سماء كلّما انقضّ كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

ص: ٢١٥

١- (١) هو العلامه على بن عبد القادر الطبرى.

٢- (٢) سمط النجوم العوالى ٤٤٥-٤٤٨.

٣- (٣) فى «ن»: لأنّه.

فهم-أيدهم الله تعالى-إلى عصرنا ملاك ملاك مملكة الحجاز، و سّواس شرافتها على الحقيقه لا المجاز، يورثها الأكبر منهم الأصاغر، و يكسب فخرا منهم الأوّل للآخر، بحيث لم يكن معهم لأحد فيها ناقة و لا جمل، و إن زوحم أحدهم فى منصبه كان قيس الهباءه و مناويه حذيفه و حمل، ما عدا ما حصل فى خلال دولهم، و أثناء منتزحاتهم و نقلهم، من ولايه لبعض أشخاص من الساده الأكارم، كما ستقف عليه فيما سيأتى من التراجم.

فبعضهم آلت إليه منهم، و روى أحاديثها الملكيه عنهم، و بعضهم بعنايه سلطانيه، و توفيقات ربّانيه، و بعضهم بنزول من أبيه، و معاونه من فضيلته التى تؤويه، ثمّ تنتقل قسرا و تعود، إلى هؤلاء الاسود.

و سبب ذلك: مكث جدّهم صاحب الترجمة فى ولايه الأقطار الحجازيه و تلك الممالك، حتّى شاع ذكره الشريف و شاع (١)، و ملأ البقاع، و رسخت هيبتة فى قلوب حاضره بلده و بواديه، رسوخ المجد المؤثّل بناديه، ففى أثناء دولته مات خلق كثير، و نشأ جمّ غفير، و كلاهما لا يعرفان من الملووك إلاّ حضرته، و لا وعيا (٢) إلاّ بهجه ملكه و نصرته.

لأنّه تولّى شرافه مكّه المعظمه، و تحلّى منكبّه بخلعه الخلافه المنظّمه، استقلالا فى شهر ذى القعدة سنه إحدى و أربعين و ألف بالمدينه المنوره، و كان دخوله إلى مكّه لخمس خلون من ذى الحجّه الحرام من السنه المذكوره، كما تقدّم ذلك.

و توفى فى منصبه يوم الثلاثاء ثالث شهر محرّم الحرام إفتتاح سنه سبع و سبعين

ص: ٢١٤

١-١) فى «ن»: و ذاع.

٢-٢) فى «ن»: دعيا.

و ألف، و كانت مدّه ولايته خمسا و ثلاثين سنه و شهرا و أياما، رحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار.

و كانت ولادته-رحمه الله تعالى و أفاض عليه شآبيب غفران توالى-بعد مضى درجتين من شروق يوم الاثنين السابع و العشرين من شهر شعبان سنه ستّ عشره بعد الألف ببلده بيشه من أعمال الشرق، هكذا نقل المؤرّخون (١).

و ذكر العصامي قال: أخبرني مولانا الخطيب العلّامه، نتيجه الفضلاء، و عين الأعيان النبلاء، برهان الدين الخطيب، إبراهيم ابن العلّامه الفهّامه واحد عصره بلا خلاف، مولانا المرحوم الخطيب أحمد بن عبد الله الشهير بالبزّي، نقلا عن والده المذكور، أنّه حضر في مجلس مولانا المرحوم الشريف زيد بعض متعاطى علم الرمل، فضرب تخته، ثمّ قال لمولانا الشريف زيد: فقد دلّ الرمل الصحيح على أنّه كان وقت علوق والدتك بنظفتك عند الزوال في شهر رمضان في عام خمسه عشر بعد الألف.

فاستغرب الشريف ذلك لمكان شهر الصوم، ثمّ إنّه سأل والدته عن هذا المعنى، فأجابت نعم، كان سيّدي أبوك غازيا في شهر رمضان لبعض العرب، فجاء بعد أن أدرك من النصر و النجح الأرب، و كان وصوله في هذا الوقت الذي ذكره هذا الرجل، فوقع عليّ، فأدركت الحمل بك من حينى. هكذا أخبرني حفظه الله تعالى نقلا عن والده الخطيب أحمد البزّي (٢). انتهى.

فهذا من جملة النقول الدالّة على صحّه هذا العلم، و قد شاهدنا كثيرا مثل ذلك،

ص: ٢١٧

١- ١) لعلّه نقله من كتاب لسان الزمان للفاضل ابن عقيله و هو مخطوط لم نظفر عليه.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٧٨.

وإنما أين الرجال العارفون به، المحاسبون لاصوله و مذهببه، وإلا فهو علم لا شكّ فيه، ولا ريب ينافيه.

عودا إلى صاحب الترجمة، و ذكر ملح من أخباره، و لمع من محاسنه و آثاره:

فلقد كان كما قال بديع الزمان (١): كعبه المحتاج، لا كعبه الحاج، و مشعر الكرم، لا مشعر الحرم، و منى الضيف، لا منى الخيف، و قبله الصلاة، لا قبله الصلاة، خدمه أرباب الأدب، و تناسل إليه الشعراء من كلّ حدب.

فمن جملة من نضد فيه عقود شعره، و استنشق من رياض نعمه روائح زهره، القاضي عبد الجواد المنوفى (٢)، فقال مادحا له، و مهنتا بالظفر بأهل غمد، و هى من غرر القصائد الطنانه:

العزّ تحت ظلال السمر و القضب يوم الوغى و مساعى البيض لم تخب

و العزم ما خضعت غلب (٣) الرقاب له صغرا و صارت به الأفكار فى تعب

و الحزم ما دان صعبا عزّ مدركه و ما بنى شرفا يبقى مدى الحقب

ما عزّ غير فتى غضب يقوم إذا نام العدى و يقدّ العصب أن يشب

و لا اجتنى العزّ من أفنان مثمره بالهام فى ماقط من جحفل لجب

إلا امرىء همّه كسب العلا و له سعى يقصّر عنه كلّ ذى حسب

قد طلقت للوغى أجفانه و سنا و سن حدا و جاز الحدّ فى الطلب

ص: ٢١٨

١- ١) لعلّ مراده به هو العلامه محمّد بن أحمد عقيله صاحب كتاب لسان الزمان، كما عبّر عنه بهذا اللقب فى موضع آخر، و الله العالم.

٢- ٢) له ترجمه مبسوطه فى كتاب سلافه العصر ص ١٢٥-١٣٣ فراجع.

٣- ٣) فى السلافه: صعب.

ذو غرّه كغرار السيف ماضيه و همّه فى العلا تسمو على الشهب
مثل الشريف أبى عجلان من شرفت به المعالى و نالت منتهى الأرب
أبى الحسين يمين الملك ساعده شريف مكّه على الجدّ (١) و الحسب
حامى حمى الحرم الأعلى و طبيته زيد بن محسن رجوى كلّ ذى طلب
خير الملوّك و خير الناس قاطبه روح الزمان و روح الواهن الوصب
الأشرف النسب ابن الأشرف النسب ابن الأشرف النسب ابن الأشرف النسب
الهاشمى الذى سارت مكارمه سير الكواكب فى عجم و فى عرب
ملك إذا ثوب الداعى و قد لقت حرب أجاب و نار الحرب فى لهب
ملك إذا ما بدا فى الناس بارقه أربى نداه على الهطّاله السحب
ملك إذا رايه يوم الفخار سمت سما لها و عليها غير محتجب
ذو المجد كالجدّ ما زالت قواضيه أرضا و أبتت عليها غير منتجب
ينال بالسعد إن عدّت مفاخر من بالسعى نال مرامات و لم يخب
يرى العواقب فى مرآه فكرته عينا فيدرّك مرمى كلّ مطلب
تقضى على مهج الأعداء رؤيته بصارم من نجيع القوم مختضب
و يمتطى كاهل العليا على مهل إذا سعى غيره أو جدّ فى الخبب
عزّت مساعيه عن إدراك طالبا إنّ السعاده شىء غير مكتسب
رقى إلى غايه فى المجد ساميه و رتبه فدّه نافت على الرتب
ما زال يسمو لها و الله يسعفه بما أراد على أمن بلا رهب
حتّى أتت نحوه تسعى مطالبه فنالها لا على خيل و لا نجب

فقام بالأمر شهما دارعا بطلا ممنعا برقاق البيض و اليب
بنى ربوع المعالى بعد ما انهدمت و شادها بكمال الفضل و الأدب
و نال باللين ما أعيأ تطلّبه الم لو ك دهرأ و ما نالوا سوى التعب
يلقى العدو بوجه مسفر طلق فيستحيل و لا يلجيه للغضب
إذا أتاه عثور كفّ (١) عن كرم عنه إذا تاب تحقيقا و لم يؤب
أكرم به من مليك سيّد سند (٢) بالحكم مشتمل باللطف منتقب
عليه من شيم المختار عارفه تغنى علاه عن الأمداح و الخطب
فخرا و عزّا بنى الزهراء إنّ لكم بفضله نسبه من أفضل النسب
يابن الملوك الاولى أرسوا ممالكهم على قواعد أعيت كلّ منتدب
لما حموها بأطراف الأسنه عن من ليس كفؤا من الأطراف و الوشب
و أصدروا البيض حمرا بعد ما وردت من العدى كلّ شيخ أسود و صبي
حتّى غدت مله الإسلام و هى بهم مكفوله أبدا منهم بخير أب
أوصافك الغرّ فى بأس و فى كرم تنوّعت بين طعم المرّ و الضرب
لله درّك من حام و من بطل و خير نجل لخير العجم و العرب
عقل و حلم و إقدام و هزّ قنا فى مجمع حفل (٣) أو محفل لجب
الضيف و السيف فى سلم و يوم و غى ترجى و تخشى لبذل أو لذى غضب (٤)

ص: ٢٢٠

١-١) فى السلافه: عفّ.

٢-٢) فى «ن»: شغف.

٣-٣) فى «ن»: جفل.

٤-٤) فى السلافه: أو لذى غضب.

غضنفر حيدر (١) في مازق حرج و في السماحة غيث سح بالذهب

لو شئت قلت و خير القول أصدقه البئر بثرى و إن الماء ماء أبي

فدم وجد و اسم و اسلم و استقم و على كيد العدو أقم و احكم و ظل و طب

و ليهنك الفتح و النصر المبين على أعدائك أهل الشرّ و الشغب

لما عصوك و عقبى الصبر كافله نيل النجاح و نيل السؤل و الإرب

صبرت صبر كريم قادر يقظ مدبر أمره بالحزم محترّب

و جئتهم بخميس لو أتيت به جنود عاد لعادوا منه في تعب

في مقنب من عتاق الخيل ذى رهج مدرع بدورع الروع و الرعب

و فنيه ألقوا حرّ المصاع به كأنهم تحت ظلّ السمير في قبب

من ساده قاده شمّ غطارفه من آلك الغرّ أهل المجد و الحسب

بيض الوجوه حجاجيح لهم أنف عن أن يقيموا على ضيم و لا نصب

شمّ الانوف من القوم الذين هم و ما لهم في سوى العليا من إرب

تفرّعت عن صميم المجد دوحتهم من معدن الوحي مثنوى خير كلّ نبي

مغنى (٢) الرساله مغناهم و معهدهم أعظم بذلك من بيت و من سبب

فحين شافوا (٣) جيوش النصر مقبله شافوا ديارهم بالحتف و الخرب

وفوضوا خيم التسليم و انتجعوا غمدا و ما استعصم (٤) المسلوب بالسلب

ص: ٢٢١

١-١) في السلافه: جسد.

٢-٢) في السلافه: معنى.

٣-٣) في السلافه: شاموا.

٤-٤) في «ن»: استسلم.

و شَجَّعُوا أَنْفُسًا مِنْهُمْ قَدْ اِمْتَلَأَتْ جَبِينًا وَ ظَنُّوا بِأَنَّ الظَّنَّ لَمْ يَخْبِ
ظَنُّوا بِأَنَّ الْجِبَالَ الشَّمَّ نَافِعَهُ وَ أَنَّهُمْ فَتَهُ غَلْبَ ذُو وَ غَلْبِ
فَخَيْبَ اللَّهِ مَا ظَنُّوا وَ قَدْ خَذَلُوا حَقًّا وَ لَمْ يَجِدُوا مَنجَا سِوَى الْهَرَبِ
قُلُوبُهُمْ خَشِيَتْ أَبْصَارَهُمْ عَمِيَتْ شَاهَتِ وَ جُوهُهُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَطْبِ
سَطَا بِهِمْ فَتْرَاهُمْ ذَا يَفْرَ وَ ذَا غَدَا يَقْرَ بِمَا لَا قُوَّةَ مِنْ شَجْبِ
أَيْنَ الْمَفْرَ وَ خَيْلَ اللَّهِ طَالِبَهُ وَ السَّعْدَ يَغْنَالَهُمْ كَالصَّيْدِ مِنْ كَثْبِ
فَمَنْ يَبْلُغُ عَنِّي غَيْرَ مُعْتَذِرٍ سَكَانَ غَمْدًا مَقَالًا لَيْسَ بِالْكَذْبِ
بَنِي عَفِيفٍ وَ عَبَسَ ثُمَّ خَلْفَهُمْ ثَقِيفٌ تَرَعَهُ مِنْ نَأَى وَ مَقْتَرَبِ
مَا أَنْتُمْ وَ الْمَعَالَى يَا بَنِي لَكْعِ وَ نَسْلَ حَجَّاجِ شَرَّ ابْنِ وَ شَرَّابِ
مَا أَنْتُمْ وَ قِرَاعِ الْبَيْضِ يَوْمَ وَغَى فِي مَقْنَبِ حَفَلٍ أَوْ مَحْفَلِ لَجْبِ
أَتَحْسَبُونَ الْوَعَى حَرثًا بِمَزْرَعِهِ أَوْ سَقَى أَرْضَ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَنْبِ
حَتَّى وَطِئْتُمْ عَلَى ذَلٍّ وَ مَنْقَصَهُ مَوَاطِنًا (١) مَا لَكُمْ فِيهِنَّ مِنْ ذَرْبِ
وَ قَمْتُمْ قَوْمَهُ الشَّيْطَانِ فِي مَنْعٍ مِنْ قَنَّةٍ لَا عَلَى أَمْنٍ وَ فِي رَعْبِ
إِنْ تَنْكُرُوا لِأَبِي عَجْلَانَ فَرَسْتَهُ فِيكُمْ وَ فِيمَنْ مَضَى مِنْكُمْ مَدَى الْحَقْبِ
سَلُوا مَوَاضِيَهُ عَنْ أَبْنَاءِ عَمِّكُمْ ثَقِيفٍ يَوْمَ لَقِيتُمْ مَعْشَرَ الْوَشْبِ
تَنْبِيَكُمْ كَيْفَ نَاشْتَهُمْ بَوَاتِرَهُ عَنْ دَارِهِمْ نَوْشَ قَرْمِ دَارِعِ ذَرْبِ
مَا زَالَ يَرُكُضُ مَعَ أَبْنَاءِ أَبِيهِ بِهَا وَ النَّصْرُ يَقْدَمُ مَعُونًا عَلَى النَّوْبِ
حَتَّى إِذَا أَيْنَعَتْ لِلْقَطْفِ أَرْوُسُهُمْ وَ حَانَ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ مَنْتَهَى النَّجْبِ
أَمْسَتْ دِيَارَهُمْ لِلْوَحْشِ مَعْتَرِكًا وَ أَصْبَحَ الرَّأْسُ مِنْهُمْ مَوْضِعَ الذَّنْبِ

سلوا الحريه عن صبح و وقعته وقت الضحى و مثار النقع فى الكشب
لما تعدوا على شاووش خلعتة و نابذوه و لم يخشوه فى العقب
فدكهم بخميس لو تدكك به هضاب رضوى لعادت منه فى خرب
حتى استقامت له فيهم أوامره بالسيف و استنقذوا الأرواح بالنشب
سلوا بجيله عما كان فى نضد فوقه الرجل ترميكم على الركب
نسيتم أو تناسيتم وقائعه و قرعه البيض بالخطيه السلب
هلا رجعتم و تبتم قبل سطوته فيكم و سرتم إلى عليها فى رعب (1)
و سقتم المال فى مرضاته فعسى يفضى قليلا و من للقرع بالزغب
فللحروب رجال يعرفون بها و للدواوين حساب و ذو كتب
لكنكم حين أيقنتم بفرسته حقيقه و استلاب الروح و العقب
و شتمم الذبح فى أخلافكم و غدت ديارهم مأتما للويل و الحرب
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم و كل منجدل منهم و منتخب
لتم إليه و جئتم باذلين له طوعا على رهب من أخذه الريب
فجاد بالعفو إحسانا و مكرمه عن اقتدار و ما هذا من العجب
فما القضاء بكم يشفى ضمائره إن القضاء من الأكفاء فى الطلب
و العفو عن مجرم من بعد مقدره و الصفح عن ذنبه نوع من القرب
فدتك نفسى أبا عجلا من ملك ترى المكارم فيه عله السبب
منتت بالعفو مذ دانوا إليك و لو دانوا سواك إليه الدهر لم يجب
فحزت فيهم ثواب العفو عن كرم و فزت بالنصر و الآمال و الإرب

فلا برحت قرير العين في دعه مبلّغا ظافرا بالسعد كلّ أبى

و أنت ملكك بفعل الخير تأمر من بغى و تنهاه عن شرّ و عن شغب

مؤيدا برسول الله جدّك و الولي و ابنيه و الزهراء و كلّ نبي

ما فاز بالنصر من ربّ السما ملكك و حاز بفتيه (١) عفوا بلا تعب

و أصبحت ألسن الأفراح منشده العزّ تحت ظلال السمر و القضب (٢)

و من شعر الفاضل الأديب الشيخ أحمد بن قاسم الخلى مورّخا لوفاته رحمه الله تعالى:

مات كهف الورى مليك الأرض من لم يزل مدى الدهر محسن

فالمعالى قالت لنا أرخوا قد ثوى في الجنان زيد بن محسن

و من شعر الفاضل العلّامة القاضي عبد المحسن القلعي قاضي مكّه المشرفه مورّخا لوفاته أيضا:

يا أهل مكّه إنّ سيّدنا الذى ملك الحجاز و كان فيه الأرشد

ربّ السماحه و الشجاعه و الحياء و الحلم صفّاه السقى و السؤدد

نقى الآله فكان تأريخى له زيد بن محسن فى الجنان مخلّد

و أمّا مدائحه فكثيره، و منائحه فشامله شهيره، قد نقل المؤرّخون منها جانبا عظيم، و ما أوردها فهو كافى الدلاله على مقامه العالى
الكريم، قدّس الله أسراراه و أسس.

ص: ٢٢٤

١- ١) فى السلافه: بغيته.

٢- ٢) سلافه العصر ص ١٢٩-١٣٢.

في الحوادث المتعلقة بدوله صاحب الترجمة إلى عام وفاته

وفاه الشيخ أحمد المقرئ التلمساني:

ففي سنة ثنتين و أربعين بعد الألف: توفي العالم العلامة، الشيخ أحمد المقرئ المالكي (١) صاحب التصانيف الجمه، و العلوم الكثيره، ولد بتلمسان، و سكن فاس من أرض المغرب، و أخذ العلم بها، و اتسعت معرفته، و كملت فضيلته، و رحل إلى الحرمين و مصر و الشام، و أقام بها مدّه، و بها ألف كتابه الكبير المعروف ب«نفع الطيب في أخبار ابن الخطيب» (٢) و هو كتاب حافل، قصد فيه إيراد جملة صالحه من أخبار لسان الدين ابن الخطيب، من شعره، و مكاتباته، و مشايخه، و من أخذ عنه.

ثم اتسع به الحال إلى أن خرج عن هذه الحلبه، فأتى بتأريخ الأندلس بالمناسبه، و من وليها من الملوك من حين افتتاحها المؤمنون، و تنقل الدول فيها، و ما جرى في ضمن ذلك من الوقائع و الحوادث، و كيفيه أخذ الكفار لها، و خروجها من أيدي المسلمين، و أطال في ذلك بذكر مدائن الأندلس و أنهارها و بساينها، و ما قيل في ذلك من الشعر، و ما يناسب ذلك من الأدبيات و اللطائف.

ثم استطرد إلى ذكر من دخل الأندلس من علماء المشرق، و من خرج من الأندلس إلى المشرق، و ذكر جانباً من إنشاء ابن الخطيب و شعره، و استشهاده،

ص: ٢٢٥

١ - ١) ولد سنة (٩٨٦هـ) بمدينة تلمسان، و توفي كما في مقدمه كتاب نفع الطيب سنة (١٠٤١) و له مؤلفات كثيره، راجع حول ترجمته إلى مقدمه كتابه نفع الطيب.

٢ - ٢) طبع سنة (٢٠٠٤م) في ثمان مجلدات، منشورات دار صادر بيروت.

و كيفيته قتله، فصار ذكر ابن الخطيب في هذا الكتاب نزر قليل، بالنسبه إلى ما اشتمل عليه من الوقائع و الحوادث، و الحاصل أنه كتاب ممتع في الأدب و الشعر و الأخبار، و هو في نحو أربعة أسفار.

ثم أقام الشيخ المذكور في آخر أيامه بمصر، و توفي بها في السنه المذكوره.

و كان واسع الفضل، له مشاركه تامه في سائر العلوم، و من تأليفه أزهار الرياض في أخبار عياض، و روضه الآس العاطره الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراکش و فاس (١)، و الجنايذ في من لقيت من الجهابذ، و هو أعم من الذي قبله، و الدرّ الثمين في أسماء الهادي الأمين، و رسالتان في صفه النعال النبوي (٢) و قد اشهرتا، و ارجوزه في العقائد (٣)، و ارجوزه في الوفق المحمّس، و له شعر رائق مذكور في نفح الطيب و غيره (٤).

وفاه الشريف أحمد بن مسعود:

و في هذه السنه: توفي السيد الشريف الأديب الأريب السيد أحمد بن مسعود ابن حسن بن أبي نمي، و قد تقدّم ذكره الشريف في أثناء ترجمه الشريف أحمد بن

ص: ٢٢٤

-
- ١- ١) ألفه حوالي سنه (١٠١١-١٠١٢) و طبع بالمطبعه الملكيه بالرباط سنه (١٩٦٤) م.
 - ٢- ٢) سمّاهما الاولى: فتح المتعال في مدح النعال، طبع بالهند. و الثانيه: النفحات العنبريه في نعل خير البريه.
 - ٣- ٣) و سمّاهما إضاءه الدجنه بعقائد أهل السنّه، منظومه بدأ بتأليفها أثناء زيارته للحجاز سنه (١٠٢٩) و درسها في الحرمين الشريفين، و أتمّها في القاهره سنه (١٠٣٦) هـ.
 - ٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤: ٤٤٨.

عبد المطلب بمناسبه اقتضت ذلك، و ذكرنا جانباً من شعره، فراجعه ثمّه (١).

وفاه الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقاني:

و فى هذه السنه: توفى شيخ الإسلام، و إمام العلماء الأعلام، الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن اللقاني، صاحب العلوم الجمّه، و الفضائل النافعه، أخذ عن جمع من أكابر العلماء، و أخذ عنه أجله الفضلاء، و كان قد انتهت إليه رئاسه فقه المالكيه بمصر، و له القصيده (٢) الشهيره المسماه ب«الجوهرة» و نظمها فى ليله، و شرحها شروحاً ثلاثه، و له حاشيه على مختصر خليل، و حاشيه على شرح عقائد النسفى للسعد، و رساله فى تحريم التباك، و كان ينكره، إلى آخر ما ذكره المؤرّخون فى شأنه، فراجعه فى التواريخ المطوّله (٣).

وفاه السيّد هاشم الحبشى:

و فى سنه ثلاث و أربعين: توفى السيّد الجليل السيّد هاشم بن أحمد الحبشى، و كان جليل المقدار.

وفاه السيّد أحمد شيخان باعبود العلوى:

و فى سنه أربع و أربعين: توفى السيّد الجليل، ذو النسب الباذخ، و الشرف الشامخ، السيّد أحمد شيخان باعبود العلوى. و كان حاتم زمانه كرماً و جوداً، و كان متوسّجاً فى أحوال الدنيا، استوطن مكّه، و اتّسعت أملاكه بها، و ولد له بها السيّد الجليل السيّد سالم شيخان، و هو أوّل من

ص: ٢٢٧

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٤٤٨-٤٥٩، إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٦٦.

٢- ٢) فى «ن»: العقيدّه.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٤٥٩.

استوطن مَكَّةَ من الساده آل شيخان الموجودين الآن بمَكَّةَ المشرفه، و توفى السيد أحمد بيندر جدّه، و نقله ابنه السيد سالم إلى مَكَّةَ المشرفه، و دفن بالمعلاه فى حوطه آل باعلوى.

و من شعر ولده السيد سالم شيخان، مؤرخا وفاه أبيه المذكور بعد أن رآه فى منامه:

شاهدت فى عام الوفاه بليله غزاه أحمد قائلا نفسى احمدى

اسكنت جنات النعيم و نعم هى نزلا فتأريخ الوفاه تخلدى (١)

وفاه الشيخ أحمد بن أبى الفتح الحكمى:

و فى هذه السنه فى سابع عشر رجب منها: توفى الشيخ الأجلّ الأوحّد شهاب الدين أحمد بن أبى الفتح الحكمى. أخذ عنه العلامه الشيخ على بن الجمال الأنصارى المكى، و الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد باقشير، و غيرهما، و له ترجمه طويله (٢).

وفاه السيد أحمد بن محمّد الهادى:

و فى سنه خمس و أربعين: توفى السيد أحمد بن محمّد الهادى بن عبد الرحمن ابن شهاب الدين، العالم العامل الفاضل الكامل، لازم السيد عمر بن عبد الرحيم، و الشيخ أحمد بن علان، و غيرهما، و استمرّ بمكّه إلى أن انتقل بها، و دفن بحوطه الساده بنى علوى (٣).

ص: ٢٢٨

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٥٩-٤:٤٦٠.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

وفاه الشيخ يوسف بن محمد البلقيني:

و فيها: توفى الشيخ يوسف بن محمد البلقيني، بقيه السلف، و رئيس القراء، و جليس الضعفاء و الفقراء (١).

وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان:

و فى سنه ستّ و أربعين ضحوه يوم الأحد تاسع ذى القعدة الحرام: توفى السيد الجليل، إمام أهل العرفان، ذى السرّ و البرهان، أحد الأئمة الأعلام، و قدوه الساده الكرام، السيد سالم بن أحمد شيخان، و دفن عصر ذلك اليوم على والده و جدّه، و تأريخ وفاته «صار إلى رحمه الله» (٢).

وفاه السيد نعمه الله الجيلاني:

و فى ثالث عشر ذى القعدة الحرام منها: توفى السيد نعمه الله بن عبد الله بن محيي الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على بن أحمد بن محمّد بن زكريا بن يحيى بن محمّد بن عبد الله بن عبد القادر الجيلاني، قاله العصامي (٣)، و لا أدري عن مستنده فى النقل لنسب هذا السيد الجليل، و لم أجده فى غيره، فالعهده عليه فى تصحيح هذا النسب المعظم.

تحقيق حول النسب الكيلانيه:

و حيث أوصل نسبه إلى عين أعيان الأقطاب، و المكمل بأنواع الكرامات فى جميع الأبواب، شيخ مشايخ الإسلام، و قدوه أهل الطرائق العظام، مولانا و مقتدانا

ص: ٢٢٩

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٠-٤:٤٦١، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٩.

٣- (٣) فى كتابه سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١ و الطبرى فى إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٩.

الشيخ عبد القادر، فلا بأس بنقل نسبه العالى، و بيان حقيقته.

قال صاحب عمده الطالب فى نسب آل أبى طالب: وقد نسبوا إلى عبد الله بن محمّد بن يحيى (بن محمّد) (١) ابن الروميه المذكور: الشيخ الجليل، الباز الأشهب، صاحب الخطوات، محبى الدين عبد القادر الكيلانى، فقالوا: عبد القادر بن محمّد ابن جنكى دوست بن عبد الله المذكور.

و لم يدّع الشيخ عبد القادر هذا النسب، و لا أحد من أولاده، و إنّما ابتدأ بها ولد ولده القاضى أبو صالح نصر بن أبى بكر بن عبد القادر، و لم يقم عليها بينه، و لا عرفها له أحد. على أنّ عبد الله بن محمّد بن يحيى ابن الروميه رجل حجازى (و لم يخرج عن الحجاز) (٢) و هذا الإسم - أعنى: جنكى دوست - أعجمى صريح كما تراه.

و مع ذلك كلّه، فلا طريق إلى إثبات هذا النسب بالبينه الصريحه العادله، و قد أعجزت القاضى أبا صالح، و اقترن بها عدم موافقه جدّه الشيخ عبد القادر (و أولاده له) (٣) و الله سبحانه أعلم (٤). إنتهى كلام صاحب العمده.

و ناهيك بهذا الكتاب، و شهرته فى التحقيق و التدقيق، و لا عمدته على غيره فى هذا العلم، ثمّ و لا يقدر ذلك فى اعتبار شيخنا المذكور؛ إذ لم يذكر صاحب العمده أنّه هو ادّعا و لم يثبت، بل صرّح بأنّه لم يدّع النسب المذكور الشيخ، و إنّما الذى

ص: ٢٣٠

١-١) الزيادة من العمده.

٢-٢) الزيادة من العمده.

٣-٣) الزيادة من العمده.

٤-٤) عمده الطالب ص ١٥٩.

ابتدأ بها ابن ابنه، فهذا من أعظم الأدلّه على علوّ شأنه، و متانته اعتباره، و ديانتته.

و أمّا القطبيّه الثابته، فلا ينافيها عدم اتّصاله بالحضره الشريفه نسبا، بل قد يكون أقرب إليه صلى الله عليه و آله من ثابت النسب؛ إذ نسبتته به معنويّه لا ريب فيها، مع ذلك أنّه قال غير واحد من أئمّه العلماء بصحّه نسبه.

منهم: السيّد الجليل عبد الوهاب الشعراني في لوائح الأنوار في طبقات الساده الأخيار (١)، قال: أبو صالح عبد القادر الكيلاني، و هو ابن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمّد بن داود بن موسى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام (٢).

و قال العلّامه الملاء علي القاريء في رسالته المسّماه نزّهه الخاطر في ترجمه سيّد عبد القادر، ما نصّه: قال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي اليمنى الشافعي في تتمّه روض الرياحين لحكايات الصالحين: الشيخ محيي الدين أبا محمّد عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمّد ابن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون-بضمّ الجيم يعني الأبيض لقب موسى- بن عبد الله المحض، و هو لقب و معناه الخالص بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام (٣). إنتهى كلامه.

و وجد بخطّ مولانا العلّامه السيّد محمّد بن أبي بكر الشّلي باعلوى في شجره

ص: ٢٣١

١- ١) ذكره في كتاب كشف الظنون ١٦٣: ٣، قال: فرغ من تأليفه سنة (٩٦١) و توفّي مؤلّفه سنة (٩٧٣) و هو خلاصه طبقات جماعه من الأولياء.

٢- ٢) لوائح الأنوار في طبقات الساده الأخيار، لم أظفر عليه.

٣- ٣) نزّهه الخاطر في ترجمه سيّد عبد القادر، لم أظفر عليه.

الساده آل باعلوى، ما صورته: و من ذريه موسى الجون بن عبد الله المحض:

الشيخ عبد القادر الكيلاني، فإنه ابن موسى بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله بن موسى الجون (١). إنتهى.

و قال العلامة الشناوى فى طبقاته: محيى الدين أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على ابن أبى طالب عليه السلام الجيلى البغدادي، و أمه فاطمه بنت الشيخ أبى عبد الله الصومعى، ولد سنة سبعين أو إحدى و سبعين و أربعمائه بجيلان.

و الجيل بكسر الجيم و سكون الياء بلاد متفرقه وراء طبرستان، و يقال فيها أيضا: جيلان و كيلان، و جيل و كيل أيضا قريه على شاطيء دجله على مسير يوم من بغداد ممّا يلى طريق واسط (٢). إنتهى.

و رأيت فى مناقب القطب المذكور، لشيخ الطريقه، و إمام الحقيقه، شيخنا الشيخ محمد بن أحمد عقيله، طبق ما ذكره الشناوى، و مثل هذه النقول شهيره، و تواترها يشهد بصحة نسبه، و الله أعلم بالحقائق، غير أنّ لنقل العمده مكان، و لمعرفه صاحبها بتصحيح الأنساب و تنقيحها أعظم شأن.

و على كلّ حال فالشيخ جليل، و قدره نبيل، و ولايته ظاهره، و كراماته باهره، توفّى فى سنة إحدى و ستين و خمسمائه من الهجره النبويّه على صاحبها أفضل الصلاه و السلام.

ص: ٢٣٢

١- ١) شجره الساده آل باعلوى، لم أظفر عليه.

٢- ٢) طبقات الشناوى، لم أظفر عليه.

و رأيت في عمده الطالب حكاية نقلها لبنى داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، أحد أجداد الشيخ المذكور، نقلتها بطريق المناسبه لذكر داود، وفيها ما يدل على جلاله شأنهم، و عظم مقدارهم عند جدّتهم فاطمه عليها السلام.

قال صاحب العمده: و هي حكاية جليله، مشهوره بين النساءين و غيرهم مسنده، و هي المذكوره في ديوان ابن عنين، و هي أنّ أبا المحاسن نصر الله بن عنين الدمشقي الشاعر توجه إلى مكّه شرفها الله تعالى، و معه مال و أقمشه، فخرج عليه بعض بنى داود، فأخذوا ما كان معه و سلبوه و جرحوه.

فكتب إلى الملك العزيز ابن أيوب قصيده صاحب اليمن، و قد كان أخوه الملك الناصر أرسل إليه يطلبه ليقيم بالساحل المفتوح من أيدي الأفرنج، فزهد ابن عنين في الساحل، و رغب في اليمن، و حرّضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا، و أوّل القصيده:

أعيت صفات نداك المصقع اللسنا

و حزت (1) في الجود حدّ الحسن و الحسن

و منها:

و لا تقل ساحل الأفرنج أفتحه فما يساوى إذا قايسه عدنا

و إن أردت جهادا فارو سيفك من قوم أضاعوا فروض الله و السننا

طهر بسيفك بيت الله من دنس و من خساسة أقوام به و خنا

و لا تقل إنهم أولاد فاطمه لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسننا

قال: فلما قال هذه القصيده، رأى في النوم فاطمه الزهراء البتول عليها السلام و هي

ص: ٢٣٣

(١-١) في العمده: جزت.

تطوف بالبيت، فسلم عليها، فلم تجبه، فتصرّع و تذلّل و سأل عن ذنبه الذي أوجب عدم جواب سلامه، فأنشدته الزهراء عليها السلام:

حاشا بني فاطمه كلهم من حسه تعرض أو من خنا

و إنما الأيام في غدرها و فعلها السوء أساءت بنا

أ إن أسا من ولدى واحد جعلت كلّ السبّ عمدا لنا

فتب إلى الله فمن يقترف ذنبا بنا يغفر له ما جنى

و أكرم بعين المصطفى جدّهم و لا تهن من آله أعينا

فكلّ ما نالك منهم عنا تلقى به في الحشر ممّا هنا

قال أبو المحاسن نصر الله ابن عنين: فانتبهت من منامى فزعا مرعوبا، و قد أكمل الله عافيتى من الجراح و المرض، فكتبت هذه الأبيات و حفظتها، و تبت إلى الله تعالى ممّا قلت، و قطعت تلك القصيده، و قلت:

عذرا إلى بنت نبي الهدى تصفح عن ذنب مسيء جنى

و توبه تقبلها من أخى مقاله توقعه في العنا

و الله لو قطعنى واحد منهم بسيف البغى أو بالقنا

لم أر ما يفعله سيئا بل أراه في الفعل قد أحسنا

و قد اختصرت ألفاظ هذه القصيده، و هى مشهوره رواها لى الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن المعين الحسنى، و جدّى لأمى الشيخ فرج الدين (١) أبو جعفر محمد ابن الشيخ الفاضل السعيد زين الدين حسين بن حديد الأسدى، كلاهما عن السيد السعيد بهاء الدين داود بن أبى الفتوح، عن أبى المحاسن نصر الله بن عنين

ص: ٢٣٤

(١-١) فى العمده: فخر الدين.

صاحب الواقعة (١). إنتهى النقل من العمده.

قلت: وقد مرّ مثل ذلك فى ترجمه السيّد الشريف أحمد بن عبد المطلب، و سردنا فصلا يتضمّن عدم انتقاد كلّ منسوب إلى تلك البضعه الشريفه، و النهى عن اعتراضهم مطلقا، و لعمري أنّهم الحقيقون بذلك، و فقههم الله تعالى لأقوم المسالك.

عودا إلى ما نحن بصددده، و ضبط أوقاته و مدده، فقد انتقلنا إلى هذا الفصل الذى سردناه، و العقد الذى قد نضدناه، فى نسب الشيخ الأجلّ الطاهر، مولانا الشيخ عبد القادر، ثمّ الانتقال منه بطريق المناسبه التاريخيه إلى تلك الحكايه الساميه السنيه.

و كان ذلك الانتقال من ترجمه السيّد الجليل صاحب الأحوال السيّد نعمه الله، فلقد كان من أكابر الأولياء و الصالحين، و صاحب الخوارق المنقوله على الألسنه إلى بعد حين، و ولد بالهند، و وصل إلى مكّه المشرفه سنه أربع عشره و ألف، و جاور بها، و لازم الصمت و المسجد سنين، ثمّ سكن شعب عامر، و تزوّج و أولد. ثمّ مرض و أوصى أن يدفن فى محله.

و توفى فى السنه المذكوره ليله الثالث عشر من ذى قعدتها، و قبره معلوم يزار، و عليه بناء معروف، و محيا كبير فى الليله المذكوره (٢).

تجديد بناء الكعبه:

و فى هذه السنه: جدّد بناب الكعبه الشريفه، و ازيل الأوّل.

ص: ٢٣٥

١-١) عمده الطالب ص ١٥٩-١٦١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٦٨-٦٩.

الفتنه العظيمه بمكّه المكرّمه:

و فى موسم هذه السنه فى يوم الجمعه عشر ذى الحجه الحرام: وقعت فتنه عظيمه، و مصيبه جسيمه، بين عبيد الساده الأشراف و العساكر المصريّه، و انضمّ عسكر مولانا الشريف إلى العبيد، و عظم الأمر، و أقبل كلّ من الفريقين على الآخر، فأرسل مولانا الشريف جماعته لردّ عساكره و العبيد، و أمير الحاجّ المصرى كذلك، إلى أن وقع رمى البندق، فرجع الأمير إلى داره، فبلغ بقيه عساكر مصر الذين فى المعلاه و أطرافها، فنزلوا بالمدافع، و وضعوها فى باطن المسعى، فاشتدّ الكرب، و لم يزل الأمر كذلك إلى أن أرخى الليل رواقه، فانكفّ الفريقان.

و فى يوم السبت: توسطّ الأمير أمير الحاجّ الشامى فتعافيا، و صرّخ منادى مولانا الشريف بالأمان، و آخر من أمير الشامى، و ثالث من أمير المصرى، بعد قتل عظيم فى الفريقين، و قدّم فى تلك السنه أمير الحاجّ المصرى خروجه من مكّه المشرفه قبل عادته؛ لأنّه خرج ثالث عشرى ذى الحجه الحرام (١).

قدوم شعبان أفندى إلى المدينه:

و فى سنه سبع و أربعين و ألف: قدم شعبان أفندى إلى المدينه المنورّه، و معه حجر من ألماس محفوف بأحجار مختلفه (٢)، مكفوف بصفائح الذهب و الفضة، و هذا الحجر من آثار صدر الدوله العثمانيه مصطفى باشا سلحدار، فوضع ذلك الحجر تحت الحجرين اللذين وضعهما السلطان أحمد خان، و أنعم على أهل

ص: ٢٣٦

١ - (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦١-٤:٤٦٢.

٢ - (٢) فى السمط: مختلعه.

المدينه بالصدقه الجليله، و فى ذلك يقول السيد محمد كيريت (١) هذه الأبيات:

زار خير الأنام خير همام قد تسمى شعبان و هو ربيع

عم جيران أحمد بنوال دون ذاك النوال خصب مريع

جاء بالجواهر الثمين لطفه من وزير هو الجناب المنيع

مصطفى المجد و الندى و الأيادى (٢) و سلحدار نعمه لا تضيع

يا له جوهرا تسامى و سامى بمقام فيه الثناء يوضع

عند وجه النبى قد وضعوه فغدا و هو مشرق و لموع

كان هذا فى عام سبع و ألف و تمام النظام فيه بديع (٣)

وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى:

و فى هذه السنه: توفى الفاضل العلامة القاضى أحمد بن عيسى المرشدى العمري الحنفى.

و لقد أجاد السيد على بن أحمد نظام الدين، حيث ترجمه فأنافه فى كتابه المسمى بالسلافه، فقال: شهاب الفضل الثاقب، الشهير المآثر و المناقب، سطع فى سماء الأدب نوره، و تفتق فى رياضه زهره و نوره، و امتد فى البلاغه باعه، فشق على من رام أن يشق غباره اتباعه، لا تلين قناه فضله لغامز، و لا يلزم أدبه المبرأ من العيب لامز، كان قد ولى القضاء بمكّه المشرفه، فنال به من أمله ما طمح بصره إليه و استشرفه.

ص: ٢٣٧

١- ١) ذكر ترجمته السيد على خان فى كتابه سلافه العصر ص ٢٥٦، فراجع.

٢- ٢) فى السمط: و المعالى.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤٦٢: ٤-٢٦٣.

ولمّا حصل أخوه في قبضه الشريف أحمد بن عبد المطلب، و منى منه بذلك الفادح الذي قهر به و غلب، حصل هو أيضا في القبض و الأسر، و أردف معه على ذلك الأدهم بالقسر، حتّى جرع أخوه تلك الكأس، فأنعم عليه بالخلاص بعد اليأس، فراش الدهر حاله، و أعاد منها ما غيره و أحاله، و لم يزل فارغ البال، من شواغل النكد و البلبال، إلى أن انقضت أيامه، و تتبّه له من داعى المنون نيامه، فتوفّى لخمس خلون من ذى الحجّه الحرام سنه سبع و أربعين و ألف، و اتفق تأريخ وفاته صدر هذا البيت:

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

و له نظم بديع الاسلوب، يملك برقته المسامح و القلوب (١). إنتهى ما ترجمه به صاحب السلافه رحمه الله تعالى و رحم أسلافه. ثم أورد له قصيدته الدالیه المتقدّمه فى ترجمه الشريف مسعود بن إدريس.

و أورد له فى السلافه قوله معلّلا تسميه القدح قدحا:

مذ صبّ ساقينا الطلا حتّى تناثر و أتضح

خالوا شرارا ما رأوا فلأجل ذا قالوا قدح (٢)

قال سيّدنا الوالد-دام إفادته- عند ذكر هذين البيتين: قال الشهاب الخفاجى فى كتاب طراز المجالس (٣)، من جمله فرائد فوائده، و درر قلائده: الإيداع، و هو أمر غريب، و سرّ عجيب، و هو أن يودع فى الكلمه ما يدلّ على المعنى أو صفته، أو

ص: ٢٣٨

١- ١) سلافه العصر ص ٩٢-٩٣.

٢- ٢) سلافه العصر ص ٩٨.

٣- ٣) ذكره إسماعيل باشا فى كتابه إيضاح المكنون ٢:٦٩ برقم: ٧٨٥٢.

معنى وضعه أو لفظه، أو شيء من لفظه، كحركات و نحوها.

إلى أن قال: و من الإشارة إلى حال اللفظ أو جهه وضعه، كقول ابن الرومى:

غارت عليهنّ الندى هناك من لمس الغلائل

و إذا لبسن خلاخلا كذبن أسماء الخلاخل

إنتهى.

أقول: إذا عرفت هذا ظهر لك و اتضح، معنى بيتى القدح، فإنه من قبيل الإشارة إلى جهه وضع اللفظ بالطيف الإماره. إنتهى كلامه رفع مقامه، و هى فائده شريفه، و تحفه لطيفه.

عودا إلى ذكر صاحب الترجمة، لا زالت غيوث رحمه عليه منسجمه:

قلت: راجعت تأريخ العصامى (1)، فوجدته قد ترجم القاضى المذكور بفقرات هى أبهى من الدرّ المنشور، فلمّا أرسلت نظر النقد و الاختبار إليها، ألفت الشيخ قد أغار عليها، و أدرجها فى ضمن كلامه، و أوهم أنّها من نبات فكره، و لآلى نظامه، و لا أوضح لى بيان ذلك و انكشافه، إلاّ مراجعتى لترجمه القاضى المشار إليه فى السلافه، فإذا هى بعينها.

فليت شعرى متى يقوم شيخنا بأداء قرض السلافه و دينها، و قد فعل مثل ذلك فى تأريخه عند ذكر السيّد أحمد بن مسعود بن الحسن، و عند ذكر غيره أيضا، مشى على هذا المنوال و السنن، فلو علم ابن معصوم ما أصابه، لجرعه علقم العتب و صابه.

و من شعر القاضى المذكور قصيده امتدح بها السيّد شهوان بن مسعود، و مطلعها:

ص: ٢٣٩

فيروزج أم و شام (١) الغاده الرود يبدو على سمط درّ منه منضود

و منها: قوله في المخلص:

صهباء تفعل في الأبواب سورتها فعل السخاء بشهوان بن مسعود (٢)

و له و كتب على شداد مطيه الشريف زيد بن محسن صاحب الترجمة:

افق الشداد بدت به شمس الخلافه و الهلال

و من العجائب جمعه ليث الشرافه و الغزال

و له غير ذلك من المحاسن (٣).

وفاه السيد علوى السقاف:

و في سنه ثمان و أربعين: توفى السيد الجليل الأوحده الأمجد الأصيل، السيد علوى بن على بن عقيل السقاف، نزيل مكّه المشرفه، أقام بها و تزوج و أولد و اشتهر، و أقبل عليه الناس، و كان له عند ملوك مكّه الساده الأشراف مكانه، أظد بها من مجده أركانها، و له كرامات تروى، و حضر جنازته الشريف زيد بن محسن المشار إليه، و دفن بحوطه ابنا عمّه بالمعلاه.

وفاه السيد محمّد السقافى العلوى:

و فيها: توفى السيد الجليل محمّد بن بركات السقافى العلوى، المعروف جدّه ب«كريشه» هكذا نقل المؤرّخون، و توفى ببندر المخا، و دفن بها، و قبره بها ظاهر معلوم يزار.

ص: ٢٤٠

١-١) كذا في السلافه و النسختين، و في السمط: و سام.

٢-٢) سلافه العصر ص ٩٩.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٤.

وصول بشير آغا الحبشى الطواشى:

و فى سنه تسع و أربعين:أقبل من الديار الروميه بشير آغا الحبشى الطواشى، و معه أوامر بمطلق التصرف، و حين وروده إلى بندر ينبع لحقه الخبر بوفاه السلطان مراد ابن أحمد خان،فكنتمه ليتّم له ما يريد.

و أمّا مولانا الشريف زيد،فحين بلغه وصول بشير آغا،اضطرب و شرع يهتّىء له الأماكن اللائقه به،و الفرش اللائق به،و أخذ جميع المدارس الحرميه و السيوت، و أمر بفرشها،و عزم على تلقّيه من وادى مرّ،و أرسل من يعتمد عليه لملاقاته إلى ينبع،و ليعرّفه أيضا بما معه من الخيل و الرجال.

فلمّا وصل إليها بلغه هذا الخبر،فرجع مسرعا إلى استاده و أخبره بذلك،فلمّا تحقّق ذلك عند مولانا الشريف أمر بتحويل الفرش،و غلق تلك الأماكن إلّا بعضها، فأقبل بشير و عنده أنّ الخبر مكتوم لم يسمع به أحد،فحين لاقاه الشريف زيد بقرب مكّه،فلمّا تقاربا و تصافحا،همز مولانا الشريف رحمه الله فرسه متقدّما على بشير آغا و ناكبه،و قال:«اللّٰه رحمت أيله سلطان مراد»فحين سمعه بشير آغا تداخل فى جسمه و مشى كالأسير،و هذا من جمله سعودات حضره مولانا الشريف ذى القدر العالى المنيف.

و من جمله ما اتّفق أنّ الشريف-رحمه الله تعالى-رأى ليله فى منامه أنّ شخصا ينشده هذا البيت:

كأن لم يكن أمر و إن كان كائن (١) لكان به أمر نفى ذلك الأمر

فانتبه رحمه الله و كتبه بالسواك على رمل فى صحن نحاس خشيه النسيان،و كانت

ص:٢٤١

هذه الرؤيا فى الليله التى أسفر صباحها من ورود هذا الخبر، فاستمرّ بشير إلى آخر السنه، و حجّ و توجّه صحبه الحاجّ.

و قد نظم السيّد محمّد الأنسى المغربى قصيده يمدح بها مولانا الشريف زيد، و ضمّنها البيت المذكور، و هى هذه:

سلوا آل نعم بعدنا أيّها السفر أعندهم علم بما صنع الدهر

تصدّى لشتّ الشمل بينى و بينها فمتزلى البطحا و منزلها القصر

رآنى و نعمى لاهيين فغالنا فشلت يد الدهر الخؤون و لا عذر

فو الله ما مكر العدوّ كمكره و لكنّ مكر صاعه فهو المكر

فقولا لأحداث الليلالى تمهلى و يا أيّها ذا الدهر موعداك الحشر

سلام على ذاك الزمان و طيبه و عيش مضى فيه و ما نبت الشعر

و تلك الرياض الباسمات كأنّ فى عواتقها من سندس حلل خضر

تنصّد فيها الأفحوان و نرجس كأعين نعم إذ يقابلها الثغر

كأنّ غصون الورد قضب زبرجد تخال من الياقوت أعلامه الحمر

إذا خطرت فى الروض نعم عشيه تفاوح من فضلات أردانها العطر

و إن سحبت أذيالها خلت حيه إلى الماء تسعى ما لأحمصها إثر

(كساها الجمال اليوسفى ملابسا فأهون ملبوس لها التيه و الكبير) (١)

فكم تخجل الأغصان منها إذا انتت و تغضى حياء من لواظها البتر

لها طرّه تكسى الظلام دياجيا على غرّه إن أسفرت طلع الفجر

و صحنان خدّ أشرقا فكأنّتها مصاييح رهبان أضاء بها الدير

ص: ٢٤٢

و جيد من البلور أبيض ناعم كعنق غزال قد تكنفها الذعر
و نحر يقول الدرّ إنّ به غنى عن الحلّى لكن بى إلى مثله فقر
و حقّان كالكافورتين علاهما من النّد مثقال فنّد به الصبر
رويدك يا كافور إنّ قلوبنا ضعاف و ما كلّ البلاد هي المصر
تبدى بقدّ باسق (١) متأودا على نقو من رمل يطوف به نهر
يكاد يقدّ الخصر من هيف به روادفها لو لا الثقافه و الهصر
لها بشر مثل الحرير و منطق رخيم الحواشى لا هراء و لا نزر
رأتنى سقيما ناحلا و الها بها فأذنت لها عود (٢) أناملها العشر
إذا كنت مطبوبا فلا زلت هكذا و إن كنت مسحورا فلا برىء السحر
فقلت لها و الله يا ابنه مالك لما صابنى (٣) إلا القطيعه و الهجر
رمتنى العيون البابلديات أسهما فأقصدنى منها سهامكم الحمر
فقلت و ألقّت فى الحشا من كلامها تأجج نار أنت من ملكنا حرّ
فو الله ما أنسى و قد بكرت لنا يابريقتها تسعى به القينه البكر
تدور بكاسات العقار كأنجم إذا طلعت من برجها أفل البدر
ندامى نعم و الرباب و زينب ثلاث شخوص بيننا النظم و النثر
على الناي و العود الرخيم و قهوه يذكّرها ذنبا (٤) بأقدامنا العصر

ص: ٢٤٣

١-١) فى السمط: باسقا.

٢-٢) فى السمط: عوذ.

٣-٣) فى السمط: لما شفنى.

٤-٤) فى السمط: دنيا.

فتقتص من ألبابنا و رؤوسنا فلم ندر هل ذاك النعاس أم السكر
معتقه من عهد عاد و جرهم و موعدها الأدنان لقمان و النسر
مشعشه صفرا كأن حبابها على فرش من عسجد نثر الدر
إذا فرغت من كأس نعم و اختها تشابه من ثغريهما الريق و الخمر
خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتي إذا ذاقه قلب الشجي حمد الجمر
و أنفع درياق لمن قتل الهوى فمات ارتشاف الثغر إن سمح الثغر
بهذا عرفت (١) الفرق ما بين كأسها و بين مدام الظلم إن أشكل الأمر
فو الله ما أسلو هواها على النوى بلى إن سلا بذل الندى (٢) الملك القسر
أبو حسن زيد المحاسن و العلاء له دون أملاك الورى المجد و الفخر
إذا ما مشى بين الصفوف تزلزت لهيبته الأقيال و العسكر المجر
و ترجف ذات الصدع خوفا لبأسه فتندك أطواد الممالك و القفر
فلو قال للبحر المحيط انت طائعا أتاه ياذن الله فى الساعه البحر
تظل ملوك الأرض خاشعه له و ما خشعت إلا و فى نفسها أمر
كريم متى تنزل بأعتاب داره تجد ملكا يزهو به النهى و الأمر
تجد ملكا يغنى الوفود و ينجز الوعود و أدنى بذله الدهم و الشقر
على جوده من وجهه و لسانه دليلان للوفد البشاشه و البشر
فما أحنف حلما و ما حاتم ندى و ما عتتر يوم الحقيقه أو عمرو
هو الملك الضحاك يوم نزاله إذا ما الجبان الوجه قطبه الكر

ص: ٢٤٤

لقد قرّ طوق الملك منه لأنه لديه النوال الحلو و الغضب المرّ
حياه و موت للموالى و للعدى لقد جمعا فى كفه الجبر و الكسر
أنخ عنده يا طالب الرزق إن ما حواه أنوشروان فى عينه نزر
و لا تصغ للعدال اذنا و إن وفوا بإحسانهم منه فما العبد و الحرّ
و هل يستوى عذب فرات مروّق و ملح اجاج لا و لا التبن و التبر
فلو سمعت اذن العداه بمجده مزاياه لاستحيت و لكن بها وقر
فما قدروا زيد العلا حقّ قدره و ماذا عليهم يا ترى لهم الخسر
مليك إليه الانتهاء فقيصر يقصر عنه بل و كسرى له كسر
مليك له عند الإله مكانه تبوأها من قبله الياس و الخضر
مليك له سرّ خفى كأنما يناجيه فى الغيب ابن داود و الخفر (1)
فإن كذبت أعداء زيد فحسبه من الشاهد المقبول قصته البكر
ليالى أن جاء الخصى و أكثروا أقاويل غى ضاق ذرعا بها الصدر
فأيقظه من نومه بعد هجعه من الليل بيت زاد فخرا به الشعر
كأن لم يكن أمر و إن كان كائن لكان به أمر نفى ذلك الأمر
و فى طى هذا عبره لاولى النهى و ذكرى لمن كانت له فطنه تعرو
فيا زيد قل للحاسدين تحنطوا بغیظكم إن لم يطيعكم الصبر
فمجدى كما قد تعلمون مؤثّل و كلّ حمام البرّ يفرسه الصقر
من القوم أرباب المكارم و العلا ميامين فى أيديهم العسر و اليسر
مسامیح فى اللأوا مصايیح فى الوغى تصالح فى مغناهم الخير و الشرّ

أستتهم في كل شرق و مغرب إذا وردت زرق و إن صدرت حمر

مسايعر حرب و القنا متشاجر و يوم الندى تبدو ججاجحه غرّ

بنى حسن لا بعد (١)الله داركم و لا زال منهلاً بأرجائها القطر

و لا زال صدر الملك منشرحاً بكم فعنكم و لاه البيت ينشرح الصدر

و صلى على المختار و الآل ربنا و سلم ما لاح السما كان و الغفر (٢)

و كانت وفاه السلطان مراد في شهر شوال من السنه المذكوره، و الظاهر أنه كان مسيره إلى بغداد في أوائل هذه؛ لأنه فيها افتتح بغداد و أخذها من يد العجم؛ لأنّ تأريخ فتحه لبغداد لفظ «غمدا» و هي ألف و تسع و أربعون، و تولّى بعده السلطان إبراهيم خان بن أحمد خان.

وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندی:

و في سنه خمسين بعد الألف: توفي في عاشر (٣)جمادى منها، الشيخ تاج الدين زكريا بن سلطان النقشبندی، و دفن في رباطه المعروف به في سفح جبل قعيقعان، أخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان، و الشيخ عبد الله، و أخوه الشيخ محمّد إبننا الشيخ سعيد باقشير (٤).

ص: ٢٤٦

١-١) في السمط: أبعد.

٢-٢) سمط النجوم العوالي ٤:٤٦٥-٤٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٧٢:٢-٧٣.

٣-٣) في السمط: ثامن عشر.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٤٦٨، إتحاف فضلاء الزمن ٧٤:٢، و خلاصه الأثر ١:٤٦٤.

و فيها: توفي الجمال محمد بن أحمد بن حكيم الملك بالديار الهنديّة، قاله العصامي في تاريخه (١).

قلت: لقد قصر غاية التقصير مع هذا الفاضل العلامه الشهير، جامع الفضائل و المناقب، و الحائز لدقائق العلوم بفكره الثاقب، مع كونه يترجم في تاريخه من لا يعبا به، و لا يلتفت إلى حسبه و نسبه، و هذا خلاف منهج العدول من المؤرخين، و ذوى الإنصاف من العلماء الراسخين.

و ها أنا أثبت لك من قلائد عقيانه، ما يشهد بفضله، و علو شأنه، بعد إيراد ترجمته من سلافه العصر، حتى تعلم أنه كان غزه جبهه ذلك العصر.

قال رحمه الله تعالى، و أولاه رحمت توالى: فاضل تأزر بالفضل و ارتدى، و سلك سبل المكرمات و اهتدى، سام فى فنون العلم و سرح، و أوضح متون الأدب و شرح، فقوم ما آده، و قام بعباءه فما آده، و هو من بيت رئاسه و جلاله، و قوم لم يرثو المجد عن كلاله، و كان لسلفه عند ملوك الهند التيموريّه محلّ تستضوع المراتب رياه، و تستسقى المناصب ريه.

و لتيّما وفد جدّه على الساده الملوك بنى حسن، قابلوه مقابله الجفن المسهد للوسن، فأكرموا لديهم نزله، و قلمدوا بأيادى منهم بزله، و ولد سبطه هذا بمكّه المشرفه، فنشأ فى حجر الفضل و المجد، و انتشق عرف خزامى تهامه و شميم عرار نجد، فجمع بين تليد المجد و طارفه، و رفل من فضفاض الأدب فى أبهى مطارفه.

و لم يزل متبوء تلك الدار، محمود الإيراد و الإصدار، مع تمسكه من سلطانها

ص: ٢٤٧

الشريف محسن بالعروه الوثقى التى لا- تنقسم، و حلولة لديه بالمكانه التى ما حلها ابن أبى داود (١) لدى المعتصم، حتى حصل على مكه شرفها الله تعالى من الشريف أحمد ما حصل، و انحل عقد ولايه الشريف محسن منها و انفصل.

فكان الشيخ محمّد (٢) المذكور ممّن أنهب الشريف داره و ماله، و قطع من الأمان أمانيه و آماله، فالتجأ مستأمنا إلى بعض الأشراف، فأمنه على نفسه بعد مشاهدته الوقوع على الهلاك و الإشراف.

فلما قتل الشريف أحمد، و تولّى بعده الشريف مسعود، رأى الشيخ من الاعراض (٣) منه ما تحقّق معه إنجاز الوعيد لا الوعود، فهاجر إلى الديار الهندية منتقلا (٤)، و هجر تلك المواطن المشرفه لا- عن قلى، و ذلك فى آخر سنه تسع و ثلاثين و ألف، فألقى بالديار الهندية عصاه، إلى أن بلغ من أمد العمر أقصاه، فتوفّى بها سنه خمسين بعد الألف.

و من مشهور نظمه و نثره، الذى دلّ على إشراق بدره فى سماء الأدب و نجمه، رسالته التى كتب بها إلى إمام العلوم، و ذره تاج ذوى المنطوق و المفهوم، مولانا القاضى تاج الدين المالكى، و بعث بها إليه من الهند فى سنه سبع و أربعين و ألف، شاكيا من كربه الغربه، بعبارات تصدع معانيها فى قلوب المخلصين، و أفاضها قلوب الحاسدين، و أولها:

ص: ٢٤٨

١- ١) فى السلافه: ابن داود.

٢- ٢) فى «د»: أحمد.

٣- ٣) فى السلافه: الأغراض.

٤- ٤) فى السلافه: مثقلا.

سقى الدمع مغنى الوابليه بالحمى سواجم تغنى جانبيه عن المحل

و لا برحت عيني تنوب عن الحيا بدمع على تلك المناهل منهل

مغانى الغوانى و الشيبه و الصبا و مأوى الموالى و العشيره و الأهل

سقى صوب الحيا دمنا (١) بجرعاء اللوى درسا

و زاد محلك المأنوس يا دار الهوى أنسا

لإن درست ربوعك فالهوى العذرى ما درسا

سقى بالصفاء الربعى (٢) ربعا به الصفا و جاد بأجياذ ثرى منه ثروتى

مخيم لذاتى و سوق مآربى و قبله آمالى و موطن صبوتى

إنما المحافظه على الرسوم و الآداب، و الملا حظه للعوائد المألوفه فى افتتاح الخطاب، لمن يملك أمره إذا اعتن ذكر زينب و الرباب، و لم تحكم عقال عقله يد النوى و الاغتراب، و لست كمن كلما لاح بارق ببرقه تهديد، فكأنه أخو جنه مميا يقوم و يقعد، تتقاذفه أمواج الأحزان، و تترامى به طوامح الهواجس إلى كل مكان.

فهو و إن كان فيما ترى العين، قاطن بحى من الأحياء، يوما بحزوى (٣)، و يوما بالعقيق، و بالعذيب يوما، و يوما بالخليصاء، لا يأتلى مقسم العزمات، منفصم عرى العزيمات، لا- يقرّ قراره، و لا- يرجى اصطباره، إن رّوح القلب بذكر المنحنى، أقام الحنين حنايا ضلوعه، أو استروح روح الفرج من ذكر لبالى الخيف و منى، أو مضت بوارق زفراته، تحدر بعارض دموعه.

ص: ٢٤٩

١- ١) فى «١٥»: الجياذ منى.

٢- ٢) فى السلافه: للرتع.

٣- ٣) فى السلافه: بحزوى.

من تمنى مالا و حسن مآل فمناى منى و أقصى مرادى

فيا له من قلب لا يهدأ خفوقه، و لا قنى لامعه بروقه، و لا يبرح من شموله لأحزان صبوحة و غبوقه، يساور هموما فما مساوره ضئيله من الرقش، و يناجى أحزانا لو لا مس بعضها الصخر الأصم لأنهش، و يركب من أخطار الوحشه أهوالا دونها ركوب النعش، يحن إلى مواضع إيناسه، و يرتاح إلى مراتع غزلان صريمه و كناسه، و يندب أيام يستثمر الطوب من أفنان أغراسه.

أيام شرح شبابى روضه أنف ما ريع منه بروع الشيب ريعانى

أيام غصنى لدن من نضارته أصبو إلى غير جاراتى و جيرانى

ثم انقضت تلك السنون و أهلها، فكأنها و كأنهم أحلام.

لم يبق منى الشوق غير تفكرى فلو شئت أن أبكى بيكت تفكرا

لم أكن على مفارقه الأحباب جلدا، فأقول و هى تجلدى، و إنما و هى جلدى، ممّا حملت النوائب على كبدى، و فتت صروف البين المشتت من أفلاذ كبدى.

جربت من صرف دهرى كلّ نائبه أمرّ من فرقه الأحباب لم أجد

فراقا قضى أن لا تأسى بعد ما مضى منجدا صبرى و أوغلت منهما

و فجعه بين مثل صرعه مالك و يقبح بى أن لا أكون متمما

خليلى إن لم تسعدانى على البكا فلا أنتما منى و لا أنا منكما

و حسنتما لى اسوه (1) و تأسىا و لم تذكر كيف السبيل إليهما

آليت لا أفتح لسرور على قلبى المعنى بابا، و لا اعير طرفى قاصرات الطرف كواعب أترابا، و لا أجيل نظرى فى رياض نضره، و لا أسرح فكرى فى الإخفار

ص: ٢٥٠

إلى حدائق خضره، ولا- أحور إلى محاوره أنيس، ولا- أحضر لمحاضره جليس، و لو أنه الشيخ الرئيس، لأننى آيسا من ذلك (١) فعلت، و على أئى واحد منها لتنفيس الكرب عوّلت، تذكّرت عهد الأ-حبه فأعولت، و صدع الحنين و التذكار أعشار فؤادى فولولت.

فما رأّت (٢) عيني مذ فارقتهم شيئا (٣) يروق الطرف من هذا الورى

إن كنت أبصرت لهم من بعدهم مثلا فأغضيت على و خز القفا (٤)

فكففت (٥) همّتى على مساوره الهموم، و مسامره النجوم، و الاتّساء بشيخ كنعان، فى اتّخاذ بيت الأحران.

فحزنى ما يعقوب بثّ أفله و كلّ بلا أيوب بعض بليتى

رحلت عن كعبه البطحاء و الحرم، و نزلت بساحه قوم لا يدرون ما حمايه الحرم، كمثل من هو خارج من الأنوار إلى الظلم، و نقلت من جوار البيت و سدنته، إلى حيث خوار العجل و جوار عبدته، و استبدلت بالوقوف عند الركن و المقام، بالوقوف بين يدى عبده الأصنام، و هجرت مهابط الوحى و التنزيل، و متردّد الروح الأمين جبريل، إلى مساقط (أنداء) (٦) الكفر و الضلال، و مرابط الأنعام و الأفيال.

ص: ٢٥١

١- ١) فى السلافه: لأننى لى أياما من ذلك.

٢- ٢) فى السلافه: فما أطبى.

٣- ٣) فى السلافه: شىء.

٤- ٤) فى السلافه: السفا.

٥- ٥) فى السلافه: فعكفت.

٦- ٦) الزيادة من السلافه.

و عوّضت بالمشاعر الإسلاميّة حيث الفروض و السنن، معتكف أقوام يجرون في رفض الفرائض على سنن، و بدّلت بززم و الحطيم، و مقام إبراهيم، زمزمه البراهمه على الحطيم، بديار لا- تطيب إلّا- لمن خلع ربقه الإسلام من عنقه، و لا ينعم بها سوى من أمعن في توحيدهِ (١)، إلى ميادين الضلال و عنقه، لا يصفو لي بها عيش، و لو أنّه على ما يقال أيش و أيش.

كيف يلتذّ بالحياه معني بين أحشائه كورى الزناد

في قرى الهند جسمه و الاصيحاب حجازا و القلب في أجياد

اقاسى (٢) من متاعب الوحده، كلّ محنه و شدّه، و اعانى من أهوال الغربه كلّ غمّه و كربه.

فما غربه الإنسان في شدّه (٣) النوى و لكنّه (٤) و الله في عدم الشكل

و إنّي غريب بين بست و أهلها و إن كان فيها اسرتى و بها أهلى

كنت ممّن قد اتى علىّ حين من الدهر متخلّياً عن أشجاني (٥)، متسلّياً بمن شأنه في اعتيام الحوادث شانى، حزينا لما منيت به من مفارقه جيرانى و أوطانى، حتّى طرق الطارق، و ما أدراك ما الطارق، نبأ هائل، و خبر واعيه ذاهب اللبّ ذاهل، و هو وصول الأتراك من اليمن، و إجهازهم على رمقى تلك الفتن، السابقه

ص: ٢٥٢

١- ١) في السلافه: تخريده.

٢- ٢) في السلافه: يقاسى، و فيما سيأتى: و يعانى.

٣- ٣) في السلافه: شقّه.

٤- ٤) في السلافه: و لكنّها.

٥- ٥) في السلافه: بأشجاني.

و المحن، و مصارع الساده الأشراف الصفوه من بنى الحسن، فزاد كما يعلم الله الفؤاد جمرا إلى جمر، و غادر الأحشاء كأنما تشك بأطراف المثقفه السمر.

فهل يا مولاي على مغمور بغمران هذه الأحوال، و مطمور من سهام النوائب بين أنياب أغوال، من لائمه إذا ذهب عمّا يجب من تقديم الثناء على تلك الشمائل، و تقويم ماهيه الرسائل التى هى إلى قوام الأرواح أعظم الوسائل، بيت (1) يسير من حميدات الخصائل، لتلك الذات الجامعه لجميع الفضائل، بعد تقبيل أرضها التى تعشوشب بأكنافها العلوم و الآداب، أعشاب الأعشاب.

و تشرق بساحتها شمس الحقائق و المعارف، فتؤمن من الضلال بظلمات الشبه فى مسالك الهدايه المخاوف، الإمام الذى غدى بلبان الكمالات و الفضائل، الهمام التى نصّت عليه مخدّرات العلوم، فكان أجلّ كفاء بحلّ عويصاتها كافل، العلامه المبرز على أقرانه، بفضائل غير متناهيه تشكك فى امتناع التسلسل و صحّه برهانه، كالشمس قلت و ما للشمس أقران، خلاصه العلماء الأعلام، سلاله العظماء، الذين سادوا بمجدهم الأنام، مولانا و سيّدنا القاضى تاج الدين، زاد الله فى إجلاله.

ثمّ إنّه (2) قد تبين من شرح نبذه من أحواله، بما بسطه (3) من مقاله، و هجر به هجر الواله، ما هو جواب عن سؤال مقدّر، و استفهام يقتضيه المقام مضمّر، فيعطف عن استقصاء ذلك عنان القلم خاسئا و هو حسير، و يصرفه إلى استعطاف ذى الفضل الكبير، مبتهلا سائلا، متضرّعا قائلا: اللهمّ فبحقّ من انتخبتم لتبليغ

ص: ٢٥٣

١- ١) فى السلافه: بيّث.

٢- ٢) فى السلافه: ثمّ ينهى أنّه.

٣- ٣) فى السلافه: بيّث.

رسالاتك، و أيدتھم بحججك البالغه و آياتك، و بحقّ المقتدين بآدابھم، من ذريّاتھم و أصحابھم، و بحقّ الصّافين في طاعتك أقدامھم، المستغرقين في جلال أحديتك (١) لياليھم و أيامھم، و بحقّ سماواتك و ما فيها من آيات للمتبصّرين، و بحقّ مجاوري بيتك الحرام حجّاجا و معتمرين، إلّا ما رزقتني العود إلى حرمك، و قضيت لي بالرجوع إلى جوار بيتك بجودك و كرمك.

و يلتمس من فضلكم هذا الدعاء في الملتزم و المستجار، و في أدبار الصلوات و بالأسحار، لعلّ الله سبحانه يمنّ عليه بالخلاص من هذه الديار، و الإياب إلى تلك المشاعر المشرفه الأقطار (٢)، إنّه على ما يشاء قدير، و بالإجابہ جدير.

و المأمول من فضلكم أن تؤنسوا وحشته بمكاتبتكم الكريمة، و تصلوا وحدته بمراسلاتكم التي هي من داء الهيام عوده و تميمه، فإنّه في دار وحشه ليس بها أنيس، و في جيل إنس منهم اليعافير و العيس، لا يتسلّى إلّا بأبيات من الشعر سمح بها فكر قد صلد زناده، و صرد إيقاده، و حمّ بشآيب الحوادث إخماده، في مكان إعرابه أهناده، فهو لا يستأنس بإنشادها إلّا في الخلوات، و إسعادها بالمسامره إذا جنت الظلمات، لا لأنّها لذلك أهل، بل لأنّ (٣) الهشيم يرعى لا محاله في المحلّ، و عند الضروره يعتاض تمايل الأغصان بالنسيم عن الهيف، و يقتنع لفقد محيا الحبيب بالبدر على ما فيه من الكلف، و الجوع يرضى الاسود بالجيف، و قد أدّاه ما

ص: ٢٥٤

-
- ١- ١) في السلافه: هدايتك.
 - ٢- ٢) في السلافه: الأوطار.
 - ٣- ٣) في السلافه: بل لكون.

ادّعاء من الوله و الهيام إلى إثباتها، كيلا يكون دعواه مجردة بيناتها (١)، و هي:

صوادح البان و هنا شجوها بادي فمن عذير فتى فى فتّ أكباد

صبّ إذا غنت الورقاء أرّقه تذكيرها نغمات الشادن الشادى (٢)

و هذه القصيده طويله جدًا شهيره إلى الغايه، و هي فى سلافه العصر، و للقاضى تاج الدين المالكى عليها، و هي:

غذيت درّ التصافى قبل ميلادى فلا ترم يا عدولى فيه إرشادى

و قد مرّ للقاضى أحمد بن عيسى المرشدى قصيده على وزنها مادحا بها الشريف مسعود بن إدريس، و كذلك قصيده المالكى ممدوحه فيها الشريف المشار إليه، و زفّت القصيدتان إليه فى يوم واحد.

قال الشيخ محمّد المترجم المذكور بعد خلوصه من القصيده المذكوره:

و حسبى يا مولانا التصديع بهذا الهديان، و إنّما أوجه القصد إلى إقامه البرهان، على ما ادّعاء من الوله و الهيمان، لا زلتم محفوفين بعين الله، من طوارق الحدّثان، و صلّى الله على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم (٣).

قلت: و إذ قد ذكرت الرساله، فلا بأس بذكر جواب القاضى المذكور و إن كان فيه نوع إطاله، و هي:

يقبل الأرض إجلالا و يشرح ما لاقى من الوجد و الأشواق و الحرق

و يشتكى بعض ما لاقى و أعجب ما رآه أن تخمد النيران فى الورق

ص: ٢٥٥

١-١) فى السلافه: عن بيناتها.

٢-٢) سلافه العصر ص ١٥٨-١٦٥.

٣-٣) سلافه العصر ص ١٦٥.

محبّ جرعه الدهر مراره النوى (١)، وأضرم في أحشائه حراره الجوى، فهو يشتكى النوى طورا، فيتمالا- فى طورها و يتغالى، و يرجع باللؤم على نفسه فورا، فيشند بقايا ثناء ليس هى ارتجالا، هجيرا سقيا معاهد الأحبه من عهد دموعه، و سميراه التلهف على ذلك العهد و تمنى رجوعه.

أرى آثارهم فأذوب شوقا و أسكب فى مواطنهم دموعى

و أسأل من بفرقتهم رمانى يمنّ علىّ منهم بالرجوع

قد حارب جفنه الرقاد، فليس بينهما صلح، و دجى عليه ليل الفراق، فلم يتبلّج له صبح.

و طال علىّ الليل حتّى كأنّه من الطول موصول به الدهر أجمع

لا- يزال يسامر النجوم و القمر، و يساور الهموم و الفكر، و تتلاعب به لواعج الأشواق تلاعب الصوالج بالأكر، و ينشد إذا هجع النّوأم، و طلب المسعد على السمر.

أيّها النائمون حولى أعينوا نى على الليل حسبه و ائتجارا

حدّثونى عن النهار حديثا و صفوه أنّى (٢) نسيت النهارا

كيف لا ينسى النهار، و ينكر سائر الأغيار، من لا يرتسم (٣) فى مرآه تصوّره إلا تصوّر تلك الذات، و لا يجول فى فكره تذّكره إلا سابق تلك الأيام المستلذّات، و لا يغيّر وده تقادم العهد، و لا يسوغ أن يسوغ ماء السلو و لو أذاه تعطّشه إلى اللحد.

ص: ٢٥٦

١- ١) فى السلافه: الثوى.

٢- ٢) فى السلافه: و صفوه فقد.

٣- ٣) فى السلافه: من لم يرتسم.

ولى نفس حرّ لو بذلت لها على تناسيك ما فوق المنى ما تناست

لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا إذ طالما غير النأي المحيّننا

والله ما طلبت أرواحنا بدلا عنكم ولا انصرفت فيكم أمانينا

فليس عهدكم عهد الغمام فما كنتم لأرواحنا إلا رياحيننا

و لو لا تعلّل الناس بعلى و عسى، و رجوى صنيع (١) القادر على جمع الشيثين لقضيت أسا.

ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممّن داره حول (٢)

رجع، يا مولانا فقد أجرى الملووك جوار قلمه مرخى العنان، و شرح من أنموذج حاله ما هو عند مولانا كالعيان، و أنساه بثّ شوقه ما هو الواجب من تصدير السّلام، و تقديم الثناء الذى لا- تستوفيه الأرقام، و لو أنّ ما فى الأرض من شجره أقلام، و لئن شغل المملوك عمّا هو الأحرى، فقد أقام البيت المشهور له عذرا.

و شغلت عن ردّ السلام فكان شغلى عنك بك

فهو تحمل عبوديته (٣) هذه من التحيّات ما يتضوّع قبل نشرها نشره، و من الأثنيه ما يضاهى الافق زهره، و يباهى الرياض زهره، إلى ذلك المقام الذى سحب على فرقد الفراقذ ذيل علّوه، و أورد نهر المجرّه خيل مجده و سمّوه، و سلّم له أهل الحلّ و العقد، و أذعنت لبلاغته جهابذه النقد، و ألقت إليه الفصاحه مقاليدها، و كتبت ملوك البراعه باسمه تقاليدها، و أقرّ بفضلها حتّى الحسود، و أجمع على

ص: ٢٥٧

١- ١) فى السلافه: جمع.

٢- ٢) فى السلافه: صول.

٣- ٣) فى السلافه: يحمل العبوديه.

سؤده السّيد و المسود، و أرى الناس مجعين على فضلك، ما بين سيّد و مسود.

إمام جماعه الصناعيتين، و مالك زمام براعه البراعتين، العلامه الذى خاض من العلوم بحرا، و قفت بساحله العلماء، و قفت أثره فانتهدت إلى حدّها من نقطه العلم و شكله الحكم الحكماء، سلاله الوزراء الذين اقتعدوا صهوه الجلاله و المجد، و خلاصه العلماء الذين تركوا الغير فى الغور، و افترعوا من المكانه المكان النجد، مولانا الشيخ محمّد بن حكيم الملك، لا زال محروسا بعنايه مجرى الفلك، بمحمّد و آله أجمعين (١).

و ينهى ورود الكتاب الذى استهلّت البراعه من براعه استهلاله، و أتى بالسحر الذى لا - حرج فى القول باستحلاله، و حرم على الادباء حياكه حكايته (٢)، و النسج على منواله.

أنى تجاربه فرسان القريض و من غباره فى هواديهنّ ما نقضوا

يجزم المتأمل فى فاتحته أنّها فريده وقتها، و يتلو عليه ما بعدها، و ما نريهم من آيه إلاّ هى أكبر من اختها، فقُبل المملوك منه مواقع الأقدام، شوقا لتقبيل مواضع الأقدام، و قرأه سطرا سطرا، و لم يكد (٣) يستطيع مجاوزه فقره منه إلى الاخرى، و سرح الفكر فى معانيه التى هى إلى الأفهام أجرى من الماء تحدر فى صبيب، و أفعل بالألباب من ابن غمام زوج بابنه العنب، فأضحك المملوك بما تضمّنه من

ص: ٢٥٨

١- ١) فى السلافه: آمين.

٢- ٢) فى السلافه: حيايه حياكنه.

٣- ٣) فى السلافه: و لم يكن.

تقلّب مالكة فى رياض البقاء، و شغله فى مراتب العزّ و الارتقاء، و أبكاه (١) بما انطوى عليه من شرح الحال التى عند المملوك شاهدها، و الغربه التى يعالج لواعجها المملوك، و إن كان فى ظنه (٢) و يكابدها.

يودّ من عمره أن لا يفارقكم ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه

فصبوا يا مولانا على ما جرت به الأقدار، و رضا بإرادته الله و اختياره، فإنّهما خير ممّا يريد العبد لنفسه و يختار، و لا أبلغ فى الوعظ و التنبيه لمن طلب منهما الغايه، من قوله تعالى وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ هُوَ خَيْرٌ (٣) الآيه، و عذرا يا مولانا فإنّى (٤) بهذه المواعظ كمن جلب التمر إلى هجر، و أهدى إلى البحر الدرر.

و لكننى أتيقن أنّ مولانا لا يرى ذلك لحسن الظنّ و النظر، ثم انتهى المملوك إلى تلك القصيده التى كلّ بيت منها بيت القصيد، فكّلل تاجه من جواهر عقدها الفريد، و استخرج من بحرها البسيط فرائد الفضل المديد، و علم أنّ مولانا أراد إثبات عجز من عارضه، فتمّ له ما يريد، و أكدت صوادح البان بشجوها أشواقه، و لا أقول زادت فليس عليها مزيد:

و ترنّمت ذات الجناح بسحره بالواديين فهيجت أشواقى

ورقا تعلّمت البكا و البثّ من يعقوب و الإلحان من إسحاق

إنّى تضاهينى هوى و صبابه و أسا و فرط جوى و فيض ماقى

ص: ٢٥٩

١- ١) فى السلافه: و أبكى.

٢- ٢) فى «ن»: طّنه، و فى السلافه: وطنه.

٣- ٣) سوره البقره: ٢١٦.

٤- ٤) فى السلافه: فأنا.

و أنا الذى أملى الهوى من خاطرى و هى التى تملى من الأوراق

و كيف يا مولانا يقبل المزيد شوق هو أعظم ممّا تصف الألسن و تشرح الأرقام، و فوق ما يتصوّره الفكر و تتخيله الأوهام، و وراء ما يمكن أن يرى فى الأحلام، أطفأ الله حرّ النوى بالمشافهه، و أغنى عن المراسله بالمواجهه، و عجل لكم الإياب إلى حرمه الشريف، و الإقامه بسوح بيته المنيف، إنّه على ما يشاء قدير، و بالإيجابه جدير (١).

إنتهى النقل من السلافه مع الحذف و الاقتصار، طلبا للاختصار.

و لنثنى عنان القلم، مخافه الملل و السأم، و ما أوردناه فوق ما أوردناه، فهو كاف فى إثبات جلاله مقام الشيخ و مقداره، و تقصير الشيخ الآخر فى إخفاء سنا بدره تحت سراره.

عودا إلى ما نحن فيه:

وفاه الشيخ فتح الله النحاس:

ففى سنه ثنتين و خمسين و ألف: توفى فى ثانى عشر صفرها الأديب المجيد، المحيى آثار البحترى و ابن العميد، دميّه عصره، و يتيمه دهره، الشيخ فتح الله النحاس الحلبي الشاعر (٢).

قال صاحب السلافه رحم الله أسلافه، مترجما له، بلّغه الله أمله: ناظم قلائد العقيان، و فاضخ (٣) نغمات القيان، الشاعر الساحر، و الباهر بما هو ألدّ من الغمض

ص: ٢٦٠

١-١) سلافه العصر ص ١٥٨-١٦٨.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٦٨.

٣-٣) فى السلافه: وفاضخ.

فى مقله الساهر،فهو صانع إبريز القريض و إن عرف بابن النحاس،و مسترقّ حرّ الكلام فما أشعار عبد بنى الحسحاس،و المبرز فى الأدب على من درج و دبّ.

و حسبك أن لقبه الادباء بمحكك الأدب،و لو لم تكن له إلا حائته التى سارت بها الركبان،و طارت شهرتها بخوافى النسور و قوادم العقبان،لكفته دلالة على علوّ إنافه قدره،و إشراق شمسه،فى سماء البلاغه و بدره،و له ديوان شعر لم أراه،و لكننى سمعت خبره،و قصيدته المشار إليها هى قوله مادحا الأمير محمّد بن فروخ أمير الحاجّ الشامى:

بات ساهى (١)الطرف و الشوق يلبّح و الدجى أن يمضّ جنح بات جنح

فكأنّ الشرق باب للدجى ما له خوف هجوم الصبح فتح

يقدح النجم لعينى شررا و لزند الشوق فى الأحشا قدح

لا تسل عن حال أرباب الهوى يابن ودى ما لهذا الحال شرح

لست أشكو حال جفنى و الكرى إن يكن بينى و بين الدمع (٢)صلح

إنما حلى المحيّين البكا أى فضل لسحاب لا يسح

يا ندامى و أيام الصبا هل لنا رجع و هل للعمر فسح

صبّحتك المزن أعلا منزل (٣) كان لى فيه خلاعات و شطح

حيث لى شغل بأجفان الطبا و لقلبى مرهم منها و جرح

كلّ عيش ينقضى ما لم يكن مع ملىح ما لذاك العيش ملح

ص: ٢٤١

١-١ فى السلافه:ساجى.

٢-٢ فى السلافه:النوم.

٣-٣ فى السلافه:صبّحتك المزن يا دار اللوى.

و بذات الطلح لى من عالج وقفه أذكرها ما اخضّر (١) طلح
حيث منّا الركب بالركب التقى و قضى حاجاته الشوق الملح
لا أذمّ العيس للعيس يد فى تلاقينا و للأسفار نجح
قربت منّا فما نحو فم و اعتنقنا فالتقى كشح و كشح
و تزوّدت شذا من مرشف فى فمى (٢) منه إلى ذا اليوم نفح
و تعاهدنا على كأس اللمى إننى ما دمت حيا لست أصحاب
يا ترى هل عند من قد رحلوا إن عيشى بعدهم كدّ و كدح
كم اداوى القلب قلت حيلتى كلما داويت جرحا سال جرح
و لكم أدعو و ما لى سامع فكأننى عند ما أدعو أبح
حسنوا القول و قالوا غربه إنما الغربه للأحرار ذبح
أشكى برح الجوى إن لم يرى كابن فزوخ فتى لم يشك برح
ابن من كان لعاب سيفه ما له إلا بأعلى القرن مسح
فإذا قيل ابن فزوخ أتى سقطوا لو أنّ ذاك القول مزح
كلّ من أسهره من رعبه نومه اليوم بظلّ السيف سدح
بطل لو شاء تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح
بأبى أفدى أميرى إنّه صادق القول نقى العرض سمح
كلّما قد قيل من ترجيحه فى الندى أو فى الوغى فهو الأصح
كم طروس بالقنا يكتبها و سطور بلسان السيف يمحو

ص: ٢٦٢

يا عروس الخيل و السيف له من قراع الخيل و الأبطال صدح

يا رحاء (١) الحرب و الخيل لها فى حياض الموت بالفرسان سبح

حطّ سيف الجود فى حظّى الذى هو كالدهر يمّنّى و يشح

و انتقدنى و اتخذنى بلبلا صدحه بين يدى عليك مدح

طالع الأدبار ما لى و له إن يكن من كوكب الإقبال لمح

كلّ بيت فى العلى أنحته من نضيد الدرّ و الياقوت صرح

ناطق عنّى بالفضل الذى إن يبارى فله فى الفوز قدح

بقواف كسقيط الطلّ أو أنّها من وجنات الغيد رشح

خلقت طوى يدى كيما ترى لا كمن يتبعها و هى تشح (٢)

إنتهى النقل من الكتاب المذكور، و اقتصرت من قصائده الطنّانه على حائثه، إذ هى أحسن من عينيته و داليته، فكلّ بيت منها فريد، كأنّه قصر مشيد، و شعره كلّه درّ، و نسج كلام حرّ، فاكتفينا منه بالقليل خوف التطويل.

و من مقاطيعه الحسنه، و منازعه المستحسنه، قوله مضمّنا:

لا يدعى بدر لوجهك نسبه فأخاف أن يسودّ وجه المدعى

و الشمس لو علمت بأنك دونها هبطت إليك من المحلّ الأرفع (٣)

و قوله:

أنا الكوكب السّيار فى كلّ بلده تراعيه أعيان العلى و تجلّه

ص: ٢٦٣

١-١) فى السلافه: يا رحان.

٢-٢) سلافه العصر ص ٢٧٦-٢٧٨.

٣-٣) سلافه العصر ص ٢٧٩.

تطوف على سمع البلاد قصائدى و يخدمنى سهل الكلام و جزله (١)

قوله و أجاد:

توهّمت إذ مرّت بنا الغيد بكره

تلهبّ خال فى لظى خدّ أغيد

ورددت طرفى ثانيا فرأيته

فؤادى الذى قد ضاع فى الحبّ من يدى (٢)

عودا إلى الفوائد التأريخيه:

إنشاء السبيل و الحنفيه بمكّه:

و فى سنه ثلاث و خمسين بعد الألف: أنشأ مولانا الشريف زيد سبيلا و حنفيه بمكّه المشرفه، فأرخ بناه الفاضل العلامة القاضى تاج الدين المالكى، فقال:

لله تأسيس نما خيره و فاز بالتطهير من أمّ له

سبيل إحسان و حنفيه (٣) و سلسبيل فارتشف سلسله

له نبا فى الفيض مهما روى حديثه أروى بما سلسله

سالت عطاياه لجينا فمن رام نداه نال ما أمّله

و حيث لم تكتف سؤاله فلا يكفّ البذل إذ أرسله

لأنّ من أسّس بنيانه غيث الورى فى السنه الممحله

ص: ٢٦٤

١- (١) سلافه العصر ص ٢٨٥.

٢- (٢) سلافه العصر ص ٢٨٥.

٣- (٣) فى السمط: به سبيل و حنفيه.

من نفسه يوم عطاءه ترى إن وهب (١) الدنيا فقد قلّ له

توجه الله بتاج زهى بجوهر المجد الذى كلله

و الله من وافر إحسانه أجرى له الأجر الذى أجز له

فإن تسل عن ضبط تأريخه فخذ جوابا يوضح المسأله

أسسه سلطان ام القرى زيد يدوم العز والسعد له (٢)

قتل مصطفى بيك والى جدّه:

و فى اليوم التاسع و العشرين من شهر جمادى الآخرة: من سنه سبع و خمسين بعد الألف، قتل مصطفى بيك صاحب بندر جدّه المتقدّم ذكره فى حرب العسكر اليماني، و لقتله نقل غريب نقله العصامى و غيره.

و هو أنّه لما كان أوائل السنه المذكوره، طلع السنجق المذكور إلى الطائف لزياره قبر حبر الامّه رضى الله عنه، ثمّ طلع بعده بشير آغا الحبشى غلام السلطان مراد المتقدّم ذكره، و هذا فى مجيئه الثانى متوليا مشيخه الحرم النبوى، فأقام بالطائف ما شاء، ثمّ نزل إلى مكّه المشرفه.

و لثما كان فى النقب الأحمر المعروف على طريق عقبه كراء، و قد نفرقت عساكره خلفا و أماما، و لم يبق معه أحد سوى السائس، و ثب عليه رجل عربى كان يتعهده بالإحسان إليه، يقال له: الجعفرى، فضربه بسكين العرب حتى أنفذه من أحشائه، و ذهب و لم يدر محلّه، فتلاحقت العساكر، فلم يلبث إلاّ نحو ساعتين و توفى شهيدا، و دخل به إلى مكّه غره رجب المعظم فى تخت، و دفن أمام قبّه

ص: ٢٦٥

١- ١) فى «د»: ذهب.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٤٦٩، إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٧٤.

السَّيِّدِ خَدِيجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

و كان مولانا الشريف زيد في تلك السنه قد توجّه إلى ناحيه الشرق، و ابعده إلى قريب الخرج (١)، و قائم مقامه لحفظ البلاد، مولانا السيد إبراهيم بن الشريف محمّد بن الشريف عبد الله بن الشريف حسن، فاستاوى (٢) بعض عساكر السنجق المقتول، ثم بعد وصول بشير آغا من الطائف عادوا إليه بحيله و نقل طويل لا يترتب عليه قاتلا، و قد ذكره العصامي مفصّلا (٣).

زياره الشريف زيد للمدينه:

و في سنه تسع و خمسين: عزم مولانا الشريف زيد إلى زياره جدّه صلّى الله عليه و آله، و كان دخوله المدينه المنوره يوم الخميس ثامن شهر شعبان من السنه المذكوره، فنزل بالقاضيّه خارج السور، و اتفق أن وقعت حادثه ليله عاشر الشهر المذكور، و هي أنّ حضره زفر أفندي قاضى الشرع الشريف نزل لحضور صلاه الصبح فى اليوم المذكور، و الوقت غلس، و معه ثلاثه من الخدام.

فلما كان عند الدفتر داريه و ثب عليه شخص، فضربه بالحدّ فى ظهره، فأنفذها من صدره، فأكبّ على دابّته، و لم تزل سائره به إلى أن دخلت به محراب عثمان بن عفّان، و إمام الشافعيه قائم يصلّى فى المحراب الفجر، فقام بعض الناس و أنزلوه على آخر نفس، و هو يقول: يا رسول الله يا رسول الله، و وضع أمام الوجه الشريف، و بعد لحظه قضى عليه، فحشدت العساكر، و اجتمعت و أغلقت أبواب سور المدينه،

ص: ٢٦٦

١- (١) الخرج: واد فيه قرى من أرض اليمامة، أرضه أرض نخل و زرع.

٢- (٢) فى السمط: فاستدنا.

٣- (٣) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٦٩-٤٧١، إتحاف فضلاء الزمن ٧٤: ٢-٧٦.

و وجهوا المدافع إلى الشريف زيد، و شرعوا ينادون: اخرج عنا، و فعلوا ما هو وصفهم دائما.

فبعث إليهم الشريف زيد أكابر جماعته، و أكابر جماعه عسكر مصر، فحلفوا لهم بأن لا علم للشريف بذلك و لا شعور، و لؤمهم على ذلك خطابا من تحت السور، فتراجعوا و فتحوا بابا السور.

و فى اليوم الثانى استدعى و جوههم لينظر فى حال قتله الأندى، و يبحث عنهم، فلم يزل يمسكهم واحدا بعد واحد، و حبسهم مده مديده، ثم حصلت فى بعضهم شفاعه، ففكك و ذهب بالباقيين و هم تسعه أنفار، و أمر بإبقائهم فى ينبع، و استمروا إلى الحج، فاستشفعوا بأمير الحاج، فأتى بهم مستشفعا فيهم فشفعه، ثم تعسكروا لغيطاس بيك أمير بندر جدّه و نزلوا معه.

و اتفق أنه فى نزوله هذا إلى بندر جدّه كان مغضبا على مولانا الشريف زيد بأسباب ذكرها المؤرخون، و أقواها و أعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف إدريس المذكور سابقا فى دوله الشريف نامى على حضره غيطاس بيك، و إفساده على الشريف زيد، و توغل خاطر البيك المذكور عليه من شىء سابق فى باطنه عليه، فواطأه على إسعافه، و إلباسه شرافه مكّه المشرفه.

فبعد نزوله إلى جدّه لحقه السيد عبد العزيز المذكور، فألبسه شرافه مكّه، و نودى له بالبلاد، و ولى حاكما فيها، و هو سعيد أو ناصر بن سعيد عتيق مصطفى السيورى، ثم خرج غيطاس بيك و الشريف عبد العزيز و مراجلهما، و خرج إليهم الشريف زيد بمراجله و جميع الساده الأشراف، و تلاقوا يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخره سنه ستين و ألف فوق التنعيم، و صار بينهم قتال عظيم، اصيب فيه السيد و بير بن محمد بن إبراهيم، و عدد كثير من الجانيين.

فلَمَّا اشتدَّ الحال دخل السيّد عبد العزيز على عاداتهم المألوفه على السيّد مبارك ابن بشير طالبا الأمان لغيطاس بيك و جماعته، فعرّف السيّد مبارك الشريف زيد بذلك، و وقع الصلح بينهم، و التمس السيّد عبد العزيز من الشريف زيد إرسال جماعه صحبه غيطاس بيك يوصلونه مأمنه، فأرسل معه خمسين نفرا من عسكره يوصلونه إلى بندر جدّه.

ثمّ بعد مدّه جاء عزله من جهه الدوله، فذهب إلى بندر ينبع، و استمرّ به إلى وصول الحاجّ، و مكث إلى عوده من مكّه، ثمّ مشى صحبته و استقرّ بمصر، و لحقه السيّد عبد العزيز، أو مشى صحبته و أقام بمصر سنتين، و فى السنه الثالثه وصل خبر وفاته بالطاعون.

و أمّا غيطاس بيك، فأقام بمصر سنه إحدى و ستين، و فى ثانى عشر ربيعها الأوّل البس إماره الحاجّ الشريف، و وصل فى موسمها أميراً، فتوهم منه مولانا الشريف زيد غايه التوهم، إلاّ أنّه خرج للخلعه على العاده، إنّما أخلّ بالقانون القديم، و هو المناكبه، فصافحه بيده الشريفه، و من تلك السنه تركت المناكبه و بقيت المصافحه إلى عصرنا هذا، فقضى حجّه و ذهب (١).

تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام:

و فى سنه ثلاث و ستين: عمّرت قبه الفراشين بالمسجد الحرام، فأرخ عمارتها القاضى تاج الدين المالكى بقوله:

انظر لحسن قبه جدّدها مؤسساً فخر الملوک الأمجد

و قل إذا أرخت عاما كان فى أثنائه بناؤها المشيد

ص: ٢٤٨

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧١-٤:٤٧٤، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٧٧-٨٠.

عمّرها سلطاننا محمّد الملك السامى العليّ الأوحّد

قال العصامى: ولما أرادوا الشروع فى العمل، حملوا المؤونه على الحمير، و أدخلوها من باب البغله، و يعرف هذا الباب قديما بباب بنى سفيان بن عبد الأسد، كذا قاله الأزرقى.

و عزّف الفاسى هذا الباب بباب البغله، قال: و لم أدر ما سبب هذه الشهره.

قال العلامه الشيخ محمّد على بن علّان: لعلّ سببها (١) أنّ بغلته صلّى الله عليه و آله ربطت أو وقفت ثمّه فى بعض الأوقات (٢). إنتهى.

إصابه الشاه جهان فلج:

و فى سنه ثمان و ستين و ألف: أصاب سلطان الديار الهندية شاه جهان فالج أفعده، فحصل بين أولاده حروب كثيره، إلى أن استقلّ بالمملكه اورنكزيب، و قتل أخاه داراشكوه، فاستقرّت البلاد به (٣).

وفاه السيد عمّار بن بركات الحسنى:

و فى سنه تسع و ستين: توفّى السيد عمّار بن بركات بن جعفر بن أبى نمى بالديار الهندية، و ذلك فى يوم الجمعة لعشر بقين من شوال (٤).

و قد ترجم هذا السيد صاحب السلافه رحمه الله تعالى، فقال: عمّار (٥) أبنيه

ص: ٢٦٩

١- (١) فى «د»: سببه.

٢- (٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٤، إتحاف فضلاء الزمن ٨٠:٢.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٤.

٤- (٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥.

٥- (٥) جاء اسمه محرّفا بعماد فى السلافه.

المجد و المكارم، و رافع أليه شرف آباءه الخضارم، نسب في السياه كعمود الصبح، و حسب تنزه بجدّه الحسن عن القبح، طلع في افق الجلاله بدراء، و سما في سماء الأياله قدرا، رأيت في حضره الوالد بالديار الهنديه، و قد تفتياً ظلال مكارمه النديه (١)، و كان قد دخلها في سنه ثنتين و ستين و ألف، فرأيت الفضل فيه مصوراً، و جنيت به روض السرور منوراً.

و لقد كان يجمعني و إياه مجلس والدي حسب الاقتراح، و بيننا من المصافاه ما بين الراح و الماء القراح، و هو كهل شبت بالظرف شمائله، و هبت باللطف جنائبه و شمائله، و ربما جمعتنا حله أدهم و كميته، أو بيت شعر لم يتحكّم فيه (٢) لو و لا ليت، فتنقل من متن جواد إلى شرح بيت، و له شعر يفعل بالألباب فعل السحر. إلى آخر ما ذكره، و أورد له شعرا، و ذكر وفاته طبق ما رقمناه.

ثمّ قال: و قلت أرثيه:

لنا كلّ يوم رثه و عويل و خطب يكلّ الرأى و هو صقيل

بكيته لو أنّ الدمع يرجع ميتا و أعولت لواجدى الحزين عويل

لحي الله دهرا لا تزال صروفه تكرّر علينا دائما و تصول

علام و فيم قد أصاب مقاتلى و ما شهدت منه على نصول

و حمّلتني خطبا تضاءلت دونه و ما أنا قدما للخطوب حمول

بموت كريم ماجد و ابن ماجد له المجد دار و العلاء مقيل

فتى قد عنت يوم الهياج له القنا و راح الحسام العضب و هو ذليل

ص: ٢٧٠

١-١) في السلافه: و قد تفتياً ظلالها و أفاض مكارمه النديه.

٢-٢) في السلافه: عليه.

بكاه القنا الخطى علما بأنه كسير و إن المشرفى كليل

فمن للعوالى بعد كفيه و الندى و من فى صفوف الناكثين يجول

و من بعده للسيف و الضيف و العلا و من بعده للمكرمات كفيل

ريب على شح الزمان بمثله و كل زمان بالكرام بخيل

و لما نعى الناعى (١) فضاق بى الفضا و راحت دموعى الجامدات تسيل

و هيهات أن تأتى النساء بمثله و يخلف عنه فى الأنام بديل

سأبكيك يا عمّار ما ناح طائر و ما ندبت بعد الرحيل طول

مصابى و إن طولته عنك قاصر و دمعى و إن أكثرت فيك قليل

لك الدهر فى قلبى مكان موّده و دادك فيه ساكن و نزيل

و إن هاطلات السحب شجّت بسقيها سقاك من الجفن القريح همول

عليك سلام الله منى تحيه مدى الدهر ما غال البريه غول (٢)

وفاه القاضى عصام الدين العصامى:

و فى أواخر شهر رمضان من هذه السنه: توفى الفاضل العلامه القاضى عصام الدين بن على زاده العصامى بالطائف المحروس، و خلف ابنين نجيبين، و هما القاضى على، و القاضى محمّد.

و توفى القاضى محمّد عن ابنين أيضا، و هما: القاضى أحمد، و القاضى حسين، توفيا فى سنه واحده، و هى سنه ثمان و ثلاثين و مائه و ألف، كما سيأتى، و ماتا عن

ص: ٢٧١

١-١) فى السلافه: نعاه لنا الناعى.

٢-٢) سلافه العصر ص ٣١-٣٦.

أولاد كثيرين، وفقهم لمناهج آباؤهم (١).

الغلاء و القحط الشديد بمكّه:

و فى سنة سبعين: حصل بمكّه المشرفه غلاء، وصلت كيله الحبّ فيه إلى سبعة عشر محلقاً، فأشار العالم العلامة الشيخ محمّد البابلى على الشريف زيد بتركه التسعير، فنادى مناديه بذلك، فتواجدت الحبوب، و جلب من سائر البلدان.

و سبب الغلاء كثرة الجراد بأرض الحجاز و اليمن، و أعقبه الدبا، فأكل جميع الأشجار و الزراعات، فأرّخه بعض الادباء بقوله «غلاء و بلاء» (٢).

تعمير زمزم:

و فى سنة ثنتين و سبعين: عمرت زمزم و البناء الذى عليها، ما عدا الجهة القبليه، و ادير باب المصعد إلى أعلاها إلى الجهة الجنوبيه (٣).

المطر و السيل العظيم بمكّه:

و فى سنة ثلاث و سبعين فى يوم السبت بعد الظهر لسبع خلون من شهر شعبان من السنه المذكوره: حصل مطر عظيم، و سال منه سيل كبير ملاً المسجد، و غرق فيه نحو سته أنفار، فتصدّى مولانا الشريف زيد لتنظيفه، و نادى فى الناس، و حضر بنفسه.

و حضر أيضا متولّى بندر جدّه فى تلك السنه، و هو الأمير سليمان بيك، و هو يومئذ قائم على عماره المقامات، و ترميم المشاعر، فاشتغل الأشراف و العلماء

ص: ٢٧٢

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٥، إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨١.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦.

و الخطباء و المدرّسون بأيديهم، و بذلت أموال عظيمه على ذلك، فكمّل تنظيفه في سبعة أيّام.

و أرخ ذلك السيّد أحمد بن السيّد أبي بكر بن سالم بن شيخان بقوله:

فهقه الرعد عند ما ابتسم البرق فأبكى الغمام قطر المياه

و أذابا قلوبنا الخوف و الرعب فويل لغافل القلب ساهي

و أتانا طوفان نوح و بالموت قطعنا لو لا جناب الإله

إن تقل أوضحو فسابع شعبان و سبت ليوم ستّ مضاهي

أو ترد عامه المهيل فأرخ بات سيل يطوف البيت داهي (١)

قلت: هذا التاريخ ساقط نظماً و معنى، كما تراه.

تعمير المقامات الأربعة:

و في سنة أربع و سبعين و ألف: عمّرت المقامات الأربعة: مقام الخليل، و الثلاثة، و بيّضت جميع قباب المسجد الحرام ظاهراً و باطناً، و رمّمت جميع المشاعر بعرفات، و مسجد مزدلفه، و مسجد الخيف بمنى، و أعلام الجمرات، و حدود الحرم (٢).

خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه:

و في سنة ستّ و سبعين: خرج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه، طلباً لثأر السيّد مساعد، و الملزم له على ذلك السيّد غالب بن محمّد بن مساعد بن مسعود ولي الدم الأدنى، فتوجّه بجميع من معه من الساده الأشراف و أتباعهم و عساكره و عساكر

ص: ٢٧٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٤٧٦، إتحاف فضلاء الزمن ٨٢:٢-٨٣.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٤٧٦، إتحاف فضلاء الزمن ٨٢:٢.

مصر المقيمين بمكّه المشرفه، و أقام ببدر.

و توجه السيد حمّود بن عبد الله إلى زياره جدّه صلى الله عليه و آله على خيله و ركابه، فاتفق أن لاقاه الآغا المكرّم عماد الدين أفندي الرومى فى الخيف، و أعزّه إعزازا عظيما؛ لأنّه ورد فى هذه السنه إلى مكّه المعظمه، ثم زار السيد حمّود و رجع، فوجد الشريف على حاله مقيما ببدر، و نزل هو على ماء مخشوش (1)، و هو موضع معروف، ثمّ توجهّا معا لحرابه جهينه، و كان قائم مقام الشريف زيد بمكّه السيد أبا القاسم بن السيد حمّود (2).

كثرة الأمطار و رخصه الأسعار:

و فى تلك السنه: كثرت الأمطار بالحجاز، فرخصت الأسعار جدّا، حتّى بيع الأردب القمح بثلاثه حروف عددى، و المنّ و الجبن بمحلّقين، و الألبان و اللحوم و جميع الخيرات كثيره إلى الغايه (3).

وفاه الشريف زيد صاحب الترجمة:

و فى سنه سبع و سبعين: توفّى الشريف زيد صاحب الترجمة، كما مرّ ذلك، فرحمه الله تعالى، و أولاه أُلطافا توالى. ثمّ انتقلت الشرافه إلى ابنه الشريف سعد بن زيد (4)، كما سيأتى بيان ذلك، و فّقنا الله و إيّاكم لأقوم المسالك.

ص: ٢٧٤

١- ١) فى السمط: مخشوش.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٦-٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤.

٤- ٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٧٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٨٤-٨٣.

أبى ندى صاحب مكه المشرفه رحمه الله تعالى

قال العصامى: ولما مات الشريف زيد، وقعت بمكّه رجّه عظيمه فى التوليه على المسلمين، و فى من يقوم مقامه، بين ولده الشريف سعد و بين السيد حمّود بن عبد الله، و قام كلّ من الرجلين أشدّ قيام، و جمع الجموع، و بذل المال (1)، و تحصّوا فى البيوت و المناثر.

و انضمّ الأشراف جميعهم إلى السيد حمّود، و لم يبق مع الشريف سعد إلا السيد مبارك بن محمّد الحارث، و السيد راجح بن قايتباى، و السيد عبد المطلب بن محمّد، و السيد مضر بن المرتضى، و السيد الحسين بن يحيى، و السيد فارس بن بركات، و السيد محمّد بن أحمد بن على، و هو الذى كان مع المنادى.

و كان فى مكّه رجل عظيم الشأن، قد ورد فى العام الذى قبل هذا العام، و هو عام ستّ و سبعين، و سنجق جدّه، و شيخ حرم مكّه المشرفه عماد أفندى المتقدّم ذكره آنفاً، فردّوا الأمر إليه، و أحضر خلعه عنده، و الرسل تسعى من الشريف سعد إليه إلى الضحوه.

فاتفق الرأى أن يلبسوا الخلعه الشريف سعد، فأخذها من تحت ركبته شخص من أكابر عسكر مصر، يقال له: المسلمانى، و ذهب بها إلى الشريف سعد، فلبسها فى بيته من غير وعد.

و كان مجلس عماد أفندى (2) فى دكّه عند باب رباط الداووديه، فبعد أن

ص: ٢٧٥

١-١) فى «ن»: الأموال.

٢-٢) فى السمط: عماد آغا.

أخذت منه الخلع، قيل له: إن ابن الشريف زيد السيد محمد يحيى هو المولى، وقد أخذ له والده أمرا سلطانيا بذلك، فقال لمن أخذ الخلع: قولوا للشريف سعد: بشرط أنك قائم مقامه، ومشوا.

و في رواحهم دخل المسجد من باب بنى سهم المسمى باب العمره جماعه من الأشراف، منهم: السيد محمد بن أحمد بن عبد الله، والسيد مبارك بن الفضل بن مسعود، والسيد عبد الله بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد بن حراز، وغيرهم في نحو ثمانيه عشر شخصا (١)، فوقفوا على عماد أفندى، وقد رأوا جماعه من الأتراك و بيدهم الخلع قد قاربوا باب المسجد النافذ إلى بيت الشريف سعد، فقال لهم عماد أفندى: نحن ألبسنا الشريف سعد بشرط أنه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى؛ لأنه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني، فلم يردوا له جوابا.

ثم إنهم رجعوا من الباب الذى دخلوا منه، و وصلوا إلى بيت السيد حمود، فوجدوا جميع الأشراف فى بيت السيد حمود، فلاقاهم السيد حمود فى درجه البيت، و هو ذاهب لموالاه الشريف زيد، فأخبروه بما شاهدوه، فعاد معهم (٢).

إنتهى مع اختصار و تغيير و حذف كثير.

و قال فى موضع آخر ما معناه: إنه كان مع مولانا الشريف زيد مملوكان:

أحدهما تركى الجنس اسمه ذو الفقار، و الآخر حبشى اسمه بلال.

أمّا الأول، فكان عند مولاه منذ زمان حتى كبر و صار شيخا للعسكر اللهم، فقام عليهم أحسن قيام، و كان ذا هيبة و رأى سديد، فدعاه الشريف زيد، و أوصاه

ص: ٢٧٦

١- ١) فى «ن»: شخص، و فى السلافة: أشخاص.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤٧٨: ٤-٤٧٩.

على بنيه و عوله (١).

فلما انتقل الشريف إلى رحمه الله قام على قدميه، و شمر عن ساقيه، و رتب العساكر في المواضع الحصينه، و ضبط قانون الحرابه من سائر الجهات، و السيد حمود لم يبرح من بيته مع بنى عمه و شيعته، و نار الفتنة قائمه أشد قيام.

فجلس الشريف سعد للتهنأه و السرور، و تأطد له الملك بفأل اسمه و الحبور، و دعا مشايخ العرب و أهل الإدراك، و فعل ما تفعله الملوكة حال الجلوس، مع ما صار من الاضطراب فى البلاد و بين الباديه و الأعراب، و شدّه الاختلاف فى الطرقات، و جميع ما حول مكّه المشرفه من الجهات، بأسباب موت هذا الملك العظيم، و الركن الثابت القديم، إلا أنه بعد أن أخلص التيه، و وجه همته العليه، أمنت البلاد، و اطمأنت العباد.

فأرخ جلوسه الشريف الأديب الأريب الشيخ أحمد (٢) بن قاسم الخلى بقوله:

قام بأمر البلاد سعد أيد ربّ السماء ملكه

بغايه المجد أرخوه قد نلت بالسيف أمر مكّه

و أرخه الإمام فضل (٣) ابن الإمام عبد الله الطبرى أيضا بقوله:

ص: ٢٧٧

١- ١) فى السمط: و عولته.

٢- ٢) هو العلامه الأديب الشيخ أحمد بن القاسم الخلى المكى، و ولد بمكّه سنه (١٠٥٤) و نشأ و تعلّم بها، برع فى الشعر، له ديوان فى مدح النبى صلّى الله عليه و آله و الغزليات و الموشحات، و له قصائد غرر، توفى فى أوائل القرن الثانى عشر، و قد أكثر المؤلف النقل عن ديوانه هذا فى كتابه هذا.

٣- ٣) هو جدّ العلامه محمّد بن على بن الفضل، صاحب كتاب إتحاف فضلاء الزمن

قالوا لنا اليوم مات زيد و الناس تخشى وقوع عركه

و القوم لا يسألون هذا (١) قال كذا من يروم ملكه

فقلت و القيل قد تناهى و الخلق فى ضجّه و ربكه

بيتا صحيحا لهم جوابا مؤرّخا قد أجدت ٢سبكه

يباعوه يملكوه سعد بن زيد شريف مكّه

و أرّخه أيضا العالم العلامه القاضى أحمد ابن القاضى مرشد الدين العمري بقوله:

شمس الخلافه أشرقت و بدا منيرا سعدها

مد حازها الشرف الذى بعلاه زين عقدها

سعد الذى تأريخه خير الملوك سعيدها ٣

قلت: هذا التأريخ لا بأس بنظمه، غير أنّ فى شطر التأريخ وقفه؛ لسقوط حرف العطف ليتمّ التأريخ، و بثبوتها يتمّ الوزن، و تزول الوقعه، غير أنّه يزيد التأريخ سنه، فلو أثبتته و وطىء لإخراج هذا العدد لكان أحسن و أسبك، و إن كان هذا النوع كثير فى شعر العرب، كقوله فى الحماسه... ٤.

و اتفق أن حصل فى اليوم الثالث من جلوسه، و هو يوم الخميس اضطراب

ص: ٢٧٨

(١-١) فى السمط: و القوم يسألون هذا.

عظيم من بعد الظهر إلى بعد العصر، بين الشريف سعد و السيد حمّود، و كلّ منهما جمع جيوشه، و تحصّنوا في البيوت و المناثر، و ركبوا جماعه السيد حمّود على الجبل الذي خلف بيته، و الجبل المعروف بجبل عمر، و تراموا بالرصاص من بعد، و لم تحصل مواجهه، ثمّ إنهم استمرّ بهم الحال، و كلّ يوم يصبحون في قيل و قال، و كلّ من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصيال.

و لما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد و السيد حمّود على قدر معلوم من المعلوم، و عيّنت جهاته، و كان يوما عظيما عند الناس، و حصل بذلك الأمن، و ارتفع البأس، و أمر الشريف سعد بالزينة ثلاثه أيام.

ثمّ كتب محضر من الشريف سعد إلى الدوله العليّه بإنهاء ما صار من وفاه الشريف زيد رحمه الله تعالى، و جلوس الشريف سعد بعده، و التماس تأييده و بقاءه، و عليه خطوط الأعيان، و ذهب به عبد والده المذكور سابقا بلال آغا إلى مصر، و سلّمه صاحب مصر، فأرسله إلى الدوله العليّه مع مزيد الاعتناء من عنده، و أصحبه مكتوبا من عنده.

و صدر أيضا عرض آخر من السيد حمّود ينقض ما كتبه الشريف سعد، و لم يكن عليه إلا خطوط الساده الأشراف، و أرسله مع رجل من أهل مصر يسمّى الشيخ عيسى، فقضى الله عليه بعد دخوله إلى مصر بيومين، فوجدوا العرض في تركته، فلم يجده (1).

و صدر أيضا عرض ثالث من السيد محمّد يحيى بن الشريف زيد من المدينه؛

ص: ٢٧٩

(١-١) في السمط: و لم يصل مقصده.

لأنه كان عليها (١) خطوط الأعيان من أهل المدينة، و أُلزم نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدوله العثمانيه.

فلما كان اليوم الثاني و العشرون من شهر رجب المعظم: وصل البشائر و الأخبار الصحيحه، بأنّ الدوله قد أنعمت على الشريف سعد بشرافه مكّه المشرفه.

و في سادس عشرينه: وصل رسول حضره السلطان بالخلعه الشريفه، و معها مصلاه الذي يصلّي عليه و الأمر السلطاني، فلبس الخلعه مولانا الشريف سعد بالمسجد الحرام على العاده المألوفه، و قرىء الأمر السلطاني بحضور جميع أعيان مكّه المشرفه في اليوم المذكور من الشهر المذكور من السنه المذكوره.

فتأطّدت شرافته، و شيّدت بالتوفيق خلافته، و عطس بالمسرّه أنف صباحه، و أضاء في قصور المجد نور مصباحه، فأمر و نهى، و تسنّم ذروه السهي، و أحسن السيره، و أخلص مع رعاياه السريه، فاستقام ملكه، و استقلّت في بحار السعاده سفنه و فلكه (٢).

و أمّا ذاته الساميه الشريفه، فقد تفتّياً عفاته ظلال مكارمه الوريثه، لأنّه علم الكرم (٣) المشار إليه، و معلّم الجود المجمع بالثناء عليه، ولى شرافه مكّه أربع مرار، و دفاع أياديه ليس له حدّ و لا قرار.

فتى يروم المكارم عن يديه زكى عن زكى عن زكى

سيول عن حياء عن بحور عن الإفضال عن كفّ ملى

ص: ٢٨٠

١- ١) في «ن»: بها.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٤٨٨-٤٩٠.

٣- ٣) في «ن»: الكرام.

و الحاصل أنّ أخبار كرمه تتناقلها الركبان، و يرويها لسان الزمان، لا يعفى لها أثر، و لا تنسخ لها آية خبر، مع كونه محك الآداب، و مفرع أبكار معاني خردها الكعاب، بفهم يتجدده، و ذكاء يتوقده، مدحه شعراء زمانه، فقلدهم بعقود بزه و إحسانه.

فمن جمله من مدحه، و أنعم من بزه قدحه، الأديب الفاضل، و الأريب الكامل، الشيخ عبد الملك العصامي (1)، بقصيده طائيه مطلعها:

سقى الغيث ذياك الابريق و السقطا فأنتبت في أرجائها (2) الرند و الأرتا

و حيا ربا تلك المعاهد فاكتست رياض لها من نسج إبرته بسطا

معاهد لمياء البديد تعطرت و مائث ميثاها بما تسحب المرطا

لها بشر كالماء إذ قلبها صفا و ناظرها كالسيف لكنّه أسطى

إذا ما دجى ليل حكى ليل شعرها (3) و إن لاح نجم الافق سمنا به القرطا

رواح إذ لاحت فكالبدرا (4) أورنت فكالظبي أو ماست ترى الحلّ و الربطا

أراشت لأحشائي رواشق مقله ترى نبلها يصمى الفؤاد إذا أحظا

و منها:

ص: ٢٨١

١- ١) و هو عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، توفي سنة (١١١١) له كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالى، قد أكثر المؤلف النقل عنه في كتابه هذا.

٢- ٢) في السمط: أرجائه.

٣- ٣) في السمط: ليل جورها.

٤- ٤) في السمط: رداح إذا لاحت فكالشمس.

سقاها و مرباها سحوح من الحيا و روّى على أكنافها الأثل و الخمطا

فوا شوق أحشائي للحظه لحظها و أتى بها إذ قد نأت دارها شحطا

بلى قد نأت عنّى و لا بين بينها (١) و بدّلت من عين الرضا بالجفا سخطا

كذلك أخلاق الغوانى و من يرمّ بهنّ الوفا كالمبتغى فى الأضا قرطا

و منها:

و من لم يزد دون (٢) التصابى و سربه قصاراه فيها إن يذلّ و ينحطّا

و يمسى صريع العين لا ناصر له سوى عبره يروى تفجّرها سطا

نعم لو نحا فى كلّ أمر يؤوده مليك الورى سعد بن زيد لما شطا

مليك له من طينه المجد جوهر به ازدانت الدنيا و قدما هى الشمطا

شريف العلا و الذات فى الوصف متم إلى خير أصل طاب فى قته (٣) ربطا

و منها:

طويل البنا رحب الفنا منهل الغنا مزيل العنا مولى المنى للهى (٤) سفظا

عريض الجدا غوث الندا مورد الندا حمام العدى مردى الرد للهدى فرطا

فيا بن رسول الله و ابن وصيه و درّه عقد كنت أنت له وسطا

لقد حطت أكناف الخلافه عزمه و قمت بها حفظا و شيّدتها ضبطا

و منها:

ص: ٢٨٢

١-١) فى السمط: بيننا.

٢-٢) فى السمط: ذود.

٣-٣) فى السمط: قنسه.

٤-٤) فى السمط: باللهى.

أبى الله إلا أن تحلّ محلّه بمرتبه عزّت لغيرك أن تمطى

فوافقك بالتأييد ما كان كامنا من الأزل العلوى ينتظر الشرطا

فما خطّ تقليدا على الطرس كاتب و لكن قضاء الله من قبله خطّا

و منها و هو آخرها:

سأملأ ديوانى بمدحك مدحه لشعري لكى يستوجب الحمد و الغبطا

قدم و ابق و اسلم لا برحت مؤيدا على العزّ مهما أن تحاوله تعطى

و لا زلت محفوف الجنب عزيزه رعاياك لا تخشى اهتضاما و لا قنطا

مدى الدهر ما طاب القريض بمدحك فأخجل مسك الختم و الندّ و القسطا (١)

هذا ما اخترته من القصيده فأوردته، و هو المقدار المتضمّن لما أردته، و مدائحه رحمه الله تعالى كثيره لا تحصى، و لا يستوعبها الاستقصاء.

عودا إلى حال الشريف سعد و السيد حمّود:

قد تقدّم تفصيل ما بنى الصلح بينهما عليه، و استند كلّ منهما إليه، فاستمرّا على كيفيته حسنه، و حاله مستحسنه، إلى أن حصل بينهما التنافر و الفراق، و قام كلّ واحد منهما فى مقاومه صاحبه على ساق، و ذلك بأسباب عدم إيفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمّود من تلك المقررات و الوعود، مع ما فى نفسه من اختلاف الأحوال عمّا كان فى ذهنه.

فأزمع على الترحّل عن البلاد، و مفارقه العيال و الأولاد، ففارق الشريف سعد، و برز يوم الأربعاء ثامن ذى القعدة الحرام من سنه سبع و سبعين و ألف، و أقام بالزاهر، ثمّ توجه إلى وادى مرّ، و أقام به بمن معه من الساده الأشراف و الخدّام

ص: ٢٨٣

و فى أثناء إقامته يرسل إلى مكّه ليلا من يصيح فى أطرافها، و يشنّع بالنهب فى حوافها و أخطافها، استنهاضا لسلطانها، ليذبّ عن سكّانها، فيحصل المراد، بخروجه إلى ظاهر البلاد، غير أنّه لم يستخفّه الطيش، و لا- برز من داره بجيش، بل حفظ بلاده، و حشد عساكره و أجناده.

و لم يزل السيّد حمّود مقيما بالوادى إلى يوم أربع من ذى الحجّه الحرام، فقدم عليه الحاجّ المصرى، و أميره فى تلك السنه ازبك بيك.

قال العصامى: و لما كان يوم السبت رابع ذى الحجّه الحرام من السنه المذكوره، قدم على السيّد حمّود الحاجّ المصرى، و الأمير عليه ازبك بيك، فركب إليه السيّد حمّود و من معه من الساده الأشراف و الأتباع.

فقدت الأشراف من أنفسها طوقا على، و طاق الأمير و عسكره، و لم يدخل إليه إلاّ ثلاثه أشخاص: السيّد حمّود، و السيّد أحمد الحارث، و السيّد بشير بن سليمان، فأنهوا إليه الحال (١)، و عدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم و مجاهيهم (٢)، و أنّها أمير لا ندع أحدا يحجّ إلاّ أن نأخذ ما هو لنا، و كان قدره مائه ألف أشرفى، فالتزم للسيّد حمّود أن ينقده الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا منها، فقبل ذلك منه، و خلّى سبيله و من معه.

فلما دخل الأمير مكّه يوم خامس ذى الحجّه الحرام، خرج إليه الشريف سعد إلى المختلج، فلبس الخلع المعتاده، ثمّ كلّمه الأمير فيما التزمه للسيّد حمّود و من

١- ١) فى السمط: حالهم.

٢- ٢) فى السمط: و مجانيهم.

معه، فصَدَّقَ التزامه، وأسلم خادم السيّد حمّود الخمسين الألف قبل الصعود من السيّد إبراهيم بن محمّد بإحاله من مولانا الشريف، ثم دخل الأمير الشامي في سابع ذى الحجّه الحرام، وألبس مولانا الشريف على العاده.

إلى أن قال: ثم لما كان يوم الاثنين عشرين ذى الحجّه الحرام، ووصل مكّه مولانا السيّد حمّود، و معه السيّد عبد المعين بن ناصر بن عبد المنعم بن حسن، و السيّد محمّد بن أحمد بن عبد الله بن حسن، و السيّد بشير بن سليمان بن موسى بن بركات بن أبي ندى، و السيّد مبارك و السيّد نافع إبن السيّد ناصر بن عبد المنعم في نحو تسعه أشخاص، و من العبيد نحو خمسه و ستين عبدا.

و ما ذاك إلاّ لأنّ أمير الحاج و كبار العساكر قصدوا الصلح بينه و بين الشريف سعد، فتردّدت الرسل بينهم و بينه يطلبونه لذلك، و ألزموه برسل من القاضى وصلوا إليه إلى وادى مّر، فجاء و حضر عند مولانا الأندى، و حضر الامراء و وجوه أركان الدوله و عماد آغا، و أكابر العساكر المصريين.

فأرسل مولانا الشريف سعد بلال آغا و كيلا عنه في الخصومه و الدعوى، فاغتاظ مولانا السيّد حمّود من ذلك، و أراد الفتك به في ذلك المجلس، فذهب مسرعا فزعا، فأرسل الشريف أخاه السيّد محمّد يحيى و كيلا عنه، و تطالبا على يد الحاكم الشرعى، و طال المجلس، و لم يقع بينهما اتفاق، ثم ادّعى عليه بما أخذه من طريق جدّه من الأموال، و لم يثبت عليه وجه شرعى في ذلك، و طلب مولانا السيّد حمّود أن يتوجّه إلى الديار المصريه، و يرفع أمره إلى الحضرة السلطانيه، فأذنوا له، و اتّفق الحال على ذلك.

ثم إنّه لما توجه الحاج الشامي و سائر الحجاج، توجه معهم حتّى توصل إلى بدر، فتخلف عنهم و أقام بها.

ولما دخلت سنه ثمان و سبعين و ألف، توجه مولانا السيد حمود من بدر إلى ينبع في شهر صفر منها، و أرسل ولده السيد أبا القاسم بن حمود، و أرسل مولانا السيد أحمد الحارث ولده السيد محمد بن أحمد، و معهما السيد غالب بن زامل بن عبد الله بن حسن، و جماعه من ذوى عنقاء السيد بشير و محمد و ظافر بنى السيد واضح، و السيد محمد بن عنقاء و ولده، و أرسل معهما قودا هديه إلى باشا مصر المسمى عمر باشا نحو سته أفراس، منهنّ البغيلة و الهدبا و الكحيلة.

فساروا إلى أن بلغوا الحوراء (1) المنزل المعروفه، فلاقاهم قاصد من إبراهيم باشا المتولى بعد صرف عمر باشا، بمكاتيب متضمنه للأمر بالإصلاح، و الاتفاق على نهج النجاح، فرجع السيد غالب بن زامل صحبه القاصد لينظر ما يتم عليه الحال، فتقطع مادّه القيل و القال، و تسقط كلفه الارتحال.

فأقام القود و من معه بالحوراء نحو من خمسه عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشده، فلم يصل إليهم خبر بعد هذه المدّه، فلما لم يصل إليهم خبر ساروا إلى مصر، فدخلوها ليله عيد المولد، و قدّموا مكاتيبهم و القود لإبراهيم باشا، فأكرمهم و أعظمهم و أضافهم و احترمهم.

فاستمرّ الحال كذلك إلى شهر جمادى الآخره، و لم يرجع ذلك القاصد من مكّه إلى مصر، فاشيع بها أنّ الساده الأشراف قتلوه، فحصل الهرج و المرج، و جاءت الأكاذيب فوجا بعد فوج، فأشار بعض الأشقياء على الباشا يامساك السيدين أبا القاسم و محمد، فأمر بنقلهم من محلّهم الأوّل و هو قايتباى إلى بيت يوسف بيك.

ص: ٢٨٦

١-١) الحوراء: كوره من كور مصر القبليه فى آخر حدودها من جهه الحجاز، و هو على البحر فى شرقى القلزم.

أقول (١): قد وصل السيد محمد يحيى بن الشريف زيد إلى مكه في أواخر سنه سبع و سبعين، و تقدّم أنه هو الذى كان و كيلا عن أخيه الشريف سعد فى الدعوى على السيد حمّود، لما حضر بمجلس أفندى الشرع الشريف فى موسم السنه المذكوره، فاستمرّ معه إلى عقب ذهاب الحجّ، ثمّ طلب من أخيه الشريف سعد أن يجعل له ريع محصول البلاد، و ينادى له به، فامتنع الشريف من ذلك، فغضب و برز من مكه متوجّها إلى السيد حمّود، و أقام بالزاهر مدّه.

ثمّ إنّ هذا الخبر بلغ السيد أحمد بن زيد و كان بالشرق، فجاء مسرعا، و لحق السيد محمد يحيى قبل أن يتوجّه، و أرضاه بجمله من المال، فلم يرض إلاّ بالمشاركه فى الربع و بالنداء فى الحال، و توجه و لحق بالسيد حمّود و اتّفق معه (٢).

إنتهى ما أردنا نقله من تاريخ العصامى.

واقعه السيد حمّود و العساكر المصريه

نقول: قد تقدّم ذكر اعتقال صاحب مصر للسيدين الشريفين: السيد أبى القاسم ابن السيد حمّود، و السيد محمد بن أحمد الحارث، حين بلغه ما شاع بمصر من أنّ الساده الأشراف قد لزموا رسوله الذى أرسله لقصد الصلح و قتلوه، مع تحسين ذلك الشقى له لزمهما و اعتقالهما، ثمّ نقله لهما من ذلك الموضع إلى أضيق منه، ثمّ عزم و صمّم على إرسال عسكر نحو خمسمائه لمقاتله السيد حمّود و من معه، و أقام عليهم يوسف بيك أحد سناجق مصر، و بعثهم إليهم، و معهم مسلم بندر جدّه.

فلما بلغ ذلك السيد حمّود و الأشراف الذين معه، جمعوا جموعا من أهل ينبع

ص: ٢٨٧

١-١) القائل هو صاحب السمط.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤:٤٩٤-٤:٤٩٦.

و جهينه و غيرهم، و ورد عليهم أيضا في أثناء هذه المدّة السيّد سعيد بن شبر (1) بن حسن بن أبي نمي؛ لأنّه وصل في تلك الأيام من جهه بيشه، ثمّ لم يتفق مع الشريف سعد، فلحق بالسيّد حمّود و رفاقته، و وفد عليهم في تلك الأيام، فقربت منهم العساكر، فأرسل إليهم السيّد حمّود بأنكم لا تمّرون بنا إذا لم يكن معكم السيّد أبو القاسم و السيّد محمّد، فتشاوروا بينهم؛ لأنّ مقصدهم الوصول إلى مكّه أوّلا، ثمّ العود إليهم ثانيا.

فأشار على البيك كبار جماعه بالعدول عن هذا الطريق إلى طريق اخرى، فلم يلتفت إلى هذا الرأى، و الحال أنّ صحبته جماعه من التجّار و معهم أموال عظيمه، و هم من جمله من أشار عليه بالعدول، فأبى إلاّ تنكّب طريقه التى هو سالكها لأجل وقوع قضاء الله تعالى بهم، و كان أمر الله حتما مقضيا.

فأوقع بهم السيّد حمّود واقعه عظيمه، و أغار عليهم غاره جسيمه، لا- تصدر إلاّ- عن أبناء الحسن السبط، الذين ما شأن أصلهم الشريف روم و لا قبط، و استأصلوهم عن آخرهم إلاّ مقدار مائه شخص منهم، و الباقون ذهبوا تحت السيف، و غنموا منهم أموالا جزيله لا تحصى.

و أمّا صاحب أمرهم يوسف بيك، فأمسكوا عليه، و أمر مولانا السيّد حمّود بجمع حريمه و حريم غيره و نصب لهم خياما، و أجرى عليهم نفقاتهم، ثمّ مات البيك المذكور في ينبع بعد الوقعه بأيّام، و كانت وفاته يوم الأربعاء رابع عشر شهر رجب المعظّم سنه ثمان و سبعين و ألف.

و أمّا قتلى الساده الأشراف-رحمهم الله تعالى-فهم أربعة، و هم: السيّد سرور

ص: ٢٨٨

(١-١) في «ن»: بشير، و في السمط: شبر.

ابن حسين بن عبد الله، والسيد شبير بن أحمد بن عبد الله، والسيد إلياس (١) بن عبد المنعم بن حسن، وشخص من ذوى عنقاء
يسمى السيد زين العابدين بن ناصر، تغمدهم الله برضوانه، وأسكنهم فسيح جنانه.

و كان وصول الخبر بهذه الواقعة إلى مكة المشرفة فى التاسع عشر رجب المعظم، و صار بمكة اضطراب عظيم.

و أمّا السيدان الجليلان السيد أبو القاسم بن حمّود، والسيد محمّد بن أحمد الحارث، فلما وصل الخبر إلى مصر بما صار من
السيد حيوود و بنى عمّه على عساكرهم، اشتدّ خنق صاحب مصر، و أمر بقتل من بها من أتباع هذين السيدين، و تتبعهم فى
محالّهم، و ضيق على السيدين فى اعتقالهما بنقلهما إلى حبس شنيع لا يليق بهما، و جمع العلماء و استفتاهم فى قتلهما، فامتنعوا عن
الافتاء بذلك، فغلاظ عليهما الحبس.

و استمرّ إلى أن رفع إبراهيم باشا، و تولّى أياه مصر شخص آخر سنة ثمانين، فسأل عن حالهما من حين دخوله، و عن سبب
حبسهما، فاخبر بقضيتهما، ثمّ تفحص إلى الغايه عن حالهما بسؤالات كثيره، حتى ظهر عنده و بان أنّهما مظلومين، فأمر بالإفراج
عنهما، و إحضارهما لديه، فأكرمهما غايه الإكرام، و خيرهما بين الإقامة و العود، بعد أن أنزلهما فى بيت نقيب الأشراف، و
أكرمهما هو أيضا بما لا مزيد عليه.

ثمّ مشى السيد محمّد إلى مكة المشرفة على ركائب، و وصل مكة فى سنة ثمانين. و أمّا السيد أبو القاسم، فتأخّر عنه بأسباب، و
استمرّ إلى أن دعاه داعى

ص: ٢٨٩

١ - ١) فى النسختين: لباس.

الحقّ فأجاب، و كانت وفاته في شهر شوال من سنة إحدى و ثمانين و ألف بالطاعون (١).

كَيْفِيَّةُ الصَّلْحِ بَيْنَ سَعْدٍ وَ حَمُودٍ

قلت: لم يزل السيّد حمود -رحمه الله تعالى- مقيماً بينبع بعد الواقعة المشروحة، ثمّ انتقل إلى جهة الشرق، و صارت له به الوقعات العظيمة، المقرونه بالظفر و النصر، المرويّه إلى هذا العصر بلسان الدهر، كوقعه نعار مع عنزه، و وقعه بنى حسين، و وقعه هيثم العوازم، و وقعه مطير، و وقعه ظفير (٢)، و غير ذلك.

و لم يزل على هذا الحال و هو في غايه الإعزاز و الإجلال، إلى أن أذن الله بينهما بالصلح المستمر، و الحال الجميل المستقر.

فهياً بقدرته الصالحه لتقريب المداخله بينهما و المصالحه، فأبرز سعدا و ذويه، إلى جهات الشرق و نواحيه، في أوائل سنة إحدى و ثمانين، لإطفاء نار فتن المفسدين، من الأعراب المتمرّدين، فوصل في سابع عشر جمادى الآخرة إلى أرض المبعوث، و استدعى به عبده يعوق و يغوث، من هؤلئك الباديه الطغام، المجدّدين لأيام الجاهليه بعد الإسلام، فحكّم في قمعهم بأثر صولته، و اقتضى فيما صدر منهم في مدّه دولته، فناصفهم في أموالهم، بعد أن شتت بعظيم هيئته منتظمات أحوالهم.

ثمّ دخل الطائف لزياره حبر الامّه، واسطه عقد الأئمّه، فوفد عليه مولانا السيّد حمود، فصفت بينهما الخواطر، و تبدّل الوعيد بالوعود، و خمدت نيران الفتن،

ص: ٢٩٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٤٩٧-٥٠٠.

٢-٢) قد ذكر أرباب التواريخ تفصيل هذه الوقعات، لا مجال هنا لذكرها، فراجع.

و غاضت دواعى المفاسد و الإحـن، بعد أن تلقاه بنهايه الإعزاز و الإكرام، و أردف عليه غنائم العطايا و الإنعام.

ثم بعد ثلاثه أيام من وروده تكاتبا و تعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الأساس، بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن العباس، و استمرّا على ذلك (١).

فصل منيف

إشاره

يتعلّق بحوادث أيام هذا السيد الشريف

الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه:

ففى سنه ولايته: حصل بمكّه المشرفه غلاء عظيم، و قحط شديد، و زاد و تقوى ذلك فى سنه ثمان و سبعين، إلى أن حلت الميته لأهل مكّه، و اكلت الكلاب و البسس (٢)، و باعت الناس جميع أوباشهم و أثاثهم، و صار الفقراء يهجمون البيوت.

و ذكر المؤرّخون أنّ غالب الفقراء و الضعفاء يكون الواحد منهم ماشيا فيطيح و يموت، و منهم من يكون جالسا فتهدت روحه، و قد شوهد ذلك.

و أمّا بندر جدّه، فكان من أعظم، بحيث إنهم يرسلون إلى مكّه لطلب القوت فلم يجدوه، و أهل الطائف فاجتمعت عليهم الكلمات الثلاث: البرد، و الجوع، و المخافه، و وصلت كيله الحبّ عندهم إلى خمسين محلقا (٣).

و فى سادس رمضان منها: اجتمع الرعيه، و توجّهوا إلى مولانا الشريف سعد،

ص: ٢٩١

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٨٨: ٢-٩١.

٢- ٢) البسس: الناقه التى لا تدرّ إلا على الإبساس.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٠١: ٤ و ٥٠٣.

و رفعوا أصواتهم بين يديه يشكون الناظر و المحتسب عليه، فأمر بإحضارهما، و حكم بعزلهما و حبسهما؛ لتواتر الخبر عنده بظلمهما و بأكلهما الرشا (١).

و فى هذه السنه: وصلت قيمه الأردب الحَبِّ إلى أربعين أحمرًا، ثم إلى خمسين، و طحنت الفول و الحمص أهل مكّه و جعلوه خبزا و لم يجز.

ثمّ عدم الحَبِّ و غيره بالكليّه، و مع شدّه الغلاء و قوّه القحط تفرّقت البوادي و العربان، كعتيبه و هذيل و لحيان و غيرهم فى الطرقات، و صاروا ينهبون و يأخذون كلّما يجدوه (٢).

إغارته قبيله عتيبه على القوافل:

و فى شهر رجب من السنه المذكوره: أخذت عتيبه قافله نحو العشرين الجمل من أقوات و قماش فى منزل السيل من طريق الطائف بعد قتال بينهم و بين أهل المنزل المذكور، فقتل واحد من أهل المنزل، و جرح آخرون.

و فى ثامن شهر رمضان من السنه المذكوره: وصل إلى وادي مرّ جملة من قبيله عتيبه فى مائه مردوفه - و قيل: مائتين - فأخذوا جميع ما وجدوه و انصرفوا، فأرسل الشريف فى أثرهم جمعا من الأشراف و العساكر صحبه أخيه السيّد أحمد، فلحقوهم بعد ليل، و ظفروا بهم، و أخذوهم و قتلوهم، و أحرزوا منهم مالا عظيما (٣).

ص: ٢٩٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠١-٥٠٢.

ظهور عمود من نور في المغرب:

و في الليلة الثالثة و العشرين من شهر رمضان: ظهر عمود من نور نحو الغرب مهيل طويل، و غلظه كطوله، و حصل بسببه رعب للمسلمين، و هو من الآيات للمعتبرين، و ظهر في الليلة الثانية و الثالثة لكنّه في الطول أكثر، بحيث إنّ امتدّ إلى ثلث السماء، ثمّ إنّ صار يضعف نوره و يتقهقر إلى ليله الثامن من شوال لم يظهر له نور بالكيفية، قاله العصامي (١).

وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه:

و في يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر شوال من السنه المذكوره: وصل خير من بندر جدّه بوصول جماعه من العسكر المصريين بحرا، و أخبروا بأنهم مقدّم رتبه واصله إلى مكّه المشرفه، يدخلون في ثلاثه آلاف، تجهّزت بعد قضيه السيّد حمود المتقدّم ذكرها لمحاربه و محاربه من كان معه، و أخبروا أيضا بتجهيز المراكب، فاستبشروا أهل مكّه بذلك (٢).

قصد السيّد حمود نهب ينبع:

و في ثاني ذى القعدة الحرام: بلغ مولانا الشريف أنّ السيّد حمود قصده نهب ينبع، فجهّز مائتين من العسكر، و أقام عليهم بلال آغا ليملكوا في ينبع، فمشوا بحرا، فاتّجهوا بعسكر التجريده المتقدّم ذكرها، و عليهم محمّد جاوش، فردّهم معه إلى بدر، ثمّ مشى إلى مكّه و معه بلال آغا، و ذهبت الرتبه إلى ينبع البحر

ص: ٢٩٣

١-١) سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٣.

و أقامت به (١).

حمل الأرزاق إلى مكة:

و فى سابع عشره: دخلت إلى بندر جدّه عشره مراكب و فيها العسكر، و حمل الحَبّ و جرايات لأهالى مكّه، فحصل لهم بقدمها غايه الاستبشار بعد ذلك الغلاء و القحط (٢).

وصول الحجاج المصريين:

و فى أوّل ذى الحجه الحرام: دخلت إلى مكّه المشرفه حجاج البحر و العساكر المصريون.

و فى الرابع منه: دخل الحجاج المصرى، و صحبته خلعتان لمولانا الشريف سعد:

إحداهما من حضره السلطان محمّد خان، و الثانيه من صاحب مصر.

و كان الحجاج فى هذا العام قليلين إلى الغايه، فخرج جمع يسير، و خرج قبلهم العساكر المصريون، فتلاقوا قبل ينبع بثلاثه أيام، و دخلوا إلى ينبع سواء، و أقاموا فيها نحو ستّه أيام، و هم يكاتبون السيد حمّود، و يجيبهم بأغظ من كلامهم، فركبوا عليه، فلم يجدوا إلاّ خياما خاليه، ثمّ تشاوروا.

فاتفق رأيهم أن يقيم البعض لحفظ البندر، و البعض الآخر و هو الأكثر يحجّ، فتوجه العسكر و معهم سنجان، و الثالث محمّد جاووش، و هو رئيس العسكر و كبيرهم و شيخ الحرم، و سنجق جدّه المعمور، فدخلوا فى موكب عظيم يوم سبع

ص: ٢٩٤

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤.

من ذى الحجة الحرام، و فى ثامن ذى الحجة دخلت بقيه الحجوج (١).

و فى سادس عشرى ذى الحجة الحرام: توجه الحاج المصرى و العسكر و مولانا الشريف سعد إلى ينبع على السيد حمود، و أقام مقامه بمكة أخاه السيد أحمد، فلما وصلوا إلى ينبع تشاوروا فى أنهم يقيمون فى ينبع، أو يتوجهون خلف السيد حمود، أو يرجعون إلى مصر، فاتفق رأيهم أنهم يذهبون إلى مصر، و أقام الشريف سعد و جوشه و محمد جاوش.

و فى أثناء إقامته اقتنص جماعه من المفسدين الذين كانوا فى حرايه السيد حمود و حبسهم، و غرمهم أموالا عظيمة، صار ذلك فى شهر محرم الحرام إفتتاح سنه تسع و سبعين و ألف (٢).

ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس:

و فى الاثنين حادى عشر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره: وقع أمر مهيل بعد طلوع الشمس بساعتين، و هو أنه ظهر من عين الشمس، أو بالقرب منها، ضوء هائل كالنجم، ثم استطال و امتد إلى جهه المغرب، و حصل لمن رآه حال مع غشاوه على بصره، و ارتعدت فرائصه، فانزعجت منه القلوب، و هو مشتمل على زرقه و صفره و حمره.

ثم إنه ذهب طرفاه، و بقى الوسط، و اتسع فى العرض، فخرج صوت كالرعد، و لم يكن غيم و لا سحب، و ظن بعض الناس أنه صوت مدفع، و استمر ساعه، ثم اضمحل ذلك الباقي من الشعاع إلى سحب، فكثير كلام الناس فى ذلك. انتهى قاله

ص: ٢٩٥

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٤-٤:٤٠٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٥-٤:٥٠٦.

بناء الشاخص في المسجد الحرام:

و في هذا اليوم بنى الشيخ العالم العلامة الشيخ محمّد بن سليمان المغربي في صحن المسجد الحرام بعض أحجار، ليضع فوقها حجرا كبيرا مكتوبا فيه شاخصان من حديد، يستفاد منه بالظلّ ما مضى و ما بقى من النهار، بالتماس جماعه من المسلمين، ليكون نفعه عامًا للامة أجمعين.

فعند ذلك قال جماعه من الجهله ممّن لا- خلاق لهم: إنّ هذه الحادّثه التي وقعت في السماء بأسباب هذه الواقعة التي في الأرض؛ لأنّهما كانتا في يوم واحد، و في ساعه واحده.

فكان الناس في شأنها حيارى، و كثر فيها القيل و القال، حتّى رفع الأمر إلى الشريف سعد، فأمر بوضعها، و عند تركيب الحجر المكتوب حصل منع من قاضى الشرع الشريف، فاستفتى الشيخ المذكور شيخ الإسلام، فأجاب بجواز وضعه إذا كان نفعه عامًا للمسلمين، فوصل حضره القاضى إلى دار الشيخ معتذرا و أمر بوضعه، فوضع في اليوم الثانى و بقى على حاله (٢).

وصول حسن باشا إلى مكّة و نبذه من أخباره:

و في رابع ذى الحجّه الحرام ختام السنه المذكوره: ووصل إلى مكّة المشرفه نجاب من المدينه المنوره بخبر حسن باشا مع الحاجّ الشامى، و أنّ بيده أرقام من الدوله العليه بالتصرّف في أرض الحجاز و النظر العام.

ص: ٢٩٤

١-١) سمط النجوم العوالى ٤:٥٠٩. و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٤.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٤.

و سبب ذلك: أنه صدر من أهل المدينة المنورة شكائات للشريف سعد بكثرة مظالمه و تعدّياته مع جماعه منهم، فدخل حسن باشا المذكور إلى المدينة بنهايه العظمه، و تلقاه أعيانها، ثم بعد استقراره وصلوا إليه أهل المدينة، و بثوا لديه ما لحقهم و ما صار عليهم، و أفهموه ببعض أشخاص ممن كان يميل مع الشريف سعد و يعينه في تنفيذ أوامره بمظالمه، فأمر يهانتهم و اعتقالهم.

ثم توجه إلى مكّه المشرفه، بعد منع خطباء المدينة المنورة عن التصريح بذكر الشريف سعد، فتوهم الشريف منه غايه التوهم، و جمع جموعا من البادية و استعدّ لمقابلته استعداد مثله (١).

و في اليوم السادس من ذى الحجه: دخل الحاج المصري، و لبس الشريف الخلعه المعتاده. و فيه دخل الحاج الشامي، ثم بين الظهريين دخل حضره حسن باشا في موكب عظيم، و هو في باطن تخته، و نزل عند باب السلام، و دخل المسجد الحرام (٢).

و في اليوم السابع: دخل المحمل الشامي، و لبس حضره مولانا الشريف سعد الخلعه الثانيه على العاده و القانون من أمير الحاج الشامي الأمير عبيد بن الأمير محمّد فروخ، إلا أنه بعد شاع و اشتهر و ظهر من حسن باشا ما ظهر، توقّف الشريف سعد عن الصعود إلى عرفات، حتّى يستبين ما بيد المذكور من الأوامر السلطانيه، فأفهمه بذلك و أفهم الامراء و الأعيان، فاضطربوا اضطرابا شديدا، و عزّلت الأسواق، و خليت الطرقات.

ص: ٢٩٧

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١١، و اتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٢.

فوصل الامراء و الأعيان إلى حضرته الشريفه، و هونوا عليه الأمر، و تكفلوا له جميع المخالفات من حسن باشا، فبعد أن اطمأن إلى كلامهم نادى مناديه بالأمان، و بسط الأسواق، و الصعود إلى الحج على العاده، و سعد هو أيضا على عادته، و حجت الناس من غير ضرر و لا بأس (١).

و فى ثانى شهر محرم الحرام من سنه ثمانين و ألف: صار محضر خلف مقام الحنفى، و فيه الأمير عساف بن الأمير محمد فزوخ و أعيان الدوله و جمع من المسلمين، و حضره حسن باشا و الشريف سعد، و أصلح هؤلاء الأعيان بينهما، و أزالوا تلك الكدوره، و قاموا فتداخلا و تهاديا.

و فى اليوم العاشر منه: توجه حسن باشا إلى بندر جدّه بعد اجتماع بينه و بين الشريف، تعاهدا فيه، و قدّم له حضره الشريف جوادا مكتملا بالعدد الفاخر (٢).

و فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول: دخل السيد الشريف السيد محمد يحيى بن الشريف زيد مصالحا لأخيه، فحصل من العساكر المصريين المقيمين بمكّه المشرفه بعض كلام فى دخوله، حيث كان مشاركا للسيد حمود فى تلك الواقعة، فسكتهم الشريف بكتاب وصله من حضره الباشا باستحسان صلحه و دخوله البلاد (٣).

توجه الشريف محمد يحيى إلى قبيله بنى سعد:

و فى شهر ربيع الثانى: توجه مولانا السيد محمد يحيى إلى قبيله بنى سعد

ص: ٢٩٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٣.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٤.

لخروجهم عن الطاعة، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى أخيه الشريف سعد يعرّفه بذلك، فأرسل إليه بجموع جزيله، وقبل وصولهم إليه دانوا لطاعته على إعطاء الأموال و سلامه الأرواح (١).

وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكّة:

و في ثاني رجب الفرد: وصل إلى بندر جدّه سلطان من سلاطين العجم، فأرسل إليه الشريف سعد رسلا بالسلام، و معهم ستّة تخوت، و لاقاه شيخ إسلام مكّه المشرّفه من مرحله، ثم دخل به إلى مكّه، و والاه في جميع نسكه، و أدرك منه مولانا الشريف مالا عظيما (٢).

وفاه الشيخ عيسى الثعالبي:

و في رابع عشرى رجب المذكور: توفّي الشيخ الجليل العلامه الشيخ عيسى بن محمّد بن محمّد بن أحمد الثعالبي المغربي (٣).

وقوع صاعه مهيله بمكّه:

و في تاسع عشر رمضان من السنه المذكوره: وقعت بمكّه صاعقه (٤) قتلت رجلا (٥).

ص: ٢٩٩

١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١٤-٥١٥.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١٥.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١٦، و فيه «الجعفرى» بدل المغربى.

٤-٤) فى السمط: صاعقه جهه الشيبكه.

٥-٥) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥١٨.

و في سادس شهر محرّم الحرام سنه ألف و إحدى و ثمانين: توفى الشيخ عبد الكبير بن محمد المتوكل (١).

تشارك السيد أحمد مع الشريف سعد:

و في سابع عشره: نودى بمكّه على الأشهار بالربع للسيد أحمد بن زيد، و أمر الخطيب بالدعاء له بعد أخيه، و عرف الدوله بذلك، فكانت تصل منهم خلعتان، يلبس كلّ واحد منهما واحده (٢).

فصل: في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا

إشاره

في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا

و هو أنّه حجّ في ختام سنه إحدى و ثمانين، ثمّ لمّا كان اليوم الثالث من أيّام منى، و هو واقف لرمى جمرة العقبه، و عساكره محدقون به، توالى عليه ثلاث رصاصات، فطاح من فوق فرسه، و تلقاه خدامه و وضعوه في التخت، و حصل عندهم مزيد الاضطراب فيما حدث بهم، و نزلوا به إلى مكّه المشرفه، و كلّ ما تجد عساكره أحدا تقتله، إلى أن أدخلوه داره، و تحصّينوا خشيه على أنفسهم، و حال دخولهم رموا على بيت الشريف سعد بنادق، و جّهوا المدافع إلى جميع الجهات، و استقرّوا على ذلك.

و أمّا الحجاج و أهالي مكّه المشرفه، فمنهم من هرب إلى مكّه و أدخل أسبابه محلّه، و منهم من تحصّن دور منى، و منهم من حجّ على رأسه، و ذهب أرواح

ص: ٣٠٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥١٩، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٦.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٢٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٦.

و أموال، و اضطراب عظيم في جميع الأحوال.

ثم نزل الشريف سعد و أخوه أحمد من منى على العاده، و هما في غايه العزّه و السياده، بعد أن أمر الجيوش و العساكر بتقلد لامه الحرب، و إشهار الأسنّه و البواتر، و دخلا مكّه المشرفه، رافلين في حلل الشرافه الموقوفه.

ثم توسط أعيان الدوله العليّه، و أرباب الآراء الساميه الجليّه، بالصلح بين حسن باشا و هذين الشريفين الساميين المنيفين؛ لأنّه قطع عليهما في تلك المدّه مبلغا عظيما من محصول بندر جدّه، فاتفق الحال على تسليم عشرين ألف قرش سلّمها إليهما.

ثم توجه صحبه الحاج المصري في ذلك العام و دخل مدينه سيّد الأنام، صلّى الله عليه و على آله و سلّم، و هداانا لنهجه القويم و علم، و ألبس بها السيّد أحمد الحارث شرافه مكّه المعظمه، و قلّمده عقود سلطنتها المنظمه، و نادى له فيها بها، و ألحقه بأصيل نسبها، و دعى له في المنابر، برغم كلّ عدوّ و مكابر.

و سبب اجتماعه بالسيّد أحمد في تلك البقعه الشريفه، حتّى أفاض عليه خلعه الولايه المنيفه: هو أنّه لمّا خرج من مكّه مسافرا صحبه الحاج، لحقه السيّد محيّد ابن السيّد أحمد في بعض تلك الفجاج، فأمره باستلحاق والده، لينيله غايه طريف المجد و تالده، فقصدّه ولده إلى منزله المسمّى بالشعري من أرض نجد، و كلّف راحلته إليه ليتسّم به ذروه كاهل المجد، فوصل المدينه المنوره، و متّع نظره بحدائقها المنوره، بعد أن تشرف بزياره جدّه، و شام بوارق سعده و جدّه، فأجلّه حسن و أنافه، و ألبسه خلعه الشرافه، و كان ذلك في شهر محرّم الحرام افتتاح سنه ثنتين و ثمانين و ألف.

و أمّا الشريف سعد، فكان قد مشى عقب الحاج المصري إلى ينبع و أقام به، فلما

بلغه ما صدر من حسن باشا من إلباس السيّد أحمد الحارث خلعه الشرافه، كتب إلى السيّد أحمد كتابا سلك فيه مسلك مثله من الاعتراف بحق الأكبر مع مزيد اللطافه.

و مضمونه كما ذكره العصامي في تأريخه: و هو بعد مزيد الثناء، و حميد الدعاء:

إنّ هذا الواقع الذي سمعنا به، من تقمّصك لبرد الملك و أثوابه، فهذا أمر أنت بيته الأعلى، و مثلك أحرى به و أولى، فإنّك أنت الشيخ و الوالد، الحائز لكلّ طريف من الكمال و تالده، فإن كان هذا بحكم الأساس و البنیان، جار على مقتضى مرسوم السلطان، فنحن بالطاعة أعوان، و إن كان الأمر خلاف ذلك، و إنّما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر، و تنميقات ذلك المذمّم غير الظافر، فأجلّ حلمك أن تستخّفه نكباء الطيش، أو أن تسترّ له أخلاط الأشاوب و غوغاء الجيش.

فأرسل إليه الجواب مولانا أحمد: بأنّ الأمر لم يكن على هواى و إنّما هو إزام، مع علمى بأنّ هذا الابتداء لا يكون له تمام، و السلام (١). إنتهى ما ذكره العصامى.

و ربما بلغ حسن باشا أنّ الشريف سعد قد زمّ جميع أحواله، و عزم على محاربتة و قتاله، فزمهر للمسير إليه، و الركوب عليه، فثبطه السيّد أحمد عن ذلك، و سهّل له الأمر فيما هنالك، فترك الحركة و استقرّ و أقام بالمدينه.

و استمرّ إلى أن وافاه القاصد بعزله، و نقض نسجه و غزله، فكفى الله سعدا أمره، إذ كفّ عنه مكائده و عذره، فرحل حسن باشا من المدينه، و صادف فى طريقه حتفه و منونه.

و توفى فى طريق غزّه و تلك الجهات، و دفن فى هاتيك الهامه و الفلوات،

ص: ٣٠٢

و وصل صحبه ذلك المقاصد خلعه للشريف، و حقيقتها ضرب من المكائد (١).

ثم لما كان أواخر شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، قدم محمد جاووش المتقدم ذكره؛ لأنه عاد إلى مصر من جملة من عاد، ثم رجع هذه المرة الثانية بنحو من خمسة آلاف من العساكر المصريين، و نصبوا خيامهم بالزاهر، و استمروا في مخيمهم إلى وصول الحاج الشريف، يدخلون مكة في أثناء ذلك ثم يعودون.

وصول حسين باشا السلحدار إلى مكة:

و في تلك السنة: وصل صحبه الحاج الشامي حسين باشا السلحدار بنحو ألفي شخص من العساكر، و دخل مكة ليلة سبع من ذي الحجة الحرام، ختام سنة ثنتين و ثمانين و ألف.

فخرج مولانا الشريف سعد يوم سبع المذكور للبس الخلعه على العادة، و إنما كان بروزه لذلك من جهة الحجون، فوقف منتظرا لإرسالها إليه، و إفاضتها عليه، فأرسلوا إليه بالطلب للحضور، و أن يخاطر بنفسه الشريفه تحت هذا المحذور، فأبت سهامته الامتثال، فعاد إلى مكة عازما على الحرب و القتال.

فلما تلّوا حوا منه ذلك المرام، خشيو على حجاج بيت الله الحرام، فأرسلوا الخلعه خلفه بنهاية الإسراع، توقيا من شره، و خشيه من عذره، و أخرجوا مرادهم إلى ما بعد، ليتّم لهم قبض الشريف سعد، ثم حجّ و حجّت الناس من غير مكروه و بأس.

و في اليوم الثاني من منى، و هو يوم بلوغ الآمال و المنى: أرسل حضره الشريف

ص: ٣٠٣

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٢١-٥٢٤، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:٩٧-١٠٠.

سعد فى طلب خلعه الاستمرار، والأمر السلطانى الذى يقرىء على رؤوس الأشهار، فامتنع حسين باشا عن ارساله، وأضمر على قبضه و اعتقاله، فحاول حضره الشريف الصوله عليه، بعساكره و عربانه المنضمين إليه، ثم عدل عن ذلك و فرّ فى تلك الليله، و امتطى ركابه و خيله.

فما أصبح الصباح، إلا- و قد ذهب وراح، و انقضت أيام دولته، و عظيم هيئته و صولته، و كان خروجه ليله ثالث عشر ذى الحجه الحرام ختام سنه ثنتين و ثمانين و ألف، فكانت مدّه دولته ستّ سنوات إلاّ أحد و عشرين يوما (1).

و قد تقدّم أنّه ولى شرافه مكّه المشرفه أربع مرار، و فى الرابعه توفّى إلى رحمه ربّه و سار:

فالدوله الاولى

هى التى قد مرّ بك تفصيلها، و أثبت و ضيعها و جليلها، فدونكها روضه أريضه، و جنّه طويله عريضه.

الدوله الثانيه

هو أنّه- رحمه الله تعالى و أفاض عليه شآبيب غفران توالى- لَمّا عزل عن الشرافه توجه إلى الطائف، ثم ارتفع إلى عباسه، ثم إلى تربه، ثم إلى بيشه و أقام بها، ثم سار منها إلى جهات عديده.

ثمّ توجه إلى الديار الروميه و أقام بها، و خدم الدوله العليه إلى سنه ألف و مائه و ثلاث، فمّنت عليه الدوله بمنصبه، و أنالوه أسنى مقصده و مطلبه، و صاحب مكّه إذ ذاك ولده الشريف سعيد، فأرسل إليه والده خلعه ليكون قائم مقامه، إلى أن يأتى

ص: ٣٠٤

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٢٦-٥٢٧، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٠٤.

فى سنته و عامه، أرسلها إليه فى أثناء السنه المذكوره.

ثم وصل هو بنفسه صحبه الحاج الشريف فى موسم ختام سنه ثلاث و مائه و ألف، واستمرّ بها متولياً إلى يوم الجمعة سابع ذى الحجة الحرام ختام سنه خمس و مائه و ألف، أخرجه منها إسماعيل باشا أمير الحاج الشامى، و محمّد باشا صاحب بندر جدّه، و وضعاً بدله الشريف عبد الله بن هاشم، كما سيأتى، و كانت مدّه دولته هذه ستين.

فصل

إشارة

فى حوادث دولته هذه

توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب:

فى السنه الاولى، و هى سنه أربع و مائه و ألف: توجه مولانا الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب القاطنين بين الحرمين، و هى قبيله عظيمه، إلاّ أنّها ملفقه لم يذكرهم أهل علماء النسب، كصاحب نهايه الإرب فى أنساب العرب (١)، و لا غيره، فقصدهم الشريف سعد إلى مواضعهم مقاتلاً لهم.

و سبب ذلك: أنّهم قتلوا سابقاً السيّد عبد الله بن السيّد أحمد الحارث، فألزم الشريف سعد بالخروج إليهم و قتالهم و استئصالهم السيّد ناصر بن أحمد الحارث أخو المقتول، فخرج مولانا الشريف و جميع الساده الأشراف و العساكر و البادية.

ولما استقرّوا فى ديرتهم، أرسلوا إلى حضره الشريف و بنى أعمامه، يلتمسون منهم الصلح و القيام بما يجب لهم، فامتنعوا و ثارت بينهم الحرب و استمرت، ثم

ص: ٣٠٥

(١-١) هذا الكتاب للعلامة أبى العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله القلقشندى المتوفى سنة (٨٢١)هـ.

كانت الصولة لقبيله حرب على مولانا الشريف و جيوشه، و عادوا إلى مكّه.

و فى سنه خمس و مائه و ألف: عاد إليهم مولانا الشريف سعد و الساده الأشراف بجيوش عظيمه لا تحصى، و لم يزالوا سائرين إلى أن اتّصلوا بهم، فنارت بينهم الحرب، و كانت للشريف سعد عليهم، و حصل بها المطلوب، و عادوا إلى مكّه فى غايه السرور (١).

عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه:

و فى موسم هذه السنه عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه المشرفه.

و سبب عزله: أنه كان ببندر جدّه شخص يسمّى محمّد باشا واليا من قبل السلطنه العليّه عليه، فعزل عنها، و فى أثناء ولايته و عزله وقعت بينه و بين حضره الشريف امور أوجب المشاحه و المباغضه بينهما، و صدرت منه سعايات فى الشريف المذكور عند الدوله العليّه.

ثمّ توجه إلى الأبواب العثمانيه، و اجتهد فيما هو بصدده، حتّى غير خاطر الدوله عليه، و صمّت على عزله، فبعثت محمّد باشا المذكور، و جرده من العساكر ليسير بهم إلى مكّه المشرفه صحبه الحاجّ الشامى، و على الحاجّ الشامى إسماعيل باشا أيضا أميرا بعساكره و خيله، و أن تكون كلمتهما واحده، و يتعاضدان و يتساعدان فى عزل الشريف سعد، و توليه الشريف عبد الله بن هاشم أياله أقطار الحجاز، فوصلا جميعا إلى مكّه المشرفه.

فخرج مولانا الشريف سعد للبس الخلعه على المعتاد، و هو فى غايه القوه من العساكر و الباديه و الساده الأشراف، فلمّا وقف فى الموضوع المسمّى بالمختلح

ص: ٣٠٦

منتظرا للخلعه، تحرّكت عساكر إسماعيل باشا و محمّد باشا، فعند تحرّكهم تحرّكت أيضا عساكر الشريف، فأوشك أن تقع الفتنة بين العسكرين في ذلك الوقت.

فحين رأى حضره الشريف ذلك رجع إلى مكّه، فلمّا حاذى طوى لحقته مراسيل إسماعيل باشا بالخلعه مع العذر له، لما لم يروا قتاله في ذلك الوقت صلاحا، و أنّ التأخير في ذلك أولى.

و لَمّا كان اليوم السابع من ذى الحجّه: طلب إسماعيل باشا و محمّد باشا السيّد عبد الله بن هاشم إلى الأبطح، و ألبساه خلعه الشرافه، و توجّها معه بالعساكر.

فلَمّا بلغ الشريف سعد ذلك، حفظ داره و ما حولها من البيوت و المنائر، و شحن الجميع بالعساكر.

فلَمّا أقبل الشريف عبد الله و الامراء و العساكر، منهم عساكر الشريف، فصدّوهم (١) عن النزول، فتراسل الرمي بالرصاص من الفريقين، و استمرّ من ضحوه ذلك اليوم إلى مضي نصف الليل من ليله ثمان، فخرج الشريف سعد بعد أن رفع جميع أوباشه، و توجّه إلى جهه اليمن.

و في صبح يوم ثمان: نودي للشريف عبد الله المذكور، و أمنت البلاد (٢).

القبض على الوزير عثمان حميدان:

و في هذا الشهر: بعد النزول من منى، قبض محمّد باشا على الوزير المكرم عثمان بن زين العابدين حميدان وزير الشريف سعد.

و سبب ذلك: أنّه كان بينه و بين هذا الوزير مشاحنات في أيام أيلته لبندر جدّه،

ص: ٣٠٧

(١ - ١) في «ن»: فصدهم.

(٢ - ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٧٨: ٢-١٧٩.

فأسرها في نفسه و لم يبد له شيئاً من ذلك، و كان يتعاطى خدمته و خدمه إسماعيل باشا، و يتردد عليهما لقضاء حوائجهما، و عند قرب سفرهما تواطئا على قتله، فأرسلا إليه و طلباه، و اعتقلاه في خيمه من خيام العسكر، و درّكابه (١) شخصان (٢) من كبار العسكر، و أمراه أن يأتي به إليهما بعد مضي ستّ ساعات من الليل ليقتلانه.

فلما جزم بالهلاك، اشتدّ به الحال، و آيس من الحياه، فاستند إلى صندوق في الخيمه و هو يفكر في حاله، فمضى جانب من الليل و هو على هذه الحاله.

فبينما هو كذلك و إذا الرجل الموكّل به منكبّ على وجهه يصيح مدد مدد، فحرّكه بيده و ناداه باسمه مرارا، فلم يجبه، فعظم روعته، ثمّ عمد إلى إبريق و أخذه بيده ليقول ثمّ يعود.

فلما خرج عن الخيمه، خيل له أنهم الآن ينتبهون و يعيدونه بغلاظه و إهانته، فعزم على العود، فأحسّ عند ذلك بدافع يدفعه إلى قدّام، مع زوال ما كان به من الارتياح، و وقده (٣) جميع الحراس المحيطين بالخيمه، فتقدّم و مشى، و لحقه غلام كان له كان معه، إلى أن أتصل بجدار المعلاّ، ثمّ قفز من الجدار إلى داخل المقبره، و اختفى ببعض المحالّ المقاربه لقبّه السيده خديجه رضى الله عنها.

فانتبهت الحراس، و أوقدوا المشاعل، و فزعت الخيل و العساكر خلفه و هو يشهداها، فلما غابت عنه زوال و همه قام و مشى في المقابر، و خرج من باب ترابه

ص: ٣٠٨

١-١) كذا في النسختين، و لعلّ الصحيح: و بركابه.

٢-٢) في «د»: شخصا.

٣-٣) في «ن»: و رقدت.

الشيخ محمد بن سليمان.

ثم أخذ طريق قلق عبد المطلب بن هاشم، ثم إلى وادي قضا (١)، ثم إلى المسجد الحرام، ثم إلى بيت الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فأخفاه، فأصبح الأميران يدوران عليه، ثم انحلت القضية بدفع مال عظيم، وأنجاه الله تعالى من ذلك الواقع، أخبرني جمع من الثقات بذلك نقلا عنه من فيه (٢).

الدولة الثالثة

لما عزل عن الشرافه توجه إلى جهة اليمن، وأقام به و جمع باديه، ثم أتى بهم و قاتل الشريف عبد الله بن هاشم و أخرجه منها، و دخل في سابع ربيع الثاني من سنة ست و مائه و ألف.

و لما استقر بها كتب إلى الدوله عرضا يعتذر إليهم فيما صدر منه، و يلتمس إبقاه في منصبه، فأجابته الدوله إلى مرامه، و استمر متوليا إلى يوم الجمعة تاسع عشر شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع عشره و مائه و ألف، نزل بها لولده الشريف سعيد في اليوم المذكور، و كانت مدّه دولته سبع سنين و سبعة أشهر و اثنا عشر يوما.

فصل

إشارة

في الحوادث الواقعة في مدّه دولته هذه

تغلب الأعراب على البصره:

ففي سنة ست و مائه و ألف: تغلبت الأعراب على البصره، و رئيسهم مانع رئيس

ص: ٣٠٩

١-١) في «ن»: شظا.

٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٨٤: ٢.

بنى المنتفك (١)، فأخرجوا من كان بها من قبل الدوله العثمانيه، و قتلوا الأمير حسن آغا و أخاه سرحان باشا أمير الحاج العراقي، ثم بعد استيلاء مانع و قومه على البصره أخذتها من أيديهم أشراف الحويزه (٢) و باديتها، و رئيسهم إذ ذاك السيد الشريف المعظم السيد فرج الله الحسيني (٣).

ثم أرسلوا إلى سلطان العجم يعرفونه بذلك، و يطلبون منه أن يبعث أميراً لحفظها، فبعثوا إليها أميراً.

ثم أرسلوا إلى الدوله العثمانيه يخبرونهم بما صار، و يعرفونهم أننا قد أرسلنا من طرفنا من يحفظها بطريق النياحه عنكم، فابعثوا من يسلمها؛ لأنهم كان بينهم في

ص: ٣١٠

١- (١) قبيله كبيره عرفوا باسم أبيهم المنتفق بن معاويه بن عامر بن عقيل، نزلوا حوالى بصره، و كانت زعامه البصره و حوالىها على أيديهم.

٢- (٢) و هم الموالى المشعشعيون، من أعقاب المولى محمد المهدي المشعشعي، حكموا الحويزه و ما والاها عدّه سنين، و كان أعظمهم شأنًا، و أجلهم نبلا، هو المولى محسن المشعشعي، فقد حكم الحويزه و البصره و حوالىهما ما يقرب من خمسين سنه.

٣- (٣) هو السيد فرج الله بن السيد على خان حاكم الحويزه، حكم الحويزه بعد أخيه السيد عبد الله خان سنه (١٠٩٨) و جرت بينه و بين أقاربه منازعات يطول شرحها، و استقرّ له حكم الحويزه، و ذلك في عهد الشاه سليمان الصفوي، و صدر له فرمان من الشاه حسين بتاريخ سنه (١١٠٤) يصفه بعالي جاه عمده الولاه العظام للسياده و الأياله و الشوكه و الجلاله و الاقبال السيد فرج الله خان والى عربستان، و كانت مدّه حكمه سنتين، ثم عزل و عين ولده السيد عبد الله، و ملك المترجم البصره سنه (١١٠٩). أعيان الشيعة ٨: ٣٩٦.

ذلك الزمن محاسنات و ملاطفات.

و فى سنة سبع: اعطى إسماعيل باشا المتقدّم ذكره مصر (١).

وفاه عبد الله أفندى عتاقى زاده:

و فى سنة ثمان: توفى العالم العلّامه، و الفاضل الفهّامه، شيخ الإسلام، و مفتى بلد الله الحرام، عبد الله أفندى بن شمس الدين عتاقى زاده، و كانت ولادته عام تسعه و أربعين و ألف.

قال صاحب لسان الزمان: و كان من أجلاء العلماء، طلب العلم و جدّ و اجتهد، و لازم الشيوخ، ثمّ ولى إفتاء مذهب الإمام أبى حنيفة بمكّه المشرفه، و كان ذاسمه و وقار و بهاء، و أخلاق حسنه، كثير التواضع لعامة الناس و خاصّتهم، كثير التحرى فى الفتوى.

و هو أوّل من حضرت مجلسه من العلماء و أنا صبى صغير بالطائف، و كان يقرأ فى بعض كتب الحديث، و يشرح ذلك شرحا حسنا بسكينه و وقار، و كان فقيها جيد المعرفه فى الفقه، و له مشاركة فى سائر العلوم، و اعطى السعاده و الرئاسه و القبول عند الأكابر ما لم يعطه أحد (٢).

المطر و السيل العظيم بمكّه:

و فى هذه السنه: حصل بمكّه مطر عظيم، و سيل كبير، دخل المسجد الحرام، و اعتلى إلى باب الكعبه الشريفه، و امتلأ المسجد الحرام، فاجتهد أهل مكّه خاصّه و عامّه فى نزع ذلك الماء، و إخراج الأوساخ، و استمرت الفعله فى إخراج التراب

ص: ٣١١

١- ١) فى «ن»: بمصر.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٠٣: ٢.

و تنظيف المسجد أربعه أشهر، و ادخلت الدواب إلى المسجد الحرام (١).

وفاه الشيخ أحمد القطان:

و فى سنة تسع و مائه و ألف: توفى الشيخ الجليل العلامة الشيخ أحمد القطان المكي.

قال صاحب لسان الزمان: ولد بمكة المشرفة، و نشأ بها، و جدّ و اجتهد، و كان ذا فهم ثاقب، و ذكاء مفرط، استقل على أجلاء الشيوخ، و شارك فى سائر العلوم المتداولة، و تصدّر للتدريس، فأخذ عنه الطلبة، و انتفعوا به فى سائر العلوم، و كان من التواضع و الديانة على جانب عظيم. إلى آخر ما ذكره ملخصاً (٢).

توجه العساكر العثمانية إلى البصرة:

و فى هذه السنة: وجهت السلطنة العثمانية إسماعيل باشا بعد عزله عن مصر، و محمد باشا المذكور سابقاً، بعساكر عظيمه إلى جهة البصرة، لتغلب البادية على أميرها من قبلهم، و استيلائهم على أطرافها، فسارا و أخذوا البصرة، و جرت بينهما و بين البادية حروب عظيمة.

وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى:

و فى سنة عشر و مائه و ألف: توفى الشيخ الجليل ذو القدر السامى النبيل، عمده الخاصّ و العامّ، و فاتح بيت الله الحرام، الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الواحد الشيبى القرشى. توفى فى حياه والده الشيخ عبد الواحد، و أعقب ابنين، و هما:

الشيخ محمد، و الشيخ عبد القادر.

ص: ٣١٢

١- ١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢٠٢: ٢.

٢- ٢) لسان الزمان لابن عقيله مخطوط لم أظفر عليه.

و في سنة إحدى عشره و مائه و ألف: توفى الشيخ الجليل الفاضل الأديب الشيخ عبد الملك بن جمال الدين العصامي صاحب التأريخ المشهور بأرض الحرمين الذي نقل منه في بعض المواضع من هذا التأريخ (١).

و لقد ترجمه (٢) صاحب السلافه، فقال: هو عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الاسفرائيني المشهور بالملأ- عصام، صاحب الحاشيه على الشرح الجديد على الكافيه، و الأطول الذي عارض به المطول، و غيرهما من التصانيف المفيده، و التأليف السديده.

و عبد الملك هذا إمام العلوم العربيّه و علامها، و المنشوره به في الخافقين أعلامها، و السالك أوضح مسالكها، و المالك لأزمتها و ابن مالکها، و ورد عذب الفضل نهلا و علا، و فاز من سهامه بالقدح المعلى، فجدد معنى العلم الدريس.

و نصب نفسه للإقراء و التدريس، و اشتغل بالتصنيف و التأليف، و تخلى عن كل أنيس و أليف، حتى بلغت مؤلفاته الستين، من شرح مفيد و متن متين، فلقب بخاتمه المحققين، و عدّ من أرباب الفضل و اليقين، إلى زهد و صلاح، و تقوى أشرق نورها في اسره وجهه و لاح، و إمام بالأدب و افر، طلع في افق الاحسان بدره المسافر، إلا- أنه قلّ ما أعار ذهنه و فكره، غير مسائل العلم التي خلدت في صحائف الأيام ذكره، فمن نظمه قوله مضمنا:

أهدى لمجلسه الكريم فرائدا تهدي إليه

ص: ٣١٣

١- ١) و هو كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالى.

٢- ٢) في «د»: ترجم جدّه، و هو غلط و تحريف.

كالبحر يمطره السحاب و لا له فضل (١) عليه

إلى آخر ما قاله صاحب السلافه (٢)، و لم يذكر انتقاله إلى رحمه ربّه و انصرافه، و السبب أنّه كان في قيد حياته، حين جمع ابن معصوم لسلافته (٣).

حصول و باء عظيم بمكّه:

و في سنة اثنتي عشره و مائه و ألف: حصل بمكّه و باء عظيم، حتّى أنّه لم يبق بيت إلاّ و قد دخله، و لكن من لطف الله أنّ الموت كان قليلا (٤).

غزوه عنزه:

و في هذه السنه: أقبل أمير الحاجّ الشامي حسن باشا بجيوش عظيمه لاستئصال قبيله عنزه، لما صار منهم في السنه التي قبلها، فحجّ ثمّ سار راجعا، و في رجوعه اجتمعت له عنزه بيكره أبيهم، فحصل بينه و بين عنزه قتال عظيم، فكسروا حسن باشا، و نهبوا غالب الحاجّ، بل لم يبق منه إلاّ النزر اليسير.

وفاه العلامة أحمد أفندي منجم باشي:

و في سنة ثلاث عشره و مائه و ألف: توفّي رئيس المحقّقين، و سلطان المدقّقين، العالم العلامة، و الفاضل الفهّامه، أحمد أفندي الشهير بالمنجم باشي (٥)، قاله

ص: ٣١٤

١-١) في السلافه: منّ.

٢-٢) سلافه العصر ص ١٢٢-١٢٤.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٢١٩.

٤-٤) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢: ٢٢٠.

٥-٥) هو العلامة أحمد بن لطف الله السلانيكي الرومي المولوي الصديقي، المعروف

صاحب لسان الزمان.

و رأيت في موضع آخر بخط بعض الأفاضل: إنه توفى في سنة ستّ عشره و مائه و ألف، و الله أعلم بالحقيقه.

قال: و كان هذا الرجل اعجوبه من عجائب الدهر، و فريده من فرائد العصر، و هو من الأروام، جدّ و اجتهد في طلب العلم، و قرأ على يحيى منقاري زاده، و غيره من أكابر العلماء، و صارت له يد طولى في علم المعقول و الحكميات و الطبّ.

و أمّا الفلك و التنجيم، فكان فريد دهره، و وحيد عصره. و كذلك كانت له اليد الطولى في علوم العربيّه، مثل النحو و الصرف و المعانى و البيان، و اتّسع في الأدب، و معرفه أشعار العرب، و تبخّر في علم التأريخ و أخبار الامم السالفه.

و اختصّ بصحبه السلطان محمّد خان بن إبراهيم خان، و لازمه نحواً من عشرين سنه، و كان من خواصّ جلسائه و ندمائه، و محترماً لديه مقبولاً عنده.

إلى أن قال: و كان خفيف الروح، لطيف الشمائل، كثير التواضع، حجّ في أيّام السلطان محمّد و هو في رئاسته، و رجع إلى اصطنبول، ثمّ عاد مرّه ثانيه، فأقام

ص: ٣١٥

بالمدينة المنورة، فأخذ عنه جماعه من أهلها و انتفعوا به، ثم أتى إلى مكه شرفها الله، فصحبته و جالسته، و قرأت عليه بعض الكتب، و انتفعت به، و له حواشى كثيره نفيسه على كتب المعقول و العربيه و غير ذلك. إنتهى ملخصا من لسان الزمان.

قلت: و قد رأيت له تعليقه على الحديث الشريف، و هو قوله صلى الله عليه و آله «إني تارك فيكم خليفين: كتاب الله تعالى، جبل ممدود بين السماء و الأرض، و عترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتكم به لن تضلوا، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» الحديث. و فى بعض الروايات زياده: فاعرفوا (١) كيف تخلفوني فيهما (٢).

قال رحمه الله: و قد نقلها سيدي الوالد دام فضله من خطه رحمه الله، و من خطه نقلت، لا يخفى أن فى هذا الحديث الشريف مواضع ينبغى للناظر المتبصر أن يقف فيها حتى يقف على ما فيها من النكات و المزايا:

أولها: تصدير الكلام بالجملة الإسميه المؤكده بكلمه «إن».

ثانيها: وجه نصب الخليفين، و عدم الاكتفاء بواحد منهما.

ثالثها: أن الظاهر من خلافه الكتاب أن تكون فى إفاده الأحكام الشرعيه الاعتقاديّه و العمليّه، و سائر ضروريات الدين.

ص: ٣١٦

١- ١) كذا، و لعل الصحيح: فانظروا، كما فى روايات القوم.

٢- ٢) رواه القندوزى بهذه الكيفيه فى ينابيع الموده ١: ١٢٠ برقم: ٤٥ عن الطبرانى فى الكبير برجال ثقات، و المعجم الكبير للطبرانى ٤: ١٥٤ حديث: ٤٩٢٢، و جواهر العقدين للسمهودى ٢: ١٧١، و جنى الجنتين للمحبي ص ٤٧، و مفتاح النجا للبدخشى ص ٣ مخطوط، و هو حديث متواتر جدا رواه الفريقين فى كتبهم، راجع تفصيل ما رواه العامه فى كتبهم إلى كتاب إحقاق الحق ٣٠٩: ٩-٣٧٥.

و أمّا خلافه العتره، ففيها احتمال إلى امور:

منها: كونها فى بيان ما خفى من أحكام الكتاب، و توضيح مشكلاته.

و منها: أن يكون فى إجراء الأحكام بين الامه.

و منها: تعليم الأخلاق المحمديه، و الصفات الأحمدية، بطريق الحال لا المقال، و على سبيل الإراده دون الروايه.

و منها: الوقوف على أسرار النبوه و باطن الشريعه.

و منها: المحبّه الخالصة التى تجب على كلّ مؤمن؛ لأنّ أصل الإيمان إنّما يحصل بتصديق النبى صلّى الله عليه و آله فى جميع ما جاء به، و كمال الإيمان إنّما يحصل بالمحبّه الخالصة فى حقّه، كما نطق به بعض الأحاديث الشريفه، فتكون المحبّه لتلك الخليفه عين المحبّه فى حقّه عليه الصلاه و السّلام.

رابعها: تشبيه كتاب الله تعالى بالحبل، ثمّ وصفه بكونه ممدودا بين السماء و الأرض.

خامسها: تأكيد العتره بأهل البيت.

سادسها: تعليق النجاه عن الضلال بالتمسك بهما جميعا، و هذا يشعر بأنّ كلّ واحده من الخيفتين فى أمر غير ما استخلف فيه الاخرى، و إلا قيل: بأيّهما أو بأحدهما.

سابعها: تعقيب هذا الكلام بعد تمامه بقوله «و إنّهما لن يفترقا» الخ، و وجه ارتباطه بما سبق.

ثامنها: إثباته بجملة إسميه مؤكّده، بأنّ خبرها جملة فعليّه منفيه بأداه دالّه على تأكيد النفى.

تاسعها: تخصيص الحوض بالذكر من بين سائر المواضع.

عاشرها: ما وقع في الزيادة المرويّه من قوله «فاعرفوا» الظاهر منه أن يكون للتنبيه، فعلى أى شيء تبه و ما قصد بقوله «كيف تخلفوني فيهما».

و الحادى عشر: أنّ العتره إن اريد بها معناها الحقيقى على ما يقتضيه التأكيد بأهل بيتى، كان الحديث نصًا فى خلافه أهل البيت عليهم السّلام، وهذا خلاف ما عليه أهل السنّه. وإن اريد بها المعنى المجازى، كان التأكيد لغوا، بالنظر إلى ما هو الأغلب فى التأكيد؛ إذ الغالب فيه دفع توهم المجاز، و كلامه عليه الصلاه و السّلام مبرىء عن الاشتمال على اللغو.

و الثانى عشر: أنّ هذا الحديث الشريف يدلّ بطريق المفهوم على وعيد عظيم، و هو أنّ من لم يتمسك بشيء من الخليفتين، أو تمسك بأحدهما و لم يتمسك بالآخرى يقع فى الضلال و لا ينجو منه، مع خفاء ما هو المراد من الخليفه الثانى؛ إذ لو لم يكن فيه خفاء لم يقع الخلاف بأنّ المراد من العتره هل هو المعنى الحقيقى كما يقتضيه التأكيد، أو المعنى المجازى كما يقتضيه ما اتفق عليه أهل السنّه، و الله تعالى أعلم.

رحم الله تعالى من يكشف القناع، و يرفع الحجاب عن وجوه هذه النكات الجليله، و يزيل ظلمه الشبهه بالتنوير و التوضيح، و من الله التوفيق للتحقيق. انتهت رساله المشار إليها، و هى تدلّ على تمكّن عظيم فى علم العربيّه و غيره رحمه الله تعالى.

وصول الأمر السلطاني بقراءه حديث بدء الوحي:

و فى هذه السنه: وصل الأمر الشريف السلطاني من حضره السلطان مصطفى، بأن يحصل مجمع بالمسجد الحرام فى ليله السابع عشر من شهر رمضان، و يقرىء فيه حديث بدء الوحي، ثم ينتقلون جميعا إلى الحطيم و يفتح البيت الحرام، و يقف

الشيبي و يدعو لحضره السلطان، ثم تفاض عليهم الفراء السمامر (١) على الشريف، و على قاضى الشرع الشريف، و على مفتى الحنفية بمكّه المشرفه البهيّه، و على فاتح بيت الله الحرام، و على شيخ الحرم الشريف، و أصواف و قفاطين على القارىء و الإمام و الخدمه و المباشرين، و صرر من الدراهم، و يمدّ لهم الحلوى و ماء السكر و السموم.

جمله المنصرف فى تلك الليله أربعة آلاف قرش إلا قليلا، و حضر فى تلك السنه الشريفه سعد شريف مكّه و سليمان باشا، و لم يزل مستمرا.

وفاه الشيخ حسن العجيمى المكى:

و فى ثالث شؤال من هذه السنه: توفى الشيخ الجليل، و المقام العالى النبيل، عمدہ العلماء الأعلام، و قدوه فضلاء الإسلام، العلامه الفهامة، صدر الدين أبو على الشيخ حسن بن على العجيمى المكى.

قال صاحب لسان الزمان: و كان آيه فى الذكاء و الفهم، و سرعه الجواب، و كثره الاستحضار، لم أر فى من رأيت أفصح عباره منه، و لا أجود بيانا إذا تكلم، فكان ألفاظه الدرّ النضيد.

ولد بمكّه رحمه الله تعالى، و طلب العلم، و جدّ و اجتهد، ثم توجه إلى المدينه المنوره، فصحب بها العارف بالله الكبير، و الولي الشهير، الشيخ أحمد بن محمّد القشاشى، و أخذ عنه العلوم الظاهره و الباطنه، و لقنه الذكر، و ألبسه الخرقه، و أجازه

ص: ٣١٩

١ - ١) الفراء جمع الفرو: شىء كالجبّه يبطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب و السمور. و السمامير جمع السمور: حيوان بّرى يشبه ابن عرس و أكبر منه، لونه أحمر مائل إلى السواد، تتخذ من جلده فراء ثمينه، و ربما اطلق السمور على جلده.

بالإجازات العامه و الخاصه فى جميع ما يجوز له أن يرويه عن مشايخه، و قرأ عليه كثيرا من كتب الأسماء و الخواص.

ثم رجع إلى مكه، فلأزم بها الشيخ العلامة الفهامة الشيخ عيسى المغربى الجعفرى، و أخذ عنه، و انتفع به، و صحب السيد العارف بالله الكبير الشهير، السيد عبد الرحمن المحجوب المغربى و انتفع به، ثم تصدّر للإقراء و التدريس بالمسجد الشريف، فانتفع الناس به.

إلى أن قال: و الحاصل أنه كان إماما فى سائر العلوم المتداوله، مع جوده الذهن، و ذكاء الخاطر، و رحل فى آخر عمره إلى الطائف و أقام به، و توفى فيه و دفن به.

إنتهى ملخصا.

نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد:

و فى يوم الجمعه تاسع عشر ذى القعدة الحرام من سنه أربع عشره و مائه و ألف:

نزل مولانا الشريف سعد المشار إليه لولده الشريف سعيد بن سعد بشفافه مكه المعظمه، كما تقدّم بيانه.

الولايه الرابعه

هو أنه لم يزل مع ولده مجللا مكرّما، إلى أن ثارت الفتنة بين ولده و الساده الأشراف، إلى أن أخرجوه منها، كما سيأتى ذلك فى ترجمه ولده إن شاء الله تعالى، فبابا مدّه ثم افترقا.

ثم وصل مولانا الشريف سعد إلى مكه بباديه اليمن على عقبه الطائف، و دخلها ضحى نهار الاثنين سلخ شهر رمضان سنه ستّ عشره و مائه و ألف، و أخرج من بها من طرف الشريف عبد الكريم بن محمّد الآتى ذكره فى ترجمته.

و استمرّ إلى غروب شمس يوم الخميس ثامن عشر شهر شوال، و كانت مدّته

ص: ٣٢٠

ثمانية عشر يوماً، وتوفّي إلى رحمه الله في الليلة التاسعة عشر من الشهر المذكور، و أتى به إلى مكّة المشرفه من أطراف المعابديه (١) لأنّه مات بها، وغسّل و كفنّ و دفن بقبّه السيّد أبى طالب بن حسن، رحمه الله الأبرار، وحشره مع أجداده الأئمّه الأطهار.

و كانت مدّه ولايته الأربع خمس عشره سنه و سبعة أشهر و تسعه أيام مفرّقه كما رأيت، و قد صار من الباديه الذين دخل بهم مكّه المشرفه فى هذه الدوله الأخيره نهب شنيع، و فعل فضيع، يدخلون بيوت أهل مكّه كأنّها بيوتهم، و ينهبون جميع ما فيها، و أهل البيوت واقفون يرون و لا يقدرّون على مدافعتهم.

ثمّ فى اليوم الثانى و ما بعده يدورون بهذه الأوباش المأخوذه فى سوق مكّه المشرفه، و يبيعونها على أهلها.

و أعجب من ذلك: أنّهم إذا فهموا أنّ هذا المشتري صاحب الحاجه المبتاعه، منعوا من البيع عليه لو أعطاهم مثلها، حتّى وقع بهم قضاء الله فى دخول الشريف عبد الكريم كما سيأتى، و قتلوا قتلاً شنيعاً، كما ستقف عليه فى ترجمه الشريف عبد الكريم إن شاء الله تعالى، و نسأله التوفيق.

ترجمه الشريف بركات بن محمّد بن إبراهيم بن بركات

اشاره

ابن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

قلت: قد تقدّم فى آخر ترجمه الشريف سعد الاولى، و وصول محمّد جاووش بتلك العساكر المصريّه، و إقامتهم بالزاهر، إلى أن وصل حسين باشا أمير الحاجّ الشامى، ختام سنه ثنتين و ثمانين و ألف.

ص: ٣٢١

ثمَّ صارت تلك الرَّجَّة يوم لبسه للخلعه، وعوده إلى مكَّه راجعا، ثمَّ إلحاقه الخلعه، خشيه منهم عن وقوع فتنه تذهب بواسطتها الامَّة، و كان مقصدهم أيضا قبضه، و تعدَّر عليهم ذلك، فأرأوا تأخير ذلك إلى منى ليحلقوا على بيته و يقبضوه، فلما فهم ذلك سرى ليله ثاني عشر ذى الحِجَّة الحرام، و لم يصبح إلا أثره، كما تقدَّم تفصيل ذلك.

قال العصامي: و لَمَّا كان ظهر اليوم الثاني عشر، حضر حسين باشا، و محمَّد جاوش، و أكابر الدوله، و امراء الحاجَّ، و استدعوا جماعه من الأشراف، منهم:

مولانا المرحوم السيّد أحمد بن محمَّد الحارث، و مولانا السيّد بشير بن سليمان، و مولانا الشريف بركات بن محمَّد، و أظهروا أمرا سلطانيا بصريح اسم مولانا الشريف بركات بن محمَّد في شرافه مكَّه المشرفه، و أنّها تحت تصرّفه، و البس خلعه الولاية في ذلك الجمع.

و نزل إلى مكَّه في موكب يبهر العين، و يدهش السمع، و نزل إلى بيت أبيه المعروف بزقاق ظاعنه، و وقفت على بابه الخيول صافنه، و هرعت السادات إليه و الأعيان، و الحضر و العربان، يهتؤونه بالملك و الولاية، و يدعون له بطول البقاء و الثبات بتوفيق العناية.

فأرّخ بعضهم عام ولايته بقوله نثرا ما نصّه «بارك الله لنا في بركات» إلا أنّه لسنه ثلاث و ثمانين، و التولية إنّما كانت في موسم اثنين و ثمانين، لكن التفاوت زياده سنه، أو نقصها عند أهل التاريخ مغتفر (1). إنتهى ما ذكره العصامي.

و قال في موضع آخر: قيل: إنّ ولايته كانت بسعي الشيخ محمَّد بن سليمان

ص: ٣٢٢

المغربى السوسى، و ذلك أنّ الشيخ المذكور تشفّع عند الشريف سعد فى رجل ازبكى كان يسمّى السيد محمّد الفصيحى، فعل جرمًا مع مولانا الشريف سعد، فلم يشفعه فيه، و ذلك فى سنه ثمانين و ألف.

فاتفق أنّ أخا الوزير الأعظم حجّ فى موسم تلك السنه، و كان له ولع فى علم (1) الفلك، فاجتمع بالشيخ محمّد بن سليمان المذكور، فأخذ عنه، و طلب من الشيخ أن يسافر معه إلى الأبواب السلطانيه، فسافر معه، و اجتمع بالسلطان، و طلب منه أن يزيل أشياء كانت بمكّه المشرفه، فأمر السلطان بإبطالها.

منها: أنّ صدقه السلطان جقمق كانت تقسم على أرباب البيوت حبوبًا، و كانت سابقًا تطبخ شربه و خبزًا للفقراء أصحاب القدر، فردّت إلى ما كانت عليه سابقًا، و اضيف إلى ذلك حبّ السلطان قايتباى.

و منها: توليته على جميع الأربطه، و أن لا تكون إلا لمن يستحقّها بشرط الواقف.

و منها: إبطال الدفوف فى الزوايا.

و منها: منع النساء من الخروج ليله المولد الشريف، و تمّ جميع ذلك، و جعله ناظرًا على جميع أوقاف الحرمين (2). إلى آخر ما ذكره. إنتهى.

و فى هذا الموسم: وصل صحبه حسين باشا كتابان للسيد حمود بن عبد الله المتقدم ذكره: أحدهما من الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلى، و الآخر من صاحب مصر. و كتابان آخران منهما إلى السيد الشريف أحمد بن محمّد الحارث، و مثلهما

ص: ٣٢٣

١- ١) فى السمط: بعلم.

٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٥٢٩: ٤-٥٣٠، و راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٠٧: ٢.

فأما كتاب السيد حمّود من حضره الوزير المذكور، فلفظه: فرع ذؤابه هاشم، و نبعه و شيخ المحامد و المكارم السيد حمّود، نظم الله عقوده، و أباد حسوده آمين.

و بعد: لا- يخفاكم (٢) أنّ الكعبه البيت الحرام، و مطاف طواف الإسلام، هو أوّل بيت وضع للناس، و أسّس على التقوى منه الأساس، و أنّه لم يزل في هذه الدوله العثمانيه آمنا و أهله من النوائب، و روضا مخصبا بأحسن الأطائب، إلى أن ظهر من السيد سعد من الأمر الشنيع، ما يشيب عنده الطفل الرضيع، و ما كفاه ذلك حتّى شدّد الخناق على أهل المدينه البهيّه، و أذاقهم كأس المنون رويّه.

فلما بلغ هذا الحال السمع الكريم السلطاني، أمر بعزل السيد سعد عن شرافه مكّه، و تفويضها إلى الشريف بركات، ليعمل فيها بحسن التصرفات، و تكونوا له عوناً (٣) و ظهيرا، و ناصحا و نصيرا (٤)، و كلّ من يتفرّع غصنه من دوحه فاطمه الزهراء عليها السلام، و تتصل نسبته إلى الذريه الغراء، تهدونه إلى طريق الصلاح (٥)، و ترشدونه إلى معالم النجح و الفلاح، و أنتم على ما تعهدونه من التكريم و التبجيل، و الله على ما نقول و كيل (٦).

ص: ٣٢٤

١- ١) في «ن»: شبير.

٢- ٢) في السمط: فلا يخفى عليكم.

٣- ٣) في السمط: معينا.

٤- ٤) في السمط: و مشيرا.

٥- ٥) في السمط: طريق الخير و الصلاح.

٦- ٦) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٢٧: ٤-٥٢٨.

و أما بقيه الكتب، فكلها بهذا المضمون، غير أنّ العباثر مختلفه، فلا حاجه إلى التطويل بنقلها، ففي هذا كفايه، مع كونها ليست بجيده النشر، كما تراه.

فصل

إشاره

في ذكر الحوادث الواقعه في أعوام دوله هذا الملك الهمام

مع ذكر وفيات بعض الأفاضل ممّا ساق إليه الأطلاع، و تفصيل شىء من أحوالهم و أقوالهم، مع إيراد لمع من فتوحات هذا الملك، و قطع من أحواله و أقواله و نوادره و قضاياه.

خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد:

ففي سنه ثلاث و ثمانين و ألف: خرج مولانا الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد من نواحي الشرق و تلك الجهات؛ لأنّ الشريف سعد كان لمّا توجه من مكّه المشرفه بعد تعريته من حلال شرافتها المفوفه، قصد الطائف و ناسه، ثم ارتفع إلى عيّاسه، فقضى منها إربه، ثم قصد تربه، ثم مقتضيات المعيشه، طوّحت به بلده بيشه، فامتار منها، ثم بان عنها، و لم يزل طلوع الهمة الهاشميه، إلى أن سنمته غارب السعاده بالديار الروميه (١).

و أما حضره مولانا الشريف بركات بن محمّد، فشمّر عن ساق اجتهاده، و أروى في قطع دار آل زيد عن بلاده، و قدح زناده، حتّى فرّقهم شذر بذر، و لم يبق أحدا من أتباعهم و لم يذر، و ترلّ إلى نفى بعض أهل الأسباب ممّن كان ينسب إلى تلك الأبواب، من ساقط لا يلتفت إليه، و لا يعول في المهمّات عليه.

و على هذا الريح نشر قلاع فلكه، في بحار خلافته و ملكه، فبرح من البلاد بعد

ص: ٣٢٥

(١ - ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٠، و إتحاف فضلاء الزمن ٢: ١٠٨.

تمهيداً، و تأطيد مباني الخلافة و تشييدها، خلف سعد و ذويه، ليبعده عن ملك أقطار الحجاز و نواحيه، و في خدمته محمد جاووش بعساكره، و لم يزالوا خلفه إلى تربه، ثم عاد إلى المبعوث، ثم دخل الطائف المحفوف باللطائف، و استمرّ به إلى شهر شعبان، و هو يمهد البادية و العربان، ثم عاد إلى مكّه المعظمه، متحلياً بعقود الرئاسة المنظمه.

و سبب عوده إلى الديار الحرميه: أنّه وصلت خلع سلطانيه، و مراسيم خاقانيه، صحبتته قاصد عظيم، قوبل بنهايه الاجلال و التكريم، و وضعت في مقام سيدنا إبراهيم، إلى أن وصل الشريف المشار إليه، و افيضت الخلعه عليه، و حصل في أواخر هذا الشهر قبض لبعض الأعيان، و نفى إلى بعض البلدان (١).

و في أثناء شهر شوال: خرج إلى ركه استدعى السيد حمود بن عبد الله (٢).

وفاه الشيخ إبراهيم الخياري المدني:

و في هذه السنه: توفي الشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني بالمدينه المنوره فجأه، و يقال: إنّه مسموم، و هذا البيت بيت علم و جلاله.

خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب:

و في سنه أربع و ثمانين: برز مولانا الشريف بركات و جميع الساده الأشراف العساكر المصريه و العربان، إلى قتال قبيله حرب المتقدم ذكرهم في ترجمه الشريف سعد، و شيخهم حال خروج مولانا الشريف بركات أحمد بن رحمه،

ص: ٣٢٤

(١-١) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٣٠:٤-٥٣١.

(٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٣١.

فحفروا خنادق قبل وصول مولانا الشريف إليهم، و تأهبوا للمقاتلة.

فأقبل عليهم بجيوشه، و نزل بدرا، و أقام به مدّة مصابرا لهم، و هم متحصّون في جبالهم و سبوره عليهم، و ساعاته في بعض قبائلهم بانحلالهم عن الآخرين، مع أنّه في كلّ عشره أيام أو أقلّ يزمر بالحرکه عليهم و الروب إليهم ليستظهرهم و يستنشرهم، ثمّ يحلّ عزمه عن القتال، فعل ذلك بهم مرارا عديده مع طول الإقامة، و تفرّق أكثرهم بهذه المصابره مع أشياء اخر، حتّى صاروا لا يهتمّون بحرکتة و لو عظمت.

ففي أثناء ذلك و ثب عليهم و ثوب الأسد، فكسرهم و استأصلهم، و أقام في أخذهم نحو ستّة أيام، و جيوشه تحمل أوباش حرب إلى بدر، و قطع نخيلهم.

و أمّا جثث القتلى، فهي مترادمه على بعضها في كلّ جبل و واد من تلك الجبال و الأوديه، مع سبي النساء، و قتل الأطفال حتّى أبادهم، و مهّد تلك الأقطار، و أجرى فيها أحكامه، و كانت هذه الواقعة من أعظم فتوحات هذا الملك المعظم (1).

و رأيت في بعض التواريخ أنّه كانت وقفه بين السيّد حمّود و بين السيّد أحمد بن غالب أحد ملوك مكّه المشرفه الآتى ذكر ترجمته الشريفه، و هذا قبل ولايته شرافه مكّه، فلمّا انتظم موقف الحرب، و آن وقت الطعن و الضرب، أقبل عليهما هذا الملك العظيم، بل الملك الكريم، و أقسم عليهما إلّا ما اصطلحتما في هذا الموقف، فاعتنقا و تصالحا.

و إلّا لكان الأولى بسياسه الملك أن يذكي جمره البغضاء بين هذين العظيمين،

ص: ٣٢٧

(١ - ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣١.

و يقرب كلاً منهما إليه، ليجتهد كل واحد منهما فيما يقربه من خاطر الملك، ولا عليه بأس في بقائهما متوافقين إلى أن ينقضيا، إنما لما كان دأبه و ديدنه لمّ شعث رفاقته لمحبتته لهم، و أن تكون كلمتهم واحده، و بذلك تنموا أقدامهم، و يرتفع صيتهم، عدل إليه عما كان هو الأولى لسياسه ملكه، فلله درّه.

وفاه القاضي عبد المحسن القلمي:

و في هذه السنه: توفى الفاضل النبيه، العالم العلامة القاضي عبد المحسن بن الشيخ سالم القلمي، و كان ذا فضل واسع، و اجتهاد في طلب العلوم شاسع، حفظ عدّه من المتون في مذهب الإمام أبي حنيفة، ثمّ تصدّر للتدريس، و ولى نيابه القضاء بمكّه المشرفه مراراً، و كان مع جلالته و رئاسته كثير التواضع.

(و في هذه السنه توفى الأديب الأريب، العالم الفاضل... (١) جدّ في طلب العلم، حتّى تقلّد منصب الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي بمكّه المشرفه، مع خفّه روحه و لطافته) (٢).

وفاه السيّد حمّود بن عبد الله:

و في سنه خمس و ثمانين و ألف: توفى زعيم الساده الأشراف، و رئيسهم بلا خلاف، السيّد حمّود بن الشريف عبد الله بن حسن، و كانت وفاته بالطائف، و دفن خلف حبر الامّه رضى الله عنه، و بنى على قبره تابوت و عليه حوطه، رحمه الله

ص: ٣٢٨

١ - ١) بياض في نسخه «ن».

٢ - ٢) ما بين الهلاليتين أضفناها من نسخه «ن» فقط، و لم يذكر اسم المتوفى. أقول: توفى في هذه السنه ممّن لم يذكرهم المؤلف: السيّد محمّد بن عمر شيخان، و العلامة فضل بن عبد الله الطبري المكي، راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١١٢: ٢-١١٣.

وفاه السيد أحمد بن محمد الحارث:

و فى تاسع رجب منها: توفى السيد الشريف، و الهمام القطريف، ذى الأخلاق الرضىيه، و المزايا المرضييه، السيد الشريف أحمد بن محمد الحارث المتقدم ذكره، حين ولّاه حسن باشا فى المدينه المتوره، و كانت وفاته بمكّه المشرفه، و دفن فى قبّه السيد مسعود بن حسن، و وضع عليه تابوت رحمه الله تعالى (٢).

قلت: و قد أرّخ وفاته صاحب لسان الزمان فى سنه أربع و ثمانين. و فى العصامى (٣) طبق ما ذكرناه، و هو المعتمد.

وفاه السيد عبد الرحمن المحجوب:

و فى هذه السنه: توفى السيد الجليل، و السند الأصيل، علم العلوم و المعارف، السيد عبد الرحمن المحجوب (٤).

قال صاحب لسان الزمان: و كان محبوبا فى القلوب، قلّ أن يراه شخص إلاّ و أحبّه.

إلى أن قال: و كان ذا همّه كبيره الشأن، كثير الشفاعات عند الملوك و الأكابر، باذلا نفعه لله تعالى، لا يرد أحدا ممن يقصده، و لا يصدّ من أراد به شفاعه أو

ص: ٣٢٩

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٢، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٣، إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٣.

٤-٤) هو السيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على الأندلسى المكناسى المغربى الشريف الحسنى الشهير بالمحجوب.

معروف، و كانت الملوك و الأكابر تقبل قوله، و تمثل شفاعته، و كان له عند شريف مكه الشريف زيد و جاهه عظيمه، و قبول تام، و كان يمثل أمره، و لا يخالف رأيه، و كان باذلا همته و كليته فى إصلاح شأن الشريف زيد محبا له، و كان بينهما من الموده أمر عظيم.

ثم إنه عرض له فالج منعه عن القيام و المشى، فأقام فى بيته يزوره الناس، و يقصدونه من كل جانب، و كان يلبس ثوبا واحدا، و يجلس على خصفه و عنده و ساده من آدم ينام عليها، و كانت تأتيه الندورات العظيمه، و الفتوحات و الهدايا من أرض الهند و الروم و العجم و المغرب و السودان، فينفق الجميع، و يستدين حتى يبلغ دينه عشره آلاف و خمسه عشر ألف أحمر، فإذا جاءته الفتوحات قضى دينه، و كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر.

و كان آيه فى الكرم، حتى أخبرنى عنه بعض الأصحاب أنه كان يقول: لو أعلم أن جسدى ينفع الناس لقطعته و أعطيته للخلق ينتفعون به، و له كرامات كثيره، نقل منها صاحب لسان الزمان شيئا كثيرا، و غير ذلك، و إنما نقلت ذلك ملخصا مع حذف كثير اختصارا.

توفى فى سبع عشر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره، و دفن بزوايه السيد سالم شيخان، و كان قد اشتراها منه، و أوصى أن يدفن بها (١).

وفاه السيد محمد الحسينى الشامى نقيب الأشراف:

و فى هذه السنه: توفى السيد العلامه محمّد بن كمال الدين الحسينى الشامى، نقيب الأشراف بمدينة دمشق، و كان واسع العلم، فاضلا نبيها، و له مؤلفات، منها

ص: ٣٣٠

شرح تنوير الأبصار، و حاشيه على شرح الألفيه لابن المصنّف، و حاشيه على تفسير البيضاوى، قاله صاحب لسان الزمان.

وفاه يحيى أفندى المنقارى:

و فى هذه السنه: توفى شيخ الإسلام، و مرجع الخاصّ و العامّ، يحيى أفندى بن محمّد أفندى المنقارى، مفتى الديار الروميه، و التخت السلطاني العثمانيه (1).

كان واسع العلم، جمّ الفضائل، له مشاركه واسع في العلوم، و غوص على دقائق المسائل، ترقى في المناصب إلى أن ولى قضاء مصر، ثمّ ولى قضاء الحرمين، و كان يدرّس بمكّه دروساً جليله، و يحضره أفاضلها، و له في تلك الدروس لطائف و ظرائف و تحقيقات، نقلت عنه و حفظته.

إلى أن قال (2): و له مؤلّفات منها حاشيه على تفسير البيضاوى، و حاشيه على حاشيه الملاّ يوسف القرباعى، و انتهت إليه الرئاسة في العلم، و حظى عند الملوك، ثمّ التمس النزول عن الإفتاء، و أن يكون فيه أحد تلامذته. من لسان الزمان ملخصاً.

وفاه الشيخ على الأيزى المكي:

(و فى هذه السنه: توفى الفاضل الشيخ على بن محمّد الأيزى الشافعي المكي) (3).

ص: ٣٣١

١- ١) فى «د»: العثماني.

٢- ٢) أى: العلامه محمّد بن أحمد عقيله صاحب كتاب لسان الزمان.

٣- ٣) ما بين الهاليتين من «ن» فقط، و لم توجد فى «د».

وفاه السيد أبو بكر بن سالم شيخان:

و في هذه السنه: توفى السيد الجليل الأصيل، الفاضل المثل، السيد أبو بكر ابن المرحوم المقدس السيد سالم شيخان، كان من أجله علماء التصوف، وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي وغيره، وله شعر لطيف (١).

وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي:

و في هذه السنه: توفى الفاضل الكامل، القاضي إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدي العمري، مفتي الحنفية بمكة المشرفه (٢).

خروج الشريف بركات إلى الفرع:

و في هذه السنه في سابع رجب منها: كان خروج حضره الشريف بركات إلى الفرع و أقطاره لتمرد أهله عليه، و خروجهم عن طاعته، فسار إليهم في التاريخ المذكور.

و خرج معه صاحب بندر جدّه بعساكره و مدافعه، فتلاقيا على عسفان، و سارا جميعا، و أدركهم شهر الصوم قبل وصولهم إليه بقليل في منزل يسمّى «قويزه» فأتم به صيامه و عيد، ثم توجه إليه و وصله، و نزل بقريه منه تسمى «أم العيال» و أمر السيد ناصر بن السيد أحمد الحارث بالنزول بقريه منه تسمى «أبو ضباع».

ثم استمرّ مقيما بتلك الديره، إلى أن أذهب جميع أموالهم و مزارعهم، حتى عادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال.

ثم لما مشى من عندهم، لزم خمسه و عشرين شخصا من كبار شيوخهم، و أتى

ص: ٣٣٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢، و ذكر أنّ وفاته كانت في ثامن صفر.

٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٢، و ذكر أنّ وفاته كانت سنه (١٠٨٦).

بهم الى مكّه في الحديد، إلى أن ماتوا بأجمعهم واحدا بعد واحد.

خروج السيّد سعيد بن بركات إلى الروم:

و في سنه سبع و ثمانين و ألف: كان مشى السيّد سعيد بن الشريف بركات إلى الديار الروميّه، و صحبته عرض من والده يلتمس فيه من الدوله العليّه أن تكون الشرافه بعده في ابنه السيّد سعيد، فأكرّمته الدوله لَمّا ورد إليهم إكراما تامّا، و أنالوه مطلوبه بأمر سلطاني وصل به، و تمّ له ذلك بعد وفاه أبيه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى (١).

وفاه الشيخ محمّد البكري الصديقي:

و في هذه السنه: توفّي الشيخ الجليل، الفاضل النبيل، الشيخ محمّد بن زين العابدين بن محمّد تاج العارفين بن أبي الحسن البكري الصديقي.

وفاه الشيخ حسين بافضل:

و في هذه السنه: توفّي الشيخ حسين بن محمّد بافضل بمكّه المشرفه، و كان ذا فضل.

وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسي:

و في هذه السنه: توفّي العالم العلامه شيخ الإسلام، الشيخ نور الدين بن علي الشبراملسي، كان رئيس العلماء، و مقدّم الفضلاء، انتهت إليه رئاسه العلم بمصر و غيرها.

ص: ٣٣٣

و فى سنه ثمان و ثمانين:صارت بمكّه قضيه (١)من أعظم ما يؤرّخ:لأنها من أكبر

ص:٣٣٤

١ - ١) و هى المجرزه الداميه الفجيعه ضدّ الشيعه الإماميه الاثني عشرية بمكّه،قتل فيها جماعه من علمائهم و صلحائهم و عبّادهم،بتهمه لا أصل لها،كما يظهر من هذه الترجمة و غيرها. قال العلّامه الشيخ أحمد الحرّ العاملى أخو العلّامه المحدث الكبير الشيخ محمّد العاملى فى كتابه الدرّ السلوك فى أحوال الأنبياء و الأوصياء و الملوك(٢:٣٣٩): و فى سنه تسع و ثمانين و ألف قتل فى المسجد الحرام جماعه من الشيعه على تهمه باطله،و كان أخى الشيخ زين العابدين بمكّه مجاورا،فخرج إلى اليمن،فتوفى بصنعاء اليمن رحمه الله. أقول:وقد وقع نظير هذه القضيه المؤلمه فى تاريخ مكّه المكرّمه مرارا،و من تتبع التاريخ يجد عدّه مواضع اتّهموا الشيعه بأمثالها،مع أنّها مجرّد تهمه لا أصل لها. فمن ذلك:ما وجدته فى المجلّد الثالث المخطوط من كتاب تاريخ مكّه المعروف إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ بنى الحسن،لجمال الدين محمّد بن على بن فضل الطبرى المكى المتوفى سنه(١١٧٣)و كان الفراغ من تأليفها سنه(١١٤٠)و النسخه حصّلت صورتها من إحدى مكّتبات القاهره. قال:و فى ثمانيه و عشرين شعبان سنه(١١٣٩)بعد صلاه العشاء اجتمعوا عساكر مصر و غيرهم على رجل من العجم،و جرّوه كغيس الغنم،و قد ثخنوه باللحم و الضرب و الشتم،و أطلعوه إلى الشرع الشريف،و شهدوا عليه أنّه تفلّ على الحجر الأسود المكرّم،و أنّه يسبّ الشيخين،فجلّده القاضى جلدا محكما،و استنطقه بالترضى عن الشيخين،فترضى،و تلك منه تقيّه لا تسمع،فسألوا القاضى حرقه،

المصائب فى الإسلام، و ذلك فى يوم الخميس ثامن شهر شوال من السنه المذكوره، اتفق أن أستار الكعبه الشريفه و الحجر الأسود و باب الكعبه لوثت بشىء نتن يشبه العذره.

فلما أصبح يوم الثامن المذكور، حصلت ضجّه عظيمه بالمسجد بين حضّار المسجد من الأتراك و أهل البلاد، و كان من جملتهم رجل من أعيان الأروام، يلقّب «درس عام» نسب هذا الفعل إلى الأرفاض (1)، كما قاله العصامى (2)؛ لأنّه كان ملازم المسجد، و يرى صلاتهم و كثرتها، و بعض حركات لهم يستغفر بها، فيهمّ أن يعدى عليهم، حتّى صارت هذه القضيه، فنسبها إليهم، و أنّها من أعمالهم.

فعمد إلى رجل من كبار أبناء أهل البيت، و هو السيّد الجليل الأصيل التقى الصالح، السيّد محمّد مؤمن الحسينى التقوى (3)، و كان فى تلك الساعه خلف

ص: ٣٣٥

-
- ١- ١) أى: الشيعة الإماميه التابعه لمذهب أهل بيت العصمه و الطهاره عليهم السّلام.
 - ٢- ٢) سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٣، نسبه إلى العصامى كناية عن عدم صحّه القضيه عند المؤلّف.
 - ٣- ٣) فى «ن»: القرشى، و فى السمط: الرضى. أقول: كان السيّد محمّد مؤمن الحسينى عالما فاضلا فقيها محدّثا صالحا تقيا ورعا زاهدا عابدا، له ترجمه مبسوطه فى المعاجم الرجاليه، لا بأس بالإشاره الإجماليه إلى بعضها كى يتّضح أنّ هذه القضيه كانت تهمه واضحه لقتل أمثال هؤلاء

المقام يتلو كتاب الله تعالى، فأخذوا المصحف من يده، وشرعوا يضربونه على رأسه، ثم جرّ علي وجهه، إلى أن أخرجوه إلى خارج باب السلام، ثم كرّروا عليه الضرب و الرمي بالحجاره إلى أن زهقت روحه، و اعترضهم حال خروجهم به من

ص: ٣٣٦

المسجد مجرورا سيّد آخر رفاعى (١)، فوضعه فوقه و ثلاثه آخرين أيضا، رحم الله الجميع برحمته الواسعه.

قال العصامى: و لقد رأيت ذلك الشىء و تأملته، فإذا هو ليس من القاذورات، و إنّما هو من أنواع الخضروات عجيب بعدس ممخخ، و أدهان معقّات (٢)، فصار ريحه ريح النجاسات، و كان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليله، و لم يعلم الفاعل لذلك، و غلب على بعض الظنون أنّ ذلك جعل عمدا و سيله إلى قتل اولئك، و الله العالم بالسرائر، و هو متولّى البواطن و الظواهر (٣).

وفاه السيّد إبراهيم بن محمّد الحسنى:

و فيها: توفى السيّد الشريف، و الهمام الغطريف، السيّد إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمى، صنو الشريف بركات، و كان ذا رئاسه و ديانه، و همّه و أمانه، مسموع الكلمه عند أخيه، و فصيلته التى تؤويه، و خلف أبناء أجله، قد طلّعا فى سماء الرئاسه أهله، فيساغ للقائل فيهم أن يقول:

إذا مات منهم سيّد قام سيّد قؤول بما قال الكرام فعول

نزول مطر عظيم:

و فى هذه السنه: حصل مطر عظيم ليله النفر من عرفه، و النحر بمنى، و استمرّ إلى بعد مضى نصف الليل (٤).

ص: ٣٣٧

١-١) يقال له: السيّد شمس الدين الرفاعى.

٢-٢) و هذه من عطريات الهند، كما رأيناها مرارا.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٤، إتحاف فضلاء الزمن ١١٨:٢.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٤، و إتحاف فضلاء الزمن ١١٨:٢.

السيلا العظيمة بالمدينه:

و فى سنه تسع و ثمانين:سالت اوديه المدينه المنوره سيلا لم يعهد مثله، فأخرب دورا كثيره، و ملأ تلك الحدائق دمارا، حتى صاروا يضرعون إليه تعالى ليلا و نهارا، أهلكت شخصا واحدا و امرأه و ولدها بالحمراء، و ذهب ببعض الجمال و الأحمال (١).

الفتنه العظيمة بالمدينه:

و فى سنه تسعين فى الثالث و العشرين من رمضانها:صارت بالمدينه المنوره فتنه عظيمه، و حادثه جسيمه، و هى أن بعض عساكرها من حفاظ و اردها و صادرها عدى على وزير حضره الشريف، ذى الظل المنيف، المتقلد عقد وزارتها من قبله، ذلك العام، على العاده المألوفه فى جميع الأعوام، و هو الجمال محمّد بن أحمد الخلفانى، و معه أنصار كثيرون، بدعوى أنه سب حضره السلطان فاستحقّ القتل، فاجتمعوا على بابه يطلبونه إلى الوجه الشرعى.

فأجاب بتفرّقه و تعيين الخصم، ثمّ يكون ما تريدونه، فامتنعوا عن سماع ذلك، ثمّ هجموا عليه و أوردوه حياض المهالك هو و من كان معه من جماعته.

فلما بلغ الشريف هذا الأمر الهائل، و القضاء النازل، عرض إلى الدوله العليه فى هؤلاء الفاعلين، و هم كانوا قريبا من ثلاثين نفرا، فورد الأمر الشريف بقطع جوامكهم و نفيهم عن البلاد (٢).

ص: ٣٣٨

١- ١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٤-٥٣٥، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١١٩.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٣٥، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٢١.

(و فى هذه السنه توفى الفاضل الفهامة الشيخ... (١) اجتهد فى طلب العلم، و أخذ عن فضلاء كثيرين، و اتسع فضله فى الفقه و الفرائض و الحساب و الفلك، و له تأليف حسنه، ذكرها صاحب لسان الزمان) (٢).

ظهور نجم له ذنب طويل:

و فى سنه إحدى و تسعين فى أواخر شهر شوال: ظهر نجم له ذنب طويل إلى جهة الشرق، و استمر إلى آخر السنه، ثم اضمحل (٣).

المطر و السيل العظيم بمكة:

و فى هذه السنه فى الثانى و العشرين (٤) من ذى الحجة الحرام: حصل بمكة مطر كأفواه القرب، و تحصل منه سيل عظيم، أذهب قريبا من خمسمائه شخص و جمالا- محمله (٥)، و أخرج الدور، و دخل المسجد الحرام، و ارتفع على المقامات، ما عدا مقام الحنفى و مقام الشافعى، و علا على قفل باب الكعبة، و ذهب بخلق كثيرين من الحاج المصرى.

و الحاصل أنه كان كالطوفان، و أرخ بلفظتى «طغى الماء» و أكثر أهل مكة يؤرخ

ص: ٣٣٩

١- ١) بياض فى «ن».

٢- ٢) ما بين الهلاليتين من نسخه «ن» فقط.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٥، و إتحاف فضلاء الزمن ٢: ١٢٢، و الدرّ السلوك فى أحوال الأنبياء و الأوصياء و الملوك ٢: ٣٣٩.

٤- ٤) فى السمط: الثانى عشر.

٥- ٥) فى السمط: و أخذ الجمال محملات.

وفاه السيّد أحمد شيخان العلوى:

و فى هذه السنه: توفى السيّد الأجلّ، السيّد أحمد بن أبى بكر بن السيّد سالم شيخان العلوى، نشأ بمكّه المشرفه فى حجر والده، و أخذ العلوم عن والده، و عن الشيخ عيسى المغربى، و عن السيّد عبد الرحمن المحجوب، و عن الشيخ محمّد بن سليمان المغربى، و أمره بالتدريس و الإفتاء، فدرّس و أخذ عنه الطلبة بالمسجد الحرام، و له شعر لا بأس به، مات بمكّه، و دفن بحوطه آل باعلوى (٢).

وفاه الشيخ محمّد المنوفى:

و فى هذه السنه: توفى الأديب الأريب، الفاضل النجيب، الشيخ محمّد بن محمّد بن أحمد المنوفى المكيّ.

و كان ذا فصاحه و بلاغه، دونهما قدامه و ابن المراغه، و علم متّسع وافر، و وجه فى الرئاسة سافر، تقدّم عند سلطانها الشريف زيد بن محسن، و وفى له بنجح آماله دهره المحسن، و تبخّر فى مذهب الإمام محمّد بن إدريس، و شيّد مغانى ربه الأيس، و خلف أبناء كرام، صاروا بعد اندراجه أعلام بلد الله الحرام (٣).

وفاه الشيخ أحمد باعتر الطائفى:

و فى هذه السنه: توفى الشيخ الصالح التقى، الشيخ أحمد باعتر الطائفى، سكن الطائف، و مدّ به ظلّ علومه الوارف، فانتفع به الناس، و ارتفع به عن سكّانه الشبهه

ص: ٣٤٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٣٥:٤-٥٣٦.

٢-٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٢١:٢-١٢٢.

٣-٣) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٢٣:٢.

و الالتباس، و بنى به مسجدا تيرا يعرف به، و إلى الآن عامر بسببه؛ لأنّه خَلَف أولادا أختيار، لهم بالطائف أعظم اشتهار، فقاموا به حسب الامكان، مع إقامه الصلوات، و تلاوه القرآن، و فقههم الله لأقوم طريقه.

وفاه الخطيب أحمد البرى المدني:

و فى سنة ثنتين و تسعين: توفى العالم العلامه، و الفاضل الفهامة، الخطيب أحمد ابن عبد الله الحنفى المعروف بالبرى المدني.

قال صاحب لسان الزمان: كان آيه فى العلم و الفهم، و جوده المنطق، و كان إليه المرجع بالمدينه المنوره، و هو المشار إليه فى ذلك الوقت، و كان يخطب بالمسجد النبوى، فىأتى بالخطب البليغه.

إلى أن قال: أخبرنى الشيخ تاج الدين بن أحمد الدهان، أنّ الخطيب أحمد كان إذا مرّ بالطرق بالمدينه المشرفه لم يجلس أحد فى طريقه: إمّا أن يقوم له فيتلقاه، أو يدخل فى داره إجلالا له، و كان رئيسا لطيفا، حسن المفاكهه (1). إنتهى.

و قد ترجمه السيد على بن أحمد معصوم فى كتابه سلافه العصر، بقوله: خطيب صبيغ بالفضل أديما، فكأثما عناه من قال قديما.

شرح المنبر صدرا لترقيه (2) رحيا

أترى ضمخ طيبا أم ترى ضمّ خطيبا

له الفضل الذى بهرت روايته، و رسخت فى تخوم العلوم درايته، و هطلت بالإفاده غمائمه، و سجعت على أفنان الفنون حمائمه، و الأدب الذى تناسقت فى

ص: ٣٤١

(١ - ١) لسان الزمان، مخطوط لم أظفر عليه.

(٢ - ٢) فى السلافه: لتلقّيه.

نظام الاحسان درره، و وضحت فى بهيم البيان حجوله (١) و غرره، فهو رايض جموح الكلام، و مصرف أعنه الأفلام، و منفق كساد المعانى و الألفاظ، و مكسد خطب قس فى سوق عكاظ، و خذ ما شئت من وقار و سكينه، و مكانه فى الزهد و التقى مكينه، و حفظ لدمام الصحبه، و رعى لعهود الأجه (٢). إلى آخر ترجمته رحمه الله تعالى.

و أورد له شعرا يشهد بنبله، و نثرا يدل على غزاره فضله، توفى و عمره ينوف على الثمانين، و قد رثاه جماعه من الادباء، و من أحسن ما رثى به قصيده الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد الخيارى المتضمنه لتأريخ وفاته، و مطلعها:

فجأ الأنام جميعهم خطب ألم بهم عجيب

و مصيبه قد أوجبت للطفل منها أن يشيب

ورزيه عظمت بدا ر المصطفى طه الحبيب

فقدوا الإمام الحافظ العلامه الشهم الخطيب

فهامه العصر الملتين بو عظه القلب الصليب

كنز الحقائق مجمع البحرين ذا الرأى المصيب

و منها و هو آخرها و فيه التأريخ:

مولاي فاهن بجنه الفر دوس و المأوى الرحيب

اختارك المولى لدا ر الخلد كى فيها تطيب

قد قيل لى ما ضبط هذا الأمر و الخطب العجيب

ص: ٣٤٢

١-١) فى السلافه: نجومه.

٢-٢) سلافه العصر ص ٢٥٩.

فأجبتة متأوها بلسان محزون كئيب

زل أول الأعداد من تأريخه تكن المصيب

و اسمع فقد وافا لنا تأريخه مات الخطيب (١)

وفاه إمام اليمن أحمد المؤيد:

و فى هذه السنه: توفى إمام اليمن الإمام أحمد بن القاسم بن الحسن، و كان لقبه المؤيد رحمه الله تعالى.

وفاه الشيخ حسن بن على الدهان:

و فى سنه ثلاث و تسعين: توفى الشيخ حسن بن على الدهان، ولد بمكّه سنه أربع و ألف، و مات و قد ناهز التسعين (٢).

خروج الشريف أحمد بن غالب من مكّه:

و فى شهر صفر منها: خرج السيّد الشريف أحمد بن غالب من مكّه مفارقا للشريف بركات، و معه خمسه و ثلاثون شريفا، فرحل إلى الديار الروميّه، و وصل الشام و صاحب أياته إذ ذاك حسين باشا السلحدار، فأكرمه هو و من معه من الساده الأشراف، و أنزلهم فى بيت نقيب الأشراف، و شملهم بجزيل إحسانه، و جميل برّه و امتنانه، فكتبوا عرضا متضمنا لشكوى حالهم، ملتمسين فيه نجاح آمالهم، و كتب هو أيضا بمثل ذلك، و أرسلوهما صحبه شريفين، و هما: السيّد محمّد ابن مساعد، و السيّد بشير بن مبارك، و أقاموا بالشام (٣).

ص: ٣٤٣

١- ١) لعلّ هذه الأشعار مأخوذه من كتاب لسان الزمان، و غير موجوده فى السلافه.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٦.

٣- ٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٦-٥٣٧، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٣: ٢.

وفاه الشريف بركات صاحب الترجمة:

و فى ليله الخميس الثامن و العشرين من شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره:

توفى الشريف بركات صاحب الترجمة و ملك مكه المعظمه، و صلى على جنازته الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبى القرشى بوصيه منه رحمه الله، و دفن عند الشيخ النسفى بوصيه منه أيضا، و كانت مدّه ولايته (١) عشر سنين و أربعه أشهر و ستّه عشر يوما (٢).

ترجمه السيد الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن

اشاره

بركات بن أبى نمى صاحب مكه المشرفه

كان جلوس هذا الملك الهمام، و الغضنفر القمقام، ذى المجد الراسخ، و الحسب الباذخ، و الفخر الشامخ، خدين الهمم العليه، و الآراء الساميه الجليه، علم أرباب الشجاعه و البساله، و معلّم أصحاب الرئاسه و الأياله، و الراوى لأحاديث الكرام (٣) و أبناؤه، عن نفسه العصاميه و عن آبائه.

شرف تتابع كابرا عن كابر كالرمح أنوب على أنوب

فى يوم وفاه والده و انتقاله، و طيران طاووس إقباله، فشمر عن ساعده، و قام بقوانين الملك و قواعده، و لا غرو أن يحذو الفتى حذو والده، و لشرافته نقل مختصر، قد ضبط كفيتهها و حصر.

و هو أنّه لما دعى الحقّ أباه، فأجابته و لباه، مشى جماعه من الساده الأشراف

ص: ٣٤٤

١- (١) فى «ن»: دولته.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٣٨، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٤: ٢.

٣- (٣) فى «د»: الكرم.

و معهم السيّد عمرو، قاصدين حضره قاضى الشرع الشريف، لرفع هذا الأمر ملتمين من جنابه العالى السديد، خلعه يلبسونها حضره الشريف سعيد، فسأل عن رضا الساده الأشراف، خوفا من وقوع الزيغ و الخلاف، فأجابه السيّد عمرو بما رآه، ممّا يرفع عن فكره الاشتباه.

فدفع إليهم الخلعه حسب مرادهم، بعد الإعزاز لهم فى إصدارهم و إيرادهم، فرقوا الخلعه إلى حضره الشريف، و ألبسوه إيّاها فى بيته السامى المنيف، كلّ ذلك كان قبل تجهيز والده المرحوم، و دفنه فى الموضع المعلوم، ثم نادى مناديه باسمه العالى، محفوفا بجمله البواتر و العوالى، و صحبته فخر الساده الأعظم السيّد عبد الله بن هاشم.

و فى اليوم الثانى: عقد مجلسا عظيم الشأن، ينطوى على كبار الساده و جميع الأعيان، و أبرز أمرا سلطانيا (مضمونه) (١) أنه ولى عهد أبيه، و خليفته فى المنصب دون سائر بنيه، فارتفع القيل و القال، و اطمأنت الخواطر فى جميع الأحوال (٢).

و فى ثانى عشر رجب من سنه ثلاث و تسعين: وصل قفطان من صاحب مصر لحضره الشريف سعيد بحرا (٣).

وصول الخلعه السلطانيه:

و فى ثامن عشر شهر شوال: وصلت الخلعه السلطانيه، و الأوامر الخاقانيه، صحبه رجل من الأعيان، من خدام حضره السلطان، فصار مجمع عظيم، فى

ص: ٣٤٥

١-١ (١) الزيادة من «ن».

٢-٢ (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٢-٥٤٣، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٤.

٣-٣ (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٣.

الموضع الشريف المعروف بالحطيم، فلبس الخلع به بحضور الأكابر و جميع الساده، و قرأت المراسيم على العاده، فحصل بذلك سرور تام، لمكان بلد الله الحرام.

إخراج الشيخ محمد بن سليمان:

و فى شهر شوال: ورد أمر سلطاني بإخراج الشيخ الجليل العلامة الشيخ محمد ابن سليمان المتقدم ذكره، فأرسل إليه القاضي و شريف مكة الشريف سعيد، فاستمهلهم ثلاثة أيام، ثم توجه بالسيد ثقبه بن قتاده فى الصبر عليه إلى الحج، فتوجه السيد ثقبه على الشريف و قاضى الشرع، فوجهاه فى ذلك، ثم توجه صحبه الحاج الشامي؛ لأن الأمر الوارد بإخراجه قد عینوا فيه مسيره إلى القدس، كما قاله العصامى (١)، و إلى أى موضع شاء، كما قاله صاحب لسان الزمان.

وصول الأمر السلطاني بتقسيم البلاد:

و فى أواخر سنه ثلاث و تسعين: وصل صحبه الحاج الشريف أمر سلطاني بتقسيم البلاد أربعة أرباع: ربع لشريف مكة، و الثلاثه الأرباع للساده الأشراف.

و السبب فى ذلك: أنه لما توجه الشريف أحمد بن غالب إلى الديار الروميّه فى السنه المذكوره، صدر من الشريف بركات عرض يتضمن شكايه حاله مع الساده الأشراف، و أنه ناله أشدّ التعب منهم؛ لعدم رضاهم بما كان يعطيهم إياه، فإنه قانع بالربع من محاصيل البلاد.

فجزموا بأنّ هذا مراد للشريف بركات، فأصدروا هذا الأمر بهذا المضمون، فوصل صحبه الحاج، فأراد الشريف سعيد كتبه، فبلغ الساده الأشراف ذلك، فاجتمعوا على الشريف و طلبوه منه، و ألزموه بإحضاره، فلمّا لم يربدا عن إخراجه

ص: ٣٤٦

أبرزه لهم، فسجلوه في المحكمه المكيه مضمونه.

ثم قسّموا مدخول البلاد و الإخوان أربعه أقسام، فوضعوا الشريف في الربع، و وضعوا السيد محمّد بن أحمد بن عبد الله بن حسن، و السيد ناصر بن أحمد الحارث، و جماعه من الساده في الربع، و وضعوا السيد أحمد بن غالب، و السيد أحمد بن سعيد و جماعه في الربع، و وضعوا السيد عمرو بن محمّد، و السيد غالب ابن زامل في الربع، فاستمرّوا على ذلك.

ثم حصل بينهم الزيع و الاختلاف بأسباب ذلك؛ لأنّ كلّ واحد من هؤلاء الأعيان ممّن بيده ربع رام أن يسوق سياق الملوك (١)، و استعدّ بالخدّام و الكتبه و العساكر.

و أكثرهم استعدادا في ذلك السيد أحمد بن غالب، فحصل عند الشريف تعب من ذلك، و أمره بترك العساكر، فامتنع مستندا إلى أنّ السوالف قد سبقت بذلك لصاحب الربع، و أسعفوه كبار الساده الأشراف على ذلك، فتوهم الشريف و طلب كفاله جمع من الأشراف عليه، فكفلوا على السيد أحمد.

و بهذه الأسباب حصل بمكّه لسكّانها غايه الاضطراب و النهب لبيوت مكّه ليلا و عناء ليس له آخر، فادّعى الشريف سعيد على الأعيان أهل الأرباع بأنّ البلاد قد خربت، و كثر فيها السرقة بالليل، فلا بدّ أن يصل من كلّ جماعه من أهل الأرباع أشخاص يعسون البلاد مع جماعتي، فعملوا بذلك، و لم تزل البلاد في غايه الاختباط و الخوف ممّا كان يصير بها من أشياء عديده لا يمكن تفصيلها

ص: ٣٤٧

(١ - ١) في «ن»: الملك.

و بيانها (١).

حوادث سنه أربع و تسعين و ألف:

و على هذه الكيفيه دخلت سنه أربع و تسعين.

وصول هديه جليله من الهند:

و فيها فى خامس شهر رمضان منها: وصل إلى مكّه المشرفه هديّه من ملكه «آش» و هى بلده بأقصى الهند، و تلك مقابل هديّه كان أهداها إليها الشريف بركات، منها ثلاثه قناطير ذهب مصطنع يصفى على النصف خالصا، و ثلاثه غلايين ذهبا، و ثلاثه أرطال كافور، و جانب عظيم من القرنفل و الجاوى، و آواق من الزباد الآشى، و للكعبه بخمسه قناديل، و مبخرتين و شمعدانين، و للمدينه كذلك قناديل و مباخر و شماعدين.

فنازع الساده الأشراف الشريف سعيد، طالبين منه الثلاثه الأرباع منها، فامتنع، فقامت النفوس بينهم و بينه، ثم وقع الصلح على إعطائهم النصف، قاله العصامى (٢).

وفاه الشيخ محمّد المالكى السوسى:

و فى هذه السنه: توفى العالم العلامه، و الفاضل الكامل الفهامة، المحقق المدقق، الشيخ محمّد بن سليمان المالكى السوسى.

قال صاحب لسان الزمان: أخذ العلم بالمغرب، و صحب أجلاء الشيوخ من أهل المغرب، و لازم أكابر العلماء، ثم رحل فطاف المغرب، ثم رحل إلى الشرق فدخل مصر، و أخذ عن أكابرها و علمائها، ثم دخل أرض الحرمين و أقام بالمدينه

ص: ٣٤٨

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٤-٥٤٥.

٢-٢) سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٥، و إتحاف فضلاء الزمن ١٢٧:٢.

المنوره، ملازما غالب أوقاته للذكر و الخلوه عن الناس.

ثم وصل إلى مكّه المشرفه، و صحبته الفضلاء، و أخذوا عنه، و كان عالما متصنفا متسعا، عديم النظير، فصيح المنطق (1)، ذا هيبه و جلاله، و فراسه في إصابه الرأي، و صار له بمكّه شهره، فاعتقده كثير من الناس. إنتهى.

قلت: و قد تقدّم له ذكر شريف فيما سبق من هذا التأليف، حين صحبه أخو حضره الوزير مصطفى باشا، و بلغه من ترقى مراتب العزّه ما شاء، إلى أن رحل معه إلى الديار الروميّه.

و اجتمع بسطان تلك الأقطار السّتيّه، و حصلت منه الإشاره بتوليه الشريف بركات لمكّه المشرفه و تلك الجهات، و رفع بعض امور تقدّم تفصيلها، و فوّض إليه النظر العامّ في الأوقاف و الربط الكائنه بالبلد الحرام، فانتهى إليه بمكّه الحلّ و العقد، حيث قلّد صاحبها من مننه الساميه ذلك العقد، و استصحب معه امورا سلطانيّه تتضمّن إجراء ملك الأحوال الرحمانيّه، فكان لا يقطع أمر بدون رأيه، و لا يعرف الإقبال و الإدبار بأحسن من توجّهه و رأيه.

بنى بمكّه رباطا للفقراء، يعرف باسمه العالى إلى الآن، و مقبره أيضا تعرف بمقبره ابن سليمان، و أقام بمكّه و أقطارها تلك المدّه، فأمره نافذ على قلّ غلاظه و شدّه، إلى أن تبدّلت تلك السعودات بالنحوس، و هبط بعد أن كان على الرؤوس، فورد في إخراجة الأمر السلطاني كما تقدّم، فتعب من ذلك أشدّ التعب و تندّم، فمشى صحبه الحاجّ الشامي إلى الشام، و بها دعاه داعي الحقّ، فسكن تربتها و أقام.

ص: ٣٤٩

(١ - ١) في «ن»: النطق.

و كانت وفاته فى حادى عشر شهر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره، و دفن بالصالحية بسفح قاسيون من التربه (١) اللانجيه المعروفه، و له التصانيف المفيده، و التأليف السديده (٢).

إدخال القناديل إلى داخل الكعبه:

و فى سادس عشر ذى القعدة الحرام من السنه المذكوره: ادخلت القناديل المتقدّم ذكرها إلى الكعبه، و علّقت فيها بحضور الشريف سعيد، و السيد محمّد بن حمّود، و نائب الحرم الشريف.

وفاه السيد محمّد بن أحمد:

و فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة المذكور: توفى السيد الشريف الأمجد، المنيف الأنجد، السيد محمّد بن أحمد بن عبد الله.

توقّف الساده الأشراف من العرضه:

و فى شهر ذى الحجه الحرام: توقّف الساده الأشراف من العرضه المعتاده مع الشريف سعيد، و بعد النزول من منى عقد مجلسا احتوى (٣) على صالح باشا أمير الحاج الشامى، و أحمد باشا صاحب بندر جدّه، و أمير الحاج المصرى ذو الفقار بيك، و جميع أعيان الدوله العثمانيه، و أنهى إليهم شكايه من الشريف أحمد بن غالب فى جمعه العساكر و مناكده له و فساده عليه، و فساد جماعته و عساكره فى البلاد، فأرسلوا إليه السيد غالب بن زامل ليحضر فى هذا المجلس، و يسمع دعوى

ص: ٣٥٠

١- (١) فى «ن»: بالتربه.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٤٧-٥٤٩ و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٢٨.

٣- (٣) فى «ن»: يحتوى.

فامتنع من الحضور فى بيت الشريف، إلا أن صار هذا المجلس فى المسجد الحرام، وإن كانت دعوى فيصلكم وكيلىنا، فأرسلوا إليه من جهه العسكر، فأجابهم بأن هذا قانون بيننا قد سلف، و حضره الشريف يعرف ذلك، و أسألوا كبار الساده الأشراف عن ذلك، هل هذا قانون لمن يكون بيده الربع أم لا؟ و أمّا ما ادّعاه من إفساد جماعتنا فى البلاد، فأسألوا عن ذلك، و تفحصوا و أطلقوا فى البلاد مناديا بذلك تظهر لكم الحقائق.

و فى مدّه هذه المراسلات قد اجتمع رأى الساده الأشراف على مقاومه هؤلاء إن صارت منهم حركه، فجمعوا مراجلهم و خيولهم، و لبسوا الدروع، و ألبسوا الخيل، و تأهبوا للقتال.

و كان من جمله المخاطبات أن أرسل صالح باشا للشريف أحمد: إنكم إذا لم تصطلحوا طوعا أصلحناكم بالسيف، فأجابه السيد أحمد بأنّ السيف لنا يا بنى هاشم، ما هو لفلايح الشام.

فلما وعوا جوابه مع كونهم غير جازمين بخطأ السيد أحمد، بذلوا الهمة بالصلح بينهما، على أن يكفل كلّ واحد منهما جماعه من الساده الأشراف، و كتبت بينهما حجّه بذلك، و التمسوا من السيد أحمد أن يصل إلى الشريف سعيد، فوصل إليه فى شهر الحجّ قبل خروج الحاجّ الشامى ليلا مرّه واحده.

و فى اليوم الثانى من هذا المجلس: وصل صالح باشا فى مرجه زهيده إلى بيت السيد أحمد بن غالب معتذرا فيما صدر منه، و قبل يده، فقابله السيد بما هو أهله من الإعزاز و الإكرام.

ثم دخلت سنه خمس و تسعين، و فى ثانى عشر محرّم الحرام منها: صارت قضيه بين الساده الأشراف و بين أحمد باشا صاحب بندر جدّه، و هو أنّه وضع يده على ربع الحبّ المختصّ بشريف مكّه، فخاطبوه فى ذلك، فلم يجبههم إلى مطلوبهم، فتركوه إلى يوم مسيره إلى جدّه، و فى ذلك اليوم تأهبوا المقاومة إذا لم يجبههم إلى ذلك، و يخلصهم ما هو لهم.

و كان اجتماعهم فى بيت السيّد محمّد بن حمّود، و المرسول إليه السيّد ثقبه، و الحال أنّه قد أرسل ثقله و حريمه، فصار أحرير من ضبّ، و قد خاطبه: بأنّك إذا لم توفى الساده الأشراف حقّهم، و إلّا- فيأخذون جميع أوباشك، و يهبون حريمك، ثمّ يقتلونك (١)، فأذعن بما هو لهم، و كتب على نفسه حجّه شرعيّه، و كفّل على نفسه معمارا كان بمكّه فى ذلك العام اسمه كرد أحمد، و جميع آغاوات العساكر المصريّه، و الوزير المكرّم عثمان حميدان المتقدّم ذكره، ثمّ خرج آخر النهار (٢).

و فى تاسع ربيع الأوّل منها: ورد إلى مكّه المشرفّه شخص من طرف السلطنه العثمانيّه، و معه قفطان للشريف سعيد، و أمره بلزم كرد أحمد المعمار.

و سببه: أنّه كان قد أرسله الوزير مصطفى باشا وزير الدوله العليّه لعماراه المسجد الحرام، و بعض عمارات فى بندر جدّه، فعمر فى بعض الروايات، و فرشها بالحجر الشيبكى، إلّا- بعض مواضع منها بقيت بلاطا، ثمّ عمّر عينا بجدّه جرّها من الموضع المعروف بالقوز، و عمّر بجدّه أيضا مسجدا و مناره و حمّاما، و عمّر أوقافا

ص: ٣٥٢

١- ١) فى «ن»: يقتلوك.

٢- ٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤: ٥٤٩.

كبيره موجوده إلى الآن على المسجد المذكور لمصارفه.

فلما حصل الغضب على استاذة الوزير المذكور من الدوله العليّه، بسبب ما نسب إليه من الولىس (١) من الكفّار على المسلمين، و كان هذا المعمار من خواصّ الوزير المذكور، فأرسلوا في لزمه و محاسبته، فلزمه الشريف سعيد و مرسل الدوله و حاسبوه، ثمّ كتبوا بذلك حجّه شرعيّه، و أخذه الرسول بعد ضبط جميع أمواله و تعلقاته، و ذهب به بحرا في شهر ربيع الآخر من السنه المذكوره (٢).

وقوع أمر عجيب بمكّه:

و في هذه السنه: وقع فيها أمر عجيب، و هو أنّ حرمه في جهه الشيبكه من نساء العرب وضعت كلبا، فخافوا الفضيحه، فقتلوه و دفنوه. إنتهى قاله العصامي في تأريخه (٣).

وفاه الأمير يحيى بيك الحسائي:

و في هذه السنه: توفّي الأمير المكرّم الأديب الأريب، يحيى بيك بن علي باشا الحسائي بالمدينه المنوره، و قد كان والده المرحوم علي باشا أمير الحسا، ثمّ آلت منه إلى ولده محمّد باشا، ثمّ استقلّوا بها العرب، و هم بنو خالد، فأقام علي باشا و أولاده بالمدينه المنوره، و قد أطال الشيخ عبد الملك العصامي الكلام في شأن يحيى بيك و والده علي باشا، فراجعه ثمّه (٤).

ص: ٣٥٣

١-١) الولىس: الخدعه و الخيانه.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٥٠.

٣-٣) سمط النجوم العوالي ٤:٥٥٠.

٤-٤) سمط النجوم العوالي ٤:٥٥٢-٥٥٥.

وصول خلعته للشرىف سعید:

و فى ثالث شهر شؤال من السنه المذكوره: وصل إلى الشرىف سعید خلعته من صاحب مصر، أرسلها إليه بعد أن أرسل يعرض إلى الدوله حال (١) مكّه المشرفه و ما صار فيها من الفساد؛ لأنّ الشرىف سعید كان قد أرسل ترجمانه إلى صاحب مصر يخبره بما وقع بمكّه المشرفه من الفساد، و يطلب إرسال عسكر يتقوى بهم، فأرسل إليه هذه الخلعته، و بعث إلى الدوله عرضا يتضمّن ما شكاه حضره الشرىف مع ترجمانه كما تقدّم، فوصلت الخلعته فى اليوم المذكور و لبسها.

كثره البلاء و المحن بمكّه:

و فى هذه السنه: اشتدّ الحال بأهالى مكّه المشرفه، حتّى كسرت البيوت و الدكاكين ليلا- و نهارا، و كثر القتل فى الطرقات و المنافذ، و اشتهر الفساد اشتهارا عظيما من العبيد و أتباع الساده الأشراف، و ربما آل الأمر إلى إيقاع الفساد بحريم الناس بمرأى من رجالهم، لا يقدرّون على ممانعتهم، فضجّت الامه، و تضرّعوا إلى الله تعالى فى رفع هذا البلاء عنهم.

فاستجاب الله دعاءهم بعزل الشرىف سعید عن مكّه المشرفه، و خروجه فى الليله الثامنه و العشرين من شهر ذى القعدّه الحرام أو اخر سنه خمس و تسعين و ألف، فكانت آخر مدّه دولته هذه (٢).

و كان لخروجه فى تلك الليله نقل لطيف و اتّفاق غريب، و هو أنّه كان فى ذلك اليوم، و هو يوم السابع و العشرين من ذى القعدّه، و قد صعد فى النهار إلى أحمد باشا

ص: ٣٥٤

١- (١) فى «د»: فى حال.

٢- (٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٥٥٥-٤-٥٥٦.

صاحب جدّه، و هو ببستان الوزير عثمان حميدان، و هذا البستان موجود إلى الآن، فاستمرّ عنده إلى ذهاب جانب من الليل، ثمّ نزل في قطعه من الخيل و قصد عقبه الحجون، ذاهبا إلى السيّد غالب بن زامل؛ لأنّه كان مقيما بذي طوى و نازل.

فصادفه (١) في مسيره رجل تسنّم غارب بعيره، فقال له: من هذا الملمّ، في الليل المدلهمّ؟ فأجابه بأنّه رجل من بني الصخر، أقبل قاصدا إلى أرباب المكارم و الفخر، فقال له: قد سقطت على الخير، فأبن لنا أبشير أنت أم نذير؟ إذا لم تبد لنا صدق كلامك، و إلا جرّعناك كأس حمامك.

فلما قطع بعدم نتيجة ذلك المكر و الكيد، أخبره بأنّي مرسل من الشريف أحمد ابن زيد، فأمسك عليه و ذهب به، و سأله عن حقيقه خبر صاحبه و سببه، فأوضح له الخبر، و صدّق في حديثه و برّ، بأنّ الدوله العثمانيه المكرمه، قد أنعمت على الشريف أحمد بن زيد بشرافه مكّه المعظمه، فارتفع شأنه هناك و علا، ثمّ أجهد ركائبه مقبلا حتّى لحق الحاجّ الشامي بالعلا.

ثمّ ألزمني بالمسير إلى مكّه كالتطالب، و حملني كتبا إلى السيّد أحمد بن غالب، ليكون قائم مقامه ببلاده، حتّى يصل صحبته حجّاج بيت الله و وفّاده، فأخذه من ليله و ذهب به إلى بيت السيّد عمرو، و استدعى بالسيّد غالب بن زامل، و السيّد عبد الله بن هاشم، ليرو كيف يكون إظهار هذا الأمر، فاتفق رأيهم على أن يعدلون بها إلى السيّد مساعد بن سعد، و يتلون قوله تعالى لِّلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ (٢).

ص: ٣٥٥

١- ١) في «ن»: فصادفه.

٢- ٢) سورة الروم: ٤.

فأرسلوا السيّد عبد الله بن هاشم إليه، ليأت به حتّى يبثوا حقيقه الحال عليه، فأتى به إلى ذلك المجلس المعلوم، و ماوى خبرهم المكتوم، ثمّ أخبروه بحقيقه هذا الأمر الوارد، صحبه ذلك القاصد، بأنّ الشريف قد منّت الدوله بإعطائها لعمّك، فأحبينا إنهاء شريف علمك، فالقصد أن تتوالى أمر بلاده، و تنادى بصريح اسمه، و تجتهد فى دفع الفساد و إبعاده.

ثمّ أرسل الشريف سعيد إلى جميع العساكر المكيه المصريه و اليمنيه، بأنّ الشرافه قد آلت إلى ذلك الشريف، فكونوا تحت أمر السيّد مساعد عاملين برأيه المنيف، و أودع السيّد مساعد جميع طوارفه على المعتاد، و خرج فى آخر تلك الليله و ترك البلاد، ثمّ توجه... (١).

ترجمه السيّد الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين

اشاره

ابن حسن بن أبى ندى صاحب مكّه المشرفه

قال الشيخ عبد الملك العصامى فى تاريخه عند ذكر الشريف أحمد المذكور: إنّه لما انفصل عن إمره مكّه هو و أخوه الشريف سعد إلى الطائف، ثمّ منها إلى بيشه، فأقام بها، و توجه الشريف أحمد إلى دير بنى حسين، فإنّ له بها أهلا و ولدا، و استمرّ مقيما بتلك الديره إلى أوّل ذى القعدّه الحرام.

فرحل عنها قاصدا المدينه المنوره لزياره جدّه عليه الصلاه و السّلام، فدخلها ليله السابع و العشرين ليله دخول الحاجّ الشامى، و واجه بها فى ذلك العام أمير الحاجّ الشامى فقابله بأتمّ الإجلال و الإكرام، و التمس منه إتمام بعض مرام من شريف مكّه الشريف بركات.

ص: ٣٥٦

ثم رحل من المدينة المنورة ثاني شهر ذي الحجة الحرام من العام المذكور، ونزل على شيخ حرب أحمد بن رحمه، واستمرّ عنده إلى عود الحاجّ الشامي، فواجهه الباشا وأخبره بعد تمام ذلك المرام، بعد أن أرسل إليه الخبر من مكّة بالإعلام.

ثم توجه في أوّل عام أربعة وثمانين إلى الفرع، واستمرّ به مدّة يسيره، ثمّ لما خرج الشريف بركات إلى حرايه حرب في أواسط السنه المذكوره، عاد إلى حرب و حضر الحرايه، ثمّ بعد انقضائها توجه أيضا إلى الفرع، ثمّ أرسل إليه أخوه الشريف سعد، واستمرّ بين السوارقيه و الفرع، وأكثر الإقامة الفرع.

ولمّا توغّد الشريف بركات لأهل فرع أوائل سنه خمس و ثمانين، تنحّوا إلى جهه وادي النقيع من ديريه حرب من بنى السفر و بنى على و عوف، واستمرّوا من معهما إلى شهر رمضان، ثمّ عنّ لهم التوجه إلى الديار الروميه، والأبواب العليه، فوصلوا إلى حول المدينة الشريفة، ونزلوا بالغابه مجتمع الأسيال غربى احد أواخر رمضان، فعّيدوا فى ذلك المحلّ، وليس فى نزل الاسود بالغابه، ملامه و لا معابه، و تقصّوا مصالح و أغراضا، و تزوّدوا منها.

وقد أخبرنى الثقه بأنّهما اجتماعا بالمحلّ المعروف ببئر واسط لمولانا السيّد مبارك و الحارث، و كان هو المشير عليهما بقصد الأبواب العاليه، و ترخّلوا من الغابه خامس شهر شوال من السنه المذكوره متوجّهين إلى الشام، لا يمرّون بحىّ من الأحياء إلّا أكرمهم بمزيد الإكرام.

و من أعجب الاتّفاق: نزولهم على مراح بن سحيم من غير علم منهم بذلك، و كان الشريف سعد قد قتل أباه، فلمّا علم بهم و علموا به حصل لهم كرب عظيم، فلم يشعروا إلّا و ولده مواجه لهم بالعبوديه و السلام، و الإجلال و الإعظام، و أهدر دم

والده و أكرمهم، و ذبح لهم الذبائح، و منح المنائح، و هذه لا شك أنها معجزه من جدّهم، و كرامه من سعادته جدّهم.

و لم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مرّوا عليه من العربان، من جمع و وحدان، إلى أن وصلوا الشام، فتلقاهم أهل الشام و امراؤها و علماءؤها، و كبرائها و أشرفها و نقباؤها، و كان يوما مشهودا.

ثم أقاموا بالشام، و أرسل صاحب الأمر بها يستأذن لهم بالوصول، فعاد الجواب بالإذن، فتوجهوا و دخلوا إلى أدرنه في ربيع الأوّل من سنة ستّ و ثمانين، و حصل لهم من المقابلة و اللطف، ما يكلّ (١) عنه الوصف، فأقاموا مدّة يسيره، ثمّ توجهوا بأمر من الدوله العليه إلى إسلامبول، و استمرّوا بها بقيه سنتهم المذكوره.

ثمّ دخلت عليهم سنة سبع و ثمانين و هم بها، فلما كان شهر صفر من السنه المذكوره وصل مولانا السلطان و جميع الدوله من أدرنه إلى بلاد إسلامبول.

و في شهر ربيع الثاني: أنعم على مولانا الشريف سعد بولايه المعزّه، و أمره بالتوجه إليها، و استمرّ بها يتجهز إلى أن كان خروجه إليها حادي عشر جمادى الاولى.

و استمرّ مولانا الشريف أحمد بإسلامبول، و عرضت عليه ولايه طرسوس، و هي بلد بساحل الشام، و اخرى بجهه الروملى، فلم يقبل واحده منهما، و كان جوابه: إن تفضّلت بولايه بلادنا، و إلا فنحن تحت أعتاب السلطنه العليه.

و استمرّ السلطان بإسلامبول إلى أواسط شعبان من السنه المذكوره، ثمّ توجه إلى أدرنه أيضا، ثمّ بعد خروجه في ثاني أو ثالث مرحله، توفّي الوزير أحمد باشا

ص: ٣٥٨

(١ - ١) في السمط: ما يقصر.

بعد أن خرج مريضا، فاعيد إلى إسلامبول و دفن بها، و تولّى مكانه قائم مقامه مصطفى باشا.

و استمرّوا متوجّهين إلى أدرنه، و أقاموا بها إلى آخر السنه المذكوره و شهر من أوّل سنه ثمان و ثمانين، ثمّ عادوا إلى إسلامبول أيضا في شهر صفر أيضا، و تأخّر الوزير أيّاما ثمّ وصل، و استقرّت الدوله بإسلامبول.

و استمرّ مولانا الشريف أحمد مقيما بها تحت ظلّ الدوله العليه، و في كلّ سنه يتجدّد له من الإكرام و الترقّيات ما فوق المرام، و في كلّ شتاء بثلاثائه بغل محمله من جميع ما يحتاج إليه البيت، و زيد في سنه إحدى و تسعين ثلاثائه اخرى.

و حصلت بينه و بين قزلار آغاسى محبته أكيدة، و طلب الاجتماع بالوالده، فاجتمع بها، و أغدقت عليه سوايح الإنعام، و وعدته بتمام المرام، و قد سيق وعدّها وعد الملك العلام.

و استمرّ كذلك إلى سنه ثلاث و تسعين و ألف، فوصل فيها إلى الديار الروميّه السيّد محمّد بن مساعد، و السيّد مبارك بن بشير، مرسولين من السيّد أحمد بن غالب من الشام، فركبا إليه و قتيلا عنده، فأوحى بعض المفسدين إلى الوزير الأعظم، و قال: إنّ إقامه مولانا الشريف أحمد بإسلامبول يخشى منها، فالأولى عدم إقامته بها، فأحضره الوزير و ألبسه قفطانا بولايه «كرك كنيس» إسم محلّ بينه و بين أدرنه ثمان ساعات فلكيه.

و كان قبل ولايته بشهرين ارسل بأخيه الشريف سعد إلى البلد المسماه «ويزه» بكسر الراء و تخفيف الزاي، و هي أيضا قريب من كرك كنيسه، بينها و بينها ثمان ساعات أيضا.

و استمرّ كلّ منهما بمكانه إلى سنه أربع و تسعين، فتوجّه السلطان إلى السفر،

فَعِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى أَدْرَنَةَ فَسَحَ لَهُمُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى حَيْثُ شَاؤُوا مِنَ الدِّيَارِ الرُّومِيَّةِ، فَتَوَجَّهَ الشَّرِيفُ سَعِدٌ إِلَى إِسْلَامْبُولَ، وَاسْتَمَرَ الشَّرِيفُ أَحْمَدُ فِي بَلَدَتِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَطَابَتْ لَهُ وَتَأَنَّسَ بِهَا.

إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةٌ خَمْسٌ وَتِسْعِينَ، فَوَصَلَ فِيهَا تَرْجَمَانَ الشَّرِيفِ سَعِيدٍ يُعْرَضُ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ، يَذْكَرُ فِيهِ مَا شَرَحْنَا مِنْ إِفْسَادِ مَكَّةَ بِأَيْدِي الْعَبِيدِ، وَالنَّهْبِ الَّذِي لَا يَنْقُصُ بَلَّ يَزِيدُ، وَأَنَّ الْبِلَادَ خَرِبَتْ، وَالْأَحْوَالَ اضْطَرَبَتْ، وَطَلَبَ مِنْهُ عَسْكَرًا لِإِصْلَاحِهَا، وَمَالَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى أُمُورِ نَجَاحِهَا، وَأَظْهَرَ أَنَّهٗ مَغْلُوبٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا فَمِنْهُ وَإِلَيْهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ أُرْسِلَ رَسُولًا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ، بِالتَّعْرِيفِ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَأُرْسِلَ مَعَهُ التَّرْجَمَانَ الْمَذْكُورَ، فَوَصَلَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ، وَحَصَلَ عِنْدَ الدَّوْلَةِ (١) الْعَلِيَّةِ اضْطِرَابٌ لِهَذَا الْخَبِيرِ، فَاشْتَوَرَتِ الدَّوْلَةُ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى أَنْ لَا يَصْلِحَ هَذَا الْخَلَلُ إِلَّا أَهْلَهُ (الْعَرَّيفُونَ) (٢) وَحِمَاتِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ عَرِيقُونَ.

وَ بَرَزَ فِي الْوُجُودِ مَا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ كَامِنًا، وَمَا قَدَّرَ بِهِ لِبَلَدِهِ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ آمِنًا، فَاسْتَدْعَى مَوْلَانَا السُّلْطَانَ وَهُوَ مُقِيمٌ بِأَدْرَنَةَ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنَ السَّفَرِ مَوْلَانَا الشَّرِيفُ أَحْمَدُ مِنْ مَحَلَّةِ كَرَكِ كَنِيسَةِ الْمَذْكُورَةِ، يَوْمَ ثَالِثِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَبَادَرَ بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَقَابَلَهُ بِغَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالتَّحِيَّةِ وَالْقِيَامِ، وَوَضَعَ كَفَّهُ بِكَفِّهِ، وَتَصَافَحَا مِنْ قِيَامٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ صَلِّ

ص: ٣٦٠

١- ١) فِي السَّمْطِ: السُّلْطَانَةُ.

٢- ٢) الزِّيَادَةُ مِنَ السَّمْطِ.

علي محمّد و علي آل محمّد عليه الصلاه و السّلام».

فكان أوّل خطاب وقع بينهما أن قال: يا شريف أحمد الحجاز خراب، اريدك تصلحه، فوضع يده على رأسه ممثلاً للأمر، فألبسه ثمّ جلس، و أمر الشريف أحمد بالجلوس، و كثر عليه الكلام الأوّل مرّتين أو ثلاثه، و هو يجيبه بما أجاب به أوّلاً.

ثمّ التمس من حضره السلطان بعض أوامر سلطانيه، فأمر له بها، و قدّم له مركوب جميل مكمل، و أتبعه من الإكرام و الإحسان، ما لم يحصره بنان و لا بيان.

و استمرّ في أدرنه إلى يوم التاسع من شوال المذكور، ثمّ توجه إلى كرك كنيسه، فأقام بها يومين، و ضمّ مفرّقات اموره و أحواله، و أوصى على أهله و عياله، ثمّ توجه إلى إسلامبول، و منها إلى أسكدار.

ثمّ جدّ في مسيره ليلا و نهاراً، و أرسل إلى أمير الشامي يتربّص له بالعلاء، و أرسل كتاباً إلى السيّد أحمد بن غالب ليكون مقامه، و كتاباً إلى الوزير المكرّم عثمان حميدان، كما تقدّم ذكره، و لحق الشامي بالعلاء، و دخل المدينه المنوره، و لبس الخلعه السلطانيه بحجره جدّه كما لبسها أبوه، و استسرت القلوب برؤيه محياه، و تبلّجت الوجوه. إنتهى نقل العصامي مع حذف و اختصار (1).

قلت: قد اتّضح لك من نقل العصامي، بيان نقل هذا السيّد الشريف السامي، إلى أن لحظته عين العنايه الربّانيه، فعطفت عليه عواطف الدوله العثمانيه، فأنالته غايه مأربه، و سنّمته ذروه منصبه، كما قد مرّ بك إيضاحه، و تبلّج لك صباحه، فورد مكّه المشرفه، رافلاً في حلل الشرافه المفوفه، و برز على افق مكّه من تلك المطالع، كالبدر الطالع، فأمنت بقدمه البلاد، و اطمأنت العباد.

ص: ٣٦١

و كان دخوله إلى مكه في اليوم السابع من ذى الحجه الحرام إنتهاء سنه خمس و تسعين و ألف.

و أما ورود الخبر بشرافته، و النداء باسمه الشريف، فكان في اليوم الثاني و العشرين من ذى القعدة من السنه المذكوره، كما تقدّم ذلك في آخر ترجمه الشريف سعيد بن بركات.

و أما لبسه لخلعه الشرافه، فكان في اليوم الثالث من شهر شوال من السنه المذكوره.

و قد أرّخ ولايته الأديب الأريب جمال الدين محمّد على بن سليم بقوله و أجاد:

حين بشرى الشريف أحمد و أفت ملاً الكون بشرها و تجدد

عاود التخت مالكا قلت أرّخ عود يمن بذلك العود أحمد (١)

و أرّخ ولايته أيضا الأديب الفاضل الشيخ عبد الملك العصامي بقوله:

قضى إله العرش ربّ السما أنك والى الفرش صوانها

و أنها بعد خراب بها (٢) حسا و معنى أنت عمرانها

قال حجاجى و هو من طفحه الس كر من الأفراح نشوانها

يجيد فيه ضبط تأريخه أتى إلى مكه سلطانها (٣)

ص: ٣٦٢

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٤.

٢-٢) فى السمط: و أنك من بعد خراب بها.

٣-٣) سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٤.

فى حوادث أيام شرافته و مدّه ولايته و خلافته

قدوم الوزير محمد على بن سليم:

و أولها افتتاح سنه ستّ و تسعين، ففى ثانى عشر جمادى الآخرة: كان قدوم الوزير المكرّم الجمالى محمّد على بن سليم، ناظم التأريخ المتقدّم، من نواحي اليمن، كان هذا الرجل وزيرا لأخيه الشريف سعد فى دولته الاولى، و كانت له فى تلك الدوله يد طولى.

ثمّ خرج من مكّه ليله خروج مخدومه، و توجه تلقاء اليمن و أقام بها مترقبا لقدمه، و صار فى غيابه ذاك نقض و إبرام لماله بمكّه من الأملاك.

و لمّا بلغه وصول الشريف أحمد إلى أقطار الحجاز، أقبل عليه، فعامله بالإكرام و الإعزاز، فألقى بها عصاه، و استوطن من العزّ أقصاه، فهذه نتيجة عاقبه الصبر على حدوث الأيام و حوادث الدهور و الأعوام، فلا بدّ أن يعقبه الفرج، و يرتفع ذلك الحرج.

هى الأيام و الغير و أمر الله منتظر

أتىأس أن ترى فرجا فأين الله و القدر (١)

وفاه الشيخ يحيى بن محمد النابلى:

و فى هذه السنه: توفى العالم العلامه، و الفاضل الكامل الفهّامه، أبو زكريا يحيى ابن الفقيه الصالح محمّد البابلى (٢) الشاوى المليانى المغربى (٣).

ص: ٣٦٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٥.

٢-٢) فى «د»: النسائلى.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٥.

قال صاحب لسان الزمان: كان إماما فاضلا نبيها، سكن مصر و أقام بها، و أخذ الناس عنه بها، و له مؤلفات، منها: حاشيه على أمّ البراهين للسوسى نحو عشرين كراسا، و شرح على التسهيل لابن مالك، و كتاب فى النحو لطيف، و كان آيه فى الحفظ و الفهم. انتهى.

وفاه الشيخ أحمد البشيشي:

و فى غزه شهر رجب: توفى الشيخ الجليل، الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشيشي الشافعى المشهور، و كانت ولادته سنه إحدى و أربعين و ألف، و له عدّه شيوخ أخذ عنهم، حتّى صار إماما فى جميع العلوم، و قصده الفضلاء إلى مصر، و نشر بها العلوم، ثمّ رحل إلى مكّه المشرفه حاجا، و أقام بها ثلاث سنوات، ثمّ عاد و توفى فى بلده بشيش فى السنه المذكوره (١).

دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه:

و فى شهر شعبان من السنه المذكوره: دخل شيخ آل ضفير سلامه بن مرشد بن صويت مكّه المشرفه، فأنزلهم الشريف أحمد بخيام قد نصبها لهم بالمحصّب، ثمّ سمح عنهم و أخذ لهم خواطر الساده الأشراف جميعا؛ لأنّهم كانوا جنيه لهم، و وصلوا فى أمان الشريف أحمد، و أمانهم جميعا ثمّ عادوا (٢).

خروج الشريف أحمد إلى غزه:

و فى سنه سبع و تسعين و ألف فى عاشر ربيع الثانى منها: كان خروج الشريف

ص: ٣٦٤

١- (٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٧، و تاج العروس ٩:٦٢.

٢- (٥) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٧-٤:٤٦٨.

أحمد بن زيد إلى جهة الشرق، ثم قصد عنزه، وهي قبيله عاصيه، فوصل إليهم و استأصلهم، حتى دخلوا تحت طاعته (١).

وزاره سليمان باشا مير يا خور:

و في هذه السنه: ولى الوزاره العظمى سليمان باشا مير يا خور (٢)، و وصل منه خلعه سيّته صحبه قاصد للشريف أحمد، و كان دخوله مكّه المشرفه سابع عشر شهر ربيع الثانى من السنه المذكوره، و حضره الشريف بالمبعوث (٣).

وفاه السيّد محمّد بن يعلى الحسنى:

و في هذا الشهر من السنه المذكوره: توفى السيّد العظيم الأمجد، السيّد محمّد ابن يعلى بن حمزه بن موسى بن بركات بن أبى نمى، و والد شريف مكّه المعظمه الشريف عبد الكريم الآتى ذكره، و كان من رؤساء الساده، و ممّن ثبّت له بينهم الوساده (٤).

وفاه إمام اليمن محمّد المؤيد:

و في هذه السنه: توفى إمام اليمن الإمام محمّد المؤيد، و حصل باليمن اختلاف عظيم بين أبناء الأئمه، ثم استقرّ الأمر و قام بالإمامه جمال الدين أبو عبد الله محمّد ابن أحمد بن الحسن بن القاسم، و لقب بالمهدى.

و كان ذا كرم بارع، و فضل نوره ساطع، و دوله قاهره، و وصوله باهره، و صلوات

ص: ٣٦٥

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨.

٢- (٢) فى السمط: مير أخور.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٣.

٤- (٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٣.

عميمه، و هبات جسيمه، و استمرت دولته مدّه مديده، إلى أن عزل منها بالقاسم بن حسين، كما سيأتي ذلك في سنه عزله، و سترجمه ترجمه ستيه، لا يقه بحضرتة العليّه.

فصل

في ذكر ملوك اليمن

و إذ قد ذكرنا وفاه هذا الإمام المذكور الذي كان مستولياً على قطر اليمن المشهور، فلا بأس بذكر ملوك هذا القطر على سبيل الإجمال، لحيث المناسبه، و زياده الفائدة، مطلوبه على كلّ حال.

و قال بعض عمد المؤرخين: و قطر اليمن هذا ملك واسع ضخم، يشتمل على مدائن عظيمه، و ملوكه أهل شوكة، و سكانه العرب العرباء؛ لأنّ سام أولد إرم، و منه تفرّعت قبائل العرب، و سكنوا أرض اليمن، و منهم قبائل عاد، و سكنوا أرض الشام و الحجر و البلقاء، و منهم قبائل ثمود، و كانت ملوكهم من أولاد عاد أهل شوكة و نجده.

و منهم من غالب المعمور من الأرض، مثل شدّاد بن عاد، ثمّ من بعده من ملوك حمير، و منهم ذو القرنين الأوّل، و كان في عهد إبراهيم عليه السّلام دوّخ الأرض و ملك غالب المعمور.

ثمّ التتابعه من ملوك حمير، و هم ثلاثه: تبع الأ-كبر، و تبع الأوسط، و تبع الأصغر، و هو الذي ملك الأرض، و صحبته حيران من أحبار اليهود من مدينه يثرب، فحملاه على أتباع شريعة موسى عليه السّلام، و كانت قبائل حمير عبده أو ثان على ملّه العرب، فدخل تبع إلى اليمن بشريعة موسى عليه السّلام، و جرى بينه و بين أهل اليمن منازعه، ثمّ دخلوا معه في الدين، و هذا تبع هو المشار إليه في قوله تعالى أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ افصارت مدائن اليمن كلّها على دين موسى عليه السّلام.

ثمّ التّابعه من ملوك حمير، و هم ثلاثه: تبع الأ-كبر، و تبع الأوسط، و تبع الأصغر، و هو الذى ملك الأرض، و صحبته حيران من أحبار اليهود من مدينه يثرب، فحملاه على أتباع شريعته موسى عليه السّلام، و كانت قبائل حمير عبده أو ثان على مله العرب، فدخل تبع إلى اليمن بشريعته موسى عليه السّلام، و جرى بينه و بين أهل اليمن منازعه، ثمّ دخلوا معه فى الدين، و هذا تبع هو المشار إليه فى قوله تعالى أ هم خير أم قوم تبع (١) فصارت مدائن اليمن كلّها على دين موسى عليه السّلام.

إلى أن دخل اليمن حبر من أحبار النصارى، يقال له: ميمون، إلى نجران من أرض اليمن، فأتبعه شخص منهم، يقال له: عبد الله بن السامر، و لم يزل يظهر للناس كثيرا من المعجزات و الآيات، حتّى أتبعه جمع من أهل تلك الأرض.

فلما علم ملك اليمن ذو نواس نهى الناس عن ذلك، و أن لا يتبعوا دين عيسى عليه السّلام، و توعد من فعل ذلك، ثمّ خذ الاخدود، و هو حفيره مستطيله، و أوقد فيها النار، و صار يعرض من خرج من مله اليهوديه إلى النصرانيه، فمن رجع تركه، و من أبى ألقاه فيها، و ذلك قول الله تعالى قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود (٢).

ثمّ لما فعل ذو نواس ما فعل بمن تنصّر، فرّ رجال منهم حتّى وفدوا على قيصر ملك الروم، و شكوا عليه ما فعل ذو نواس، و كان قيصر على دين النصارى، فغضب لذلك، و قال: إن أرضى بعيده من أرضكم، و لكنتى إلى النجاشى ملك الحبشه، فكتب لهم إلى النجاشى، فأرسل النجاشى معهم بجنود من الحبشه، فأخرجوا ملوك حمير التّابعه، و استولوا على جميع إقليم اليمن، و أقاموا على ذلك مدّه.

لى أن توجه سيف بن ذى يزن إلى ملك الفرس كسرى، و استنجده، فأمدّه بقليل من العساكر، و شىء من المال، فتوجه معهم و جميع قبائل اليمن، فحارب بهم الحبشه و أخرجهم منها، و استولى على اليمن، و أقامت معه نواب ملك الفرس باليمن، و توالدوا و تناسلوا، فسّموا الأبناء و هم أولاد الفرس، و منهم وهب بن متبه،

ص:

١-١) سورة الدخان: ٣٧.

٢-٢) سورة البروج: ٤-٥.

و همام بن مته، و عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف، و غيرهم.

ثم ظهر الإسلام، و صار نواب الفرس على اليمن مشاركين لولائه، فلما أسلم أهل اليمن أرسل إليهم النبي صلى الله عليه و آله و لاه، منهم: على عليه السلام، و معاذ بن جبل، و غيره.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و ارتدت قبائل العرب، قامت نواب النبي صلى الله عليه و آله (١) باليمن، و جاهدوا من ارتد عن الإسلام، و أرسل أبو بكر عمّارا إلى اليمن من طرفه، و كذا عمر و عثمان و على عليه السلام.

فلما صار الملك إلى معاوية بعث و لاه من طرفه، فلما مات و ولي ابنه استولى على الحجاز و اليمن و العراق عبد الله بن الزبير، و بعث و لاته إلى اليمن.

فلما قتل عبد الله في أيام عبد الملك بن مروان، و استولى أميرهم الحجاج على الطرق، و بعث أخاه محمّدا و ولده عاملين على اليمن، و لم يزل الحال كذلك في دولة بني امية ترد و لاتهم على اليمن.

و شرع في أثناء هذه المدّة قيام بين الساده الحسينيين و الحسينيين، و غيرهم من الهواشم.

فلما صارت الخلافة في بني العباس، كثرت الدعاوى باليمن، و جرى بينهم و بين بني العباس حروب و خطوب.

و في أواسط بني العباس ظهر باليمن، رجل يقال له: الصليحي، و هو من دعاة الباطنية الإسماعلية، و كان يدعو للبيديين أصحاب المغرب و مصر، و استولى على اليمن جميعه، ثم قتل.

و بعد مدّة ظهر باليمن شخص، يقال له: عبد النبي، و هو أيضا من دعاة الباطنية،

ص: ٣٤٨

١- ١) في «ن»: رسول الله صلى الله عليه و آله.

و له زندقه و مروق عن الدين، فملك اليمن، و بقيت دولته مدّه هو و أقاربه.

ثم انقضت بدوله بنى أيوب الأكراد الذين ملكوا مصر، و أقامت دوله هؤلاء بنى أيوب باليمن مدّه، و ينازعهم بعض الدعاه من الساده، و يستولى على بعض الجهات.

ثم انقضت دوله بنى أيوب بدوله بنى رسول، و هم الذين يقال لهم: بنو غسيان، و دامت إلى أن انقضت فى أواخر أيام الجراكسه (١)، و كان آخر بنى غسان عامر ابن عبد الوهاب و أخوه.

ثم لما صار الملك لبنى عثمان، أرسلوا من طرفهم باشوات و امراء، فاستولوا على اليمن، و كان أيضا ينازعهم فى بعض جهاته بعض الدعاه من الساده، و يستولى على بعض الجهات، مثل السيد شرف الدين و أهل بيته، حتى قام الإمام القاسم بن محمد بالدعوه، فلم يزل ينازع الباشوات، إلى أن استولى على جميع قطر اليمن و أخرجهم منه، و آخر من خرج من عساكر آل عثمان فى سنه ثمان و أربعين و ألف.

ثم استولى على اليمن بعد الإمام القاسم ابنه الإمام المؤيد، ثم الإمام إسماعيل المتوكل، ثم بعده الإمام أحمد بن الحسن، ثم الإمام المؤيد أحمد (٢) بن المتوكل، و توفى فى سنه سبع و تسعين و ألف، فوقع التشاجر و الخلاف، إلى أن استقر الحال بالإمام محمد بن أحمد بن الحسن، كما تقدّم ذكره، و سيأتى تاريخ عزله بالإمام القاسم بن حسين إن شاء الله تعالى عند ذكر وفاته، فهذه جمله مفیده تتعلق بقطر

ص: ٣٦٩

١ - ١) فى «ن»: الشراكسه.

٢ - ٢) فى «ن»: محمد.

اليمن وولاته إلى هذا الزمن.

عودا إلى ما نحن بصددده:

وصول الشريف أحمد إلى جدّه:

و في سادس عشر شهر شوال من السنه المذكوره: كان وصول الشريف أحمد إلى مدينه جدّه، بعد أن أعمد سيفه في عنزه، واستطاعهم حتى صار شيخهم بمنزله عبده.

و من يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبّت كلّ لهزم

و استمرّ بالمدينه المشرفه إلى ثانى عشر ذى القعدة الحرام، ثمّ توجه الى مكّه و دخلها ليله هلال ذى الحجّه الحرام، ختام سنه سبع و تسعين و ألف (١).

وصول خلعه سنیه للشريف أحمد:

و في رابع الشهر المذكور: وصلت خلعه ستيه و مرسوم شريف لحضره مولانا الشريف، و مضمونه نشر الثناء الجزيل، على هذا السيد الجليل، فلبس الخلعه الساميه بالحطيم، و حصل له مزيد الإعزاز و التعظيم (٢).

هدم البيوت الملاصقه بالمسجد:

و في عشرى الشهر المذكور: أمر أحمد باشا صاحب جدّه بهدم كلّ خلوه ملاصقه للمسجد المكي، و ما كان هدمه مخلاً بأجدره المسجد أبقاه و سدّه، و سبب نقضها وقوع فسوق في بعضها (٣).

ص: ٣٧٠

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٨-٥٦٩، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٣.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٩.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٦٩.

إشارة

ثم دخلت سنه ثمان و تسعين و ألف، و فى تاسع محرّم الحرام منها: عدا أحمد باشا المذكور على مفتى مكّه المشرفه فى تلك العصور، و هو العالم العلامه، و الفاضل الفهيامه، عبد الله أفندى عتافى زاده، فأوقع به ما لا يليق بمقامه، و لا يرضاه مسلم لبعض خدامه، و أخال أنه لغرض كان فى نفسه، و علّه كامنه من أمسه، فأبرزها فى قالب الغضب عليه، عند صدور جواب قاس من المفتى إليه.

و ذلك فى يوم كان قد طاف برواقت المسجد الحرام فيه، لرفع ما كان فيه زياده من المدارس المشييده بنواحيه، فحين وقع منه ما وقع فى شيخ الإسلام، ثار لذلك الخاصّ و العامّ، و استدعى إلى قاضى الشرع الشريف، فتوقّف عن الحضور خشيه على مقامه العالى المنيف، ممّا يتوهّم وقوعه من العامّه من الرجم، و انتهاك حرمة بعد الهجم.

فاستدعاه حضره الشريف ليلا، و شمّر لتأديبه بقوارع اللسان ذيلا، و أسمعته من الكلام، ما يعدّ من أعظم الكلام، فاعترف مبتدرا، و تنصّل معتذرا، و أنشد لسان حاله بعد وقوع ذلك الخطأ:

من لم يقف عند انتهاء حدّه تقاصرت عنه فسيحات الخطأ (١)

بناء الحائط على مقابر مكّه:

و فى أواخر محرّم الحرام المذكور: شرع الوزير المكرّم عثمان حميدان و كيلا من طرف الدوله العليه آل عثمان، فى بناء الحائط المستدير على المقبرتين، الباقي إلى الآن، و هى مقبره السيده خديجه عليها السلام، و مقبره الشيخ عمر العرابي، و الثالثه

ص: ٣٧١

مقبره الشيخ محمد بن سليمان المتقدم ذكرها (١).

وفاه الشيخ محمد البخشي الدمشقي:

و في شهر ربيع الآخر منها: كانت وفاه الشيخ الجليل الصالح، شيخ الطريقه، و إمام الحقيقه، الشيخ محمد الشهير بالبخشي الدمشقي بمكّه المشرفه، و دفن بالمعلاه أمام قبه السيده خديجه امّ المؤمنين، و دفن بجانبه السيّد محمد بن زين العيدروس (٢).

إخراج التكرود من مكّه:

و في شهر جمادى الآخره: وقع إلزام من حضره الشريف في إخراج جميع من بمكّه من جنس التكرود، ببناء في الأسواق، فخرجوا برمتهم.

و سبب ذلك أمران:

الأول: وقوع سرقة منهم في البلاد.

و الثاني: التظاهر بعمل السحر بمكّه المشرفه حتّى فشى (٣).

عزل أحمد باشا والى جدّه:

و في الثامن و العشرين من شهر رجب من السنه المذكوره: وصل الخبر بعزل أحمد باشا صاحب جدّه بمحمد بيك (٤).

و في غزه شعبان: وصلت المستلم بصوره الأمر السلطاني بعزل أحمد باشا،

ص: ٣٧٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٣٤:٢.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧٠.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧٠.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالي ٤:٥٧١.

و الحثّ عليه بالوصول، و سجّل ذلك الأمر بمحكّمه مكّه المشرفه بنظر الشريف، و أكرم المستلم، ثمّ نزل إلى بندر جدّه، و أكرمه أحمد باشا.

ثمّ تهيّأ للسّير إلى الأعتاب، و وصل إلى مكّه، و أعانه الشريف إعانه لايقه بمقامه من الخيل و الركاب، ثمّ مشى إلى الدوله فى عاشر شهر شعبان من السنه المذكوره، و أصبحه الشريف السيّد على بن أحمد بن على، و جملة من الرجال، ثمّ عادوا بعد مدّه (١).

و فى السادس و العشرين منه: وصل إلى مكّه أمير اللواء محمّد بيك صاحب بندر جدّه، فتلقاه الشريف بنهايه الإكرام، و فى غزّه رمضان نزل إلى بندر جدّه (٢).

الوباء العامّ بالطائف:

و فى هذا الشهر: عمّ الطائف جميعا أرضه و بيوته و حدائقه و بآء، حتّى ملأ السهل و الوعر، و ترك الأشجار عاريه، لم يبق فيها شيئا من الخضره، و استمرّ مدّه، ثمّ ذهب (٣).

نصره المسلمين على الكفار:

و فى شهر ذى القعدة: وصل مبشّر من جهه الروم بنصره سلطان الإسلام على الكفار الطغام، و المفقود منهم ما بين قتل و أسر سبعون ألفا، و استرجعوا جميع ما وضعوا أيديهم عليه من بلدان المسلمين (٤).

ص: ٣٧٣

١-١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧١.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢.

ثم دخلت سنه تسع و تسعين، و فى حادى عشر محرّم منها: انفصل عثمان حميدان عن وزاره الشريف يوسف آغاسنان (١).

انزعاج الشريف أحمد بن غالب:

و فى شهر صفر من السنه المذكوره: انفصل السيد الشريف، و الهمام الغطريف، ليث آل أبى طالب، السيد أحمد بن غالب، عن الشريف أحمد لأمر اقتضى ذلك، حتى هجر أقطار الحجاز و تلك المسالك، و تبعه جم غفير من الساده العظام، و المنهل العذب كثير الزحام، و قصد الديار المصريه، ثم منها إلى الدوله العثمانيه، بعزم سنى، و إقدام حسنى، و حزم (٢) له من دون يأجوج ماكر، و مأجوجهم سبك الحجا محكم السدّ.

و حلم يخفّ الطود عدلا بوزنه إلى لطف ذات دونه سلسل الورد

وجود محت آياته صيت من مضى كذاك جرى الوادى فطمّ على الشمد

و كان سيره فى أواسط ربيع الأول من السنه المذكوره هو و جميع من معه من الساده بأكمل الأوصاف المستجاده. و بعد ممشاه أرسل الشريف فى أثره، ردّ أفعاله عن مملكته و قطره، جمله من العساكر و الأنصار، مرّتين أو ثلاث مرار (٣).

وفاه الشريف أحمد بن زيد:

و فى الساعه الثالثه من يوم الخميس الثانى و العشرين من شهر جمادى الاولى

ص: ٣٧٤

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢.

٢- (٢) فى «ن»: و جزم.

٣- (٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٧٢، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٣٥.

من سنه تسع و تسعين و ألف:توفى حضره الشريف أحمد بن زيد صاحب مكه المشرفه،رحمه الله تعالى،و أولاه أطفافا توالى،و دفن على والده المرحوم الشريف زيد بقبة الشريف أبى طالب.

فكانت مدّه ولايته باعتبار لبسه الخلعه الشرافه بالأبواب السلطانيّه ثلاث سنوات و سبعة أشهر و تسعه عشر يوما،و باعتبار ورود الخبر إلى مكّه و قيام السيّد مساعد بنيابته ثلاث سنوات و خمسة أشهر و ثلاث و عشرين يوما (١).

قلت: كان هذا السيّد الأشرف،و السند الأمجد الأرف،و الملك الهمام،و الأسد الضرغام،ذا هيبة و وقار،و عدل شائع فى الأقطار،ورد مكّه و هى مفعمه بالمظالم، فنصر المظلوم،و خذل الظالم،و أزال ما كان بها من الفساد،الذى أذهب العباد، و أخرج البلاد،فغدت مكّه بها زاهره،و دولته باهره بها و قاهره.

و قام بأمر الله لم يبق قاسط بأحكامه إلاّ و قد راضه القسط

و سار على نهج السداد بنيه صفا وردّها لله ما شاء بها خلط

و أيد مظلوما و أضعف ظالما إلى أن غدا يسطو على الأجدل البسط

فله درّه من ملك أسدّ،و عادل هدم ربوع المظالم و هدّ،و طود حلم منيف، و جود خصب و ريف،مع فضل بارع،و فهم المسائل الغامضة قارع،و أدب غضّ ندى،تتهاداه الأسماع فى كلّ محفل و ندى،و فوائد فى العلوم الأدبيّه جمّه،يروىها لسان الدهر لامّه بعد امّه.

و إن أقرّ على رقّ أنامله أرقّ بالرقّ كتاب الأنام له

فلعمري لقد أوكر الشعر ببابه،و أبكر طلاب الفوائد إلى هاطل جنباه،فهبت أمّ

ص: ٣٧٥

مرزم مكارمه عليهم، و صدقهم سن بكر أمواله المنايه إليهم.

فمن جمله من بادر إلى مدحه، و بتر بما منى جوده، و عنق برحه، نادره عصره، و أديب مصره، صاحبنا الشيخ سالم الصعدى، قال:

سمح الزمان لنا بملك بنى حسن فلذا شهدنا أنه زمن حسن

لله من زمن صفت أوقاته بدوام دوله من له العليا شجن

المالك الملك المؤيد أحمد بن المنتقى زيد المليك المؤمن

رأس الملوک يمينهم زند الرعيه كهفهم يوم المخاوف و المحن

ملك أقام السعد يخدمه على رغم الحسود أخى الضغائن و الإحن

ملك له الفخر (١) المخلد لم يزل عبدا يحف ركابه طول الزمن

ملك غدا المجد الأثيل أليه نعلا لأخمصه المصانه عن درن

ملك له العز (٢) المؤبد قد غدا من جمله الأنصار و الجند العون

ملك تتوج بالسياده و العلا و تدرع الفضل الذى لم يمتهن

ملك له فى الجود شهره حاتم و سماحه الغيث الملت إذا هتن

ملك إذا نزل الفقير بسوحه أنساه تذكار الأقارب و الوطن

ملك إذا أم الفقير نواله أضحي يطوقه أعاجيب المنن

ملك له يوم العطاء طلاقه الوجه الذى ماء الحياء به قطن

ملك له الخلق الوسيم كذا له ال خلق العظيم كذا له الفعل الحسن

من آل طه و البتول و حيدر من نخبه الأشراف أبناء الحسن

ص: ٣٧٦

١- ١) فى السمط: العز.

٢- ٢) فى السمط: الفخر.

من ساده أضحى حديث علاهم تالله يطوى نشره عنا الحزن
من قاده قطعوا ببيض سيوفهم تلك المواضى دابر القوم الخون
من عصبه ساروا على سنن الهدى قدما فيا نعما بذياك السنن
من فتيه شم الانوف القائمي ن بحمل أعباء الفرائض و السنن
و سليل زيد الملك هذا المرتضى هو خيرهم نفسا و أزكاهم هدى
هذا الذى ملك (1)البقاع أمانه فأراع جيش الخوف بعد أن أطمأن
حتى رعى ذئب الفلاه مع الظبا و تكحل الجفن المسهد بالوسن
هذا الذى طافت مكارمه بأر ض الصين بالروم المعمر باليمن
هذا الذى سارت عوارفه من ال بلد الحرام إلى العراق إلى عدن
و إلى مآثر طيبه الغزا إلى أرض الحجاز إلى الخبوت إلى قرن
هذا الذى بكمال وافر عدله خمدت لظى نار المظالم و الفتن
صعب العزائم من فرى بصفاحه و رماحه من شا و من شا قد طعن
ثبت الجنان إذا التقى الصقان أث بت من كسا جنن البساله و المنن
طلق اللسان إذا أشار إلى البيا ن أجل من وهب الفصاحه و الفطن
يابن الكرام الأقدمين و من لهم غرر المعالى لم تزل أبدا خدن
يا أيها الملك الذى حمد الورى أفعاله اللاتى بها الخير اقترن
خذها قصيده مخلص من وده لك فى حميد السر منه و فى العلىن
غزاه هذبها الذكاء و صاغها ال فكر الذى هو بالمتاعب فى وهن
هذا و لو لا صحبه الصبر الجمى ل لفارق الأهلىن و اصطحب الظعن

فأجز منضّدها اللجين فإنّه رجل عليه الدهر بالدينار صن

و اسلم و دم طول الزمان مكّرّما ما غرّذ القمري الطروب على فنن

و غدت جميع الخلق تنشد فرحه سمح الزمان لنا بملك بني حسن (١)

و قد نظم غير واحد درّ المدح فيه، و رضع درّ نائله بفيه، فاكثفينا بهذا القليل، مخافه حصول الملل بالتطويل، و إنّما كان العصامي أرخ وفاته بأبيات أخطأه حسن السبك وفاته، و مطلعها:

فأجأنا دهرنا المفاجيء سطا علينا بطول أيدي

طاش حجانا لما دهانا بمن حجانا صروف كيدي

و منها:

لموت سلطانا المرجئي أبي سليمان زين أيدي

الملك النائف المراقى و شائد العزّ أيّ شيد

إلى أن قال:

دونك بشري بفال خير تاريخ عام بضبط جيد

دار نعيم حبي كريم قرّ بها أحمد بن زيد (٢)

ترجمه السيد الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد

اشاره

ابن مسعود بن حسن بن أبي نمي صاحب مكّه المشرفه

قلنا: كان الذي ينبغي سيرا على نهج هذا التأريخ السلوك، في ترتيب تراجم الملوك، تقديم الشريف سعيد بن سعد على الشريف أحمد بن غالب، كما فعل ذلك

ص: ٣٧٨

١- (١) راجع: سمط النجوم العوالي ٥٧٣:٤-٥٧٥.

٢- (٢) سمط النجوم العوالي ٥٧٥:٤.

العصامي (١) وغيره؛ لكونه تولّى شرافه مكّه بعد عمّه، و نفذ بها على رفاقته و رعاياه أسنّه حكمه.

و نحن قدّمنا الشريف أحمد على صاحبه، غير ذاهبين إلى تفضيل أحدهما على الآخر في مسالكه و مذاهبه، بل هما كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يغفل (٢) موضع فرقده من فرقده، و إنّما أخرناه لأمرين.

أمّا الأوّل و هو الذى عليه المعوّل: أنّه لم يؤيّد من الدوله العثمانيه، و لم يفض عليه بها خلعه سلطانيه، بل من حين بلغهم انتقال الشريف أحمد بن زيد بأمر الله الغالب، و جّهوا الشرافه إلى الشريف أحمد بن غالب.

و الأمر الثانى: كونها مدّه جزئيه المقدار، مختبطه السيل و القرار، و أمّا دولته الطويله المدد، الكثيره العدد، فهى المتأخره بعد الشريف أحمد المذكور، و المنتشر بها صيته المشهور، و خصوصا دولته الأخيره، التى ورد فيها صافى العزّ و نميره، و فى آخرها دعاه أبو يحيى، و فارق دنياه، و من بها من الأحياء، و أخال أنّى عملت بما هو الأحقّ إذا حصحص الحقّ، و سنوفى الشريف سعيد حقّ مقامه، إذا وصلنا إلى وصلنا ترجمته بنهايه إعزازه و إكرامه.

عودا إلى ترجمه الشريف أحمد بن غالب، رحمه الله رحمه الأبرار، و حشره مع أجداده الأطهار.

قال الشيخ عبد الملك العصامى: و أمّا الخبر عن مولانا الشريف أحمد بن غالب، فإنّه لما سار هو و من معه من الساده الأشراف و الأتباع فى شهر ربيع الأوّل، مضى

ص: ٣٧٩

١-١) سمط النجوم العوالى ٥٧٥:٤.

٢-٢) فى «ن»: لم يعل.

إلى أن انتهى به السير إلى محلّ يسمّى بحرا بين المحلّ المسمّى بالأزلم، والمحلّ المسمّى كفاف منزلتى الحاجّ المصرى، فأقام به، ووصل إليه به سابع عشر جمادى الاولى أحمد آغا (1) صاحب القفطان، فقابله مولانا الشريف بغايه الإكرام، ونهايه الإجلال و الإعظام، كما هو شأن طبعه الشريف، ودأب خيمه الزاكي المنيف، وأقام عنده يومين، ثم رحل من عنده بما أرسل به لمن أرسل إليه.

ثم إنّ مولانا الشريف أرسل مولانا السيّد بشير (2) بن السيّد مبارك و معه السيّد دراج الهجارى (3) فى جماعه من الأتباع إلى محافظه مصر حسن باشا، بلغه الله من الخيرات ما شاء، بعرض يتضمّن ما أراه.

و كان رحيل السيّد بشير (4) و من معه يوم الخميس ثانى عشر الشهر المزبور، أعنى: جمادى الاولى، و هو اليوم الذى توفى الشريف أحمد فيه، فدخلوا مصر و أوصلوه العرض.

ولمّا كان يوم سابع عشر جمادى الآخرة: وصل خبر وفاه المرحوم الشريف أحمد بن زيد إلى مصر، فحينئذ أخرج لهم أمرا و قفطانا باسم مولانا الشريف أحمد ابن غالب، و سيره مع كيخيته، و ضمّ إليه آغاوات من البلكات من كلّ بلد رجل (5) عظيم الشأن، فخرجوا من مصر ثانى عشرى شهر شعبان المعظم.

ص: ٣٨٠

١- ١) فى السمط: القابجى أحمد آغا.

٢- ٢) فى السمط: شبير.

٣- ٣) فى السمط: الهجالى.

٤- ٤) فى السمط: شبير.

٥- ٥) فى السمط: بلڪ جوربجى.

ثمّ أعرض إلى الأبواب العاليه لمولانا الشريف أحمد بأشدّ السير لتأييده بالأمر السلطاني، والقفطان الخاقاني.

ثمّ إنّ السيّد بشير (١) بعد خروجه من مصر، أرسل إلى الشريف أحمد: إنّنا واصلون إليكم عن قريب صحبه القفطان و من معه، فأقبل مولانا الشريف أحمد هو و الساده الأشراف، و خدامهم و أتباعهم إلى الينبع، و أقام بها أياماً، ثمّ منها إلى قريه بدر، و كان دخوله إليها خامس عشرى شهر شعبان، فأقام بها.

و لَمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر رمضان: وصل إليه القفطان، و من معه من الآغاوات، فألبسوه إياه بمسجد الغمامه منها، و هو الموضع الذى بنى فيه العريش للنبي صلّى الله عليه و آله، فقعده فيه يوم وقعه بدر المشهوره، كما ذكره المؤرّخون الأقدمون.

ثمّ ساروا جميعاً مقبلين إلى مكّه -زادها الله شرفاً- و قد كان جاء يوم الاثنين رابع عشر رمضان المذكور، مورق إلى مكّه المشرفه من حضره محمّد بيك صحبه مكتوب الى حضره الأفندى و أكابر عسكر مصر، مضمونه: إنّّه جاءنى صورته أمر من صاحب مصر بولايه الشريف أحمد بن غالب، و أن يبرز و المقابله القفطان و من معه.

فلمّا وصل ذلك المكتوب، طلّعوا إلى الشريف سعيد، و أخبروه بما فيه، و كان الشريف سعيد قد سمع بأنّه قد نودى باسم الشريف أحمد فى جدّه، فأجابهم بقوله:

إن كان بيد السيّد أحمد بن غالب، أو صاحب جدّه، أمر سلطاني، فليأتوا به، و نحن مطيعون للأمر السلطاني. و إن كان غير ذلك، فحكم الباشا على مصر و صعيدها يعزل فيه و يولى من يشاء، و ما دون مكّه إلاّ السيف، فقال له الأفندى: يا مولانا

ص: ٣٨١

(١ - ١) فى السمط: شبير.

هذا وزير مصر يعزل و يولى، فكذبته صريحا، و قال: يعزل و يولى لمثلك.

ثم قال لكبار العساكر: أنا لا أمانع من يريد الخروج، و لكن اعلموا أنّ أول خارج أول من أضع السيف فيه، و إلا فالزموا بيوتكم لا معنا و لا علينا، ثم سطر كتابا لصاحب جدّه يقول له فيه مثل قوله الأوّل، فوصل الكتاب إليه و هو بالمحلّ المسمّى بحره من طريق جدّه، فأعاد إليه الجواب لا بدّ من الدخول.

فلما سمع الشريف هذا الجواب، أمر عساكره بصعود المنائر، و شحنت بيوت بأعلا مكّه و أسفلها بالعسكر، و أرسل بنحو أربعين (١) خيلا- و عشرين دبابا، عليهم السيّد حسن بن عبد الكريم بن حسن بن علي بن باز، و قال: أينما لقيتموه فردّوه، فإن رجع، و إلا فكذا و كذا، فخرجوا بعد صلاه العشاء حتّى واجهوا مخيمه مقبلا- على أدنى محلّ إلى مكّه، فردّوهم، ثم ساروا هنيئه حتّى لاقوه، فتقدّم السيّد حسن المذكور و قال له: يا سنجق يقول لك الشريف: إرجع و إلا فعلنا ما هو كذا و كذا فى هذا المكان، و من حذر فقد أنذر.

ثم قال لمن فى صحبه السنجق من الأشراف، و هم السيّد محمّد بن مساعد، و السيّد عبد الله بن أحمد الحارث، و السيّد صالح بن مساعد: يقول لكم الشريف: ما لكم دخول إلى ديرتى، ارجعوا من حيث شئتم، فرجعوا.

ثم رجع السيّد حسن، فوجد مورقا من الأفندى و كبار العسكر إلى السنجق، يعتذرون من الخروج لملاقاته، و يأمرونه بالدخول ليلا هو و من معه إلى مدرسه الأفندى ليكون أمرا بيت لليل، فازداد بهم البلاء و الويل، هكذا روى.

و روى أيضا أنّ ليله الاثنين حادى عشر رمضان أنّ بعض عسكر رتبه الفرع

ص: ٣٨٢

(١-١) فى السمط: خمسين.

مقبلا (١) إلى مكّه لغرض له، فوجد مكتوبا مع موزّق أرسله محمّد آغا البغدادي إلى مولانا الشريف أحمد، فأوصله إلى الشريف سعيد، فقراه و دعا البغدادي بعد صلاه التراويح و ويّخه، فأجاب بالإنكار، فأظهر له الشريف ذلك المكتوب، ثم أمر به فضّم فويّخ، و استدعى بعبده، فأخذه من الحجر المطهر، و أمر بحذف رأسهما من ليلتهما بأجساد، و كسرت أبواب بيوته، و أخذ ما فيها جميعه، و كان شيئا كثيرا من أنواع كثيره، بعد أن حاصر فيها أربعة من عبيده، ثم قتلوه.

ثم إنّ حضره السنجق محمّد بيك استقبل مولانا الشريف أحمد بن غالب، و من معه من الساده الأشراف و الآغاوات بعساكره، و نوبته عند انفصالهم من ملاوى الوادي، أي: وادي مرّ، فواجههم و حيّاهم، ثم دخلوه معا جميعا، ثم أتى عليهم به مولانا السيّد أحمد بن سعيد بن شنبر بن حسن، فركب إليه الشريف و تلقّاه من بعد، و اعتنقا بخالص الصدقه و الودّ، و أتاه في قريب من خمسين عنان كان الله له حيث كان.

و في تاسع عشر رمضان: وصل الخبر بأنّ الشريف أحمد قد نزل بوادي مرّ هو و من معه، فأمر الشريف سعيد حينئذ الفعله ببناء متارس عديده على رؤوس جبال الزاهر، و مضايق ثنيتي كداء و كداء، و رتبّ فيها العساكر و في غالب الأماكن و ضبط قانون الحرب، إلى أن ورد خبر وصول الشريف أحمد إلى النواريه، و اشيع أنّ قصده الدخول، و ذكر اسمه الشريف في خطبه العيد، فأرسل الشريف سعيد السيّد باز بن هاشم، و السيّد واصل بن أحمد إلى الشريف أحمد يطلب إرسال الأمر الذي وصل إليه ليشرف عليه.

ص: ٣٨٣

(١ - ١) في السمط: مقبل.

فلما وصلا إليه و خاطباه، غضب السنجق المذكور، و من معه من الآغوات و أعيان البلكات، و قال: ليس هذا الأمر ملعبه، و حصل بينهم كلام، فقال مولانا السيد أحمد بن سعيد: يا أمير نحن رفاقه و نصطلح.

ثم أخذ السيدين المذكورين، و تكلم معهما بكلام لم يبلغنا حقيقته، فرجعا إلى الشريف سعيد، فأخبراه، فعزم حينئذ على إخلاء مكه و الخروج منها، و أمر العساكر بمفارقة المتارس و الدور التي كانوا بها، و خرج نصف الليل من ليله الجمعة ثانی شهر شوال، و خرج معه أخوه السيد مساعد و ابن عمه السيد عبد المحسن و غيرهما، و توجهوا إلى قرية الطائف، ثم طلب من الشريف إقامة مده شهرين بها فاعطيا، و فى حال خروجهم دخل السيد حسن بن غالب فى جماعه من الأشراف لحفظ البلاد (١). إنتهى نقل العصامى مع حذف و اختصار.

و قد ظهر لك من هذا النقل مصداق ما ادّعيناه، من أنه لم يصدر أمر سلطانى و لا خلعه بعد وفاه الشريف أحمد بن زيد إلا إلى الشريف أحمد بن غالب، فكان أحقّ بالتقديم كما فعلنا.

ثم إنه دخل إلى مكه المشرفه يوم الجمعة ثانی شهر شوال بنهايه الإيعزاز و الإجلال، فى موكب عظيم، و جحفل جسيم، من العساكر و الأجناد، و الخيل الصافنات الجياد، و نادى مناديه باسمه الشريف، و عمّ قصاده بجوده الوريث، و ضبط مكه و أقطارها، و أزال مظالمها، و أحمده نارها، فغدت مكه تحتال به تيتها، و تفتخر بحضرته العليّه كأنه ابن أبيها.

ص: ٣٨٤

(و أصبحت مكّه فى عدله و فضله تشبه روض الجنان) (١)

فصل

أشاره

فى حوادث دولته و محاسنها و جمع نبذ من أحاسنها

ففى اليوم المذكور: عزل حاكم مكّه المشرفه القائد أحمد بن جوهر بعبد الشريف سنبل، و قام بها أحسن قيام (٢).

و فى حادى عشر الشهر المذكور: لبس خلعه الوزاره السنيه للدولة الأحمدية الحسنيه، الجنا ب المكرم، و المآب المعظم، إبراهيم بن على حميدان، فتعاطى له كل أمر و دان (٣).

وصول الأمر السلطانى و الخلعه للشريف أحمد:

و فى يوم السبت ثامن شهر ذى القعدة آخر سنه تسع و تسعين و ألف: وصل الأمر السلطانى، و القفطان الشريف الخاقانى، صحبه سليمان آغا سلحشور، فنزل مولانا الشريف إلى الحطيم، و لبس الخلعه الشريفه به، و هو فى غايه الإجلال و التعظيم، بحضور الساده الأشراف، و القاده من آل عبد مناف، و جميع الأعيان، المقيمين بمكّه المشرفه فى ذلك الزمان، و كان يوما مشهودا، خفقت به رايات جدّه المسعود، فهرعت الادباء بالتهنأه بهذا التأييد، و تلت آيات شعر بأيوانه السامى الفريد (٤).

ص: ٣٨٥

١-١) ما بين الهلاليتين من نسخه «د» فقط.

٢-٢) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٦.

٣-٣) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٧.

٤-٤) راجع: سمط النجوم العوالى ٤:٥٨٤، و إتحاف فضلاء الزمن ٢:١٤٤.

فمن جمله من أمّ بابه، ومدح جنابه، ونصّد بمدحيه الشريف عقوده، وأفرغ في أوصافه الحميده مجهوده، محبّه الأبر، ومخلصه الأ-كبر، سيّدى ووالدى السيّد محمّد بن على بن حيدر أدام الله بقاه، وأريد سعه و ارتقاه، بقصيده طنّانه، سيّد بها من مجده أركانها، عارض بها قصيده القاضى تاج الدين المالكى التى امتدح بها الشريف إدريس بن حسن المتقدّم ذكرها، وقدمها إليه فى اليوم المذكور:

تساميت بالأجداد يسمو بك الجدّ و جدّدت مجدا دونه يقف الجدّ

و شرفّت أقدار الممالك عند ما زهى بك دست الملك و التاج و العقد

بعزّك سوح الحلّ و الحرم احتمى غداه إليك الحلّ أصبح و العقد

ليهن ملوك العصر إن صرت بينهم كما قد رسى بين الصوى علم فرد

فإنّك شمس و الملوك كواكب إذا اتّصلت ودا بها حفّها السعد

على أنّ شمس الافق بالبرج شرفّت و أنت لأبراج العلى شرف عدّ

و لله كلّ الأمر و الله قد قضى بأنّ إليك الأمر من قبل أو بعد

و أخدمك الأقدار تسعى لنيل ما تريد و فيها سرّ حكمته يبدو

و شرفّ قدر الدهر لَمَا أقامه لديك مطيعا حيثما يقف العبد

و أولاك أسرار القلوب بوّدها فأجسادها ما من إطاعتها بدّ

إذا ما رآك العارفون ذوو النهى رأوا ملكا كلّ القلوب له جند

فإن فتحوا عينا هناك و حقّقوا رأوا ملكا من قدسه النور يمتدّ

و مذهب أهل الشعر فيك مقالهم لقد جاد دهر بالمنى و وفى الوعد

و لكنّ أرباب الحقائق قولهم سرت نفحات اللطف عيس الرضا تحدو

تهنّ بما أولاك مولاك أنّه رآك له أهلا فجا الحدّ يشتدّ

أ لست الذى فى العدل أوضح منهجا بدا بدليل الشرع مسلكه القصد

و أجريت في ذاك السبيل لقاصد عيوننا من الإفضال طاب بها الورد

و ظلّت من حرّ الهواجر فوقه سحائب حلم للقلوب بها برد

و لم ترض بالحسنى بديلا و إن أبى سوى ضدّها مع فرط قدرتك الحقد

تلطّفت بالمعروف في حقّ منكر فحزت الثنا عفوا و قد حصل القصد

فأنت لسرّ اللطف في الكون مظهر يمازج سرّ الانتقام به الرشد

فمن رحمه قد صوّرت ذاتك التي تصوّر من أقدامها الأسد الورد

أ لست المنيل المجد غيثا سحابه تصوب و لا برق يخاف و لا رعد

بلى مرسل ذاك السحاب صواعقا (١) تقطر للأقتار قلبا هو الصلد

أ لست الذي ساد الفخار بهمه و نادون أدناها بالاسكندر الجهد

فما قلت في خطب أعينوا بقوه و لو صدّ دون القصد من دهرنا سدّ

أغثت بنى أم القرى و قد انبرت بنات الليالى في مضرتهم تعدو

فسوّغتهم درّا (٢) من العدل حافلا و قد ضمّهم كالطفل من رأفه مهد

و ألبسهم بردا من الأمن ضافيا يحاك على سمر القنا ذلك البرد

تراعى نصيرا (٣) حين حاكت لك العلاملابس ملك ثمّ ألبسك السعد

لقد حاز ملبوس الخلافه إذ سما بعطفك فخرا هزّ عطفاه له الفخر

طوى البحر ثمّ البرّ شوقا لسيد هو البرّ من إفضاله البحر يمتدّ

فيا خلعه لو أنّها خلعت سنا على الشمس ما لاح الكسوف بها بعد

ص: ٣٨٧

١ - ١) في «ن»: صواعق.

٢ - ٢) في «ن»: دارا.

تمنى عيون الشهب أنّ مقرّها محاجر عن أبصارها ما لها بعد
و أبهج نجم الصبح تشبيها له بنجابها فالبشر من افقها يبدو
حوى طيها نشر المودّه و الثنا فمن نشرها يوضع المسك و الندّ
و إنّ لسلطان البرايا وسيله بوذك للبارى بها ظلّ يعتدّ
إذا ما مباشير التبشير أشرق بمضمونها فى العقل يتّضح الودّ
فخلعته درع من العزّ سابغ تأنق فيها من عنايته الردّ
دلاص إلى داود تعزى أفاضها عليك سليمان الزمان له الحمد
لها أبدا و العود أحمد أحمد مليك الورى.... (١)

ينادى لسان الحال منها مصرّحا بتأييد ملك ما لتجديده حدّ
على اليمن و الإقبال و البشر و الهنا بذلك طير الفال فى روضها يشدو
تعمّ التهانى فى كلّ شرق و مغرب ترى كلّ غور و هو من فرح نجد
لصوب الحيا فى كلّ فصل ربيعه سرور قلوب فى هواكم لها وجد
تردى من الآمال أغصان روضه بكلّ زمان يجتنى فوقها الورد
فلا زالت الدنيا بملكك جنّه بها كلّ وقت من نعيم هو الخلد
على كشحها منه نطاق مفصل و فى جيدها من نظم أحكامه عقد
و لا زلت محروس الجناب ممتعا بما شئت أنى شئت لا ينتهى العدّ
و مرآك بدر فى سعود مطالع تخلّص فى حسن الختام له الحمد

خلع السلطان محمّد:

و فى هذه السنه: خلع السلطان محمّد بن السلطان إبراهيم، و جلس بعده

السلطان سليمان بن إبراهيم، و كان صغير السن، و تقلد وزارته العظمى، المقام الأجل الأسمى، محمد باشا الكبرلى، فقام به أحسن قيام، و هتأه بأكمل نظام، و بيت الكبرلى هذا أعرق بيت فى الوزاره و الرئاسة، و أعرف بتسيير الحكومه و السياسه، و محمد باشا هذا بيت قصيدهم، و درّه تاجهم، و قوام صحّه مزاجهم (١)، مع عقل كامل، و فضل شامل (٢).

و ينقل المؤرخون عنه روايه، تعلن له بالولايه، و هو أنه كان كثير السفك للدماء، فاعترض عليه بعض محبيه، ممن كان أيضا فى صحبه أبيه، فيما يصدر من حضرته من الإراقه، لتلك الدماء المراقه، فأجابه بأعظم الأقسام: إننى لم أفعل ذلك إلا بأمر العزيز العلام.

ثم طلب من ذلك الشخص أن يبيت عنده تلك الليله، حتى يحقّ له كلامه و قوله، فاستمرّ عنده إلى وقت هجوم الكرى، و إذا بشخص يسمع صوته و لا يرى، يقول: إنّ فى الموضع الفلانى من يستحقّ القتل، و فى الموضع الفلانى من يستحقّ ذلك من قبل، و فى الجبهه الفلانيه من البلاد قوم لا يزال دأبهم الفساد، فاعمل بهم كذا، فيبعث لهم الوزير، فيجدهم كما قال ممّا وصف من العلل (٣)، فيعمل بما يؤمر، لكونه يجدهم طبق ما يخبر.

و استمرّ فى منصبه هذا إلى أن توفى، ثم تولّى الوزاره بعده ولده أحمد باشا، و حسنت سيرته أيضا.

ص: ٣٨٩

١- ١) فى «ن»: مراجعهم.

٢- ٢) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٤٤: ٢.

٣- ٣) فى «ن»: العمل.

ثم توفى في منصبه، وتولى الوزارة بعده مصطفى باشا، ولما صارت المحنة العظيمة على الإسلام، بتقدير الملك العلام، بعد الفتوحات السابقة التي صارت الوزيرين الأولين.

فتجهز هذا الوزير لغزو الكفار، ونازل مدينه من مدائنهم الكبار، واستمر محاصرا لها بالرجال، والمدينه المذكوره مشحونه بالذخائر والأموال، وحضره الوزير المذكور قد عكس طمعه الزائد ضوابط الحرب السلطاني المشهور؛ لأن المسلمين قد أحاطوا بتلك المدينه، وعزموا على الهجوم عليها، وجهوا همتهم العليه إليها، فمنعهم الوزير عن ذلك، طمعا فيما هنالك، ورجاء أن يأتونه الكفار بعد التأمين لهم، ويبدلون له جميع أموالهم على سلامه أرواحهم.

فهمت الطائفه الباغيه منه ذلك، وشرعت تراسله في ذلك، وفي ضمنه يرسلون إلى من ورائهم للتقويه بهم.

فلما كثروا وأوا قوتهم قد عظمت، وقعوا بجيوش المسلمين وأهلكوهم، واستولوا على العسكر وأخذوه برمته، وكان ذلك من سوء تدبير هذا الوزير، وطمعه في جمع الأموال، ثم مات ووجد عنده من الأموال ما لا يكاد يحصى.

ثم تولى الوزارة بعده سليمان باشا أمير ياخور، وكان أيضا من الأخيار، وقام بتدبير الوزارة أحسن قيام، ثم تجهز لغزو الكفار، فغزاهم واستمر مدّه في ذلك، ثم توفى شهيدا.

وتولى الوزارة بعده مصطفى باشا الكبرلى في أوائل سنه تسع و تسعين.

وفاه القاضي على المكي:

و في سنه مائه و ألف: توفى الفاضل القاضي على ابن القاضي عصام الدين المكي.

و في هذه السنه: قتل محمد عمار المشهور بالمدينه المنوره، و كانت له امور عجيبه، و حكايات غريبه، ترد بها الألسنه، إلى هذه الأزمنه، أمّا مظهره في مبادئ حاله، و ما كان يصدر من أفعاله و أقواله، فأوشك أن يكون قطب زمانه، و ولى ذلك العصر و الأوان، مع أنه كان أفسق العباد، في تلك البلاد، و له استخطاف عجيب لعظام الأموال، و فتح لمغلقات الأقفال.

و في تلك السنه فقد مبلغ عظيم من النقود، لشخص من المجاورين بالمدينه من الهنود، فرفع الأمر إلى قائم مقام حضره الشريف، و هو السيد العالى المنيف، السيد بشير بن مبارك المتقدم ذكره، فسأل الهندي عن أتاه في ذلك اليوم، فأخبره بأنه جاءنى محمد عمار، و اشترت منه سوارا، و أعطيته ثلاثين ديناراً، فأمر الشريف بإحضاره لديه، و حصوله بين يديه، و شرع يلاطفه مره و يتهدده اخرى، إلى أن أقرّ بذلك المال و غيره، و دلّهم على موضعه، فأتى به، فأخذ كلّ ذى حقّ حقّه، و صار أحيّر من بقّه في حقّه، ثمّ استفتى في قتله العلماء، فأجابوه إلى ذلك، فأمر بشنقه و شنق. و أرخ قتله الشيخ أحمد المدرّس بقوله من قصيده «قتل ابن عمار و علق» (١).

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه:

و في ليله الثلاثاء الثانيه و العشرين من شهر رجب من سنه إحدى و مائه و ألف:

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه المشرفه، بعد زمهره عظيمه من الساده الأشراف، و حفظوا عليه بعض الأطراف، ثمّ دخلت يد الأتراك في جملتهم، فعزل بدون قتال بينهم، و خرج في تلك الليله المذكوره، فكانت مدّه

ص: ٣٩١

دولته سنه كامله و تسعه أشهر و عشرين يوما (١).

فصل

كان هذا الملك السديد، و الملك الصالح الرشيد، ذا همّه علويّه، و شهامه علويّه... (٢).

نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي

ابن عبد الرحمن بن حسن بن شمس الدين البهكلي

حول ترجمه الشريف أحمد بن غالب

في خروجه إلى نواحي اليمن

كان (٣) مقدّم الشريف أحمد بن غالب من مكّه المشرفه إلى مدينه صبيا (٤) في العشر الأواخر من شعبان أحد شهور سنه إحدى و مائه و ألف، بحاشيه مستكثره

ص: ٣٩٢

١-١) راجع: إتحاف فضلاء الزمن ١٥٦:٢-١٥٨.

٢-٢) كذا بياض في النسختين، و كتب في هامش نسخه «د»: هكذا وجد بياض في الأصل، فلعلّ من جهه تاريخ العصامي أو غيره. أقول: و ذلك أنّ تاريخ العصامي المسمّى بسمط النجوم العوالي ينتهي إلى أواخر القرن الحادي عشر، و هو سنه (١٠٩٩) و لم يتعرّض للقرن الثاني عشر أبداً، مع أنّه توفّي سنه (١١١١) هـ ق، و قد أكثر المؤلّف النقل و الاعتماد على هذا الكتاب. و إلى هنا انتهى النقل عن كتاب سمط النجوم العوالي، و اعتمد المؤلّف رحمه الله في كتابه هذا عليه، و جعله مصدراً من مصادره.

٣-٣) من هنا نقل من كتاب تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي بن عبد الرحمن بن حسن بن شمس الدين البهكلي، و سيأتي التصريح بانتهاء ما نقله من هذا الكتاب.

٤-٤) صبيا: من قرى عشر من ناحيه اليمن.

من الخيل و المطايا و العبيد و العساكر، متوجّها إلى الإمام الناصر لدين الله (1) محمد بن أمير المؤمنين، و استهّل رمضان بقريه الخمارى (2) من أرض عيس.

و وصل إلى حضره الإمام برداع (3) العرش، أظنه في العشر الوسطى من رمضان، فقام الإمام بحقه قياما تاما، و استغاث بالإمام، و استنصره على أعدائه بمكّه الذين تمالوا على عزله، و مناه بملك مكّه و مصر و الشام على يديه، و سهّل له من ذلك ما هو متعسر، فصغى الإمام إلى كلامه، و مال إلى إجابته.

و جهّزه بما يكثر عدده من المال، و عيّن له على كلّ وال من ولاته رتبة من العسكر، و على الامراء الثلاثة من آل الإمام ثلاثه آلاف عسكرى، و هم: القاسم بن المؤيد، و الحسن بن المتوكل، و على بن أحمد، فضلّ الشريف راجعا من رداع، أظنه بعد عيد الأضحى من السنه المتقدّمه.

و فى أيام إقامته بحضره الإمام، ظهر خلاف همدان بنواحي صنعاء، و حصروا مدينه صنعاء نحو من خمسه عشر يوما، و كان الشريف ممّن تجهّز لحربهم فيما روى، و كفى الله شرهم، و قبض رئيسهم ابن خليل، و أودع حصن الحميمه (4) أياما، ثم أمر الإمام بقتله، فقتل صبورا، و شردهم الإمام فى الآفاق، و تضعع حالهم، و فلّ عزمهم، و انكسرت شوكتهم.

و صحب الشريف فى رجوعه من رداع، الشريف الأكرم، الأسد الغشمشم،

ص: ٣٩٣

١- ١) فى «ن»: إلى دين الله.

٢- ٢) فى «ن»: الحمارى، و خمار بكسر أوّله و آخره راء مهمله: موضع بتهامه.

٣- ٣) رداع: مخالف من مخاليف اليمن، و هو مخالف خولان، و هو بين نجد و حمير.

٤- ٤) فى «ن»: الجميمه.

جمال الدين أبو طالب بن محمّد بن حسين الحواحي، وولده الشريف محمّد بن أبي طالب، متولّيًا لمدينه صيبا من جهه الإمام، و
القاضي العلامه عماد الدين يحيى ابن إسماعيل الحيارى حاكما.

فوصل الشريف إلى مدينه مور (1) لعلّه في آخر ذى الحجّه، أو أول شهر محرّم، و اجتمع بابن الإمام الحسن بن المتوكّل بها، و قام
ابن الإمام بما عينه الإمام من الجند و المال، و قبل وصول الشريف إلى مور أمر الإمام بحبس السفن، و لم يكن في تلك السنه
حجّ في بحر و لا- برّ، و أقام الشريف بمدينه مور قريبا من شهر، و كثرت التآليف على ابن الإمام، فضاق صدره، و أعيب عليه
أمره، مع انزعاج في الباطن، و خوف في الفؤاد كما من.

و يحكى عنه أنّه عاد في تلك الأيام إلى بندر اللحيه لبعض أغراضه، فخرج ذات ليله في البحر متنزّها، و غاب عن الأبصار جزء
عظيما من النهار، حتّى توهم أنّه لا يعود، و لم يزل مدرّعا بالصبر، مظهرا للتجلّد، حتّى ارتحل الشريف من مور، في العشر الاولى من
صفر سنه اثنين و مائه و ألف، فوصل إلى أبي عريش في العشر الوسطى حادى عشر في هذا الشهر، ممّا يكثر عدده من الأجناد، و
الخيال المسؤومه الجياد، و لم يزل حاله يعلو، و أمره يرتقى و ينمو.

و بعد استقراره بأبي عريش (2)، تظاهرت الأخبار بالقبض على القاسم ابن الإمام المؤيّد، لامور نقمها الإمام عليه، و الأمر في هذا
مفوّض إليه.

و الحسن ابن الإمام المتوكّل بعد ارتحال الشريف، لم تزل القرائن تتظافر لديه،

ص: ٣٩٤

١-١) مور: ساحل لقرى اليمن.

٢-٢) في «ن»: و بعد استقراره ثاني عشر.

بأنّ الإمام فى نفسه القبض عليه، فلم يزل فى معاناه و فكره، و دهشه و حيره.

و كان من إقبال السعد لهذا الإمام، و قوده لما تعرّس من الامور بزمام، أن صمّم ابن الإمام، على تقويض الخيام، و الارتحال بأولاده و جميع ما يملك إلى الشام، فأخفى ذلك الأمر المستنكر، و أخذ فى تأهب عدّه الارتحال و السفر، و كان بعد أن تأخذ الناس مضاجعها، يأمر الخدم بلفّ أمتعته و أثقاله، رغبه فى الكتمان و رهبه من فشو حاله، و كان إذا سئل تعريضا أو تصريحاً ينكر ما هو مصمّم عليه، و ينهى من يسمع ذلك أن يصغى إليه.

فلما كان غرّه ربيع الأوّل من السنه المذكوره: لم يشعر الناس ذلك ليله إلاّ بارتحاله، و ركوبه البحر مع أولاده و أمواله، فزال ملكه فى قدر لحظه، من غير طعنه، و لا ضربه و لا لفظه، فحملتهم الجوارى المنشآت، و ضمّتهم كأنّهم أموات، بعد ما ضاق بهم القصر، و راق بهم العصر، و لله درّ القائل حيث قال:

هذه الدنيا و هذا شأنها أتعب الناس بها أعوانها

و اولوا الأحلام قالوا إنّها حلم يقضى بها يقظانها

و أعجب من ارتحاله على الصفه التى ذكرناها، إلقاءه بنفسه إلى من بذل جهده فى التأييب عليهم، بتحصّد الأجناد و إرسالها إليهم، كما قدّمنا من قيامه بما عيّنه عليه الإمام من الجند للشريف أحمد بن غالب، فكان حلمه ذهب و غاب، و هكذا الأقدار تذهب عند نزولها الأبواب.

و استقرّ فى سفره إلى بندر جدّه، و دخل مكّه المشرفه، و أقام بتلك الجهات نحواً من خمسة أشهر، ثمّ أعمل الحيله فى خلوصه حتّى تخلص.

و روى أنّ من جملة ما بذل في تخلصه، سَكِينًا مَقْوَمَهُ بِثَمَانِمِائَةِ قَرَشٍ (١) وَ تَيْفٍ، لَمَّا فِيهَا مِنَ التَّرْصِيعِ بِالنَّفَائِسِ الثَّمِينَةِ، وَ بَيْنَ تَدْبِيرِهِ فِي اسْتِنْقَازِ نَفْسِهِ مِمَّا قَدْ وَقَعَ فِيهِ، وَ بَيْنَ إِلقَائِهَا عَلَى الصَّفَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا أَوْلًا بُونَ بَعِيدٍ.

وَ كَانَ رَجُوعَهُ إِلَى الْيَمَنِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ، وَ أَحْسَبَ وَصُولَهُ إِلَى بَنْدَرِ جَازَانَ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ أَوَّلِ شَوَّالٍ، وَ اتَّصَلَ الْخَبْرَ بِمَسَامِعِ الشَّرِيفِ، فَبَعَثَ إِلَى الْبَنْدَرِ مِنْ يَمْنَعِهِ مِنْ دُخُولِهِ إِلَيْهِ، وَ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ مَعَ شِدَّةِ الظَّمَاءِ، أَنْ مَنَعَ الْإِغَاثَةَ بِالْمَاءِ، وَ أَنْشَدَ لِسَانَ حَالِهِ مَتَفَكِّرًا حَائِرًا، مَتَعَجِّبًا مِنْ مَصِيرِهِ، فَرَدَا مَأْمُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمِيرًا آمِرًا:

قَدْ كَانَ دَهْرَكَ إِنْ تَأْمَرَهُ مِمَثَلًا فَرَدَّكَ الدَّهْرَ مِنْهَا وَ مَأْمُورًا

مِنْ بَاتٍ بَعْدَكَ فِي مَلِكٍ يَسِّرُ بِهِ فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورًا

وَ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ وَ أَهْلُهُ فِي الْبَحْرِ، وَ قَدْ كَانَ يُخْرَجُ إِلَى قَرْيَةٍ تَحِيصُ لِلتَّنَزُّهِ، وَ انْتَهَى أَمْرُهُ أَنْ رَجَّحَ النُّهُوضَ إِلَى الْحَضْرَةِ النَّاصِرِيَّةِ، وَ الْوُقُوفَ عَلَى مَا وَقَّفَ اللَّهُ رَبُّهَا إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ، وَ ارْتَحَلَ بِنَفْسِهِ وَ تَرَكَ أَوْلَادَهُ، وَ كَانَ فِي ارْتِحَالِهِ يَتَجَنَّبُ الْمُرُورَ فِي الْأَمْصَارِ، وَ يَقْصِدُ الْمَضْيَ فِي الْبُودَى وَ الْقَفَارِ.

وَ لَمَّا انْتَهَى خَبْرَهُ إِلَى الْإِمَامِ عَطْفَ عَلَيْهِ، وَ نَظَرَ بَعِينَ الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ، وَ أَمَرَ بِإِنزَالِهِ مَدِينَةَ ذِمَارٍ (٢) مِنْ دُونَ اجْتِمَاعِ بِهِ، وَ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِهَا اسْتَدْعَى أَهْلَهُ وَ أَوْلَادَهُ إِلَيْهِ، وَ هُوَ الْآنَ بَاقٍ هُنَاكَ.

وَ كَانَ ابْنُ الْإِمَامِ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ وَ سِرَاتِهَا، وَ وَجْهَ الْكِبْرَاءِ وَ دِهَاتِهَا، ذَاتَ

ص: ٣٩٦

١- ١) فِي «ن»: غَرَشٌ.

٢- ٢) الذِمَارُ: إِسْمُ قَرْيَةٍ بِالْيَمَنِ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ صَنْعَاءَ.

دهاء و حلم، و ذكاء و علم، له معرفه تامه بتدبير الدوله، و خبره بأحوال الناس، فهو كما قال أبو الطيب:

ماضى الجنان يريه العزم (١) قبل غد بقلبه ما ترى عيناه بعد غد (٢).

نظر فى العلم فى خلال إمارته، فوقع منه على قطعه لائقه بمنصبه و جلالته، و أكثر مرامه بجبل رازح و حبور، و كان جزل العطايا، كريم الأخلاق و السجايا، له معه فى القلوب، ساعده على مراده المقذور، و الفلك بالسعاده له يدور، و كانت حضرته ملتقى الرحال، و موسم الفضلاء و قبله الآمال.

و تغيرت أحواله فى آخر أيامه، فبطش و غشم، و كان يبرم ما ينقض، و ينقض ما أبرم، و لم تحصل النكبه عليه، حتى قتله الرعيه و ملته، و مولده فى سنه أربع و خمسين بعد الألف.

و فى شهر جمادى الآخره، أو أول رجب من السنه المذكوره: كان قيام السيد العلامه جمال الدين على بن أحمد بن أمير المؤمنين، و يلقب ب«المتوكل على الله» و وردت كتبه إلى الشريف أحمد بن غالب، و إلى اناس من أهل هذه الجهه، يدعو إلى الانتظام فى سلوكه، و لا نعلم أحدا أجابه إلى ما طلب.

و توجه إلى اليمن، و ترك بمدينه صعده واليا، و بجبل رازح ولده السيد الأجل قاسم بن على واليا، و دخل مدينه الهجر بجموع كثيره بعد حرب شديد، و كان بها طالب بن المهدي، و قتل فى ذلك اليوم جم غفير، و نهبت المدينه نهبا فضيعا، و كان يوم دخوله يوما مشهودا، و قبض على طالب بن المهدي، و أرسله تحت الحفظ إلى

ص: ٣٩٧

١- ١) فى الديوان: الحزم.

٢- ٢) ديوان أبى الطيب المتبى ص ٤٤.

الامراء خيامها بأرض شقر على مسافه نحو أربعة فراسخ من أبي عريش إلى اليمن و الشرق، و اجتمع معهم من الرجال و الخيل عدد مستكثر.

و التقى الجمعان في العشر الاولى من شهر رمضان من السنه المتقدمه، فانهمزمت الأجناد التهاميه، و عصفت بها ريح الأجناد المشرقيه، و قتل من أصحاب الشريف ما ينيف على خمسين رجلا، و ظفر أهل المشرق بخزانه الامراء بعد أن ذعروا اندعارا مغرورا (١)، و اتصل الخبر بمسامع الشريف من أفواه الهارين.

و روى أنه اتهم بالخديعه بعض الامراء المذكورين، و أجلى أهل مدينه أبي عريش عنها، فأمست خاويه على عروشها، و لم يبق فيها إلا الشريف على حاله، لو أنهم قدموا إليه، لملكوا المدينه عليه، و لكنّها سبقت بخلاف ذلك الأقدار، و تحقّق رجوع قاسم بن على إلى البار، و لم يلبث حتى اتصل به الخبر برجوع أبيه من اليمن كما قدّمنا.

و استقرّ الشريف بقلعه أبي عريش، و نما خبره إلى الإمام، فعظم شأنه لديه، و التفت بعين الانصاف إليه، و رجع أهل المدينه إليها. و كان هذا أول إجلاء من أهل مدينه أبي عريش؛ لأنهم أجلوا عنها في مدّه الشريف ثلاث مرّات هذه أوّلها.

و لم يزل الشريف باسطة ظلّ العدل، ناشرا رايات الإحسان، يصل معروفه في كلّ ليله إلى أكثر من مائتي إنسان، و الوزير سنبل وجهه الشريف قبل قضيه سقرا إلى حرص. و لما بلغه الخبر برجوع على بن أحمد، ارتحل من حرص إلى المقرض (٢)، ثم إلى اللجب، ثم إلى المحرق، بسيره خشنه، و حاله غير مستحسنه،

ص: ٣٩٩

١-١) في «ن»: مزدرا.

٢-٢) في «ن»: المعرض.

و كان الشريف محمّد بن أبي طالب و أبوه يميلان إلى هذا الشريف المقتول، و يرغبان إلى توليته، و لا يكون أمر مدينه صيبا إلى أحدهما إلا و أمر هاتين القريتين إليه من جهتهما.

و ممّن أراد الشريف محمّد بن أبي طالب القبض له و التعزير الشريف مطاعن بن أبي طالب، فارتحل من قريه الشقيرى عملا بقول أبي الطيب:

و مقام الكريم فى ساحه الذلّ و قد أمكن الرحيل حرام (1)

فاعتصم بالشريف أحمد بن غالب، و أقام عنده، و وقف لديه.

لدى أسد شاكى السلاح مقذّف له لبد أظفاره لم تقلّم

فتعدّر على الشريف محمّد بن أبي طالب قبضه و تعزيره؛ لأنّه لاذ بحصن من حديد. نعم و الشريف بعد رجوع على بن أحمد استمال مشايخ رازح، و خامرهم بالطمع، و لمّا أحسّ منهم الاذعان و جّه إليهم رجلا، يقال له: الترجمان، فطردوا قاسم بن على، و أخرجوه مرفقا من بين أظهرهم، و أقام الترجمان فى جبل رازح مدّه لا- يصدر و لا- يورد، و الأمير الأكرم عزّ الدين بن حسن القطبى لمّا تفاقم عليه الأمر و أعياءه، كاتب الشريف يستأذنه فى القدوم عليه، و الانتظام فى سلكه، و أذن له، و لمّا اجتمع به أنصفه، و أكرم مثواه، و أحسن نزله.

ثم تجهّز السيّد الرئيس حسين بن على بن أحمد من صعده، و قبض الترجمان، و سيّره إلى صعده، و أودع الحبس، و عاد جبل رازح لعلى بن أحمد، ثمّ كلّف الشريف الأمير عزّ الدين بالطلوع الى صعده لاستخراج الترجمان من حبس على ابن أحمد، فطلع و أحسن السياسه فى استخراجّه، و نزل به فى أواخر شهر

ص: ٤٠١

(١- ١) لم أعثر عليه فى ديوان المتنبى.

ذى الحجّه من السنه المتقدّمه، وهذا كلّه و لم يكن إلى الشريف من البلد سوى مدينه أبى عريش، و بندر جازان، و عسى أن يكون حرص.

و فى العشر الأوّل من شهر المحرّم أوّل سنه ثلاث و مائه و ألف: جهّز الشريف أخاه حسن بن غالب و الوزير سنبل فى جموع يعسر ضبطها و حصرها إلى بعض قبائل بنى شعبه، و أمسوا بهجره ضمد ليله التاسع من الشهر المذكور، و مرّوا بقرية صلّهه، و كان ليله حادى عشره أو ثانى عشره منه، أمسوا بموضع يقال له:

صندين، يسامت بسرقة قرية بيش، على حال اطمئنان و دعه و راحه، مهملين النظر إلى ما قصده القائل:

و من لم يخف من غائلات عدوّه فرت نحوه أنيابه و مخالبه

و من جعل التفريط و العجز دأبه و خلف رأى الحزم أعت مطالبه

و شاع خبرهم فى البدو، و كان فيهم جماعه من الفرسان، منهم الشجاع البطل، من لا يخاف البيض و لا الأسل، بشّار بن شريفه، فاستدرّهم اولئك الفرسان، مغتتمين الفرصه، عاملين بقول زهير بن أبى سلمى:

و من لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدّم و من لم (١) يظلم الناس يظلم (٢)

فاندعر ذلك الجمع، و عمى منهم البصر، و صمّ منهم السمع. و كان من أعجب صنع الفرسان و عظيم حذرهم، أنّهم لم يدخلوا المحطّه، و إنّما وقفوا على جوانبها، فمن اتبه من المحطّه قام مدعورا، يظنّ أنّ الهرب ينجيه، وقع فى أيديهم، فقتلوا من الجيش نحو من ثلاثه عشر نفرا، و غنمت القبائل غنائم متّسعه، و رمى الشريف

ص: ٤٠٢

١-١) فى الديوان: لا.

٢-٢) ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٨٨ طبع دار صادر بيروت.

حسن بن غالب فى يده.

و لما حصل عليهم ما حصل، ثلم غرارهم، و مالوا إلى مدينه صبيا، فدخلوها، و بعد استقرارهم بها حصلت النكبه على الشريف محمّد بن أبى طالب على يدى النقيب سعدون من قبل الإمام، و كانت لأغراض تطابق ما فى نفس الشريف أحمد ابن غالب، و ذلك أنّ الشريف لمّا مالت به الرعيه إلى تملكك مخلاف صبيا أعمال الحيل، و أعانه على ذلك أقوام جعلوه ذريعه إلى زوال ملك محمّد بن أبى طالب، و غفلوا عن قول أبى الطيّب:

و من يجعل الضرغام للصيد بازه تصيّده الضرغام فيما تصيّدا

حتى وقعوا عليه، فغرم غارمهم إلى الإمام، و عظم أمر محمّد بن أبى طالب إليه، و كان من جملة المكائد التى عملها أنّ مخلاف صبيا يحتمل خمسه آلاف مقاتل يكون بهم النقع و النكايه للعدوّ، فيستعان بهم على جهاز صاحب صعده، فوقع ذلك الكلام من الإمام فى قلب فارغ و اغترّ به، و عيّن على محمّد بن أبى طالب ذلك القدر، فإن عجز عنه، فأمر صبيا يكون إلى الشريف أحمد بن غالب، و الشريف أحمد بن محمّد بن حسين يكون عاملا من جهته.

فلما وقف محمّد بن أبى طالب على ذلك القدر أقرّ بالعجز عن تحصيله؛ لعدم وجوده فى البلد، فجعلوا ذلك سببا لعزله (1)، و لله درّ القائل:

يعدّ الفتى إخوانه لزمانه و أعدى له من صرفه ما أعدّه

و أخذ النقيب سعدون يتتبع أذاه، و يطالبه بالأموال الجليله، و أشاع أنّ من له عند محمّد بن أبى طالب مظلّمه يأتى لها، و كان المظلوم يصل فرحا مسرورا ظانّا

ص: ٤٠٣

١- ١) فى «ن»: إلى عزله.

عود ما اخذ عليه إليه، فيخبرهم به، فيرقمونه، و بعد ذلك يعرضون عن المخبر و يزدرونه، و الغرض هو تكثير ما يطالب به من الأموال، و استصغارها من بعد ذلك لبيت المال.

فاجتمع عليه أموال تعزّ عن أن تحصى، و تجلّ عن أن تضبط و تستقصى، فاجتاحت ما احتوى عليه ملكه و ملك أبيه من المنقولات، و أنواع الحلّى و المصوغات، و عسر عليه من بعد ذلك الوفاء بما يطالب به، و انتهى إلى حال رثاه فيه الشامت، و اشتفت صدور أهل الحقّ بما ناله، و من ذا يأمن الدهر و أفعاله.

ثمّ توجه هو و أبوه إلى أبي عريش، و كان يظنّ أنّ في التقرب إلى الشريف ما يسهل عليه ما نزل عليه (١) من العذاب المؤلم.

و رأيت له في بعض كتبه إلى بعض أصدقائه بأبي عريش: إنك تذاكر (٢) الشريف يطلبنا إليه، يعنى ليكون ذلك مخرجا له من الذى وقع فيه و أفاد. هذا معنى كلامه فى كتابه، و لكنى أنسيت لفظه.

و لما وصل إلى أبي عريش، عظم عليه التغليظ، و وقع فى أشدّ ممّا كان فيه، فكان كالساعى إلى مثعب، مواليا (٣) من سبل الراعد، و جرى عليه من الإهانة و التعزير ما لا يليق بمثله، و كان هذا الفعل به و أبوه عنده، لكنّه لا يستطيع فى الدفع عنه حيله، و لا يهتدى إلى خلاصه سبيلا، و لسان حاله ينشد إنشاد حائر متردّد:

أهمّ بأمر الحزم لو استطيعه و قد حيل بين العير و النزوان

ص: ٤٠٤

١-١) فى «ن»: به.

٢-٢) فى «ن»: تذكر.

٣-٣) فى «ن»: موائلا.

و أخذ العامل للشريف فى كلففه ففرقه الخمسه الآلاف على أهل القرى، و كأنهم رأوا أن تحصيلها رجالا مقاتله لا يمكن جعلوها تخيرا بين أن يكون رجالا- مقاتله، و بين أن تكون نافعه مالا- عوّض كلّ رجل أحمر يكون بخمسه آلاف أحمر، جاءت حصّه صمد و الشقىرى و خضيره ثلاثمائه و خمسين أحمر، و وكلوا أمر كلّ جهه إلى نائب يخبر من تقاعس عن التسليم، فكان كلّ نائب يفعل ما أرادته من غير توقّف على المال المطلوب و القدر المعين.

حتى روى لى من استقصى المأخوذ من هجره صمد و الشقىرى و خضيره، إنتهى إلى ألف و أربعمائه قرش، و اجتمع للشريف من الأموال قدر متّسع.

و روى أن الشرف لّمّا أنهى إلى الإمام أن أهل هذه الجهات اختاروا أن يسلموا ما لا معونه على الجهاد عوضا عن الرجال، طلب الإمام من ذلك المال قدر أربعة آلاف قرش، و ما بقى منه يكون للشريف.

و كان هذا فى شهر ربيع الأول أو الآخر من السنه المذكوره، و هذا أول ضرر نزل بهذه الجهات بعد توجّها إلى الشرف، و الثانى الإلزام بالضيافه و الخرص فى مخلاف صبيا، و هو ممّا جاء به الغارم (1) إلى الإمام فى شأن محمّد بن أبى طالب، و هو فى هذا المخلاف من البدع المحدثه.

على أن الإمام المؤيّد بالله يحيى بن حمزه قد روى إجماع العتره على عدم جواز خرص الزرع، أمّا مع الصفه التى استمرّ عليها عمال هذه الجهات، فلا يبعد اتفاق علماء الامه على التحريم، و لو لا محبّه سلوك الطريق التى سلكها بعض السلف، لذكرت من ذلك ما لا يستغنى عنه، و قد أبان العله فى ذلك بقوله:

ص: ٤٠٥

إِنِّي لَأَكْتَمُ مِنْ عِلْمِي جِوَاهِرَهُ كَيْ لَا يَرَى الْحَقُّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتِنَنَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا أَبُو حَسَنِ إِلَى الْحُسَيْنِ وَأَوْصَى قَبْلَهُ الْحَسَنًا

يَا رَبِّ جَوْهَرَ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحَ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مَمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثَنًا

وَلَا اسْتَحَلَّ رِجَالَ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

وَهَذِهِ الْآيَاتُ مَعْرُوءَةٌ إِلَى الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١)، وَأَنْكَرَ عَزُوهَا عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْغَزَالِي فِي مِنْهَاجِ الْعَابِدِينَ، وَأَنْكَرَ عَزُوهَا إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَالِدَيْلَمِي فِي التَّصْفِيهِ، قَالَ فِيهَا: وَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارٍ مِنْ يَنْكُرُ وَيُزْعَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَحُلُّ كِتْمَهُ (٢). انْتَهَى.

كَيْفَ وَقَدْ أَخَذَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَسْتَبُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَبُؤُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٣) أَنَّ الْحَسَنَ يَصِيرُ قَبِيحًا، أَوْ لِأَدَى إِلَى قَبِيحٍ وَكَانَ سَبَابًا لَهُ.

وَكَذَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاكِيَا عَنْ يَعْقُوبَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا (٤) إِنَّهُ يَجُوزُ إِخْفَاءُ الْفَضِيلَةِ تَحَرُّزًا عَنِ الْحَسُودِ.

قَالَ فِي الثَّمَرَاتِ: وَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِنَا إِنَّ الْحَسَنَ إِذَا كَانَ سَبَابًا لِلْقَبِيحِ قَبِيحٌ، وَقَدْ

ص: ٤٠٦

١-١) نَسَبَهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ص ١٧، وَرُوحِ الْمَعَانِي لِلْأَلُوسِيِّ ١٩٠: ٦، وَنُورِ الْأَبْصَارِ لِلشَّيْبَانِيِّ ص ١٤٢، وَالْإِتْحَافِ بِحَبِّ الْأَشْرَافِ ص ٥٠، وَيَنْابِيعِ الْمَوْدَةِ ٣: ١٣٥، وَدِيْوَانَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ص ٤٧٨، وَالدَّرَرِ الثَّمِينِ فِي دِيْوَانِ الْمَعْصُومِينَ ص ٤٨٨.

٢-٢) كِتَابُ التَّصْفِيهِ لِلدَيْلَمِيِّ، لَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ.

٣-٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٠٨.

٤-٤) سُورَةُ يُوسُفَ: ٥.

ذكر المؤيد بالله أنه لا يفتى بصحة إقرار الوكيل لفساد الزمان، فعرفت بهذا كله أن هذه الأبيات جاريه على أحسن سنن، وأن لها من الأدلة ما يعضدها (١).

نعم و لبث الشريف أحمد بن محمد واليا، قيل: إلى سلخ جمادى الآخرة، ثم عزل و جعل الشريف أحمد بن غالب الوزير سنبل واليا بمدينة صيبا، فملك و قهر، و نهى و أمر، و بنى المباني الرفيعة، و سكن الدور المنيعه، و اجترى على مصاهره من ليس لهم بكفو رغبه و رهبه.

و فى أوّل هذه السنه: تولّى بمدينة أبى عريش محمّد بن قاسم الغربانى، و لم يتم له الولاية إلى آخرها، و أخاله كان من قبل الشريف و تحت نظره.

استقرار الوزير سنبل بمدينة صيبا:

و فى شهر رجب: بعد استقرار الوزير بمدينة صيبا كانت واقعه الشريف الهمام، البطل الضرغام، مهدي بن محمد العواجى المكنى أبا صالحه.

و كان من خبرها: إنّ الشريف المذكور أخذ على رجل من آل حبيب يسمّى شبرا (٢) فرسا معاقبه له فى أمر صدر منه، ففزع الحبيبي إلى الوزير، يشكو ما فعل معه الشريف المذكور، فأرسل الوزير إلى الشريف المذكور من يصل به، فامتنع، و أحسبه تكرر منه ذلك الارسال و ذلك الامتناع، فجرد الوزير و أراد أن ينهض بنفسه، فبدا له أن يرسل من ينوب عنه، فأرسل نحو خمسسه عشر من أهل البندق، و خمسسه من أهل الخيل على ما روى.

فوصلوا إلى دار الشريف المذكور و لم يكن بها حينئذ، فأخذوا فرسه و فرس

ص: ٤٠٧

١-١) كتاب الثمرات لم أعثر عليه، راجع: كشف الظنون ٥٢٢: ١.

٢-٢) فى «ن»: بشيرا.

الحبيبي، فركب الحبيبي على صهوة فرسه و نجى بها، و كانت مغنمه، و شاع الخبر فأغار أبو صالحه و غيره، فكّر على العسكر، فقتل منهم ثلاثه، و قيل: اثنين من عبيد الشريف، و ضرب آخر ضربه لم يزهق بها روحه، ثم وّلت العسكر الأدبار، و نجوا بفرس الشريف.

و لم يذكر عن أحد من أهل الغارات فعل إلاّ عن هذا الفاطمي، فإن حملته على عدم احتمال الضيم نفسه الأبيّه، فصال هذه الصوله الهاشميّه، و بالأفعال يعظم الأخطار، و على حسبها يكون ارتفاع الجدود و علوّ الأقدار.

و لم أجد الإنسان إلاّ ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر

و عظمت هذه الفعله عند الوزير و سيّده. و روى أنّ الشريف مهدي أذعن بتسليم قيمه العبيد، و قدر من الأدب، فامتنع من ذلك الشريف.

قيل: و طلب الشريف مهدي و من معه الاذعان من الشريف بما ينطق به الشرع الشريف إن عليه و إن له، فثنى عن ذلك عطفه، و بعد ظهور امتناعه صمّم الأشراف المذكورون على دفع باطله، و ردّ ما جاء به من عنده، و تحرّبوا (1) و تجمّعوا، و أرسلوا صارخا إلى بنى شعبه، فأجابهم منهم من أجاب، و ساعدهم على ذلك بعض فضلاء العصر، حميه لله، و أنفه على ما روى، و عن جانبهم من أوامر الشريف التي ينزل بكلّ ركيك العزم ضعيف.

ثمّ ترجّح لبعض الأشراف أهل السلامه أن يرتحل إلى الشريف مبانا لأصحابه، خائفا من بوائق عقابه، و لما انشقت منهم العصا، عصى الشريف مهدي في رأيه من ذويه من عصا، خذلهم من أجابهم من بنى شعبه، و روجع الشريف في شأن

ص: ٤٠٨

(١ - ١) في «ن»: و تحرّبوا.

البقيته فى أواخر شعبان من السنه المذكوره، و أذعن له بقدر مستكثر من الأدب يطابق غرضه، فكان قد أظهر الرضا، و لكنّه أبطن خلاف ما أظهر، و ارتحل من مدينه أبى عريش فى آخر شعبان، أثنى المراجعه إلى مدينه صيبا لأجل الانتقام من أهل السلامه، و استصرخ بأهل البوادي، فأجابته من كلّ قريه جماعه.

و جهّز الوزير سنبل إلى قريه السلامه فى جمع كثير من الرجال و الخيل، و لمّا علم أهل السلامه بوصول الشريف إلى مدينه صيبا، انزعجوا و عملوا القدره على مقاومته، مع انشقاق عصاهم، و خذلان بنى شعبه لهم، فاستحسنوا الإجماع عن بلدتهم، و لا لوم فيما لا يطاق، و إنّما يلام الفتى فيما يطيق من الأمر.

فوصل الوزير إلى قريه السلامه و لا- أنيس بها، فأحرق بيوتها، و طمّ آبارها، و أفسد مزارعها، و بالغ فى أن لا يبقى لها أثر، و لقيه أهل نبش و صيفه (١)، فدخل نبش و أقام بها ليله أو ليلتين أو ثلاث، ثمّ استدعاه الشريف، فوصل و دخل الوزير قريه المحله و الدهنا، فسام أهلها الخسف، و كلّفهم بما لا يطيقونه، و عاث و أفسد، و شتّت و بدّد، و فعل جنده من قبائح الامور، ما لا يحسن إثباته فى هذا المسطور، و أقام الشريف بمدينه صيبا إلى آخر شهر رمضان، ثمّ عاد إلى أبى عريش، و كان فرار الشريف مهدى و عشيرته إلى الدرب، بيت دعائمه طوال، و طود لا تنال قلله الأوعال.

بيت حمت (٢) عنه أسنّه تغلب أن يستباح و أنّها لطوال

بيت تحزّ الهام عن أطنايه مشدوخه و تعفّر الأبطال

ص: ٤٠٩

١-١ فى «ن»: رصيفه.

٢-٢ فى «ن»: حميت.

بيت لو الأرماع تلمس قرنه لا ندقّ فيهنّ القنا العسال

خروج الشريف أحمد إلى وادي خلب:

و في شهر شوال من السنه المذكوره، قيل ليله حادى و عشرين، و قيل: ليله سابع و عشرين منه: ارتحل الشريف من مدينه أبى عريش إلى وادى خلب، بخاء معجمه مضمومه و لام مفتوحه فموجّده على وزن زحل النجم المعروف، و كان ذلك بتكليف الإمام له، و تحريضه عليه، بالنكايه لصاحب صعده، و المماسّه لأطراف بلده، و لم يرتحل إلّا و قد عيّن على أهل مملكته ألف رجل مقاتل، كان على مخلاف صبيا منه ثلاثمائه رجل مقاتل.

فضرب الشريف خيامه يمانى مجرّه الوادى بأرض ذات ثمام مستويه، و بعد استقراره ألزم مشايخ تلك الأرض بتحصيل آلات البناء، فحصىّ لوا له من ذلك قدرا مستكثرا، فبنى بيوتا حينئذ واسعها، و استحسّن مع طول الإقامه و ازدحام الناس أن يجعل بذلك الموضوع سوقا، و استدعى من المهندسين من يقيم أود السوق من العطارين و نحوهم، فارتحل إليه من هذه الأجناس جمع كثير رغبه و رهبه.

ثمّ جعل لذلك السوق يوما يجتمع الناس به فى كلّ اسبوع يوما، فورد إليه الواردون، و أتاه من كلّ فجّ القاصدون، و صار ذلك السوق أحسن الأسواق، و أجمعها، لما إليه يطرب المشتاق، و بنى بذلك الموضوع مسجدا جامعاً.

و فى هذه السنه أو التى بعدها: جاءت له التوليه من الإمام لبلد الشرفين و المحرق و اللجب و المعرض و بلاد ظاعن و عاهم و مور و الضحى (1)، فضخمت سعادته، و اتّسعت دائرته، و امتلأ بالامم ذلك القاع، و صار أكثر أنيسا من سائر

ص: ٤١٠

البقاع، و كان الوردون لا يردون إليه أفواجا، و جبايات المملكة تساق وحدانا و أزواجا.

وفاه الشريف أبي طالب بن محمد العواجي:

و فى يوم عرفه أو يوم النحر من هذه السنه المذكوره: كانت وفاه الشريف أبى طالب بن محمد بن الحسين العواجى، و هو الشريف الأكرم، الغضنفر الشهيم، برد الإمارة المسهم، أبو طالب بن محمد بن حسين بن أحمد بن حسين بن عيسى العواجى.

فتيه لم تلد سواها المعالى و المعالى قليله الميلاد

هو من بيت سبق مجد ملكه، و انتظمت المعالى و المفاخر فى سمطه و سلكه، أول قائم منهم الشريف المنزه من كل شين، شمس الدين أحمد بن حسين فى السنه السادسه بعد الألف، فأزال المنكرات و البدع، و رفع من الدين ما امتنع، و كان قيامه بهذه السهال، مضاهيا لقيام الإمام المنصور القاسم بالجمال، و لم يزل قائما بأعباء ما حمل، حتى لقي ربه فى السنه الثامنه و العشرين بعد الألف.

و فى أيامه كانت واقعه الشريف عيسى بن مفيد العواجى، و القائد محمد بن بدر من امراء صاحب مکه كما ذلك معروف.

و قام بالأمر بعده الشريف الأمجد، عقد السؤدد المنضد، حسام الدين حسين ابن أحمد، و بلغ من درجه الكمال ما لم يبلغه فى وقته أحد من الرجال، و فى أيامه كان خروج الباشا قانصوه، و مع عظم قهره، و نفاذ حكمه و أمره، لم يكن له فى بلد الشريف المذكور الوطاء (١) الكليه.

ص: ٤١١

و روى أنّ الباشا حاول قبضه و لم يقدر، و ربما قيل له: إنّ في قبضه من المفسده ما يرخّج على مصلحته، لما هو عليه من القوّه و المنعه.

و كذا كان في أيامه وصول الشريف اللسن، نابغه بنى الحسن، أحمد بن مسعود ابن أبى نمى، وافدا على الإمام المؤيد بالله محمّد بن القاسم، و مستنجدا له، و مدحه بقصيدته الداليه أحسب أولها:

خذنا بدمى ذات الخلال و العقد

حتّى خرج فى مدح الإمام بقوله:

خطيبا إذا ما قام فى رأس منبر و خطب على ظهر المطهّمه الجرد

و سببه: كان خروج السيّد الإمام أحمد بن لقمان إلى الشام، و جرى لهم ما هو مذكور معروف، و كان الفقيه العلامه، السابق فى مضمار الفصاحه، و المعدود من أهل الإمارة و الرجاحه، ضياء الدين إسماعيل بن محمّد المحلوى ملازما له، أعنى: الشريف حسين بن أحمد فى سنه ثلاث و خمسين من بعد الألف.

و روى بعض فضلاء العصر: أنّه لما توفّى جاء نعيه إلى الفقيه إسماعيل، و كان الفقيه قد أصابه طرش، فلما قال له: عظم الله أجرک فى الشريف حسين بن أحمد، وقع يكتب على الأرض بعضا:

أمخبرى أنّ الطريق قد عفت رسومه أنت قصمت ظهري

تطلب أجرا فى هلاك مسلم ما فى هلاك مسلم من أجر

و لم أقف على نسبتها لأحد قبله، و قام بالأمر بعده السرى المدرّه، الخائض فى طلب المجد ليجّ كلّ عشره، جمال الدين محمّد بن حسين بن أحمد، و له من المعالى ما يملأ الفم و الاذن و العين، و على الجملة فله و لآبائه فى المعالى و المكرمات،

أخبار لا يتسع لها هذه الوريقات، وأيامهم مشهوره في عددهم (١)، لها غرر معلومه و حجول، و كانت وفاته ثامن شعبان سنه ست و سبعين من بعد الألف.

و لم تزل هذه النطفه تهادهاها البطون و الأصلاب، حتّى انتهت إلى الشريف أبى طالب بن محمّد بن حسين، فكان خاتمه الباب. جبل رحمه الله تعالى على طباع الشرف و السيادة، و جمع من الخلال المحموده ما لم يجمعه غيره عاده، و رزق جدّا و سعدا، و ملاً صيته غورا و نجدا، و طلع بأيّامه نجم السعد، و أفل بها نجم النحوس، و لم تقابله الأيام و الليالى بمكروه و لا بؤس، و كان شجاعا شهما جوادا ممدّحا، همّته عاليه، و سيوفه للأولياء حاميه، و على الأعداء بالردّ أفاضيه.

يلقى النداء برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا

رحب المنازل ما أقام فإن سرى فى جحفل ترك الفضاء مضيّقا

و كانت دواعى صدره سليمه، و نيته مع الله و عباده صحيحه غير سقيمه، و صفت مملكته أكثر من اثنتى عشره سنه، كلّها عند المسلمين أعياد خالصه عن الشوائب و الأفكار، رعوها فيها عشب النعيم الغضّ، و لبسوا أثواب الراحه و الدعه المبيض، ثم اضطربت من بعد، فاضطربت امور المسلمين باضطرابها، و نالهم البؤس و الضراء بذهابها، فكانت غرّه محتها أيدي الليالى، و زهره قطفها أيدي الدهر، و كذا الدهر لا يبالي عجا، للدهر ما داسته و لأحداث الليالى عجا.

و بعد وفاته رحمه الله توفيت الآمال، و قصرت الهمم، و قد خرب بيت المجد، الذى كان قد شاده و انهدم، و بكت العيون لفقده دمعا ممتزجا بدم.

فإن تك أفتته الليالى فأوشكت فإنّ له ذكرا سيقى اللياليا

ص: ٤١٣

و بعد (١)مضى عشره أيام من رزئه القاصم للظهور،شفعه (٢)رزء ولده محمّد ابن أبى طالب المذكور.

حوادث سنه أربع و مائه و ألف:

اشاره

و فى مستهلّ شهر محرّم الحرام أوّل سنه أربع و مائه و ألف:جهّز الشريف و هو بخلب أجنادا يكثر عددها،و أمر عليها السيّد حسن بن أحمد المرتضى،و الشريف على بن حسن العنقاوى،و فى صحبتهم الشيخ الصنديد محمّد بن جابر الزريقى (٣)الشعبى،قاصدين موضعا يقال له:الرنف،براء مفتوحه فنون ساكنه ففاء،أخاله من أعلى مير وادى جازان،و كان به قبيله دعجان،و فى نفوسهم أيضا الغزو لآل عمر و آل حسن،ثم أخذ من أمكن أخذه من قبائل بنى شعبه معاونه للشيخ محمّد بن جابر،فلما وصلوا ذلك الموضع وجدوه لا أنيس به،و قد غاب عنى أهل قبيله دعجان،و أجهت الشريف أو أجلت.

و أمّا آل عمر و آل حسن،فإنّه تعسّر عليهم أخذهم.و روى أنّهم تجمّعوا للدوله تجمّعا قريبا،و لكن سبق مرور الدوله،أو قصر عن موضع تجمّعهم.

فلما قربوا من قريه الشقىرى،قال الشيخ محمّد الزريقى:الرأى أن ننزل بهذه القريه ليعتلف الدوابّ،و يستريح الجند،كيما يقدروا على النهوض فيما بعد،فاستمعوا لقوله و نزلوا تلك القريه،فباتوا بها تلك الليله،و أصبح مكان الشيخ محمّد خاليا منه،فعرفوا عدم نصحه،و كتبوا إلى الشريف يعرّفونه بما جرى.

ص:٤١٤

١-١) فى «ن»:و قد.

٢-٢) فى «ن»:سفعه.

٣-٣) فى «ن»:الوريقى أو الرزيقى.

و دخلوا هجره ضمّد اليوم الرابع من الشهر المذكور، فباتوا بها تلك الليلة (١)، وقالوا أو شرعوا في القيلولة يوم الخامس، فورد عليهم كتاب الشريف يدعوهم فيه، فلم يلبثوا إلا ريثما يتزوّدون، وكانت هذه الفعلة من الشيخ محمّد من الحوامل على حبسه، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و اعلم أنّ بنى شعبه لمّا فعلت فرسانهم و قبائلهم ما فعلت في صندلين كما تقدّم، غضب الشريف عليهم، و بلغ ذلك منه مبلغا عظيما، و كان في نفسه أن يجعلهم و من ينظرهم من القبائل تحت وطأته كسائر أهل مملكته.

و لم تساعدهم على ذلك شنشنتهم التغلبيّة، و نفوسهم العزيزة الأبيّة؛ لأنّهم لكامل نجدتهم و شدّه بأسهم، و قوّه عدّتهم، لم يرعوا إلاّ ثمر العزّ، و لم يشربوا إلاّ ماء الاحترام، و ما ألفتة النفس فهو عسر الفطام.

و كانوا لما عرفوا من الشريف الغضب من فعله صندلين، أرادوا طيبه نفسه، و عدم حقّه رعايه لحقّه، و إغلاقا لباب الفتنة، فعزم إليه منهم من عزم، و أحسب الشيخ زيد بن مرعى بعضا ممّن عزم، ففلق الشريف رضاه عنهم، بشرط أن يأتوا ببعض منهم عيّنه لهم يكون لديه.

و روى أنّه شرط عليهم أيضا تسليم قدر من الأنعام يستجهل من تلقّظ بها، فأرضوه في ذلك المجلس بالمقال، و نشطوا من مبركه العقال، و لحقوا بقومهم و بلدتهم، فاستحكمت الوحشه، و انقطع بينهم الاتّصال، و كان كلّ منهم على حذر من الآخر، و الشيخ محمّد بن جابر الزريقي رأى أن يحزم هذه القاعده، و يواصل الشريف استجلابا للفائده، و لله درّ القائل:

ص: ٤١٥

(١ - ١) في «ن»: فباتوا بها ليله الخامس.

و ما السيد القمقام عندي بسيد إذا استنزلته من علاه الرغائب

و ربما ظهر للشريف أنّ آل جابر منفصله بأحكامهم عن سائر بنى شعبه، كما روى عنه، و أنّ الفاعل لتلك الفعله فى صندلين ليس من آل جابر، و كان يطمّع الشريف و يمنيّه بأنّه يستميل من يستميل، و مكث على ذلك برهه مرعىّ الجناّب، لا يغلّق دونه باب، و أخذ الشريف الطمع، و كان يجزل له المواهب، و يتلطف فى استخراجه بالرغائب، حتّى مضى وقت لم ير له فيه تأثيرا و لا نجعا، و كانت منه تلك الفعله مع السريّه المتقدّم خبرها، و انكشفت له أنّ ذلك منه إنّما كان مكرًا و خدعا، فأسرّها يوسف فى نفسه و لم يبدها لهم.

و لَمّا مضت أيام من فعلته تلك، أخاله فى آخر الشهر المذكور، دخل إلى مدينه صيبيا، و فى صحبته الشجاع الباسل، الكمى المناصل، بشّار بن شريفه و غيرهم، و معهم قافله، مظهرًا أنّه يجلب للدوله المصالح، و على ذهنى أنّ ذلك كان أوّل دخول منه بعد فعلته تلك.

فلَمّا استقرّ به المجلس بين يدى الوزير، أشار الوزير إلى خدمه أن اقبضوه، فتسارعوا من بين يدى الوزير إلى أخذ سلاحه و قبضه، و أودعوه الحبس، و ركب بشّار بن شريفه صهوه جواده (1)، فيخال حصلت فى المدينه زعزعه، و روى أنّه حصل نهب، و خرج الوزير بعد الهاربين غير بعيد و عاد.

و قيل: كان قبض الشيخ محمّد أنّ رجلا من أصحاب الوزير عرف سلاحا كان مع رجل من أصحاب الشيخ محمّد يدعى أنّه نهب يوم صندلين، و دار الكلام حتّى ارتفعت الأصوات، و كاد الحرب أن يقوم على ساق، فتوهم الوزير أنّ ذلك خديعه

ص: ٤١٦

(١ - ١) فى «ن»: دابّته.

من الشيخ محمد فقبضه.

و الظاهر أنّ السبب فى قبضه هو ما قدّمنا؛ لأنّه لم يفكّه بعد أن تحقّق براءته، وإن صحّ ذلك الذى قيل، فهو سبب انضمّ إلى أسباب، ثمّ إنّ الوزير أرسل الشيخ محمد مصفّدا إلى الشريف، وبقى عنده بخلب.

و لما وصل الأشراف بنو حسن: عبد الله بن هاشم، و راجح، و شبير، و بشير، أبنا مبارك، من مكّه إلى الشريف، صحبهم الشيخ على بن جابر، و تعلق بأذيال الشريف فى شأن أخيه الشيخ محمد، فطلب الشريف فى فكّه قدرا من الأنعام مستكثرا، و احتمل به الشيخ على بن جابر، فلما حصله وقف به بين يديه جعل لا يأخذ إلاّ ما أجمع (1) على حسنه، و يظهر للقبائل و غيرهم أنّ من عرفه من هذه الإنعام شيئا يأخذه بعد أن يحلف عليه.

و لما كانت القبائل أهل معاده و بغى، و أكثر ما بأيديهم من مال غيرهم، انسلب ما جاء به الشيخ على بن جابر، و بعضه كان معييا على شرط الشريف، فأيس من خروج أخيه، فارتحل و فى فؤاده ما فيه.

و فى اليوم التاسع من شهر صفر، كان نزول الشريف حسن بن غالب من جبل رازح، بعد أن تحقّق خروج أولاد الإمام من مدينه صعده، و جرى عليهم من المصائب، ما يعجز عن ضبطه قلم الكاتب.

و قتل السيّد الرئيس الهمام، الضيغم الهرماسه القمقام، ضياء الدين إسماعيل ابن الإمام الناصر لدين الله، بعد خروجه من صعده قريبا.

و روى أنّه ثبت ثبات من لا يرهّب و لا يخاف، و جرّع من بغى عليه كأسا مترعا

ص: ٤١٧

(١ - ١) فى «ن»: اجتمع.

من السمّ الذعاف.

و كان سيّدا حازما و قورا عادلا، محمود السيره، محبّبا إلى قلوب كثيره، و لم ينج من أصحابه إلا من شدّد، و لم يكن لابن الإمام على بن أحمد مشاركة في ذلك على ما روى، و إنّما الفاعل لذلك قبل تلك الجهات هالكا على الطمع.

و كان هذا السيّد قد دخل هو و جماعه من آل الإمام و من الرؤساء بأجناد يعسر ضبطها و حصرها إلى مدينه صعده بمواطاه منهم لقبائلها، و خرج ابن الإمام على بن أحمد خائفا يترقّب بعد أن أحسّ بالخداع، و علم أنّ الدفاع ليس بممكن و لا مستطاع، فتنحى إلى بنى جماعه -بضمّ الجيم- فأووه و عزّوه، و أكرموه و تركوه بمدينه صعده، و ترك أهله من النساء و الأطفال، و ضيّع الحزم، و سلك غير سبيل أهل السياسه و العزم.

و استحسّن بعض الرؤساء الداخلين إلى مدينه صعده تحميل أهل على بن أحمد و إيصالهنّ إلى اليمن، و أكاده (1) و أغاضه ففعل، و روى أنّ الإمام لم يرتض ذلك.

قيل: و كان ابن الإمام على بن أحمد قد عهد بأهله إلى طالب بن المهدي، بعد أن أخرجه من حبسه، و صمّم على التنحى. و ربما روى أنّه أنكحه ابنته له.

و لما تهيّأ لأولئك الداخلين ما تهيّأ، و ملكوا من مدينه صعده زمام عيسها، و اجتلوا ضوء بدرها و شمسها، أقبلوا على قبائل تلك الجهات، فأخذوها بالعنف، و عاقبوا المجرم منهم معاقبه غليظه، فاختلّ عليهم أمر السياسه و التدبير، اللذين

ص: ٤١٨

(١ - ١) في «ن»: و أكادوه.

يهون (١) بهما من الامور كلّ أمر عسير، و أساؤا السيره، و فعلوا من الامور التي لا تليق أفعالا كثيره، فتصدّعت قلوب القبائل و مالت، و أخذت بالحزم (٢) و استشعرت الصبر، فردّت عليهم أوامرهم، و أظهرت المخالفه لهم.

و جرت بينهم و بين آل الإمام حروب تحاكي حروب (٣) الفخار، و سدّوا طرق الموادّ على آل الإمام، فوقع عليهم الحصار، و دارت النوائب عليهم رحاها بالليل و النهار، و لبثوا على ذلك برهه من الزمان، حتّى آل أمرهم إلى ما ذكرناه من الخروج و قتل إسماعيل.

و كان الشريف لمّا أحسّ من أولاد الإمام بالزحف (٤) أيّام مقدمهم إلى صعده، جهّز من لديه من جهّز، و كان أخوه حسن بن غالب ممّن تجهّز، فطلعوا جبل رازح، و أقاموا به مدّه إقامه أولاد الإمام، و جرت لهم مع أولاد على بن أحمد وقائع كثيره، و كانت الحرب سجلا بينهم، و لمّا تيقّنوا خروج أولاد الإمام من صعده سارعوا إلى النزول، فنزلوا في التأريخ المتقدم، و عادت نواحي صعده و جبل رازح إلى على بن أحمد.

و هذه الوقعه لأولاد الإمام و صاحب صعده تشبه واقعه جرت لبعض ملوك الزمان الماضي، ذكرها في سلوان المطاع (٥).

ص: ٤١٩

١- ١) في «ن»: يبون.

٢- ٢) في «ن»: بالجزم.

٣- ٣) في «ن»: حرب.

٤- ٤) في «ن»: بالرجف.

٥- ٥) و هو كتاب سلوان المطاع في عدوان الطباع، تأليف أبي عبد الله محمّد بن

نعم و كتب الشريف الإمام يعزّيه في ولده إسماعيل، و بعد وصول الشريف حسن بن غالب لم يمكث الوزير بمدينه صيبا، بل سار إلى حضره الشريف بخلب، و الظاهر أنّ ذلك كان باستدعاء من الشريف، خوفا من انفتاح الفتنة المشرقيّه، و تولّى بعده الشريف حسن العنقاوى، و أنّ الشريف (١) استخلف أحمد بن محمّد، ثمّ جاء على بن حسن من بعده.

و فى شهر ربيع أحسبه الأوّل، و وصل جواب التعزیه من الإمام بخطّ القاضى الأديب حسين بن أحمد الخيمى، مصدرا بهذين البيتين:

بقيت و قرى و انصرفت عن العلى و لقيت أضيافى بوجه عبوس

إن لم أشن على ابن هند غاره لم تخل يوما من ذهاب نفوس

و هما من أبيات حماسه أبى تمام (٢)، و طرق فى سمعى من بعضهم أنّها للأشتر. و فى أثناء الكتاب عند ذكر مقتله:

تردّى ثياب الملك (٣) حمرا فما أتى لها الليل إلا و هى من سندس خضر

و هذا البيت من شواهد التلخيص، و الشاهد فيه الطباق المعروف، و عند بعض

ص: ٤٢٠

١- ١) فى «ن»: الوزير.

٢- ٢) لم أعثر عليها فى ديوان أبى تمام.

٣- ٣) فى الديوان: الموت.

أهل علم البديع تبديع الكنايه، ذكر فيه لونين الحمره و كُنِيَ بها عن القتل، والخضره و كُنِيَ بها عن دخول الجنه، وهى من قصيده لأبى تمام يرثى فيها محمّد بن حميد الطوسى لما استشهد (١)، وأولها:

كذا فليجلّ الخطب و ليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر (٢)

و قيل: البيت الأوّل:

غدا غدوه و الحمد نسج ردائه فلم ينصرف إلا و أكفانه الأجر

و بعد البيت الأوّل:

كأنّ بنى نبهان بعد وفاته نجوم سماء خرّ من بينها البدر (٣)

قال فى معاهد التنصيص (٤): يروى أنّه لما ورد نعيه، غمس أبو تمام طرف ردائه فى مداد، و ضرب به كتفه و أنشد القصيده، و إلى ذلك أشار ابن زنجى الكاتب يرثى الشيخ أبا على ابن خلدون:

لولا الحياء و إن احبى بفعله يقضى علىّ بها سيوف ملام

و أكون متبعا لأتبع سنه قد سنّها قبلى أبو تمام

ص: ٤٢١

١- ١) فى سنه (٢١٤)هـ و هو يحارب الخرميه.

٢- ٢) ديوان أبى تمام ص ٣٠٣-٣٠٤.

٣- ٣) ديوان أبى تمام ص ٣٠٤.

٤- ٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تأليف الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العبادى العباسى، المتوفى سنه (٩٦٣) و هو شرح لأبيات تلخيص المفتاح فى المعانى للشيخ جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن القزوينى المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنه (٧٣٩). كشف الظنون ١: ٤٧٩-٤٨٣.

لبست لبس الثكالات و كنت فى لبس السواد كأننى من حام

نعم بعد وصول الأشراف المذكورين إلى الشريف أرسل إلى الإمام، منهم:

الشريف بشير بن مبارك، يستوهبه بندر اللحية للاستعانه بجبايته فى أرزاق الأشراف الواصلين، فوهب له الإمام مدينه الزيديه (١).

و وصل الشريف بشير و فى صحبته الشريف النجيب حسن بن أبى طالب بن محمد، و النقباء الثلاثة: سرور، و ياقوت، و سنبل. أو اثنان منهم، و أظن ذلك كان فى آخر شهر جمادى الآخرة (٢)، و الشريف عبد الله بن هاشم حصلت بينه و بين الشريف أحمد بن غالب وحشه أوجبت ارتحاله، فارتحل و صحبه من الأشراف من صحب، و أرسل و رآه الشريف يطلب عوده، فامتنع عملا بقول أبى الطيب:

إذا ترخلت عن قوم و قد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم (٣)

و فى شهر جمادى الآخرة: غزا الشيخ على بن محمد الموكلى أهل قريه الحسينى، فأغاروا، و وقع الشيخ على فى أيادهم (٤)، فاستسلم، فقبضوه و سلموه إلى الشريف على بن حسن، و هو وال بمدينه صبيا، و بالغوا عليه فى أن لا يوقع به مكروها غير الحبس، فالترم لهم بذلك، و بقى الشيخ على محبوسا أياما، ثم بداله فصلبه حيا، و لا علم لى أكان ذلك عن إذن (٥) الشريف، أو لم يكن عن إذنه.

ص: ٤٢٢

١- ١) فى «ن»: الزنديه، و الزيديه: قريه باليمامه فيها نخل و روض.

٢- ٢) فى «ن»: الاولى.

٣- ٣) ديوان أبى الطيب ص ٢١٤.

٤- ٤) فى «ن»: أيديهم.

٥- ٥) فى «د»: عن علم.

غير أنه روى لى من روى أنّ الوزير كان يعدّ ذلك من سقطات الشريف على بن حسن، يقول: لو كان له من التدبير حظّ لما فعل ذلك الفعل الموجب لأتباع الفتنة بين الشريف و بين بنى شعبه، فإن صحّ هذا الكلام، ففيه إيحاء إلى أنّ ذلك كان من غير إذن الشريف، وبقى الشيخ على مصلوباً أكثر من يومين فى ظنّى.

ما قاله الادباء فى المصلوب:

وقد أذكرنى صلبه، و دعانى إلى ذكر ما قال الادباء فى المصلوب، و تشبيه حالته و تصوير هيئته حال صلبه، فمن أبداع ما جاء فى ذلك قول ابن الرومى:

كان له فى الجوّ حبلاً يبوعه إذا ما انقضى جبل اتيح له جبل

يعانق أنفاس الرياح مودّعا وداع رحيل لا يحطّ له رحل

و من ذلك قول الأخطل الأهوازى:

كأنّه عاشق قد مدّ صفحته يوم الفراق إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل

و وجه التشبيه فى هذا هو الهيئه المركّبه من المواصله للتمطى مع سببه، و هو اللوثه و الكسل، فقد نظر فيه إلى الهيئه المركّبه من الثلاث الجهات، و لذا كان لطيفاً، فهو كما ذكر أهل علم المعانى فى قول أبى الطيب المتنبى يصف كلباً صاد صيدا بغير صقر معه:

يقعى جلوس البدوى المصطفى بأربع مجدوله لم تجدل

من قصيدته التى أوّلها:

و منزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل (١)

ص: ٤٢٣

فقوله «يقعى» أى: يجلس على الصيد مثل جلوس البدوى المصطفى بالنار، فإنه يكون لكل عضو من أعضاء الكلب فى إقعائه موضع خاص، و للمجوع صورته خاصه مؤلفه من تلك المواقع، و كذلك صورته جلوس البدوى المصطفى بالنار.

ترجمه عماره بن على بن زيدان المخلافى:

و للفقيه العلامه أحد مفاخر المخلاف السليماني، من لم يكن له فى عصره ثانى، عماره بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحديبي فى المصلوب:

و مدّ على صليب الصلب منه يمينا لا تطول إلى شمال

و نكس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغوايه و الضلال

و له أيضا فى وصفه:

و رأته يدها عظيم ما جنتا فقّرت (١) ذى شرقا و ذى غربا

و أمال نحو الصدر منه فما ليوم فى أفعاله القلبا

قلت: و قول عماره هذا ليس من تشبيهه هيئه المصلوب فى شىء، و إنما هو من حسن التعليل الذى ذكره أهل علم البديع؛ لأنّ إماله الفم و تفرّق الأيدي من المصلوب له علّه، و لكنّها ليست ما ذكره من عظم الحزم و لؤم القلب فى أفعاله، فهو فى حسن التعليل نظير قول أبى الطيّب:

ما به قتل أعاديه و لكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

من قصيدته التى مدح فيها بدر بن عمار، و أولها:

إنّما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب و عقاب (٢)

ص: ٤٢٤

١-١) فى «ن»: ففررن.

٢-٢) ديوان أبى الطيب ص ٩٦.

وقوله «ما به قتل أعاديته و لكن» البيت من حسن التعليل؛ لأنّ قتل الأعداء في العاده لدفع مضرّتهم، حتّى تصفو المملكه عن منازعتهم، لا لما ذكره من أنّ طبيعه الكرم غلبت عليه، و محبّته صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعاديته، لما علم من أنّه إذا توجه للحرب (١) صارت الذياب ترجو اتّساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعداء.

قال في شرح التلخيص: و هذا مع أنّه وصف بكمال الجود، و وصف بكمال الشجاعه، حتّى ظهر للحيوانات العجم.

قيل: و من العجائب أنّ عمّاره صلب بعد قوله هذا بقليل، صلبه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، و كانت هذه الكلمات كالقال.

قلت: و سبب ذلك ما ذكره أبو الحسن الخزر جي في تأريخه (٢): إنّها لمّا انقضت دوله العبيدين، جعل يكثر من ذكرهم، و التأسّف عليهم، و الدعاء على من كان سببا لهلاكهم، و كلّ ما همّ السلطان صلاح الدين بأذيته صدّد عنه القاضي الفاضل (٣)، حتّى كان منه قوله فيهم:

لمّا رأيت عراض القصر خاليه عن الأنيس و ما في الربع سادات

أيقنت أنّهم من ربعم رحلوا و خلفوني و في قلبي حرارات

ص: ٤٢٥

١-١) في «ن»: إلى الحرب.

٢-٢) هو كتاب تاريخ أبي الحسن علي بن الحسن الخزر جي النسبائه، المتوفّى سنه (٨١٢) عني بأخبار اليمن، فجمع تاريخا على السنين، و آخر على الأسماء، و آخر على الدول. كشف الظنون ٣٥٦: ١.

٣-٣) في «ن»: الفاضلي.

سألت أبله قلبى فى السلو و قد يقال ليله فى الدنيا إصابات

فقال رأبى ضعيف لا يطاوعنى كيف السلو و أهل الفضل قد ماتو

يا رب إن كان لى فى قربهم طمع عجل بذاك فلتسويف آفات

و أنشدت الأبيات بأمر صلاح الدين، و كبر عليه، و أمر بشنقه، بعد أن قالها بيسير، فشنق هو و جماعه ممّين كان على رأيهم، فيقال: إنه تفأل على نفسه باللحاق بهم.

و فى الغربال (١) ما معناه: إن سبب شنقه أنه اشيع عليه التعصّب للبيدين مع ثمانية من الروساء، و أنهم يسعون فى إعادته دولتهم.

قال فى تأريخ أبى الحسن الخزرجى: فلما خرجوا يشنقونه، قال: مرّوا بى على باب القاضى الفاضل، فلما علم القاضى ذلك أمر بإغلاق باب داره، فلما مرّوا به هنالك و رأى الباب مغلقا، قال ارتجالا:

عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب (٢)

فشنق فى درب يعرف بخزانه البنود فى القاهره، و ذلك يوم الثانى عشر من شهر رمضان سنه تسع و ستين و خمسمائه، و نسبه فى حكم سعد (٣) العشيره من مذحج.

قلت: و ضبط ابن هشام مذحج فى شرح بانة سعاد، بضم الميم و بالذال المعجمه و الحاء المكسوره.

ص: ٤٢٦

١- ١) هو كتاب غربال الزمان المفتوح بسيد ولد عدنان، فى مختصر مرآة الجنان فى التاريخ، لأبى الأهدل حسين بن عبد الرحمن اليمنى.

٢- ٢) تاريخ ابن خلدون ٤: ٩٦.

٣- ٣) فى «ن»: ابن سعد.

قال الخزرجي: و كان عماره فقيها نبيها فرضيا نحويا لغويا شاعرا فصيحاً بليغاً، يعرف عند أهل زبيد بالعرضي، و عند أهل عدن و الجبال بالفقيه، و عند أهل بلاده بالحدقي، و عند أهل مصر باليمني.

و رَجَّح أبو الحسن الخزرجي خروجه من مذهب أهل السنّه و دخوله في مذهب الفاطميين بني عبيد، قال: و أشعاره في مدائح القوم ناطقه بهذا مفصحه عنه، و كان مولده لبضع عشر و خمسمائه تقريباً.

قال ابن خلكان: و ذلك بوادي و ساع بمدينه ساممرطان (١).

و كذا رأيت في الغربال، بزياده على أحد عشر يوماً من مكّه بتهامه اليمن، و قال: ذكر ذلك عماره في بعض تصانيفه.

قال الخزرجي: و ذكر عماره في مفیده: إنّ مولده في قرية الزرائب، و هي في الناحية الشرقية من المخلاف السليماني، و ذكر أنّ أهل تلك القرية باقون على اللغة العربيّة من الجاهليه إلى عصره لم تتغير لغتهم، و ذلك لأنّهم لم يختلطوا بأحد من أهل الحاضر، و هم قرار لا- يضعنون و لا- يخرجون منه، و خرج عماره من بلده شايّاً في طلب العلم سنه إحدى و ثلاثين و خمسمائه، فلحق بزبيد.

قال في الغربال: و حجّ بسيره صاحب مكّه قاسم بن هاشم إلى صاحب مصر العبيدي، فمدحه بقصيده ميميه حسنه. قلت: أولها:

الحمد للعيس بعد العزم و الهمم حمدا يقوم بما أوليت من نعم

قال فيه فأجزل عطيته، و رجع إلى مكّه، ثمّ إلى زبيد، ثمّ حجّ ثانيه، فأرسله صاحب مكّه ثانياً إلى مصر، فاستوطنها، و لم يزل أمره قاهراً.

ص: ٤٢٧

فى ذكر دولة العبيدين

ذكر فى الغربال: إنَّ ابتداء دولة العبيدين بأفريقيه المغرب (١) فى سنه تسع و تسعين و مائتين، و مدّتهم مائتا سنه و ستّ و ستون سنه، و مقامهم بمصر مائتا سنه و ثمانى سنين، و جمله ملكهم أربعه عشر: أولهم المهدي، ثمّ القاهر، ثمّ المنصور، ثمّ المعزّ، ثمّ العزيز، ثمّ الحاكم، و هو الذى ملك الشام و الحجاز مع المغرب، ثمّ الظافر، ثمّ المستنصر، ثمّ المستعلى، ثمّ الأمر، ثمّ الحافظ، ثمّ الطاهر، ثمّ الفائز، ثمّ العاضد.

قال فيه: و أكثر الناس لا يسلّمون للعبيدين بنسبهم إلى أهل البيت، و كتب الحاكم العبيدى إلى صاحب الأندلس المروانى بهجوه و يذمّ نسبه، فكتب إليه المروانى: عرفتنا فهجوتنا، و لو عرفناك لهجوناك و أجبناك، و السّلام.

و اشتدّ ذلك عليه و أفحمه، و وجد العزيز يوما رقعته على منبر الخطبه، و فيها:

إنّا سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر فى الجامع

إن كنت فيما تدعى صادقا فانسب أبا بعد الأب الرابع

و إن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطائع

أو لا دع الأنساب مستوره و ادخل بنا فى النسب الواسع

فإنّ أنساب بنى هاشم يقصر عنها طمع الطامع

قال فيه فى سياق وفاه و الدهم المهدي: و كان يظهر الرفض، و يبطن الزندقه،

ص: ٤٢٨

١ - (١) و قد ألّف الداعى إدريس عماد الدين المتوفى سنه (٨٢٧) كتابا جامعا مبسوطا عن تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، مطبوع، فراجع.

و قتل هو و بنوه من بعده أربعة آلاف رجل ما بين عالم و زاهد، في دار النحر التي يعذب فيها، و منهم تولد مذهب الباطنية باليمن و المغرب.

هذا، و اعلم أنّ هذه المدينة التي ولد فيها عماره قد اندرست معالمها في وقتنا هذا، و لا نعلم أحدا يعرف موضعها على التحقيق، و أمّا الجهة فهي معروفة، و زمان عماره متقدّم على زمان اللسن البلغ القاسم بن علي بن هتمل بما يجاوز السّتين سنة. و أظنّ أنّ مولد ابن هتمل كان في زمان عماره، و قد ذكره في قصيدته الدالية التي مدح بها الأمير فخر الدين بن علي العقيلي الخزاعي صاحب حلي، أوّلها:

فرطت يوم سويقه يا صائد في الصيد و هو مخاتل و مكابد

و أضعت قلبك فالتحقه بناشد إن كان يجمعه عليك الناشد

و لما خرج من مدحه يطلب منه اللهي، و يذكر من مضى ممّن يقول للمادح السائل، قال:

إن رشتني فزهير راش جناحه هرم و ريش جناحه متفاقد

و أخذ في تعديد هذه الأجناس، حتّى قال:

و عماره الحدّ في قام بحقّه في مصر من ولد الحسين العاضد

و أمّا جهاتهما، فهما متقاربان بينهما قدر أربع فراسخ تقريبا.

تمّه الحوادث:

إشارة

نعم، و بعد أن صلب الشيخ على الموكلي، اتّسع على الراقع الخرق، و رأى أبوه أنّ التقاعد عن الأخذ بالتأثر بمعزل، فعدا يوعد أهل الحسيني و يجمع لهم الجموع، معتقدا أنّ السبب كالمباشر، و لتفرقه بينهما عند من لا يعلمها أمر غير ظاهر، و ترعرع أهل الحسيني لعلمهم أنّ ذلك وعد غير مكذوب، و أنّ هذا الطالب لا يقدر على دفعه هذا المطلوب، فكحلوا نواظرهم ليالي بالسهاد، و فارقوا لذيد المنام فرقا

من ذلك الإبعاد.

ولمّا جاءهم العلم اليقين باليوم الذى يريد العدو ان بهم فيه ما يوقع، لم يألوا جميعا فى الاستصراخ بأهل القرى التى حولهم، و أرسلوا إلى الشريف على بن حسن بمدينة صبيا رسولا يخبروه بما دهمهم، فجعل يتعلّل بأنواع العلل، يقول الموضع قريب، و العدو لا يأتى إلا نهارا، ثم تمهّل بعد دخول اليوم الموعود، حتّى أوقع العدو ما أوقع قبل مجيئه، و كان هو الأحقّ بقول القائل:

فخير نحن عند الناس منكم إذا الداعى المثوب قال بالا

و كان بقرية الحسينى من أهل الخيل فى ظنّى ثلاثه أو أربعة، و من أهل البنادق مثل ذلك، و ألفين فى أهل الخيل، هو الشريف الحسيب على بن محمّد الذروى.

فلمّا أقبل العدو بعد الفجر يوم الخميس سادس و عشرين شهر رجب من السنه المذكوره، أوّلا- ضرب بالبنادق أهلها مرّه واحده، فارتدع من العدو من ارتدع، و جعل الشريف على بن محمّد يدفع من شرّهم ما لا يندفع، و يجول بفرسه فيهم و لسان حاله ينشد:

تأخّرت أستبقى (١) الحياه فلم أجد لى نفسى حياه مثل أن أتقدّما

و لسانا على الأعقاب تدمى كلومنا و لكن على أعقابنا تقطر الدما

فاعترضه الكمى الهرير شارس شريفه، و هو كما قال ابن كثير (البرير) (٢) الهذلى بكسر الموحده على وزن كريم:

ص: ٤٣٠

١- ١) فى «ن»: تأهّرت أستبقى.

٢- ٢) الزيادة من هامش «د».

مَمَّن حَمَلْنَ بِهِ وَ هَنَّ عَوَاقِدَ حَبِّكَ النِّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مَقْبَلٍ (١)

فَاعْتَنَقَهُ وَ سَقَطَا جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ، وَ جَمَحَتْ فَرَسَ الشَّرِيفِ، فَغَنِمَهَا مِنْ غَنَمٍ، وَ كَادَ الشَّرِيفُ مَعَ مَا أَثْقَلَهُ مِنَ الْبَيْضِ وَ الدَّرْعِ أَنْ يَقْضَى عَلَيْهِ، لَوْ لَا حُضُورُ مَنْ ثَبَتَ جَنَانَهُ، كَشَفَ عَنْ سَاقِ ابْنِ شَرِيفِهِ، أَرَادَهُ لِمُضَرَّتِهِ، فَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ، وَ نَجَا الشَّرِيفُ حَتَّى تَوَارَى فِي خِرَابٍ مِنَ الْبُيُوتِ، وَ أَثَخَنَ الْعَدُوَّ الْقَتْلَ فِي أَهْلِ الْقَرْيَةِ.

وَ كَانَ مِنْ قَتْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، أَحْسَبُ ثَمَانِيَةَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَ أَحْرَقُوا بُيُوتَ الْقَرْيَةِ إِلَّا قَلِيلًا، وَ طَمَّوْا آبَارَهَا، وَ ضَاهَى فَعْلَهُمْ بِهَا فَعَلَ الْوَزِيرُ بِقَرْيَةِ السَّلَامَةِ.

ثُمَّ تَفَرَّقَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ أَهْلِهَا عَنْهَا، وَ خَذَلَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، فَتَقَاعَدُوا عَنْ نَصْرَتِهِمْ (٢)، مَعَ بَذْلِهِمُ الْجَهْدَ فِي الْإِعْلَامِ لَهُمْ، وَ لَمْ تَجِءِ الْغَارَاتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قُضِيَ الْأَمْرُ، وَ لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِنَّ الْمَرْءَ (٣) مَيِّتًا بَانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ وَ لَكِنْ بَأَنْ يَبْغَى عَلَيْهِ فَيُخَذَلُ

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْتِنَاقَ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ فِي حُرُوبِهَا، وَ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَفْعَلُهُ فِي زَمَانِنَا، إِلَّا قَبِيلَهُ هَذَا الشُّجَاعَ الْمَذْكُورَ.

قَالَ فِي شَرْحِ آيَاتِ الْجَمَلِ فِي شَرْحِ قَوْلِ خَرَبِقِ (٤) بِنْتُ هَتَّانَ الْقَيْسِيَّةِ، اخْتِ طَرْفَهُ بِنَ الْعَبْدِ لَأَمِّهِ، مِنْ شَعْرِ رَثَتْ بِهِ زَوْجَهَا بَشْرَ بِنِ عَمْرِو بْنِ مَرْتَدٍ وَ مِنْ قَتْلِ مَعَهُ

ص: ٤٣١

١- ١) فِي «ن»: مَهْبِلٌ.

٢- ٢) فِي «ن»: نَصْرَهُمْ.

٣- ٣) فِي «د»: الْأَمْرُ.

٤- ٤) فِي «ن»: خَزْنَتُ.

من بنيه و قومه:

لا يبعدنّ قومي الذين هم هم سمّ العداة رأفة الجزر

النازلون بكلّ معترك و الطيّبون معاقد الأزر

النزول في الحرب على ضربين: أحدهما في أول الحرب، و هو أن ينزلوا عن إبلهم و تركوا خيلهم. و الثاني في آخرها، و هو أن ينزلوا عن خيلهم، و يقاتلوا على أقدامهم، إذا كان القتال في موضع وعر لا مجال فيه للخيل.

قال: و ربما اعتنق الرجل صاحبه، فسقطا جميعا إلى الأرض، و هذا هو النزول الذي أراد مهلهل بقوله:

لم يطبقوا أن ينزلوا و نزلنا و أخو الحرب من أطاق النزولا

و هو الذي أراد عترة بقوله:

فيهم أخو ثقه يضارب نازلا بالمشرفى و فارس لم ينزل (١)

إنتهى كلامه. و ثقه بكسر المثلثة المصدر، فإن فتحها فمعناه عدل، تقول رجل ثقه.

قلت: و قد ذكر الاعتناق أيضا زهير في قوله:

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب (٢) عن أقرانه صدقا

يطعنهم ما ارتجوا (٣) حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا (٤)

ص: ٤٣٢

١-١) ديوان عترة ص ٦٠ طبع دار صادر بيروت.

٢-٢) في الديوان: ما كذب الليث.

٣-٣) في الديوان: ارتموا.

٤-٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٤٣.

وقد أحسن و زاد على الإحسان فى البيت الآخر، لاندماج الألفاظ فيه و انسباكها، و ارتباط كل كلمه منها باختها و ترتيبها عليها.

نعم، و كان بين الصباح و شفق المذكور نحواً من سبعة عشر يوماً، و كانت هذه الفعله أول سطوه وقعت فى أهل القرى من بنى شعبه.

و الشريف لم يزل فى اغتنام مساره، و اجتلاء عرس (١) ملكه و أفكاره، حتى دهمه العلم بنزول الدوله المشرقيه فى العشر الأواخر من شهر رجب من السنه المذكوره أولاً، و ذلك بعد امتناعه من الانتماء إليهم، و الانتظام فى سلوكهم، و كثرت المكاتبه بينهم، و ترددت الرسل.

و لم يرجع الشريف عمياً هو عليه من الانتماء إلى الإمام الناصر لدين الله، و أخذ فى جمع الجمال، و تقريبها لجمع الأثقال، و استشار أرباب دولته فى هذا الخطب الفادح، لاستفاده رأى منهم ثاقب صالح، و أجمع رأيهم على حسن النهوض إلى أبى عريش؛ لأنه من المرافق المعينه على الثبات، فألبس بهذا الموضع الذى هم فيه، من الآبار الكثيره، و المباني الحصينه الممنعه، فقدم الشريف الوزير سنبل بأهله و أثقاله.

و لمياً وصل إلى أبى عريش، كان من فساد رأيه، و اختلال تدبيره، أن منع أهل المدينه من الخروج بأثقالهم، من حين أن وصل الشريف بعده أذن لهم، و لكن تفاقمت الحادثه، فعدمت (٢) الجمال، و تعدر عليهم حمل الأمتع و الأثقال، و خرجوا بالنفوس و الأولاد.

ص: ٤٣٣

١- ١) فى «ن»: عون.

٢- ٢) فى «د»: فعدمت.

و كان هذا الإجلاء الثاني منهم عن وطنهم في مدّة الشريف، و في قدوم الشريف من خلب إلى أبي عريش، احترقت عليه خزانه الباروت (١)، و أحرقت النار جماعه من أصحابه، و ضاقت نفسه من أجل ذلك.

ثمّ أخذ في إعمال مكائد الحرب، فجعل من العسكر جزء وافرًا في ثلاثه متارس يصيبون و لا يصابون، و بقيه العسكر معه بالقلعه، و الدوله المشرقيه وصلت عياش، بعين مهمله مفتوحه، فبأه مئناه من تحت، فشين معجمه على وزن بقال:

لمن يبيع البقل يوم الثلوث، أو يوم الربوع، و هو على نحو فرسخين من أبي عريش مشرقًا يميل إلى اليمن، و اضطرب حال الشريف و تقلقل، لهجوم هذه الحادثه مع شدّه بأسه، و ثبات جناحه.

و لما كان بعد شروق الشمس من يوم الجمعة سابع و عشرين من شهر رجب الثاني ليوم وقعه الحسيني، أقبل من نحو المشرق يوم مستطير، و ارتفع بالجوّ نفع قد اثير، فأردع الشريف الحزم، و استشعر الصبر للاصطلاء بحرّ هذا اليوم، و أخذ هو و أهل خيله نحو المشرق بقدر مدّ البصر، فإذا جيش كثيف قد طبق الأرض بأطباقه، فليس من أطباقه مهرب، كؤوس المنايا به مترعه، و رؤس المحن و البلايا محدقه به مهطعه.

فحين أن رأوا الشريف و أصحابه، أطلقوا عليهم صواعق محرقه، تصتكت منها المسامع، فكزت الخيل راجعه، و غشيهم من يّم ذلك الجيش ما غشيهم، و حملت الأجناد المشرقيه حمله لم يتّم لها أحد، و تفرّق شمل أهل الخيل، و أظلم الموضع بالقتام كالليل، و لو لا ما كان أعمله الشريف من المكائد لما عاد منهم الى المدينه

ص: ٤٣٤

عائد، و مال الجيش المشرقى قبلى المدينه يجزّ، و لا يبعد اطلاعهم على ما كان أعمله الشريف فى يمانيه من المكائد.

و لو لا- أنّهم تجاسروا على الإقدام على القلعه لملكوها، و لكن سبق القدر بخلاف ذلك، و حملت منهم شرذمه، فجاءت قبلى القلعه، فالتفت عليها المتارس، و أهلكت منهم جزء وافر، و دخل جزء من الجند المشرقى فى البيوت و الحوانيت إرادته للنهب، فكان من إحكام الشريف و عنايته، أن أمر بإحراق البيوت، فأحرق النار منهم خلقا؛ لعدم خبرتهم بالشوارع، و تهالكهم على الطمع، ثمّ اجتمعوا جميعا فى الجانب القبلى من المدينه، و استتروا بما يقيهم، و كفت الحرب.

و روى أنّ الشريف خرج بعد رجوع الخيل، و بعد الالتقاء إلى موضع قبلى المدينه أو غربيها، و لم يرجع إلّا بعد أن تحقّق أنّهم لم يدخلوا القلعه، و كان هذا اليوم يوما مشهودا غمامته، كصائب صوبها الرزايا و النوائب، سفه فيه من الحلیم الحلم، و كاد أن يجعل الوليد شايبا كالهمّ.

و روى أنّ قاسم بن على بن أحمد قال: لم يكن فى خلدنا أنّ الشريف يتزحزح من مكانه الذى كان به، و أنّه يرى ذلك عارا عليه؛ لما كان يظهره من التمدّح فى الثبات. و لما فرّ إلى أبى عريش قصدا للاختفاء، لم يسعنا إلّا الإقدام، قال: و لم يكن معنا ما نستعين به على ما وقّنا فيه.

حكى أنّهم (1) لم يكن معهم آله الماء المعروفه فى الجهه التهاميه من الدلو و الرشاء، و كان ما يستقون به هو المزاد، و أرشيتهم حبال البيوت التى قبلها ليس بمحكم، و لغرتهم و عدم خبرتهم كانوا إذا سقط عليهم ممّا يستقون به شىء لم

ص: ٤٣٥

يمكنهم استخراجهم، فاجتمع في الآبار من ذلك التي كانوا يستقون منها شيء كثير، أخرجه غيرهم بعد عزمهم، ثم إن الطرق كانت مسلّمه للشريف، فكان يريد يسيّر إلى أيّ جهة شاء.

و روى أنّ بعض أصحاب الشريف كان يلقي الجيف بالليل في الآبار التي يستقى منها أهل المشرق، فتصبح منتنه، وانضمّ بعض الامور إلى بعض، فاستحكمت الشدّه على أهل المشرق، وكثرت مكائد الشريف لهم، فأخذوا في التوسيط إليه طلبا للصلح المترتب عليهم سلامتهم وقت الخروج، فتبيّن له أنّه قد ظهر عليهم، فشمخ عن ذلك، وثنى عطفه.

و روى أنّه طلب أن يبقى لديه بعض امراء السريّه وثيقه، فامتنعوا و صمّموا على الخروج، و الحرب قائمه، عملا بقول القائل:

إذا لم يكن إلاّ الأسنّه مركبا فلا رأى للمضطرّ إلاّ ركوبها

فلما كانت الليله الخامسه من دخولهم و ذلك ليله الأربعاء، أخذوا في جمع أثقالهم، و أكثروا من الرمي بالبندق، ليشغل (١) الشريف و أصحابه، (و كان يخرجون فئه بعد فئه، فلما كان قبل أن يتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود، خمدت الأصوات دفعه واحده، فاستنكر ذلك الشريف و أصحابه) (٢) و أمر من تجسّس، فوجد منازلهم خاليه منهم.

فلما أخبر الشريف المتجسّس بذلك الذي قال، قال الشريف: الرأى أخذنا

ص: ٤٣٦

١-١) في «ن»: ليشغل.

٢-٢) ما بين الهاليتين ساقطه من نسخه «د».

بالحزم أن يبقى أهل المتارس بها، و يغير غيرهم (١).

فروى أنه نهض بنفسه و معه أهل الخيل و بعض الجند، فقبل: إنه ترآى الجمعان، و حقّ التعارف على الخلصان، و رأى الشريف و أصحابه موجاً لا - علم لهم بالسباحه فيه، فتقاعسوا عنه، و قهقروا على أدبارهم، و التقطوا المتأخر و العاجز و الضالّ، و رجعوا مسرورين، و أسروا الشيخ العوسجى و كان ممّن تأخر، و سبق بالمهمله له القدر و قبض.

قيل: و بلغ عدد المقتولين من أهل المشرق نحو المائتين، على اختلاف فى ذلك، و من أصحاب الشريف نحو سبعة لا غير، و ذلك لإقدام أهل المشرق على الموت، و بروزهم فى أغلب الأوقات، و فى وقت وصولهم و اختفاء أصحاب الشريف بما سترهم قبل و بعد.

و كان خروجهم يوم الأربعاء ثانى يوم من شعبان سنه أربع و مائه و ألف، و أصاب أهل مدينه أبى عريش من النهب للمدائن، و ما لا (٢) يستطيعوا حمله من الأثقال أمر لا يضبط، مع إحراق بيوتهم، و تعقب خروج أهل المشرق أصحاب الشريف ينهبون ما وجدوا، و لا رؤى لأحد منهم يتبع، أو نهى ناه لهم عمّا ارتكبوه يسمع.

و روى أنّ المأخوذ من سوق البايان بلغ ما قيمته ثمانيه آلاف قرش (٣)، و أرسل الشريف بالرسل بالتهانى إلى كلّ موضع، و ربما ارتفع عند الإمام من شأنه

ص: ٤٣٧

١ - ١) فى «ن»: غيرهم.

٢ - ٢) فى «ن»: و ما لم.

٣ - ٣) فى «ن»: غرش.

ما ارتفع، وهنأه السيد الأكرم، السالك من الأدب مسلكه، والمتسّم ذروه البلاغه في كلّ معركة، عماد الدين يحيى بن أحمد بن صلاح بن الهادي الوشلي المنيمي بهذه القصيده:

إليك و إلا لا نجاح لطالب و فيك و إلا لا مديح لراغب

و منك و إلا فالمؤمل مخطيء و عنك و إلا فالثناء غير واجب

يقول لى الحادى و قد جدّ فى السرى و للعيس و خد بين تلك الغياهب

و قد خالط القوم النعاس من السرى و هم بين ماش فى القفار و راكب

إلى م التمادى فى السرى يا أخوا السرى و حتى م قطع للربا و الشباب

أما حان للعيس المناخ فقلت لا مناخ سوى فى سوح أعلى (1) المراتب

و كم لك من بأس يذوب لهوله الجماد و فعل صادق غير كاذب

و عزم إذا أودعته البيض لم تدع على الأرض من باغ لها أو محارب

و من ذلك:

و أمنت من فى البرّ و البحر بعد أن غدوا من عظيم الخوف فى كفّ لاعب

و من ذلك:

و أنسيت أخبار الملوك و ما مضى لهم من أحاديث جرت و مناقب

و عذرا أطل الله عمرك أنّى و إن طال مدحى لا يقوم بواجب

فما كنت فى مدحيك إلا كمعتد يحاول إحصاء لعدّ الكواكب

و إلا كباغ للفرات أحاطه لأكنافه أو ما به من عجائب

بقيت بقاء الدهر يا خير ماجد لتشيد عزّ أو لبذل مواهب

ص: ٤٣٨

و لا برحت أيامكم فى سعادته و مجد و إقبال و نيل مآرب

و سعيك مشكور و أمرك نافذ و سوحك مقصود منيع الجوانب

و هذا السيد من ادباء العصر، ملك من الفصاحه زمام النهى و الأمر، و له كل معنى رائق فى النظم و النشر. و ما أحسن تضمينه لبيت
أبى بكر الخوارزمى، و ذلك بعد أن شرع سيدنا و شيخنا الإمام شيخ الإسلام شرف الدين الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ
المهلا فى عماره دار له بمحروس الشجعه، فقال السيد مخاطبا له و مضمنا للبيت الآخر:

ستبلغ فى عليك ما كنت آملا و تكمل بنينا كمجدك كاملا

و تسكنه فى نعمه و سعادته و تضحى لأنواع المراتب (1) شاملا

أباني المعالى و الفخار بهمه يقصر عنها من يروم تطاولا

تمتلت إذ شاهدت دارك هذه الجديده يا بحر الفضائل و ابلا

و قد برزت فى حسنها ذات بهجه و أضحت تسر الناظرين تكاملا

أكل بناء أنت بانيه معجز بنيت المعانى أن بنيت المنازل

و من التضمين الحسن فصيده السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي عادت بركاته، ذكره القاضى العلامة شمس الدين أحمد
بن صالح بن أبى الرجال فى تاريخه:

و صغيره حاولت فض ختامها من بعد فرط تحنن و تلطف

و قلبتها نحوى فقالت عند ذا قلبى يحدثنى بأتك متلفى

المصرع الثانى فى البيت الأخير لابن الفارض، قال القاضى: و هذا المعنى

ص: ٤٣٩

عجيب، و قائله فى الزمان غريب.

و من الحسن أيضا تضمين السيد الأديب عماد الدين عيسى بن لطف الله لبيت أبى الطيب:

قلت لما رأيت من تبع الملك بدار المطهر الملك مخلا

أبدا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جورها كان بخلا

و من ذلك أيضا تضمين السيد الأديب جمال الدين محمد بن على بن حيدر المكي الحسينى، أخبرنى به الشريف الأديب بشر بن مالك حين اجتمعت به فى حلب، فسألته عنه، فقال: هو حى يعيش بمكة المشرفة، و قد صدر و عجز هذه البيتين:

يروى و ما لى جيره ما استعنتهم على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى فلم أستطع عن حيمهم طيرانا

قلت: و فى استعمال ارتجع بمعنى رجع تأمّل؛ لأنّ أهل علم الصرف ذكروا مجيء افتعل للمطاوعة فى غير العلاج و الأتحاد، و للتفاضل و التصرف، و لم يذكروا مجيئه بمعنى فعل، كما ذكروا ذلك فى تفاعيل و استفعل، فقال السيد المذكور مصدرا و معجزا، و هما من التضمين على ما يعطيه كلام أهل البديع.

بروحى و مالى جيره ما استعنتهم فخبث و لا ظنى المصدق خانا

و لا جنتهم مستنجدا صارخا و لو على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى لكى أتقى فى ظلهم و اصانا

و عندهم استوطنت ذكرا بروضه فلم أستطع عن حيمهم طيرانا

قلت: و كله حسن إلا- تعجيزه بقوله «أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى» بقوله «لكى أتقى فى ظلهم و اصانا» كما لا يخفى ذلك على المتأمل العارف بمواقع

يوضحه: أنّ قوله «جناحى» إستعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح، و قوله «ثمّ بلّوه بالندى» تشبيه لآتصال النعم إليه، و ترادفها عليه، بعد جبر حاله المنهاض بالبلّ للجناح الكامل الرشّ فى ترتيب الطير، و المكث و عدم القدره على النهوض بعد كلّ منهما، فهو استعاره مصرّحه تبعيه.

و قوله «فلم أستطع حيّهم و طيرانا» تفرّيع على الاستعاره بما يلائم المستعار منه من عدم استطاعته الطيران، فالاستعاره مرّشحه. فما أبلغ هذ الكلام مع الثام صدره و عجزه غايه الالتيام.

و أمّا تعجيز السيّد له بما ذكره، فهو منفكّ عنه غير ملتئم به؛ إذ لا مناسبة بين البلّ للجناح و الاثقاء و الصون، و لو قال: لكى أتقين بنون التوكيد الخفيفه داخله على المضارع لكان مناسباً، و يكون تجريدا لا ترشيحا، و دخول نون التوكيد على المستقبل الذى هو خبر محض غير منفى، و إن كان غير جائز فى الشفه، فللشعر أحكام مجوّز له ما يخطر على غيره، و الله سبحانه أعلم.

و للشيخ جمال الدين محمّد بن نباته ماجنا واصفا ضعف آله، مضمّنا مصراع امرىء القيس:

دنوث إليها و هو كالفرخ راقد فيا خجلى لّما دنوت و إذلالى

فقلت امعكيه بالأنامل فالتقى لدى و كرها العنّاب و الحشف البالى (١)

المصراع الثانى فى البيت الأخير لامرىء القيس، و صدره «كأنّ قلوب الطير رطبا و يابسا» و العنّاب لم يذكر تفسيره صاحب شارح التلخيص، و لا شارح

ص: ٤٤١

شواهد، وإِنما ذكره فى شرح الأزهار فى الایماق، فقال: هو ثمره لا توجد فى جهاتنا، قال فى بعض الحواشى: و هو شىء يشبه الأصابع. قال فى بعضها: و يكون أحمر. و أما الحشف فهو أردى التمر، و الضعيف الذى لا نوى له، و الیابس الفاسد.

و قد تمادى بنا القلم، و خرج بنا عن المقصود، و لكن لا یخلو ذلك عن فائده إلى الناظر المستيقظ، و الشىء بالشىء یدكر.

ثم أخذ الشریف فى المعاقبه لمن اتهمه بالخداع، و الرضا بما نزل به من المكروه، فحبس جماعه، منهم: الأمير الشهير خيرات بن حسن بن عزّ الدين القطبى، و سلط على بيته نقيبا من نقباء الإمام استولى على ما فيه.

و كان بنو شعبه لما فرغوا من تصحيح قريه الحسينى للتأريخ المتقدم، استطعموا أهل القرى الشاميه، و الشریف حينئذ فى شغل شاغل عن الالتفات إليهم بما نزل به من فتنه الدوله المشرقيه.

و لَمّا كانوا من بالمكان المعروف من القوّه، لم يستطع أهل القرى الإباء عن ضيافتهم، و إن كانوا أعداء للشریف، و عقوبته غير مأمونه، و لبثوا ينتقلون من قريه إلى قريه، و همّوا بدخول صبيا، و كان بها نائب خلفه الشریف على بن حسن، فولّى دبره، و أقام بيته، و أخذ أهل صبيا بالحزم، و صمّموا على المقاتله و الدفاع، و قام فيهم الشریف الأكرم الأنبى شمس الدين أحمد بن محمّد بن حسين، و حاميا لدماره، و قاصدا للذبّ لمن يقصد إلى دياره، و ركب إلى بنى شعبه بعض الأعيان، فنطحهم بما كان سببا لاندفاع شرّهم، و رجعوا عمّا كانوا أرادوا.

و لَمّا انجلت عن الشریف غراما، ألمّ به من أنكر به، و طلع و أطلع على ما صنع أهل القرى الشاميه من الضيافه لبنى شعبه، و وجه إليهم النقيب قاسم بن غاضب، و معه نحو مائه و خمسين لقصد تأديبهم، غير ملتفت لما هو لهم فى ذلك من

المعاذر، و من أوضحها و أجلاها أنّ المستطعم لهم قوى قادر، و وجّه إلى مدينه صبيا الشريف على بن حسن، و إلى قريه الشقىرى و هجره ضمّد الوزير سنبل.

و لما شاع و امتلأت به أهل هاتين القريتين الاسماع أنّ الشريف كان أباها للوزير و أجناده، لاّتهامه بأهلها بالسرور بمكروهه، و التقاعد عن نصرته و إعانته أيام كان الحصار عليه، فرجّح له من رجّح استهلاك ما يملكونه على التدريج، ليكون ذلك أعظم نفعاً، و أوفر جمعاً، فوجه الوزير سنبل و قد أضرب عن تلك التيه.

و لما شاع خبر وصوله، و ما كان استحسّنه الشريف أوّلاً من الإباحه، هرب من هجره ضمّد من هرب، و أمسى الوزير ليله الخامس أو السادس من شهر شعبان بضمّد، و كان بجنده عجب و خيلاء مساوها اعتقاد غلبتهم لتلك الأجناد المشرقيه، فبات أهل القريه من أجلهم بليله نابغيه (١)، و أحزان يعقوبيه، و انفصل صبح تلك الليله إلى الشقىرى.

و كان قد هرب من أهله خلق، خوفاً من ذلك الأمر الذى شاع، فاستدرجهم الوزير من حيث لا يعلمون بكتاب، مضمونه: إن الجائى إليكم للذبّ عنكم و حمايه لكم، كيف يليق بكم الفرار منه خوفاً من شرّه؟.

و أرسل بذلك رسولا و تلطّف لهم الرسول، فرجعوا و رفضوا ما كانوا صمّموا عليه من الإجلاء، فلما مضى عليهم نحو عشره أيام أقبل عليهم يؤدّبهم بالأموال الجليله، و يعزّزهم جنده بأنواع التعزير، فكانوا كما قيل:

و كم رافض أمرا و فيه نجاته و مدّخر نفعاً و فى نفعه الأفعا

و النقيب قاسم بن عاصب فعل بأهل القرى الشاميه نحو هذه الأفعال، و قد

ص: ٤٤٣

(١ - ١) فى «ن»: نابغيه.

مكروا مكرهم و عند الله مكرهم، و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

نعم، و بالغ الشريف فى إدخال الضرر على أهل المشرق، بقطع المواد، و منع الصادرين و الواردين، و انقطع اتصال أهل الأسباب بالأسواق المشرقية، و أدب من بيتهم بذلك بالأدب الكبير، و كذلك آل عمر و آل حسن منعهم المواد، و أكثر من ذلك على أهل القرى الأرصاء.

و كان المسلمون فى عناء و تعب، و عدم الملح على أهل الجبل، و ارتفع لديهم ارتفاعاً لم يعهدوه من قبل، و تنكرت من الشريف بعد هذه الفتنة معارفه، و جهل حتى من كان أولاً يعرفه، و انقاد لهوى نفسه بزمام، و ظهر منه ما كان يجنّه فى سالف الأيام، فعظمت فى القلوب هيئته، و ترقبت فى كل وقت سطوته.

عمارہ قلعة جازان:

و فى غزّه شعبان: ابتدأ الشريف عماره قلعه جازان، و كانت الأشجار قد سترت أرضها، فأمر بقطعها، و كان يغدو إليها و يروح إلى أبى عريش، ثم ضرب بها خيمه و أقام بغير سكن معه، و جدّ فى ذلك و اجتهد، و أقام و أقعد، و أكثر من الصنّاع و الاجراء، فامتلاً بهم ذلك الموضع بعد أن كان مقفراً.

و روى لى بعضهم أنها مسحت (1)، فجاءت ثلاثه معاود، و قيل: ثلاثه معاود و قيراطا، و بالغ الشريف فى إعادتها كما كانت، و كان لا يبنى أمراً إلا على ما يريد من الوضع و الإحكام، و قد ذرعت أسبها من الجانب الغربى، فجاء بذرّاع السّيد سبعة أذرع و نصف ذراع، و كان بذلك الموضع باب قديم غربى سدّه الشريف.

و لم يزل مهتمّاً بأمرها و شأنها، مشغولاً بالعنايه فى إحكامها، و توثيق بنائها،

ص: ٤٤٤

و لم يدع أمرا تدعو الحاجه إليه عند الحرب و شدّه الحصار إلا أمر بفعله، فجاء اسلوبها غريبا، لم يهتد ملك هذه الجهات إلى الإتيان بمثله، و أنشده ناطقا بالموعظه لسان الحال، و ناهيا له عن الطمع في بقاء ما هو موضوع للزوال:

أتبنى بناء الخالدين و إنما مقامك فيها لو عقلت قليل

و قد كان في ظلّ الأراك كفايه لمن كلّ يوم يقتضيه رحيل

و اعلم أنّي طالعت بغيه المستفيد (١)، تأريخ مدينه زبيد للربيع (٢)، مطالعه مستقصاه، فلم أره ذكر عمارتها القديمه، مع ذكره لملوك زبيد، و عماراتهم إلى مدّه بنى طاهر رأس المائه التاسعه.

و طالعت قزّه العيون في أخبار اليمن الميمون (٣)، له أيضا، مطالعه إمرار لا استقصاء، و لا أخاله ذكر عمارتها.

و طالعت الغربال (٤) للعامري، و لم أره ذكر عمارتها. و بعض تأريخ أبي الحسن الخزر جي (٥)، و لم أر فيما رأيت ذكرا لعمارتها.

و لا أظنّ العامر لها غير الأمير خالد بن قطب الدين و أولاده، و لو كان لملوك

ص: ٤٤٥

١ - ١) هو كتاب بغيه المستفيد في أخبار زبيد، تأليف الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن عمر بن علي المعروف بابن الديبع اليمنى، المتوفى سنه (٩٤٤) و هو مجلّد، مرتّب على مقدّمه و عشره أبواب، و كان أعظم البواعث لتأليفه بيان أحوال بنى طاهر. كشف الظنون ٣٠٦: ١.

٢ - ٢) كذا في النسختين، و لعلّ الصحيح: لابن ديبع.

٣ - ٣) راجع: إيضاح المكنون ١٩١: ٥.

٤ - ٤) تقدّم الكلام عنه.

٥ - ٥) تقدّم الكلام عنه.

زبيد فيها عماره لما أغفله الربيع (١)، مع ذكره لعماره البرك، وهو أحقر منها قدرا و أبعد مسافه، و أول خراب وقع عليهما فيما علمت في مدّه الشريف السلطان أبي الغوائر أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين في شهر ربيع الأول من سنه اثنين و ثمانين و ثمانمائه.

و كان ذلك-على ما ذكره في بغية المستفيد-بسبب وحشه شديده حصلت بين الشريف أحمد بن دريب و الشريف محمّد بن بركات، فتجهّز الشريف محمّد بن بركات من مكّه في جمع عظيم، و صحبته جميع أهله من الزوجات و الذراري و السراري، فوصلوا إلى وادي جازان، و تردّدت الرسل بينه و بين صاحبها، فلم ينتظم صلح، و وقع بينهم وقعه عظيمه.

فانهزم فيها صاحب جازان، و قتل من أصحابه جمّ غفير، و انتهكت الحرمات، و انكشفت العورات، و جرى على نساء صاحب جازان من الذلّ و الإهانه و كشف الحجاب، ما لم يكن لأحد في حساب، و انتهبت خزائنه، و فيها من الكتب النفيسه شىء كثير، و اخذ من السلاح ما جمعه أبوه و جدّه، و نهبت جازان، و احترقت، و هدمت دور الخلافه و سور البلاد، و أصبحت البلاد خاويه على عروشها (٢). إنتهى.

و الحراب الثاني: كان في مدّه عامر العزيز، أظنّه سنه ثلاث أو أربع و أربعين و تسعمائه، و هو آخر ملوك الامراء القطبه، و عدّه ملوكهم تسعه: أولهم الأمير خالد ابن قطب الدين، ثمّ ابنه دريب بن خالد، ثمّ ابنه أحمد بن دريب، ثمّ ابنه يوسف العزيز بن أحمد، ثمّ أخوه المهدي بن أحمد، ثمّ أخوهما عزّ الدين بن أحمد، ثمّ

ص: ٤٤٤

١-١) ابن الديبع، و هو صاحب كتاب بغية المستفيد و غيره.

٢-٢) بغية المستفيد لابن الديبع، لم أعثر عليه.

محمّد بن يحيى، ثمّ أحمد بن المهدي، ثمّ عامر بن يوسف العزيز.

و مدّه ملكهم مائه سنه و أربعون سنه، كلّها صافيه إلاّ. أربع سنين في أيام عامر العزيز، فإنّها ترعرت، و كان امراء جازان قتلهم الشطوط، بشين معجمه فمهملتين بينهما واو، و هم من ذريه غانم بن يحيى، و آخر ملوكهم المقلّم على صيغه اسم المفعول من التقليم، و كانت ابنته حليله للأمير خالد.

غزوه قبيله النحوس:

و في آخر العشر الوسطى من شهر شعبان: نهض الوزير من قريه الشقيرى غازيا قبيله النحوس من قبائل بنى شعبه، و كانوا بناحية نبش، و كتب إلى الشريف على بن حسن، و كان قد خرج من مدينه صيبا إلى قريه الدهنا يخبره بما عزم عليه من الغزو للمذكورين، و يعرفه بموضع معيّن يجتمعان فيه (1)، و تبّه الشريف على بن حسن على النقيب قاسم بن غاضب بما يريد الوزير، و كان السبب بقريه المحلّه، فاجتمعوا بالموضع الذى قد كان عينه الوزير.

و اجتمع معهم من الخيل و الجند عدد مستكثر، و قدم أهل الخيل على العسكر، و استولوا على أنعام تلك القبيله، و كانت أنعاما واسعها تقرب من الألف و تنيف، ثمّ جعلوها بين أيديهم و كزوا راجعين، و التقت العسكر و تلك القبيله، فحمى بينهم الوطيس، و ثبتت تلك القبيله ثباتا عظيما، حتّى كادت أن تهزم الدوله، و قتلوا من العسكر نيفا و خمسين رجلا، و غنموا أسلحتهم و ما كان معهم من المال المستفاد من مال أبى عريش.

و أمسى الوزير تلك الليله بنش، و أحسبه بات به ليله اخرى، ثمّ ولى مدبرا و لم

ص: ٤٤٧

(١ - ١) فى «ن»: به.

يعقب، و كانت هذه الغزوه إيقاظا لنائم الفتنة، و قرعا لبابها، و غربا نعت لتفرق شمل أهل القرى، و أذن بخرابها.

و لَمَّا ارتحل الوزير من نبش، خاف أهله و وجلوا؛ لعلمهم بعدم القدره على دفاع العدو؛ لأنه يعدّ أهل القرى بعضا من الدوله، و الآخذ لهم عنده آخذ لها، مع زياده أمر آخر عرف من دأب الشريف، و هو أنّ من وقف من أهل القرى فى بلدته متكلا فى دفع العدو عن نفسه على جبلته (1) كان عنده من الخاطئين، و يلحقه بالعدوّ فى وجوب معاداته، و استباحه مملوكاته، و هذا أقوى العلل، و أعظم الأسباب فى الاتّساع للخراب.

و بعد ارتحال أهل نبش، ارتحل من يليهم من أهل القرى، ثم لم يزل الآخر يتبع الأوّل فيما فعل للعلّه التى كان سببها ارتحال الأوّل، و ارتحل الشريف على بن حسن من قريه الدهناء بعد أن كان مريدا للإقامه بها، و كذلك النقيب قاسم بن غاضب ارتحل من قريه المحلّه، و قد كان نواها دار إقامه، قصدا منه للتأديب، و إرادته للتحكّم فى أهلها بنوع التعذيب.

و أوّل صباح وقع بعد هذه الغزوه صباح القوز، و أظنّه كان فى شهر رمضان، و لا علم عندي بكيفيته، و حصل فى قريه الدهناء، و لا علم لى فى أىّ شهر كان.

و حكى بعض الساده الفضلاء بأنّه وقع صباح الدهناء ليلا و هو بها، و أقبل عليه رجل من الأعداء شاهرا لخنجره، و انفردا و لم يكن مع السيّد سلاح، و كان ذلك يريد أن يسطو بالسيّد و هو فى وجل، يظنّ أنّ مع السيّد سلاحا أو رداء، و السيّد فى وجل منه لا يريد إلاّ إدباره، فتشابه حالهما، و تضاهى و جلهما، حتّى انثنى السيّد

ص: ٤٤٨

١- ١) فى «ن»: حيلته.

يريد أخذ ما يستدفع به شرّ ذلك الرجل من سلاح أو عصا، فأدبر ذلك الرجل إداراً لم يتعقبه منه إقبال، و كان في ذلك لهما فرجه كحلّ العقال.

و في شهر شوّال: وقع صباح العدايه و الأثله، و انتهى الحراب من قريه نبش إلى مدينه صبياء، و كانت طرفاً، و الوزير بعد رجوعه من هذه الغزوه إلى قريه الشقيرى أقبل على ظلم الرعيه، فكان كلّ داهيه من الظلم و الضرّ يشفّعها بما هو أدهى منها و أمرّ، و استباح أعراض المسلمين، و ما حازته أيديهم من كلّ منقول بالأسباب التي يمجّجها السمع، و يخيلها المعقول، و أخاف السبيل في غير المصروفيه، و ضاق كلّ منزل من أجل ظلمه و جوره على ساكنيه.

و انتهت به الحال إلى أنّ الكذب على الناس، و النقل عليهم بخلاف الواقع، و بالأسباب التي لا- توجب التأديب من الامور الموجه لمرتكبها القرب منه، و المحبّه له، و ارتفاع المنزله لديه، فسرى ذلك في الخلق، و سارعوا إلى الاتيان به لقلّه من تجده منهم على طريقه الحقّ؛ لأنّهم كائل (1) مائه لا- تجد فيها راحله، و كان إذا أحسّ تقصيرا ممّن عهد منه ذلك الإعزاز، أو ذلك الكذب، تهذّده و عدّه ممّن لا مصلحه فيه، و ممّن يحقّ أن لا يلدك نعمه بفيه.

و من قبيح أفعاله: أنّ صبيّاً مميّزا ورد بثراً من آبار هجره ضمد يستقى بدلو و رشا، فرلّت به قدمه، فهوى فيها، و اخرج منها حيّاً لا بأس به، فجعل الوزير يؤدّب بالمال جيران تلك البئر، حتّى أمّ ذلك الولد أدبها بمال كثير، و لبث في قريه الشقيرى نحواً من ثلاثه أشهر و نصف، جاعلاً هذا الفعل ديدنه و دأبه، غير مراقب

ص: ٤٤٩

١-١) في «ن»: كامل. و كائل مكائله: قال له مثل قوله أو فعل معه كفعله، شاتمه فأرّبى عليه و زاد.

لمن ولّاه، و لا خائف ربّه الذى خلقه فسوّاه، و شمخت به أنفه، و استكبر هو و جنوده فى الأرض بغير الحقّ، و كانت له أفعال غير ظلم العباد، فيها نكارة و شناعة تسمح بنا ذكرها اتّخذها خلقا و عادة.

مساو لو قسمن على الغوانى لما أمهرن إلّا بالطلاق

و الشريف لم يزل بقرية أهل الأ-حن و الضغائن، بعداوه أهل الفضل و ذوى الأقدار، فتغيّر قلبه عليهم، و نظر بعين البغضاء شزرا إليهم، فكان يسرّه ما ساءهم، و لا- يقبل لهم عثره، و لا- يرحم لهم عبره، و أتهمهم و هم الامناء، و استصفا من أصمّ لهم فى قلبه عداوه و أحناء الأرب نصح يغلق الباب دونه، و غشّ (١) إلى جيب السرير متسرّب (٢).

و كان للسانه ذربه عليهم، تكلمّ بها أعراضهم الوافره، و تدمّم بها شمائلهم المحموده العاطره (٣)، و الشريف على بن حسن توجه إلى مدينه الزيدية واليا، أظنّه فى شهر رمضان، و تولّى بعده مدينه صبيا الشيخ على حضير، و ليس له فى هذا الدور جمل و لا ناقيه، و لا مقدمه و لا ساقه، و كانت أفعاله مضاهيه لأفعال الوزير.

و من غريب ما وقع لأهل هذه القرى من الشدائد: أنّ العدوّ كان يطلب سفك دمائهم، و أخذ أموالهم، إدخالا- للنصره على الشريف، و الشريف يطلب أموالهم، و يبالغ فى أخذها منهم، و انجرارها إليه، كما قدّمنا فى فعل الوزير، و يعلّل ذلك

ص: ٤٥٠

- ١- ١) فى «ن»: و عش.
- ٢- ٢) فى «ن»: مقرب.
- ٣- ٣) فى «ن»: العطره.

بكرهتهم له، و عدم النصيحة منهم في دفع العدو، و صرّح في بعض مجالسه بأنّ أهل القرى لم يدفعوا العدو عن أنفسهم، مع أنّه يقتلهم، و ينهب أموالهم، إرادته منهم لإكادته، و عدّ الناس في عدم دفع العدو، و العجز عن دفاعه، و من ذا يكيد غيره بقتل نفسه و أخذ ماله، و في كراهه الشريف أفعاله القبيحه.

و الحاصل أنّه كان يعلّل إساءته إليهم بكرهتهم له، و هم يعلّون كراهته لهم بإساءته إليهم، فاستحكمت العلّه، و عدم دواؤها.

و لم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء إلينا ثمّ نؤمر بالشكر

و كان له أعوان مساعدون له على مذهبه، فمن أحسّوا منه إرادته الرفع إلى الإمام أغروه به، و كان ينبذ الخطوط (١) الإماميّة وراء ظهره، و يجعلها مؤخره عمّا يريد تقديمه عن أمره، فقصرت الآمال، و ترقّبت النفوس الفرج (٢) من الكبير المتعال، و أنشد لسان الحال من كلّ أحد بهذه الديار بعين مبرحه، و دمع مدرار:

أقول كما يقول حمار سوء و قد ساسوه حملاً لا يطيق

سأصبر و الامور لها اتّسع كما أنّ الامور لها مضيق

فإمّا أن أموت أو المكارى و إمّا ينقضى عنّا الطريق

حكم معاقبه الإمام لرعيته:

و اعلم أنّ المجرى للعمّال على التتابع في نهب الأموال، هو قول العلماء: إنّ للإمام الجامع للشروط المعتره أن يعاقب من أخطأ خطيئه يحتمل المعاقبه عليها، و الزجر عنها، بأخذ المال منه.

ص: ٤٥١

١- ١) في «ن»: الخطوط.

٢- ٢) في «ن»: الفرحه.

وقد خالف في جواز ذلك للإمام كثير من العلماء، واستدل المخبر بحديث أن سعد بن أبي وقاص سلب عبدا وجده يصيد في حرم المدينة، وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: من وجدتموه يصيد فخذوا سلبه عند أئمتنا و سلم (١).

واجيب بأن العقوبه حد، والحدود إلى الأئمة، فتولى سعد لها وليس بإمام ولا وال، مخالف للاصول.

ومن أدله المجيز تضمين من أخرج غير ما يأكل من التمر المعلق مثليه، وحديث كاتم الضالّه يردّها، وقرينتها مثلها، وحديث تضمين عمر بن الخطّاب لحاطب بن أبي بلتعنه مثلي قيمه الناقه التي غصبها عبيده وانتحروها.

واجيب بأن الإجماع استقرّ على عدم استحقاق المجنى عليه لما ذكر؛ لأنه مخالف للاصول بتضمين المثلي والقيمي بأكثر من قيمته ومثله.

وأيضا فهو غير محلّ النزاع؛ إذ النزاع في أحد مال المذنب لبيت المال، ولذا روى محمد بن الهادي إلى الحقّ بإسناده إلى علي عليه السلام: إنّ الله أدب هذه المله بالسيف والحجر. فلو كان التأديب بالمال مشروعاً لذكره؛ لأنه باب مدينه العلم.

وتعقب هذا شيخنا المجتهد شرف الإسلام الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا في مواهبه القدسيّه (٢)، بما معناه: أمّا لو فعل الإمام أو نائبه اجتهاداً

ص: ٤٥٢

١-١) كتر العمّال ٤:٤٣٤ برقم: ١١٢٨٠، رواه عن ابن جرير، عن سعد بن أبي وقاص، قال صلى الله عليه وآله: من وجدتموه يصيد في شيء من هذه الحدود فمن أخذه فله سلبه.

٢-٢) هو كتاب المواهب القدسيّه شرح البوسيه في الفقه كالمشاطيّه، في سبع مجلّدات، تأليف الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المعروف بالمهلا الشرفي اليمني الزيدي، المتوفّى سنة (١١١١). إيضاح المكنون ٥:٥٠١.

أو تحريًا للمصلحة على وجه لا يراد به طلب الدنيا ولا اتباع الهوى، بل على حدّ ما يسلكه الأئمة الذين علم إعراضهم عن الدنيا، وشدّه ورعهم وزهدهم فيها، وعلى وجه لا يلحق معه تهمة، توخيًا لما يقصد بالتأديب من الزجر عن المعصية، وكان التأديب بالمال أشدّ في الزجر من التأديب بغيره، لكن لا على الوجه الذى عليه العمّال والعرفاء من قصد جمع الحطام، وارتكاب الآثام، وتوجّه النقائص والآداب المحرّمة فى الامور المشكوك فيها بمجرد النقول الكاذبة التى لا تحلّ مال المسلم الثابت تحريمه قطعاً، وذلك -أعنى: ما صدر لا على هذا الوجه- ممّا ترجى السلامه منه فى الآخرة.

ثمّ قال: و الورع يصدّ عن ذلك، ويحمل على البعد منه، و عليه المانعون.

و أمّا المعاقبة بإحراق المال و إفساده، فأجازها المانعون، بحيث همّ النبي صلّى الله عليه و آله بتحريق بيوت المتخلّفين عن الجماعة عليهم، و تحريق على عليه السلام مال المحتكر، كما رواه عنه قاضى القضاة.

و روى أنّه حاز نصفه إلى بيت المال لأمر خاصّ فى تجويز ذلك، و هدمه عليه السلام لدار جرير بن عبد الله البجلي؛ لأنّها كانت مجمع أعداء أمير المؤمنين. إنتهى ما ذكره سيّدنا مختصراً بالمعنى.

و هاهنا فائده لا- ينبغى إهمالها نظّلعك عليها، و هو أنّ كثيرا من الناس يجهل ما هو فرضه فى مثل هذه البلوى الصادره من مخلوق، و الواجب على من نزل به شىء من هذه البلايا التى ذكرناها فى سيره هؤلاء القوم مع هذه الرعيه، أن يعرف أنّ لها طرفين:

أحدهما: التخليه الكائنه من الله سبحانه لهذا الظالم، فيجب على العبد الصبر عليها، و اعتقاد أنّها كانت منه سبحانه لضرب من المصلحه، و أنّه سبحانه لا يرضى

بها؛ لأنَّ التخليه منه لظالم، أى: تركه و شأنه ليس رضى بفعله؛ لأنه قد بين له قبح فعله، و نهاه عنه فى آياته، و على لسان نبيه، و لكن لم ينته.

و الطرف الثانى: أنها صادرة من عبد مخلوق منهى عن اتيانها، فيجب على الشخص المعامله لهذا العبد المقدم على ما نهاه عنه سيده بالدفع و الجهاد، و النهى عن منكره الذى ارتكبه بشروطه المعتمده عند أهل العلم، أو الهجره بشروطها أيضا.

هذا الذى يؤخذ من الأدله، و تعطيه أقوال العلماء، و تقضى به قواعدهم و اصولهم، و الظاهرى أيضا و الأشعرى و المعتزلى فى ذلك الذى ذكرنا؛ لأنَّ الأشاعره القائلين بالكسب، و إن أطلقوا القول بأنَّ أفعال العباد مخلوقه لله، فمرادهم ذات الأكوان التى هى الحركه و السكون، مجردة عن الوجوه و الاعتبارات التى تعلق بها قدره العباد، و يوقعونها عليها، فالواقع بقدره الله عندهم هو الحركه من حيث هى حركه مجردة، و لا- قبح فيها من هذه الجبهه إجماعا، و الواقع بقدره العبد هو أن كونه الحركه طاعه أو معصيه، أو حجبا أو صلاه.

الذى ألجأهم إلى هذا، أن الحركه و السكون عندهم من الأشياء الحقيقيه مثل الأجسام، و أنه لا يقدر على إيجاد الأشياء الحقيقيه إلا الله تعالى، فكون الحركه طاعه أو معصيه، هو أثر قدره العبد المقابل بالجزاء عندهم، لا حدوث الحركه و وجودها؛ لأنها صفة مشتركه بين الحسن و القبح، غير مطلوبه من العبد، و لا ممنوعه عنه، و لا محموده، و لا مذمومه.

و قالت المعتزله: الحدوث و الوجودهما أثر قدره العبد، و هما متوقفان على هميه و داعيه، و ليستا بحقيقتين يتعلق بهما الخلق، كالأجسام على أن يكون الشئ الحقيقى لا يقدر على إيجادها إلا الله غير مسلم.

كيف؟ وقد يخالف فيه إمامهم الكبير أبو المعالي الجويني، و الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وقالوا: يقدر على ذلك من أقدره الله عليه و مكنه منه. هذا ملخص اختلافهم على سبيل الاختصار.

و صرح بعض محققي المتأخرين، أنّ الخلاف بينهم في هذه المسألة خلاف في العبارة بعد التحقيق، قال: والكسب الذي يقوله الأشاعره هو ما عنته المعتزله بالفعل، و إنّما الخلاف المعنوي للجبريه الخالص جهنم بن صفوان و أتباعه، و قد أجمع المعتزله و الأشعريّه و أهل الأثر على ضلالهم، و الردّ لقولهم، و اختلف العلماء في إمامتهم، و في المشبّه تشبيها، مجمعا على ثلاثه أقوال مذكوره في كتب السير من متن الأزهار.

تنبيه

عدم إرادته الله تعالى للمعاصي

و قول أئمة الأشعريّه: إنّ المعاصي مراده لله تعالى يريدون بها إرادته مجازيّه، لما كانت أسبابها التي هي القدره و الدواعي مراده جعلوها مراده مجازا، تنزيلا لها بمنزله عرض المعرض.

و خطأهم في هذا الإطلاق بعض العلماء لوجهين:

أحدهما: أنّه وقع لكثير من جهلتهم مغترّا بهذا الإطلاق منهم، توهم أنّ المعاصي مراده حقيقه، و أنّ المراد محبوب، ثمّ أطلق أنّ المعاصي محبوبه لله مرضيّه.

و قد سمعت بعض جهله الشافعيّه يسند الرضا بالظلم إلى الله، تعالى عن ذلك، و الظاهر أنّه شافعي الفروع، أشعري الاصول، مخبّط خبط عشواء، و ركب متن عمياء.

و الثاني: أنّ شرط المجاز، و هو العلاقه المسوّغه، مفقود.

قلت: لم لا يقال بأنه من باب إطلاق اسم السبب على المسبب كرهينا الغيث؟

و اعلم أنّ إرادته الشئ لنفسه من غير معارضة كراهه لها بوجه من الوجوه هي الإرادة الحقيقيه بالإجماع، و هي الملازمه لمحبه المراد، كإرادته الواجبات و المستحبات و القبائح، لا تكون مراده بهذا المعنى اتّفاقاً، و لا يعرف للإرادته معنى غير هذا عند الأئمّه و المعترّله.

و قالت الأشاعره: لها معنى ثان، و هي الإراده الدالّه على نفى ما يستلزم العجز من وقوع ما يكره الله و وقوعه في ملكه من غير سبق قدر منه، و ذلك لكمال قدرته، و نفوذ مشيئته، و عدم ربوبيته، فو قوع المعاصي عندهم يسمّى مرادا بهذا المعنى، و لا تسمّى المعاصي مراده بمثل وقوعها، بل تسمّى مكروهه، و تسمّى عندهم إرادته و وقوعها إرادته كونه.

قال بعض الفحول: و هذه التسميه لو ثبت بالنصّ، و إنّما الثابت به أنّ ذلك مقدّر، و ليس كلّ مقدّر مرادا، فإذن الأحوط في ذلك النظر إلى الدليل، فالنصوص في المعاصي قاضيه بأنّها مكروهه لأنفسها، فلا تسمّى مراده لأنفسها؛ لتضادّ ذلك، و عدم الدليل عليه.

فائده اخرى

في حكم وجوب الهجره

إعلم أنّ الهجره زمن اصطلام هذه البليه حقت على كثير من المسلمين، و لم يفعلها إلاّ من وفقّ إليها، و قليل هو، و عموم الظلم لكلّ موضع غير مسلم، و إن سلّم بوجود المواضع التي قلّ فيها الظلم، و خفّ لا يمكن إنكاره.

و تقرّر أن يكون وجوب الهجره على من كلف بتسليم المال، و هو الأكثر من الناس متّفقا عليه إلاّ من له عذر شرعي؛ لأنّ تسليم المال إلى الظالم معصيه، و من

لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى (١).

و أوجب العلماء على صاحب الجدار المائل على طريق المسلمين رفعه، و ضمان ما أفسد، و لا- اشترطوا في ذلك قصد إثم، قال: على ما ذكرته إجماع أهل البيت. إنتهى كلامه بالمعنى.

قلت: ذكر في الأزهار (٢) و الأثمار جواز بيع العنب إلى من يتخذه عصيراً، و الخشب إلى من يتخذه مزامير، و عللوا الجواز بأن العاصى هو المستعمل لا البائع، قالوا: و ليس بإعانه إذ لا تكونها إلا مع القصد، إلا أنه مكروه من حيث شبهه بالإعانه.

و لقائل أن يقول: المأخوذ من قوله تعالى وَ لَا تَسْأَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ (٣) إنَّ الحسن يصير قبيحاً إذا أدى إلى قبيح، و يجب تركه، و إن لم يكن هناك قصد، و فرع أهل الفروع على هذا مسائل:

منها: أن من أراد طلب الماء للوضوء، و خشى على ماله أن يأخذه مكلف، حرم عليه الطلب، توقياً لهذا المنكر المخوف؛ لأن طلبه يصير سبباً للمنكر، و عدم قصده لحصوله معلوم بالضرورة.

و منها: ما ذكره قاضى القضاة و أبو رشيد و أبو مضر، كما رواه فى الثمرات عنهم:

ص: ٤٥٨

١- ١) سورة الزمر: ٣.

٢- ٢) هو كتاب الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار، على مذهب الزيدية، لأحمد بن يحيى بن مرتضى اليمنى المتوفى سنة (٨٤٠) من أئمة الزيدية، و هو صاحب كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، مطبوع.

٣- ٣) سورة الأنعام: ١٠٨.

إنَّ المودَّعَ إذا عرف أنَّ صاحب الوديعة يستعملها في المعصية، لم يسلمها إليه و له جحدها، و الحلف على أنه ليس عنده، و ينوى يجب عليه تسليمها، فجعلوا تسليمه إليه مع علمه بأنه يستعملها في معصية حراما و لا قصد له.

فمسأله الأزهار و الأثمار مخالفه لهذه المسائل، غير مطابقه لمقتضى هذا الدليل، على أنه روى في الثمرات عن الهادى و الوافى عدم الجواز أيضا.

و لا يخفى عليك أن ما ذكره الإمام القاسم من الدليل، إنما يقوم حججه على كون الفعل معصية، لا على كونه كبيره توجب دخول النار، فلعلَّ جزمه باستحقاق الفاعل النكال و الخلود فى النار إنما هو لترك الهجره مع التمكّن منها، و مع إجبار السلطان له على ذلك الفعل الذى قام الدليل على أنه معصيه و حمل عليه، و دليل ذلك ما قدّمنا.

نعم، و أمّا ما ذكره فى الثمرات من قوله «أمّا إذا أراد سفر الحجّ أو غيره، و عرف أنه تؤخذ منه الأتاوه، فقال الشافعى: إنَّ ذلك يمنع وجوب الحجّ، و مذهب الأئمّه أنه لا يمنع؛ لأنّ هذا شىء يشبه السكون فى الأرض الذى تحكّم فيها الظلمه بما شأؤوا من أخذ الشىء من المال، فهذا جائز، و لا تجب الهجره لهذا عند الأكثر متى قال ذلك كالإجماع، و يحكى الخلاف لبعضهم» فهو مع أنه مناقض لما ذكر فيها من أن من حمل على معصيه و جبت عليه الهجره وفاقا، مدفوع بما هو المروى عن الهادى و القاسم و الناصر من وجوب الهجره عن دار الفسق.

قال المنصور بالله: و هو الظاهر من مذهب أهل البيت.

و لا شكّ أن الأرض التى يحكم فيها الظلمه بما شأؤوا من أخذ شىء من المال دار فسق، سواء فسّرناها بما ظهر فيها من المعصيه من غير إمكان تكبير، كما هو

أو فسّرناها بما ظهر فيها من الفسق من غير تكبير، كما هو تفسير غيره؛ لأنّ السلطان المتحكّم في أهل بلده يأخذ المال ظلماً من عشره دراهم فصاعداً و له منعه، مرتكب لكبيره، فهو ظالم فاسق، و الدار التي هدمها دار فسق، و هذا هو مذهب الإمام الناصر، و الإمام يحيى، و الإمام المؤيد بالله، و الإمام شرف الدين، و الإمام الشافعي.

و حجّتهم صدق إسم المحارب المذكور في الآية (٢) عليه؛ إذ المحاربه معناها إخافه السبيل من غير تخصيص بالمصر أو غيره، و اشتراط كونها في غير المصر - كما هو المذكور في الأزهار - ليس إلّا قول الهادي و أبي حنيفة، و قد ضعّفه الإمام شرف الدين، و تأوّل الإمام أبو طالب قول الهادي، و أبو بكر الرازي قول أبي حنيفة، بأنّ المخيف للسبيل في المصر إنّما لم يكن محاربا عندهما؛ لأنّه يلحقه الغوث من المسلمين في الحال.

قلت: و لذا علّله في شرح الأزهار بهذا، و أمّا من لم يحصل منه الغوث، كسلاطين الظلم و امراء الجور، فهو محارب، و قد قال المؤيد بالله: أمّا سلاطين

ص: ٤٦٠

١ - ١) كتاب القلائد في العقائد (في تصحيح العقائد) على مذهب الزيديّ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى اليمنى المتوفّى سنه (٨٤٠) فيه تدقيقات غريبه، و ذكر أقوال الفرق بأجمعها، و أجاب عنها على طريقه مختصر ابن الحاجب في الإيجاز. كشف الظنون ٥٧٣: ٢. أقول: قد طبع هذا الكتاب في ضمن كتابه البحر الزخار في المجلد الأوّل.

٢ - ٢) سورة المائدة: ٣٣.

الأمصار، فقد زادوا على المحاربين، كما زاد الكفار على البغاه.

قال الدواري: مراده من لا يوجد منه الغوث، كما هو الغالب من حالهم.

قال بعض المتأخرين: و مجرد الإخافه كاف، و إن لم يكن منه قصد لقطع الطريق.

فأئده

أشاره

فى حكم المختلس و الطرّار و الغاصب

أمّا المختلس و الطرّار و الغاصب لقدر عشره دراهم، و كانوا ممّن لا منعه له، بحيث يحصل منهم الغوث، و كان أخذهم لذلك القدر على غير وجه السرقة الموجب للحدّ، فهل فعلهم هذا كبيره يوجب الفسق؟ نصّ فى شرح القلائد جاعلا له قول الجمهور على أنّه كبيره توجب الفسق، و جعل مثلهم الممتنع على قضاء دين عشره دراهم و هو واجد، أو ردّ وديعه قدرها ذلك.

و روى عن بعض المعتزله أنّ الغصب مطلقا كبيره، و سواء فيه القليل و الكثير، قيل: و هو مذهب الناصر، و عزى إلى الهادى، و ولده أحمد، و لا أعلم لذلك كلّه دليلا، إلاّ القياس على السرقة، و شرطه عند المفسق به أن يكون قطعيا، و قطعيتها هنا غير متّضح؛ لجواز أن يكون هتك الحرم (1) جزء من العله، و الله سبحانه أعلم.

و قد أجت متابعه القلم، إستكمالا للبحث، و إيقاظا للناظر الغرّ على ما يقبح منه الجهل به، اللهمّ إنى أسألك بذاتك العظمى، و أسمائك الحسنى، أن توفّقنى إلى مطابقه العمل للعلم، بإتيان أسباب النجاه، و اجتناب أسباب الإثم، و أن تجعلنى معرضا عن نزاهات هذه الدار، مقبلا على الاشتغال بما ينجى من الهلكه يوم

ص: ٤٤١

بقية الحوادث:

نعم، وفي العشر الوسطى من شهر ذى القعدة: أغار الوزير على قوم من آل عمر و آل حسن، أخذوا أنعاما، فقتل منهم ثلاثة، و قتلوا من أصحابه رجلا، و قبض منهم رجلا، ثم شنقه بقرية الشقيري.

و في يوم الخميس لتسعه عشر يوما خلون من ذى القعدة: توجه بنو شعبه من الدرب، و معهم الشيخ على بن جابر ثائرا بأخيه الشيخ محمّد بن جابر الزريقي، و هو قائد الجيش، بعدّه قوّه من الرجال و الخيل، قاصدين الوزير بقرية الشقيري، و شاع خبرهم في القرى، و كان مظنّه قدومهم الشقيري و صبيا و صلّبه، و كان بصلّبه الشريف حسن بن غالب، و بصبيا الشيخ على حضير، و أخذ كلّ منهم حذره.

و لما جاء الوزير الخبر، و سوست نفسه بالتواني؛ لظنّه أنّ قصدهم لدفع (1) ما هو عليه من القوّه و المنعه بعيد جدّا، و أمر العسكر و أهل الخيل بالأهبة خشيه على غير موضعه الذي هو به ساكن.

فلما كان قبل الشروق من يوم الأحد الثالث و العشرين من الشهر المتقدّم، و كان قد خرج بها بعسكره و أهل خيله و هم كثيرون إلى قبلى القرية أقدموا عليه، و حملت الفرسان منهم و ذوو الثبات على الدولة حمله لم يكن لهم معها بأنفسهم حاجه.

و الخيل تصهل و الفوارس تدعى و البيض تلمع و الأسنه تزهر

فصدّقوهم الجلاذ، ورووا من دمائهم الرماح السمر و البيض الحداد، فثلم من الوزير غراره، و أقبل بالمساءه عليه نهاره، و هرب أكثر العسكر عنه، و لاذهو و جماعه منهم بدار حصنت بشوك السلم، و كانوا واقفين عنده، يحمونه و أنفسهم بالبنادق و الفوارس تتخطفهم، و كان على صهوه دابته بينهم، و أمروه بالنزول خشيه أن يراه فرسان بنى شعبه، فيقتحموا من أجله المسالك الصعبه، و يقتلوهم معه، فنزل و جثى على أقدار مطهر كان هناك، غير مبال بلؤم لائم، و غير ملتفت إلى قول أبى فراس:

و لا خير فى ردّ الأذى بمذله كما ردّه يوما بسوءته عمرو

و دخل منهم من دخل داره، فأحرقها، و نهب منها ما يحلّ قدره، و يعسر ضبطه، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، كريما عند المسلمين محمودا، طابت به منهم النفس، و قرّت به العين، و أحيا ما أثر بدر و خير و حنين.

و روى عن بعض أهل الشقىرى حكى عن نفسه: أنه كان واقفا مع الوزير فى موضعه الذى لاذبه بعد انهزامه من المعركه، فقال: وددت أن لو دخل العدو إلى الوزير ليقتله، و لو آل الحال إلى قتل من هو واقف معه و هو من جملتهم، لشده ما قد نزل بالمسلمين من جوره و ظلمه، و بلغ عدد من قتل فى هذا اليوم نحوا من تسعه عشر رجلا، الأكثر من العسكر، و الباقي من أهل القرية، و من الخيل نحو أربع.

و روى أنّ بنى شعبه لم يألوا جهدا فى التوصيه لأجنادهم، و التحريض عليهم فى عدم قتل غير أجناد الدوله، و لو لا ذلك لكان المقتولون من أهل الشقىرى أكثر من هذا القدر، و نهبت على أهل الشقىرى أموال كثيره جليله خطيره، و سلب كثير من النساء و الرجال، و كفت الحرب بعد ارتفاع الشمس، و خلت القرية من أهلها، و أقام الوزير بها إلى وقت العصر فى حال سيء، و ذلّ وضع.

و روى من روى أنّ عينيه ذرفتا بعد منصرف أعدائه من شدّه ما نزل به من الذلّ و الهوان، و ما شاهده من خذلان أصحابه له، و كان قد غدّاهم بأموال المسلمين، و لا يستقيح هتكهم لعرض من لا يستحقّ، و ذلك لأنّه كان يعدّهم لمهمّاته، فأضاعوه أحوج ما كان إليهم.

و انصرف بنو شعبه و أجنادهم لا بسين ثوب المجد و الفخار، مسرورين بما أمدهم الله به من كسر رايه اولئك الأشرار، و الشيخ على بن جابر تبرّق أسارير وجهه من الفرح، و أنشد لسان حاله إنشاد من له النصر قد وضح.

يهنى المفاخر أنّى قد ضمنت لها حمل الحقوق و قد أوجبت ما يجب

أرعى الولى و يرقى خلفه مطر و أرعوى و دخانى (1) تحته لهب

و قتل من جيشه من قتل، و لكن لما كانت الغلبة لهم لم يؤثر ذلك فى جانبهم.

و من ظنّ ممّن يلاقى الحروب أن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

و بات الوزير ليله الإثنين، أوّل ليله بعد هزيمته بهجره ضمّد، و معه من بقى من جنده، و هم قليلون مستضعفون، و ارتحل يوم الإثنين إلى سيده الشريف بقلعه جازان، و الشريف يوم وقعه الشقىرى تززع، و عظم عنده ما أقحمته بنو شعبه.

و أمر فى ذلك اليوم بإيصال الشيخ محمّد بن جابر الزريقى إليه، و كان الشيخ بقلعه أبى عريش، و قد كانت حصلت له فرصة، فاغتنمها و سرى من قلعه أبى عريش و معه ثانى، و كان النهار لما أدركه مع ما قد كان فيه من الضعف لطول السجن، أقام بموضع شرقى مدينه أبى عريش على نحو ميلين أو أكثر، و فارقه ثانيه و كان مطلقا كأنّه يستنجد من عينه على حملة، و شاع خبر مسرّاه، و أخذت

ص: ٤٦٤

الخيال و الرجال فى طلبه من الجوانب الأربعة، حتى وقع عليه من وقع منهم بذلك الموضوع الذى ذكرناه.

ولما جىء به، أمر بتغليظ السجن على من فيه، و كان الزمان زمان حرّ، فأصبح فى اليوم الثانى نحو ثلاثة عشر رجلا من المسجونين أمواتا لا حراك بهم، و كان لهذه الواقعة موقع عظيم فى قلوب أهل التقى.

نعم، و روى أنّ الشريف بعد وقعه الشقىرى حرض على الصنّاع فى تنجيز أبواب القلعه، و انتهرهم على التراخى فى ذلك، و بات هو و جنده لىالى لا يكتحل لهم بالمنام ناظر، و لا تمسى خيلهم إلاّ مشدوده السروج، يروعها و أهلها طيران الطائر.

و حكى أنّ فرسا قطعت وثاقها ذات ليله، فركضت، و ارتاع أهل القلعه و انزعجوا، و لى من لى منهم مدبرا.

فصل

فى ارتحال الشريف حسن إلى مدينه صيبا

فلما أخلوا قريه القشبرى، و أجلا أهل هجره ضمد، و ارتحل منهم الأكثر، و تقلقل الشريف حسن بن غالب و كان بصلهبه، و هجر المنام، و أمر أصحابه و أهل صللهبه بملازمه السهر، و أخذ الأهليه و استشعار الحذر.

ثمّ صمّم على الارتحال إلى مدينه صيبا، فارتحل ليله الثالث من وقعه الشقىرى، و ظنّ بأهل القريه الخداع لبنى شعبه، و فهم منه بعض من يلازمه أنّهم إن لبثوا بعدنا و لم يرتحلوا، فهم مخادعون، و سوف يلحقهم من الأدب ما يكرهون، و فشى ذلك فى أهل صللهبه، فلم يقدروا على الإقامة بعده خوفا منه.

و كانت قد وصلت إليهم كتب من بنى شعبه، مضمونها: أن لا تخافوا و لا تحزنوا،

فالغرض المطلوب و الحاجة التي في نفس يعقوب إنما هي الدوله، و لكنهم لمّا أتوا من مأمّنهم، و خرج عليهم العدو من مكنهم، لم يصطبروا على الإقامه، مع ما قد بلغهم من الشريف حسن بن غالب أنّهم إن تخلّفوا بعده في قريتهم عاقبهم، فلهذا أخلوا عنها.

فلما كان بعد الشروق من يوم الثلوث، أقبلت أخبار بني شعبه تملأ الفضاء، فأتوا على قريه صلّبه خاويه على عروشها، فأقدموا إلى مدينه صبيا، و كان بها جند عظيم من الخيل و العسكر، و لكن قد خامرهم الجبن، و حلّ بأفئدتهم ذلّ الظلم، و الأمير بها الشيخ على حضير، و بقيه الأجناد و الرؤساء تبع له، فلم يركن (1) منهم من له همّه علويه و شهامه عنترية تحمل على لقاء العدو قبل وصوله، ليندفع شرّه و معركته عن الضعفاء قبل دخول المدينه، بل استترت تلك الأجناد و امراؤها و القوَاد بالبيوت، و من خرج منهم للقاء العدو، فهو عندهم ممقوت.

و لمّا كانت المدينه متّسعه بعيده الأطراف، ووقفت أجناد بني شعبه على جوانبها، و كان ذلك الوقوف منهم كهزّ جذع النخله، و كان الهارب من أهل المدينه من ذكر و انثى يقع في أيديهم، فغنموا من الهارين أموالا جليله، و دخل بعضهم ما كان من البيوت على طرف، فنهب نهباً واسعاً، و الدوله و أجنادها لم يكن في همّهم شيء سوى الرمي لمن وقف تحت دارهم، دفعا عن أرواحهم و أموالهم.

و كلّ يرى طرف الشجاعه و الندى و لكن طبع النفس للنفس قائد

ثمّ ولّوا راجعين، و كان مرورهم على قريه صلّبه، و نهبوا من مخازنها ما نهبوا، و كان في ذلك أكذاب لما ذكروه لأهلها قبل من التسكين و التأسيس.

ص: ٤٦٦

(١ - ١) في «ن»: فلم يكن.

غاض الوفاء فما تلقاه في أحد و أعوز الصدق في الأخبار و القسم

و قيل: لم يكن الفاعل لذلك إلا- آل عمر و آل حسن، و لكن كانوا في صحبتهم، و كان الواجب على بنى شعبه الحرص على الوفاء لأهل صلته أن يمنعوهم من ذلك، لما سبق لهم من التأمين.

و روى أنه قتل منهم فى صبيا ثلاثة رجال، كأنهم لقربهم و عدم خبرتهم وقعوا فيما لا يهتدون إلى الخروج منه.

و لمّا حصل من بنى شعبه هاتان الفلعتان بالشقىرى و صبيا، اهتزّت الأرض بأهلها و مادت، و بلغت القلوب الحناجر من شدّه الخوف و كادت، و خفت (1) العقول، و سفهت الأحلام، و اضطربت امور الخلق اضطرابا يعجز عن التعبير عنه الألسنه و الأقلام، و أنشد لسان حال الناظر إليهم فى تلك الأيام:

أرى الناس مخسوفاً بهم غير أنّهم على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها

و رجع من أجلا من أهل هجره ضمد إليها فى عشر ذى الحجّه، و امتلأت بهم، و لم يبق منهم القليل، و كذلك أهل الشقىرى.

غزوه المخبزه:

و فى ليله ثانى النحر: توجّه الوزير سنبل من القلعه، و معه السيّد حسن بن أحمد المرتضى بأجناد كثيره، غازين قوما من القبائل بموضع يسامت جبال آل عمر و آل حسن، تواجه وادى ضمد.

و لما بلغ القبائل الخبر ارتحلوا، فلحقّتهم الدوله، و أخذت أنعامهم، و استحوذ عليهم الطمع فى اللحوق لرواحلهم و أخذها، فوافوهم بموضع يقال له: المخبزه-

ص: ٤٦٧

بميم مفتوحه، فحاء معجمه ساكنه، فموحده مفتوحه، فزاي فتاء تانيث - وأخذت القبائل بالحزم، واستصرخوا بمن أمكن الاستصراخ به، واجتمع على الدوله منهم جيوش كثيره، وقد كان في قلوبهم للدوله من البغضاء ما هز من عطفهم، وحرك من نشاطهم، وأحاطوا بالدوله، وظهروا عليها، فأدبرت الدوله إديار ذلّ و ذعر، وكان هذا عاقبه ما سؤلته أنفسهم من الطمع.

و من لم يتق الضحضاح زلت به قدماه في البحر العميق

و أئخت القبائل القتل، و مع تعدد الموضع و حصول الهزيمة، و تشتت أصحاب الدوله، كان الرجل من القبائل لا يمنعه من القتل إلا الأعياء و التعب من كثره الضرب، و هم كأنهم خشب مسنده، و كثر المقتول من أصحاب الدوله كثيره لم تعهد في أيام الشريف، و الأقوال مختلفه في القدر، فقيل: بلغ من قتل أرباب الدوله مائه و خمسه.

و في اليوم الثاني أو الثالث: نهض الشريف مطاعن بن أبي طالب من قريه الشقيرى بعد أن رجع أهلها إليها كما قدمنا، و معه آخر لأخذ ذمه من القبائل بها يسكن نفس الراجع إلى وطنه منهم على تخوف من الشريف؛ لأن ذلك لا يرضيه كما قدمنا، من أن من أراد أن يسكن في بلده متكلا على حيلته كان عنده من الخاطئين، فوقعوا على قوم من القبائل لا يعرفونهما، فوثب عليهم من وثب.

فخرج الشريف مطاعن، فقال لهم: إنما الغرض أخذ ذمه منكم و لسنا بعدو، فقالوا: لا ذمه لكم عندنا، و لا نفقه كثيرا مما تقول، و شدوا لهما الوثاق (1)، و حصلت للشريف فرصه فاغتنمها و فرّ.

ص: ٤٦٨

(١ - ١) في «ن»: الوثائق.

فلما وصل إلى قرية الشقيرى أنذرهم، وقال: الرأى أن لا يبقى منكم أحد، وأن هنا أقواما قد تجمعت كثيره، و لم يعطونى جوابا فيما عزمت من أجله، و لا- اخالكم تنجون، و الحزم على الارتحال، و أن البقاء على غير ذمّه مع اشتعال نار هذه الفتنة غير مستحسن، فارتحل أهل القريتين عنهما، و لم يبق إلا من لا يعتدّ به، كأرمله لا كافل لها.

و لما مضى نحو ثلاثه أيام، و لم يكن لما حسبه الشريف مطاعن حصول طمع من أجلا من أهل ضمد و من طمع، فى العود راجيا للسلامه فرجع.

و لَمّا كان عصر يوم الجمعة ثامن عشر شهر ذى الحِجّه الحرام: أقبل عليهم من الجانب اليمانى جيش نحو المائتين، و معهم من الخيل نحو ثلاث، و لم يكن فى القرية من سما طرفه (١) و عبل ذراعه (٢) مَمَّن يدفع به ملامه، أو يرجى لكشف غمّه، و كان بعض من فيها من الشيعة أصناف المعذورين عن القتل شرعا.

ف فعل العدو بهم ما أراد، و لم يردده عن ذلك مراد، و سلب النساء، و أخذ ما وجد من الأنعام، و قتل نحو اثنى عشر رجلا، و جرح نحوهم، و بعدها ارتحل من بقى منهم، و خلت القرية عن أهلها خلوا أعظم من الأوّل.

حوادث سنه خمس و مائه و ألف:

و فى آخر شهر ذى الحِجّه أو أول شهر محرّم: توسّط بعض الأعيان قصدا لخمود نار الفتنة بين الشريف و بنى شعبه على فكّ الشيخ محمّد بن جابر الزريقى،

ص: ٤٦٩

١- ١) يقال: رددت من سامى طرفه، أى: حقّرت إليه نفسه. السما: الصيت البعيد الحسن، يقال: شاع سماه، أى: صيته.

٢- ٢) يقال: رجل عبل الذراعين، أى: ضخمهما.

و تسليم قدر من الأرب (١) معروف يكون بعضه مسلماً من بنى شعبه، وبعضه يحصّص على أهل القرى، معونه لبنى شعبه لكفّ شرهم، و التزم الشريف الوفاء بذلك إن تمّ دخولهم فيه، فعزم ذلك المتوسط إلى بنى شعبه بعد مواطأه الشريف على ذلك، فامتنعوه من الدخول فى ذلك، و ثنوا عطفه عنه، فطلب منهم ذلك المتوسط ذمّه لأهل القرى، قيل: بشهر، و قيل: بشهرين.

ففعّلوا و شاع الخبر فى أهل القرى المطرودين عنها، فسروا بذلك سرورا عظيما، و رجع منهم من رجع إلى وطنه، و كان أهل الشقىرى و هجره ضمد مّمن رجع، و كان بوادى ضمد خصب عظيم، فانجذب معهم من الأجانب من انجذب طمعا فى ذلك الخصب؛ لأنّ رجوعهم فى العشر الاولى من شهر محرّم.

و لما كان أول العشر الوسطى منه، حصلت من القبائل غزوه على أهل الشقىرى وقت العصر، فأغاروا و أغار معهم أهل الضمد، و كادوا أن يظهروا على الغازين، و استردّوا ما أخذوا، أو أنه فات.

و أتصل الخبر بمن بقى من القبائل فى المراح، و كان فيهم من بنى شعبه جماعه أهل حيل، فأغاروا و حملوا حمله قويّه، و دخلوا قريه الشقىرى، و قتلوا رجلا و نهبا و سلبا، و تزعزع أهل القريتين، و علموا أنّ تلك الذمّه المعقوده غير مبتيه على الصّحّه، و ارتحلوا، و كان هذا ارتحالا ثالثا من أكثرهم، و من أقلهم أربعا بعد وقعه الوزير.

و بعد مضى نحو خمسه أيّام من هذا الارتحال، غزا من العدوّ من غزا اناسا كانوا بقريه حضيره و كوكب من المجلين من أهل هجره ضمد و غيرهم، و كان ذلك

ص: ٤٧٠

١- ١) أرب إليه: احتاج، و بالشىء: كلف به.

ليلاً، فنهبوا ما وجدوا من الأنعام وغيرها، وقتلوا نحو ثلاثه، وأجلوا من بقى منهم، ثم خلى بعد هذه الغزوه وجه وادى ضمد عن القطان، ودخل هو وأهله فى خبر كان، وكان الحراب مبتدءاً من نيش، منتهياً إلى قلعه جازان، وجاوز عدد القرى التى خلت من أهلها الخمسين، يجبب بها اليوم الصدا، ولا ترى فيها من السكّان أحداً (١).

كأن لم يكن فيها أوانس كالدما وإقبال حرب فى بسالتهم أسد

تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبره تدمى الحشا و لمن يغد

و لم تبق إلاّ- مدينه صيبا، و ارتحل من الساكنين أيضا كثير وجلا و خوفا، و فى القرى التى تليها من العرب و اليمن اناس قليلون متخوفون، بالليل و آخر النهار يظهرون، و بأول النهار يستترو.

و من غريب ما وقع من الخوف و الاضطراب و الوجل الذى يخطر على جلد ذوى الألباب، أنه حصل فزع و روع على الساكنين بوادى جازان من الهاربين من أهل القرى و من أهله، أول عصر من تلك الأيام، فقبل: جاءكم العدو، فولّوا مدبرين من دون أن يتحقّقوا صدق الخبر أو كذبه، و كان كذبا، و عمّ هذا الفزع و هذا الإدبار مدينه أبى عريش، و نحوها من عشر قرى من وادى جازان.

و روى أنه عمّ قريه الحربه و حضيره، و كلّ ذلك فى ساعه من النهار، و اندعر أهل الحوانيت بأبى عريش، ففرّوا عنها مفتّحه الأبواب، و التجأ أكثرهم إلى ثلاثه بيوت أو أربعه، محصّيه يظنّ فيها النجاه، و فى القلعه بأبى عريش هرب الشريف راجح بن محمّد عمّ الشريف أحمد بن غالب من دار الجون إلى القلعه المذكوره

ص: ٤٧١

(١- ١) فى «ن»: من السكّان الأنيس أحدا.

مذعورا، و كان بعضهم يقول لصاحبه: إرم بالبندق كى يسمعه العدو، فیرتدع عن الإقدام إلى موضعنا، فإذا رمى به، قال السامع له من أهل المدینه: هذا العدو دخل المدینه، و ضجّ البندق شاهد على ذلك، فوقعوا فى حيص بيص، ثم حصلت الإفاقه من ذلك الإغماء بعد ذلك الوقت.

حوادث يديها العيان كما ترى و إن نحن حدّثنا بها رفع العقل

و فى أوّل العشر الأواخر أو آخر الوسطى من شهر محرّم من سنه خمس و مائه و ألف: صمّ الشريف على الخروج بنفسه على القبائل العاديه له، فجمع الجمال، و حشد الأجناد، و أخذ فى التأهب لذلك و الاستعداد، و اجتمع له من العسكر أهل البندق نحو ستمائه، و من غيرهم نحوهم، و ألزم القبائل الموافقه له، كدكوان و الأخادعه بالمحاذاه له، بأموالهم و أهليهم ليرتفق بذلك الأجناد الذين معه و يمتازوا، فكان إذا سار قليلا سارت الأمزجه كسيره، و كانت طريقه من جهه المير و لا يسير إلاّ زحفا.

بلغت مدّه خروجه من القلعه إلى وصوله وادى صيبا نحوًا من خمسة عشر يوما، و تزعزع من خروجه البدو و فزقوا، و اتّصل الخبر ببني شعبه فوجلوا، و كان قد حالف آل حبيب على الانتقام من بني شعبه، و دخل تحت و طأته فى خروجه هذا قوم من قبائلهم التى بها فعلوا تلك الأفعال.

و الحاصل أنّه كان قد أعدّ من الامور بما يظنّ ظهوره على بني شعبه لو أمهله المقدور، و كانت القبائل لّمّا فعلت تلك الأفعال العظيمه بأهل القرى، و لم تر أحدا منهم إلاّ موليا و مدبرا، و قدر ما قدر لها من الظهور على سرايا الشريف التى يوجهها إليهم أوّلا و آخرا، ثمّ رأته ساكتا مطرقا عن الأخذ بالثأر فيما قد جرى، اعتقدت أنّ ذلك منه عجز أو ذلّ، و كذلك أهل القرى اعتقدوا فيه ذلك الاعتقاد.

فلَمَّا كان منه هذا الخروج على الصفه التي ذكرناها، تحقَّق أنَّ سكوتَه و إطرَاقَه فيما مضى ليس بعجز و لا ذلٌّ، و إنَّما هو لأمرٍ آخر، و أنشد لسان حاله في حال سفره و ارتحاله:

نحن بنو الحرب إذا شَمَّرت و لاح عنوان سناها و ضاع

و إنَّما أوقفنا موجب عنها و قد يطرق قلب الشجاع

و ذلك الموجب الذي أوقفه: إنَّما التشفَّى على أهل القرى و الإكاده لهم، لما ذكرنا من كراحتهم له، و حملة لهم على خلاف ما هم عليه، و النقص الحاصل في سراياه أهون من النقص الحاصل في أهل القرى. و إنَّما أنَّه كان يترقَّب فرصه لم تحصل له إلا في وقت خروجه لهم و بروزه، فلَمَّا خرج و لَّوه الأدبار، و صدَّقوا ما تضمَّنه البيت السَّيَّار:

و إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده و النزالا

نعم، و بينهما هو في ثوب أمانيه رافل، و بالأسباب المعينه له على الظفر بأعدائه متشاغل، إذ دهمه العلم بنزول الأمير الشهير عزَّ الدين بن الحسن القطبي إلى مور، و قاسم بن الحسين المهدي إلى بلاد الشرفين، فتتغصت لذَّته، و ولَّت مدبره فرصته، و كرَّر راجعا إلى قلعه جازان، و سرَّ المسلمون بذلك سرورا عظيما، راجين زوال ملكه، و مؤمِّلين عتق رقابه، و خروجها عن ملكه، فهو بذلك في حزن عظيم، و هم به في سرور و نعيم.

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

و اعلم أنَّ الأمير عزَّ الدين لَمَّا انفصل من جانب ابن الإمام علي بن أحمد، و اتَّصل بالشريف، أنصفه كما قدَّمنا، و أنزله منزلته.

و لَمَّا طلع أخوه الشريف حسن بن غالب، و الشريف أبو طالب بن أحمد بن

محمّد العواجى إلى جبل رازح، أيام دخول أولاد الإمام إلى صعده، وطلع الأمير معهم، وصابر و رابط، و فعل ما يتوجّه على مثله رعايه لحقّ الإمام الشريف.

و لَمّا انقضت فتنة الجبل، و نزل الشريف حسن بن غالب، نزل الأمير عزّ الدين، و اجتمع بالشريف و هو بخلب، فقصر معه فيما يجب له، و ترك ما كان فعله له من الانصاف، و سامه خطّه، لا يصبر عليها مثله.

و لم تزل قلّه الانصاف قاطعه بين الرجال و إن كانوا ذوى رحم

فلم تساعده نفسه الأبيّه على الإقامه، و رأى أنّ اللبث مع هذا حسّه و ملامه، و ارتحل إلى الحضرة الإماميه الناصريه، منشدا لسان حاله، و مخبرا بما قضت به همّته العليّه:

أبت همّتى أن ترام الضيم و ارتقت إلى مذهب بالأريحيّه مذهب

و قوبلت فى عمّ و خال مسودّ كريم و فى جدّ حسيب و فى أب

تعودت تعقيد الامور و حلّها و تقلبيها من حوّل القلب قلب

و لَمّا انتهت ركائبه إلى الحضرة الإماميه، تلقّاه ربّها بالانصاف، و مكث بها عزيزا محترما الجناب، و لم تزل الأسباب الموجبه لرفع يد الشريف تتظاهر، و القرائن بجوره و حيفه لدى الإمام تتظافر، و حصل فى هذه الجبهه ما قدّمناه من نهب الأموال، و قتل النفوس و الخراب، و غير ذلك من الامور العظام الصعاب.

فكبر ذلك عند الإمام، و رأى أن تبقية الشريف هدم لقاعده الإسلام، فمدّ بقلمه للأمير مدّه، و قال: اذهب مكان هذا الجائر، و سنفعل لك ما يعينك من العدّه، فأبى الأمير من استصحاب العدّه من العسكر، و أقبل على ولاه الشريف بالزيديه (1).

ص: ٤٧٤

و الضحى و مور و حرض و الأبروخ و المعرض (١)، مع قدوم قاسم بن الحسين، فأجلوا و فزوا و لم يستقرّوا، و لم يكن مع الأمير حينئذ غير ذلك المدّة بقلم الإمام، و لكنّه كما قيل:

فلم يفلّ الجيش و هو عرمرم و البيض ما سلّت من الأغماد

و لما اتّصل الخبر بمسامع الشريف، كان سببا فى رجوعه من المير، بعد خروجه كما قدّمنا، و وصل الأمير إلى حرض ثالث عشر شهر صفر.

و فى هذا الشهر: بعد رجوع الشريف من المير، و شيوخ خبر الأمير عزّ الدين، حصل على اناس قليلين بهجره ضمّد صباح (٢) بالليل، و جرح من جرح، و أخذ العدوّ من الأنعام ما أخذ، ثمّ وقع بعد ذلك أيضا صباح آخر العصر و قتل العدوّ رجلين من أهل ضمّد، و ربما نهبوا ما نهبوا، و رجل ثالث ضربه العدوّ فى الصباح الأوّل، ثمّ كان ضرب فى الصباح الثانى، فمات بسبب ذلك.

و السبب فى تعدّد ذلك: أنّ أهل القرية لم تياس أنفسهم عنها، فكان من لا يجد من المرافق ما ينفعه فى غيرها، يعود (٣) إليها مع لوعه الوطن الجاذبه للطبائع، و العدوّ يطمع بالعائد مع قلّته، و حصل على قرية أهل صلّبه فى هذا الشهر صباح بالليل بعد عودهم إليها.

و قد كان أهلها جعلوا أنفسهم ثبّتين: و جلا من العدوّ، و عملا بالحزم، فافترق العدوّ فرقتين، كلّ فرقه قصّدت ثبته من الثبات، و لم يأل أهل القرية جهدا فى الدفع

ص: ٤٧٥

١- ١) كلّ هذه المواضع من نواحي اليمن.

٢- ٢) يوم الصباح: يوم الغاره.

٣- ٣) فى «ن»: فعود.

للعدو، و ثبتوا ثباتا لا يظنّ مع ما قد خامر أهل القرى من الفشل، و الانزعاج الفضيع و الوجل، و شهد ذلك المقام لبعض الساده
بثبات جنانه، و حقّ له أن ينشد قائلا بلسانه:

أنا الذائد الحامى الذمار و إنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

و قتل العدو ثلاثة من أهل صلحبه، و لم يمسهم سوء سوى هذا القتل.

و فى آخر هذا الشهر أيضا: حصل على أهل نبش صباح، و كان الشريف حسن ابن رضى الفليتى مقيما عند الشريف بالقلعه، مع
جمّ غفير من أهل نبش، فهزمهم الشوق، و جذبهم لاجع هوى الوطن و التوق.

و استأذن الشريف حسن المذكور الشريف فى الرجوع إلى الوطن، و كان قد بذل جهده فى عقد الذمم من القبائل، حتّى ظنّ مع
ذلك أن لا بأس عليهم فى السكون ببلدهم، فأذن له الشريف بعد أن قد كان أبدا له أنك لا تثق بما يقعه ذلك العدو من
الذمه، و إن وثقت لك و وفا لك بنو شعبه، لم يف الغير من القبائل، و خوّفه كأنه يرجو إقامته لديه، فلم يعرج على ذلك العذل
من الشريف، و ارتحل إلى نبش و معه من أحبّ من أهل القرية، و أقاموا بها أياما، و ارتحل إليهم من ارتحل من أهل المواشى
رغبه فى الخصب الكائن بتلك الجهة.

فلما كان ذات يوم من الأيام فى آخر الشهر المذكور، صبّحهم من العدو بكره عذاب مستقر، و انكشف لهم أنه فى عقده الذمه
لهم مخاتل غادر، فقتل منهم نحو ثلاثة عشر، و فيهم الشريف حسن بن رضى، و نهبوا من المواشى ما يعسر ضبطه، و حصل على ما
بالمحلّه و مشرف و العالیه ممّن رجع بعد الإجلاء رغبه فى الوطن

صياح و أخاله قبل صياح نبش... (١).

قتل سيد ذكر ثباته لم يحضرني وقت الرقم اسمه، و بعد ذلك خلت القرى الشاميه عن السكان، و عاد ربعا مقفرا كما كان.

نعم، و حصل على جماعه من الأشراف الحوازمه كانوا بناحيه قريه شقربا- بشين معجمه مضمومه فقاف ساكنه فراء مضمومه فباء موخده فألف تأنيث، من أسفل وادى ضمد-صباح بالليل، و لكنّه قبل خروج الشريف إلى المير، و ثبتوا ثباتا يليق بشرفهم، و يعلو به مجد سلفهم، و كانوا أجلا عن بلدهم، و استحسنا الإقامه بهذا الموضع و هو قفر لبعده، و غصّ النظر من الطامع إليه، فدهمهم من العدو من دهمهم، و قتل رجلا أو رجلين من المقيمين بهذا المكان، و امتنع من ذكرناه من السادات على مواشيهم، و أدبر العدو بعد أن يئس عن الظفر بها... (٢).

إلى القلعه اهتمّ بأمر بنائها، و بالغ في إتمامه على الصفه التي يكون بها الانتفاع و الثقه مع الحصار، و أدار عليها سورا، و تصوّب على أهل باديه من بوادي أبي عريش نحو المحاضين-بحاء مهمله بعد ميم و ضاد معجمه بعد الألف فياء تحتيه فنون- و استولى على أكثر ما بأيديهم من الأطمعه يأخذها بالثمن البخس، و ربما يوفى الثمن أو يقرب إليه فينقصه عماله، و جعل يكاتب الإمام في شأن الأمير عزّ الدين، و وجّه رسلا.

و لم يصرح له الإمام في شيء من جواباته بأنّه معزول، و ربما شنع عليه في بعضها بما جرى من الخراب، و قتل النفوس، و كلّ ما جاءه جواب غير مونس شفع

ص: ٤٧٧

١-١) بياض في النسختين.

٢-٢) بياض في النسختين.

كتابه بآخر، و لما حصل له الظنّ بإعراض الإمام عنه، كاتب صاحب صعده و بايعه على أن يوليه البلد إلى مدينة زبيد.

و ليس بأول ذى همّه دعته إلى ما ليس بالنائل

فقبل صاحب صعده بيعته، و منّا بنزول أجناد كثيره تعينه على دفع ما جاء من عند الإمام، فاستروح الشريف بذلك و أنس، و فى إجابته صاحب صعده له مع ما قد علمه من حاله الذى كان يشنّع عليه فيه للاعتراض مجال، و كان اللايق به أن يقول له لما بايعه: إن رجوعك إلينا ليس اعترافاً بحقنا، و اعتقاداً لوجوب طاعتنا، بل لغرض دنيوى و مآربه، لا جفاوه (١) جاءت بك، و كيف؟ و قد تواتر لديه عدم صلاحيته، و أنزل عليه بالأمس أجنادا قصدا الاستئصال شافيه.

و ممّا يقضى به العجب، و يضيق به وجه التأويل، أنّه قبل أن يبايعه الشريف بأيام قلائل، كتب إليه كتابا، مضمونه التأييب له، و التشجيع عليه فى أفعاله القبيحه، و ذاكره فى شأن الشيخ العوسجى، و امتناعه من فكّه، و امتنّ عليه بفكّ الترجمان فيما مضى من غير إحواج مراسله و لا فدا، و استشهد له بقول ابن الصيفى، حيث قال:

ملكنا فكان العفو منّا سجيّه و لما ملكتم سال بالدم أبطح

و أحللتهم قتل الأسارى و طالما عدونا على الأعداء نغفو و نصفح

و حسبكم هذا التفاوت بيننا و كلّ إناء بالذى فيه ينضح (٢)

و لئما بايعه أقبل يتهدّد بنى شعبه فى المعاونه للأمير على إزالته، و يصفه بأنّه سيف الإسلام، من دون أن يتحقّق منه التوبه فيما ارتكبه من الكبائر العظام.

ص: ٤٧٨

١- ١) فى «ن»: جفاوه.

٢- ٢) ديوان صفى الدين الحلّى ص ١٩٣.

و لهذه الأبيات نكته ذكرها في الغربال في ترجمه الشيخ نصر بن مجلى، أحببت ذكرها لغرابتها، قال فيه: قال ابن خلكان: و كان من ثقاه أهل السنّه.

ثم قال: روى عنه أنّه قال: رأيت في المنام على بن أبى طالب عليه السّلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكّه، و تقولون: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثمّ يتّم على ولدك الحسين عليه السّلام يوم الطفّ ما تمّ؟

فقال: أما سمعت أبيات ابن الصّيفى في هذا؟ فقلت: لم أسمعها منه، ثمّ استيقظت فبادرت إلى دار ابن الصّيفى (١)، و ذكرت له ذلك، فشهق و أجهد بالبكاء، و حلف بالله ما خرجت من فيه و لا من خطّه إلى أحد، و لا نظمتها إلاّ في ليلتى هذه، ثمّ أنشدنى (٢). إنتهى.

قال في شرح بانة سعاد لابن هشام: النّظح بالخاء المعجمه أكثر من النّظح بالمهمله، و لهذا قالوا: النّضح بالمهمله الرّشّ، و قالوا في قوله تعالى نضّاختان (٣) قوارتان. إنتهى.

و أرسل الشريف إلى أبى عريش محطّه، و إلى بندر جازان محطّه، و أقام الأمير في حرّض نحو شهر، ثمّ توجه إلى البدوى، و لما ظهرت قرائن قدومه، و تواترت الأخبار به، أمر الشريف بطمّ آبار أبى عريش، و لم يبق منها إلاّ بئرا أو بئران، و خرج أهل المدينه عنها، و كان هذا هو الخروج الثالث منهم، و أرسل الشريف بالأموال للعسكر الذين بأبى عريش إرهاصا لما يريد، و تثبّتا لهم على النّصيحه،

ص: ٤٧٩

١- ١) في الوفيات: دار حيص بيص.

٢- ٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٣٦٤.

٣- ٣) سورة الرحمن: ٦٦.

و عملا بقول القائل:

و إذا رأيت صعوبه فى مسلك فاحمل صعوبته على الدينار

و ابدله فيما تشتهيئه فإنه حجر يلين قوه الأحجار

و أزمهم بحفظ المتارس، و جعل عندهم أخاه الشريف حسن بن غالب، و الشريف على بن حسن، و استنجد الأمير بنى شعبه، و أرسل إليهم رسولا، و مكث الرسول لديهم أياما، ثم توجهوا معه من الدرب.

مقلدون صفائحا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد

و إذا دعوتهم ليوم كريبه و أتوك بين مكبر و موحد

و لما أحس بهم النائب بصيبا، كتب إلى الشريف يعرفه بذلك، و يطلب منه فى أمرهم رأيا من المقابلة أو الإجماع، فأمره بالقدوم و ترك المدينة، فدخلها بنو شعبه فى أول شهر ربيع الأول بأجناد كثيرة، و أمدهم الأمير بما استطاع، و جعل بها نائبا من قبله.

و فى هذه الأيام فكّ الشريف الأمير خيرات بن حسن القطبى، و حالفه (١) و كساه، و أقام بنو شعبه فى صيبا أياما، ثم ارتحلوا إلى قرية الريان ضدّ الضمّان من قرى وادى جازان، و بعد استقرارهم بوادى جازان فكّ الشريف الشيخ محمّد بن جابر الزريقى، و حالفه (٢) و أعطاه مركوبا أو ملبوسا، و اجتمع بإخوانه و آباءه بالوادى، فسروا به سرورا عظيما.

و وصل الأمير إلى قرية القرفى و البديع من وادى جازان فى يوم الربوع أو

ص: ٤٨٠

١- ١) فى «ن»: و حالفه.

٢- ٢) فى «ن»: و حالفه.

الخميس حادى عشر شهر ربيع الأول، و كان قد وافاه و هو بالبدوى الحاج محمد التركى رسولا من الإمام إلى الشريف، فحين أن توجه الأمير إلى وادى جازان، فارقه الحاج محمد إلى القلعه.

ولما وصل إلى الشريف أفضى إليه ما أوصاه به الإمام، و حصل ما قال الشريف على ما روى لى الثقة، مسندا إلى الشريف: إن الإمام يقول: إن ولاتك جاروا على الرعيه و ظلموا، فسيجعل الإمام من قبله فى البلد و لاه، و يأمرهم بدفع الجبايات إليك، يكون لك معونه على جهاد صاحب صعده، فعرف الشريف أن ذلك تكليف له بما يعجز عنه سعيه إلى الدرب؛ لأنى لا آمنهم إذ ارتحلت و هم بوادى جازان، و لا تطيب نفسى إلا مع بعدهم.

فوصل الحاج محمد التركى إلى الأمير و هو بقريه البديع، و أخبره بما قال الشريف، فامتنع الأمير عن ذلك، و ارتحل هو و بنو شعبه إلى العقده لقصده حصاره، و جعلوا من القبائل الذين مع بنى شعبه كثيرا فى قرى وادى جازان، و يجمعهم الداعى عند الحاجه إليهم، و القلعه من العقده مشرفا بنحو فرسخ، و الشريف لم يزل ينتظر مواعيد صاحب صعده، و بالغ عليه فى تنجيزها و إتمامها، و اشتد عليه الحصار، و ضاقت أحواله، و انقطعت موادّه.

و كان فى ابتداء الحصار أن خرج جماعه من أصحابه الذين بأبى عريش إلى قريه المخاضره - بميم مفتوحه فضاء معجمه و ألف فضاء معجمه مكسوره فراء مفتوحه فتاء تأنيث - بعد أن بلغهم أن بها اناسا من بنى شعبه، فأخذوا من أطرافها أنعاما لينجز لهم من ينجز إلى المتارس فيرموه، فبلغ ذلك الأخذ بنى شعبه بقريه العقده، فأغار منهم من أغار، و ممن أغار البطل الضيغم شار بن شريفه، و الشريف الشجاع الضرار النفاغ مهدى بن محمد أبو صالحه.

و أول من ورد حوض المنايا، المترع كأسه بالرزايا، شار بن شريفه، فاسترجع المأخوذ، و لَجَّ العدو إلى مكمنه، ليفعل ما هو من دأبه و ديدنه، من الرمي في الخفيه، و لَمَّا ولى الشيخ سار راجعا بعد الظفر، تصَوَّب (١) له منهم من تصَوَّب، فرماه فلم تخط الرميه فؤاده، و سقط إلى الأرض من فوره.

قناه صدت للطعن حتّى تقصّدت و سيف أطال الضرب حتّى تتلّما

و كان الشريف مهدي بن محمّد أبو صالحه مقبلا، فلَمَّا رآه سقط بادر ليحميه عن المثلثه و السلب، و فى حال حمايته له رماه من رمى، فأصاب مارن أنفه، و أغار بقيه المغيرين بالشيخ شار، و سقط فى أيديهم لَمَّا أصابه و دهاه، و كان أحدهم أحقّ لو اعطى المرء مناه، و حملوه على أعناقهم، و ودّوا لو كان محمولا على أحداقهم.

و لَمَّا انتهوا به إلى نصف الطريق خرجت روحه، و وصلوا به قريه العقده ميتا، و فاضت أعينهم عليه بدمع كان دهرا مكتوما، و فضّوا من الحزن رقه الذى كان بنفايه مختوما.

و روى أنّ الرامى له كان من أضعف العسكر، و لو برز له أضعافه لظهر عليهم و انتصر.

فالليث أكبر أن يصطاده جرد و النسر أعظم أن يغتاله حرب

و كان أصحاب الشريف مع شدّه الحصار، يخرجون إلى قريه الجربه (٢) و حضيره للمير، فيكلفون أهل تلك القريتين بإيجاد الطعام، و يأخذونه منهم، و كانت الأخبار تتصل بالأمر، فنهاهم عن هذا الفعل فلم ينتهوا، و أخرج إليهم

ص: ٤٨٢

١- ١) فى «ن»: بصوب.

٢- ٢) فى «ن»: الحربه.

الأمير خيرات بن حسن بجند، وفيه من بني شعبه اناس، فباتوا ليله خروجهم بنحو قرية المخاضره، ثم أصبحوا مرتحلين.

فبيناهم كذلك إذا الصارخ يستغيث بهم على قوم من أصحاب الشريف القاطنين بأبي عريش، قد أخذوا على أهل الخبت مواشى، فنهض الأمير خيرات و من معه من الجند، و ولج الآخذون قبل الالتحام و بعد البراء، فأقدم المغيرون غير مغولين، و دخلوا أبا عريش، و ركضت خيلهم في شوارعه، و أخال أنه سلم مترس من المتارس، و كاد المغيرون أن يظهروا، و جاء الخبر إلى الأمير، فسّر بذلك و اغتبط، و أغار من بني شعبه من أغار.

و ربما رام الأمير أن ينهض بنفسه، أو أنه نهض فرحاً، و مسرّه و استقبالا، لما فادته وجوه السعاده، من الفتح بوجوه مفترّه، و جاءت الغارّه من القلعه و من تلقاء الشريف.

و قد كان الشيخ مسعود بن جابر نزل من صهوه دابته آمنا بتأمين بعض العسكر، أو كأنه قد ظنّ الملكه و الظهور، فحين أحسّ العسكر إقبال الفارّه من القلعه، قبضوا الشيخ مسعود، و أشعلوا نار الفتنة، و قامت الحرب بينهم و بين أصحاب الأمير على ساق، و رمى أصحاب الشريف في من رموا رجلا من بني شعبه، يقال له: ابن أبي جمح، ففاضت روحه.

و قيل: إن غاره القلعه لم تأت إلا و قد قبض الشيخ مسعود، و أدبر أصحاب الأمير بعد غاره القلعه إدبارا مذموما، و تبين ما كان يظنّ بهم من الثبات موهوما، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، أول خبره مبشّرا، و آخره مزعجا منذرا، البس المسلمين ثوب النكايه و الحزن، و أظهر منهم ما كان من الغمّ قد استكنّ، و أوصل الشيخ مسعود إلى القلعه، و أمر الشريف بإيداعه السجن.

و بعدها أرسل الأمير أخاه خيرات بن حسن إلى اللحيه لاستئجار موادّ أمر بها الإمام معونه في هذا الجهاد، و ربما شاع أنّ عزمه كان للمجىء مدافع و لم يصحّ، و في بعض أيام الحصار سلمت الطائفه التي بيندر جازان، فملك الأمير البندر.

و في هذه الأيام أعنى أيام قبض الشيخ مسعود فما بعدها تظاهرت الأخبار بنزول السيّد الرئيس حسين بن علي إلى البار و المعنق، و ربما هزّ ذلك من عطف الشريف و أصحابه، رجاء لكشف الغمّه التي آلت بهم.

و لم تزل أيدي الرجاء منهم لذلك العارض ممدوده، و سحاب ذلك العارض بضمّ حبال المشرق مشدوده، و من قوّه رغبه (١) الشريف في التنفيس لذلك الضيق، و مبالغته في أن لا يجد صاحب صعده في الاخلاص له و الانقطاع إليه من طريق، أرسل ولده أبا طالب إلى ولده السيّد الرئيس حسين بن علي كالوثيقه، و بقى عنده بالمعنق أياما، و لم يكن لذلك جدوى و لا نفع.

و لم يزل الشريف ينتظر تلك المواعيد، و يحرص على صدقها الحرص الشديد، حتّى تبين الصبح لذي عينين، و رجعت آماله فيه بخفى حنين، و كان في طين عقم خريم زرع، فلمّا أضرتّ الحاجه بنخيل الشريف، استمدّ أصحابه منه إغاثه لها، فبلغ ذلك الأمير، فأذن للناس في استهلاكه؛ لئلا يظفر بذلك الشريف و أصحابه.

و خرج -أعنى: الأمير- بنفسه، و معه أكثر الجند أو كلّه، إرادته لذّب أصحاب الشريف عن الأخذ من ذلك الزرع، و حمايه للتصرّف من أصحابه، و أهل القرى من أن يمسه أصحاب الشريف بسوء.

و كان ذلك الخروج يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر بعد مضي شهر

ص: ٤٨٤

(١ - ١) في «ن»: زعبه.

و ثلاثة أيام من وصوله إلى القعدة، و انتشر الجند، و أقدم اولى الحاميه من الحيل (١)، حتى قربوا من القلعه بنحو ميل.

فلما راهم الشريف و أصحابه مع ظهور النفع الذى أثاره الجند، وقع فى أنفسهم أن هذا قصد لهم و استعدوا، و خرج منهم من العسكر و الفرسان من خرج، فالتقى جماعه من أصحاب الشريف، و جماعه من القبائل التى مع الأمير، و التحم القتال، و انهزم أصحاب الأمير، فولوا مدبرين، و اصطدم جماعه من أصحاب الأمير، و جماعه من فرسان الشريف، و شمرت الحرب بينهم عن ساقها، و تجالدوا مجالده عوفيت عن مذاقها.

و لما طال بينهما المصاع، و ظهر الأمير و كان مقيما بعيدا عنهم عنوان المصادمه و ضاع، حمل بمن معه حملة نكص معها أصحاب الشريف على أدبارهم، و رش بما حملته على ما أشعلوه من نارهم، و كان ذلك هو الفرجه، و انقلب أصحاب الشريف مهزومين، و أصحاب الأمير مسرورين، و كان هذا اليوم يوما مشهودا، ضيع فيه الأمير الحزم بعدم الإكثار من عدّه الرمي، لظنه أن الحال لا تؤول إلى ما إليه آلت، و لكن الله سلم، إنه عليهم بذات الصدور.

و لم تزل أحوال الشريف تشتدّ و تضيق، و لم تجد إلى انفكاك ذلك من سبيل أو طريق، فخرج له العسكر الذين صابروا معه، و كان عدّتهم نحو سبعمائه، بأن لا طاقه لهم بعد هذا الضيق على الإقامة.

لكن لما قد أسداه إليهم من النعم السابغه، و لما انقضى به حقّ الصحبه الكامله

ص: ٤٨٥

١ - ١) فى «د»: الجبل.

البالغه،قالوا:أنت مخيّر في ثلاث:إحداها أن نخرجك (١)مّمّا وقعت فيه،و نسيرك إلى أى مكان أردت،بأذلين أنفسنا قبل نفسك.

و ثانيها:أن تقدم على هؤلاء القوم الذين سدّوا عليك طريق المبرّه،و فعلوا في جانبك الأفعال الكبيره،فإمّا أن تظفر بهم،أو يبلغوا فيك قصارى رأيهم (٢).

و ثالثها:أن تأذن لنا فى الارتحال،بطيبه نفس منك و سكون بال،أو لأنهم اقتصروا على الاثنين الأولين،أو أنّ الثالثه غير ما ذكرت غاب عنى حقيقه ذلك، فأخاله (٣)طلب المهله فى ترجيح أحد الثلاث.

ثم رجّح بعد ذلك الاقدام،و القصد لاولئك الأقوام،و أمر من أبى عريش بالتأهب لذلك و الاستعداد،و واعدهم بالتحرب لليوم الذى أراد،و خرج من القلعه صبح يوم السبت تاسع و عشرين شهر ربيع الآخر بمن معه من الأجناد متنمرا، و لخلق الحديد مستشعرا،بجأش أثبت من الصخر،و عدّه تسهل ما صعب من الأمر،و لسان حال ينشد مخاطبا لنفسه،و معرّفا لها بما هو آيل إليه من الحلول فى رسمه:

أقول لها و قد طارت شعاعا من الأبطال و يحكك لا تراعى

فإنك لو طلبت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى

فإن الموت غايه كلّ حىّ و داعيه لأهل الأرض داعى

و كتب-أعنى:الشريف-إلى الأمير و بنى شعبه فى ذلك اليوم كتبا،مضمونها:

ص:٤٨٦

١-١) فى «ن»:يخرجك.

٢-٢) فى «ن»:آرائهم.

٣-٣) فى «ن»:فأحاله.

إنكم توتون لنا فى الطريق للمضى فيها. و خرج من أبى عريش من أجناد الامراء بخروجه على حسب ما بينهم من المواعده، و جاء الأمير بذلك الخبر اليقين الذى لا شك يمازجه، و لا كذب يشويه أو خالجه، و قد كانت أجناده و إن كثرت، كما قال من له الوجوه عنت: **تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى (١)**.

و أخذ فى جمعهم للقيا الشريف، فاجتمعوا بصفه مؤذنه بالخذلان، و معلنه بعدم الثبات أى إعلان، و صفوا بما فى قريه العقده و شرفها، صفوفا تملأ الفضاء كثرتها، و كان بعضهم يتسلل لو اذا بين الصفوف، و بعضهم يرجع إلى موضع إقامته بالقريه، يدعى أن له غرضا سيأخذه و يعود، و كان الأمير ميسره الجيش، و النقيب سنبل الميمنه، و بنو شعبه و أجنادهم القلب، و كان الشريف و أصحابه يمشون زحفا مقدمين، و أجناد بنى شعبه يقهقرون مدبرين.

فلما تراءى جمع أصحاب الشريف المقبلين من أبى عريش، و أصحاب النقيب سنبل، ارتموا بالبندق، و بعد ارتمامهم نكصت القبائل على عقبها موليه، و الأمير مقيم بموضعه، و ذوو الثبات من بنى شعبه كذلك، حتى خذلهم الجيش قبل المصادمه و الالتحام، و نطقت لهم ألسن القرائن بالانهزم، و عمل أصحاب الشريف بعد أن ظهرت لهم قرينه الظفر، و أعطاهم العيان من ذلك ما لا يعطيه الخبر **(٢)**، فولى من ثبت من الأمير و أصحابه، و دخل أول الجيش من أصحاب الشريف القريه.

و لما علم صاحب خزانه الأمير بظهور الشريف، حرق البيت الذى كان فيه

ص: ٤٨٧

١- ١) سورة الحشر: ١٤.

٢- ٢) فى «ن»: الحسين.

الأمير على ما فيه، وصادفه بعض أصحاب الشريف هناك فقتله، وأشعل النار في غيره من البيوت، وانتشر أصحاب الشريف في القرية طلباً للطمع، وانكشفت عورات نساء العقده، وسلبن أثوابهن، وتبع أصحاب الشريف الهاربين من جيش الأمير وغيرهم، فقتلوا من لحقوا، وأخذوا ما وجدوا من المواشى وغيره، وكان بقرية العقده أموال جليله نهبها أصحاب الشريف.

وانتشر خبر الهزيمة في وادي جازان، فوجم لذلك المسلمون، وأيقنوا بأنهم هالكون، وخفّ منهم العقل وطاش، وأثبتوا على ظهر البسيطة كتابات (1) الفراه، وكان هذا اليوم يوماً مشهوداً، يشهد معانيه بأنّ بالمسلمين حتفاً نزل، وأنّ الساعة قامت، فالآخر من هذه الامّه يتبع الأوّل.

وروى أنّ الشريف كان في آخريات الجيش، لمّا اتصل به الخبر بانهزام الأمير، وثب من صهوه دابّته وسجد لوجهه المشرق شكراً، وأمر العسكر أن تكفّ عن متبع الهارب، وحطّ ركابه بمدينة أبي عريش، وجاء للعسكر في يومه هذا بما ينيف عن سبعائه دينار.

وانتهى الأمير في إدباره إلى قرية الريان، ورام أن يقيم بها عوضاً عن العقده، فرأى بالناس فشلاً و ذلاً لم يبق معه بالإقامه فيها، ولم يبق معه من تلك الأجناد إلّا نحو الربع أو أقلّ، وكان من عسكره جماعه ممّن به النفع، لمّا حصلت الهزيمة تحصّوا بدار من دور العقده، وحاط بهم عسكر الشريف واستسلموا، فقبضوهم وأصلوهم معهم إلى أبي عريش.

وقتل في ذلك اليوم جماعه لم أقف على حقيقه قدرهم، وتفرّقت الامم القاطنه

ص: ٤٨٨

(١ - ١) في «ن»: كانفثاث.

بوادى جازان شذر مذر، و فقد الأخ أخاه، و الولد امه و أباه، و لم يجتمع شمل الناس إلا قريب اسبوع، و بعضهم بعد يومين أو ثلاثه و قد أضرب به الجوع، و اهتزت من هذه الواقعة الأرض، و ضاقت على من بظورها مع طولها و العرض.

و فى يوم الأحد أصبح أصحاب الشريف منتشرين بوادى جازان للطمع، و قد كان الشريف ألزم أخاه الشريف حسن بن غالب بالتقدم إلى الأمير لاستئصال شاقته، بعد أن بلغه استقراره بقريه الريان.

فلما رأى الرائي أول أصحاب الشريف المنتشرين لقصد الطمع، جاء إلى الأمير و قال: هذا الشريف وصل، فركب الأمير لقصد اللقاء، و رأى مّمن بقى معه توانيا لا يظنّ معه ثبات، و صمّم على الارتحال خشيه من حصول ما هو أعظم ممّا قد جرى، فصرف عنان دابّته مدبرا، و انتهى فى إدباره إلى حرض، و كان بمن وصل معه من الجند لا يبلغون المائتين، و الخيل نحو العشر، و كلّ ذلك أقلّ من العشر ممّن كان مجتمعا بقريه العقده معه.

و بنو شعبه لَمّا بلغهم أنّ أصحاب الشريف منتشرون بالوادى، ركبوا آخذين فى طلبهم، و لم يرجعوا إلى الريان بعد ارتحال الأمير، و ارتحلوا من فورهم إلى مدينه صبيا، و قد كان بعضهم أظنّه ارتحل فى اليوم الأوّل، ثمّ ارتحلوا فى اليوم الثانى من وصولهم إلى الدرب، و الشريف حسن بن غالب كأنّه بلغه إدبار الأمير، فقعد عمّا ألزمه الشريف به من نهوض فى ذلك اليوم.

و كان من لطف الله عزّ و جلّ، و حلول بعض الآمن فى الوجل، أن أظهر الشريف الصفح و العفو عن جميع الناس، و صاح بالأمان، فسكن ما فى القلوب من الروع، و رجع من كان فرّ على سبيل الطوع، و كلّ من اجتمع بالشريف لا يروى عنه إلا ذلك الذى ذكرناه من الصفح، فقوّت بذلك العيون، و آنست النفوس إلى القرار

و بعد أيام أرسل إلى صبيّا أحمد بن محمّد بن حسين واليا، و كان قد تجرّع معه مصاب الحصار، و أسلمته فيما يكره من ذلك الأقدار، و بعث الأمير الرسل بالكتب إلى الجهات التي يرجو منها الإغاثة تعريفا بما جرى، و وجه إلى الإمام أخاه الأمير خيرات بن حسن يستنجده و يعرفه و يستمدّه، فخرج من حرص أظنه يوم الربوع ثالث يوم من شهر جمادى الاولى، و لما رأته بعد الاجتماع به في حرص في همّه العزم إلى الإمام، أنشدته قول عباده بن مسلمه معبرا عنه:

فلئن بقيت لأرحلنّ لغزوه نحو الغنائم أو يموت كريم

فقال: بل لأقبلنّ. فلمّا اتّصل بالإمام الخبر كبر ذلك عليه، و أخذ في توجيه الأجناد، و الحثّ في ذلك بالإقامه و الإقعاد، و كانت السرايا تصل إلى الأمير تترى، و الشريف يمكث إلى العشر الوسطى من جمادى الاولى.

و جهّز الشريف على بن حسن و معه من الخيل ما ينيف على الثلاثين، و انتهى إلى قريه الصمدى بوادى ليه.

و كان بقريه التاهره عسكر من قبل الأمير في شأن واجب كان، فكاتبوا الأمير يخبرونه بقدم الشريف على بن حسن إلى قريه التاهره، و قد تفرّق أهلها منها خوفا، و ألزمهم بإرجاع من يحتاج إليه للطحن و نحوه من النفاعات، و كان يظلّ النهار بالقريه، و يبيت الليل بعيدا عنها.

ثمّ توجه الوزير سنبل، و السيّد حسن بن أحمد المرتضى بجيش، و أقاموا بقريه سامطه (1)، و تصوّبوا على تلك القريات، و أخذوا أطعمتها، و ألزموا بإقامه سوق

هناك، و كان من يظهره أنه الغرض افتتاح أرض اليمن، و كانت الخيل قد تقصد إلى طرف حرض لأخذ ما أمكن أخذه.

و بنى الأمير بذلك الموضع متارس، خوفا من بادرتهم، و أخذوا بالحزم، و لو أنه فعل مثل ذلك بقرية العقده لرجى له عدم الانهزام، و اجتمع لديه فى حرض من الأجناد، ما يكثر قدره، و يعسر ضبطه و حصره.

ثم صمّم فى يوم من الأيام فى شهر جمادى الاولى أو أول الآخرة على القصد للشريف على بن حسن، و قد كان أله فى أخذ الوزير و تابعيه، فجمع أجناده، و حمل حملة هى له معتاده، فانهزم الشريف على بن حسن، و قد كان لثما بلغه إقدام الأمير استدعى الوزير، فرحل إليه.

و لما بلغ نصف الطريق غشيه من يَمّ جيش الأمير ما غشيه، فولّى مدبرا و لم يعقب، و اندعر جيشه انزعارا عظيما، و مزّوا بقريةهم التى كانوا بها مقيمين هاربين، كأن لم يغنوا فيها بالأمس، و اضمحلّ جمعهم الذى كان بعين الاعتزاز مرقوما، و زهق ما روجوه من القعقعه من الباطل، إنّ الباطل كان زهوقا، و مات بعضهم من الطرد و الظماء المفرط، و نهبت الأموال التى كانت بقرية سامطه، و كانت أموالا جليله.

و كادت هذه الواقعة أن تضاهى وقعه القعده لو لا عموم المصيبة بتلك، و خصوصها بهذه و بعدها تفاقدا من الشريف ريشه، و أيقن بالعجز، و أعمل الفكره فى كفيته المخلص، و ضاقت به مسالك الرأى، و عاد حائرا فيما وقع فيه حيره من أسلمه البغى، و استشار بعض أعيان الزمن ممن كان قد قلب له ظهر المجن.

و كان قد جلب الدهر سطوته (١)، و تأدب بصروفه، فأفضى إليه حقيقه حاله، و استمد منه رأيا يهديه إلى فعل ما فيه حسن مآله.

فقال له ذلك المستشار: هل بقي لك طمع في الإمام؟ قال: لا، قال: هل بقي لك طمع في صاحب صعده؟ فقال: لا.

و أوقفه على خط صدر منه، مضمونه: إن الأهلين و الأولاد الذين اشتدّت بهم أيدي النوى ساروا في الطريق مقبلين، و قد أذن الإمام بفكهم و إيصالهم، و لا يحسن التحرك للنصره مع هذا.

ثم قال الشريف للمستشار: هل بقي في أهل هذه القرى نجده؟ فقال له ما معناه و حاصله: لا تطمع فيهم لنيل أرب، و لا تؤمل فيهم نجاحا لمطلب (٢)، فقال: لم؟ قال: لأنهم مع ما في قلوبهم لك من البغضاء شوكتهم و عمدتهم امراء صبيها، و قد علمت ما هم عليه الآن من الضعف، فقال له: المال إن بذلته رجوت خلوصك، فقال ما معناه: يبق عندنا ما ينفع؛ لأن لنا أشهرا نخرج و لا ندخل.

فقال له: إذن لا- يكن نظرك إلا- إلى الله، و حسن ما أضمرته من التيه بينك و بينه، فقد ضاقت عليك المسالك، و أسلمك المقذور.

و صرح له الشريف بأن من بقي من أصحابي لست بواثق بهم، و أنهم أول من يمسنى بسوء عند زله النعل، و ليست إقامتهم الآن من أجلى، بل من أجل أغراض لهم خاصه، فارتحل من لديه المستشار، و هو من الفكر في بحار.

و في هذه الأيام: فك الشريفة الشيخ مسعود بن جابر، و كان قد استشار هذا

ص: ٤٩٢

١- ١) في «ن»: شظرته.

٢- ٢) في «ن»: لطلب.

المستشار في أمره، فأشار بفكّه.

ثمّ تعقّب هنا وصول السيّد الأجلّ، فخر الدين عبد الله بن محمّد المحرابي من عند الإمام، وأمورا بتجهيز الشريف، و تكليفه بما يحتاج إليه، و كان ذلك للشريف من السعد، و إقامة ما كاد أن ينهدم عليه من بنيان الجدّ.

و أقام السيّد عبد الله بحضره الشريف فوق عشرين يوما يجمع له ما يجهّزه من المال و الجمال، فروى أنّ الذي سيّره إليه من النقد ثلاثة آلاف قرش، و من الجمال نحو المائتين أو أكثر.

و لما كمل تجهيزه، ارتحل من أبي عريش ثالث عشر شهر رجب سنة خمس و مائه و ألف، فكانت مدّه لبثه باليمن منذ دخل إلى أن خرج ثلاث سنين و نحو عشره أشهر، فأقام بصبيا يومين، ثمّ ارتحل إلى الدهنا، ثمّ من الدهنا إلى الشام يوم الإثنين سابع عشر شهر رجب المذكور.

إنتهى النقل من تاريخ الأديب الفاضل نور الدين علي (1) بن عبد الرحمن بن حسن

ص: ٤٩٣

١ - ١) لم أعثر في هذه العجالة على ترجمته، نعم هناك جماعه من البهكليين، ذكرهم ابن زبارة في كتابه نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر من هجره سيّد البشر، نذكر جملة منهم: ١- القاضي أحمد بن الحسن بن علي البهكلي التهامي، ولد بمدينه صبيا سنة (١١٥٣) و توفّي في مدينه أبي عريش سنة (١٢٣٣) نيل الوطر ١٧٠:١-١٧٥. ٢- القاضي أحمد بن محمّد بن الحسن البهكلي المتوفّي سنة (١٢٢٧) نيل الوطر ٣٢٦:١-٣٢٧. ٣- القاضي إسماعيل بن عبد الرحمن بن حسن البهكلي التهامي، المتوفّي سنة (١٢٤٢) نيل الوطر ٤١٢:١.

ابن شمس الدين البهكلي المتقدّم ذكره، و بيان وفاته (١)، النوادر (٢) و الغرائب الحادّته في دوله الشريف أحمد بن غالب.

و لقد أطلنا النقل منه إلى الغايه، و تعدّينا فيه حدّ النهايه، و إنّما السبب الذي ألزّنا بذلك هو التحاصي على نقل مآثر الشريف أحمد الصادره عنه في شرافته لمكّه، ثمّ ارتحاله إلى اليمن و تلك الممالك، ثمّ و لا يخلو هذا النقل من أن ترد في

ص: ٤٩٤

١ - ١) لم يتقدّم ذكره و لا - ذكر وفاته و لا ذكر كتابه هذا، و لم أعثر على ترجمته حسب و سعى في كتب التراجم و المعاجم، و هو مسلّم من المعاصرين للسيد رضی الدين مؤلّف هذا الكتاب و والده.

٢ - ٢) لعلّ اسم تاريخه هو كتاب النوادر و الغرائب الحادّته...، أو لعلّ العبارة أن تكون هكذا: و بيان وقائع النوادر و الغرائب الحادّته... الخ، و الله العالم.

أثنائه فائده شريفه، و نكات لطيفه، و قطع شعريه، و لمع نثريه، و بحوث أدبيه، و أمثال عربيه، و الجمع يتبع المناسبه، لا المشاحه و المحاسبه، و ممّا قيل فى هذا الباب:

إن لم أقل هذا و هذا و ذا بأى شىء كنت أملا الكتاب

و نرجو الله أن يكون عذرنا هذا مقبول، عند ذوى الانصاف من أرباب العقول.

فصل

إشاره

فى الجواب عن الاعتراض على والد المؤلف

تقدّم فى أثناء ما نقلناه من هذا التاريخ (1)، إعتراض من مؤلفه المذكور على والدنا و سيدنا العالم العلامه، و الفاضل الفهامة، ذى الأدب الوافر الغضّ، و النسب الواضح المبيض، المنشد فيه لسان ابنه الأبي، لكلّ عارف و غبى:

هذا أبى حين يدعى سيد لأب هيهات ما للورى يا دهر مثل أبى

السيد الأجلّ الأجد الأفر، السيد محمّد بن على بن حيدر، أدام الله شريف وجوده، و منيف آبائه و أجداده، و ذلك عند زبره لتصديره و تعجيزه، للبيتين المشهورين:

بأهلى و مالى جيره ما استعنتهم على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلّوه بالندى فلم أستطع عن حيّهم طيرانا

فقال أوّلا معترضا على صاحب هذين البيتين، بما صورته:

قلت: و فى استعمال «ارتجع» بمعنى «رجع» تأمّل؛ لأنّ أهل علم الصرف ذكروا مجيء افتعل للمطاوعه فى غير العلاج و الاتّحاد، و للتفاعل و للتصرف، و لم يذكروا

ص: ٤٩٥

مجيئه بمعنى فعل، كما ذكروا ذلك في تفاعيل و استفعل، ثم قال بعد إيراد التصدير و التعجيز، و هو:

بروحى و مالى جيره ما استعنتهم فخبث و لا ظنى المصدق خانا

و لا جئتهم مستنجدا صارخا و لو على الدهر إلا و ارتجعت معانا

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى لكى أتقى فى ظلهم فأصانا

و عندهم استوطنت و كرا بروضه فلم أستطع عن حيهم طيرانا

و كله حسن، إلا- تعجيزه بقوله «أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى» بقوله «لكى أتقى فى ظلهم فأصانا» كما لا يخفى ذلك على المتأمل العارف بمواقع الألفاظ و لطائف المعانى.

يوضحه: إن قوله «جناحى» إستعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح، و قوله «ثم بلوه بالندى» تشبيه لآتصال النعم إليه، و ترادفها عليه، بعد خبر حاله النهاض بالبلّ للجناح الكامل الرشّ فى ترتّب التحيز و المكث، و عدم القدره على النهوض بعد كلّ منهما، فهو استعاره مصرّحه تبعيه.

و قوله «فلم أستطع عن حيهم طيرانا» تفرّيع على الاستعاره بما يلائم المستعار منه من عدم استطاعه الطيران، فالاستعاره مرشّحه، فما أبلغ هذا الكلام مع التثام صدره و عجزه غايه الالتئام.

و أمّا تعجيز السيّد له بما ذكر، فهو منفكّ عنه غير ملتئم به؛ إذ لا مناسبه بين البلّ للجناح و الاثقاء و الصون، و لو قال: لكى أتقين بنون التأكيد الخفيفه داخله على المضارع لكان مناسبا، و يكون تجريدا لا ترشيحا، و دخول نون التوكيد على المستقبل الذى هو خبر محض غير منفي، و إن كان غير جائز فى الشفه، فللشعر أحكام تجوّز له ما يخطر على غيره، و الله سبحانه أعلم. إنتهى كلام السيّد المؤرّخ.

فاتفق أن وصل هذا التأريخ إلى مكة المشرفة، و عرض على سيدي الوالد دام بقاءه ما أورده السيد المذكور، فأجاب عن الإيراد بما هو كالصحيح وضح لذي عينين، و كنت رأيت الجوابين مكتوبين على حاشيته تلك النسخة بخطه الشريف و منه نقلت، فكان جوابه عن الإيراد الأول ما هذا صورته:

قال ابن مالك في التسهيل: و منها تفاعل، و هو للاشتراك في الفاعلية لفظاً، و في المفعولية معنى، و لمطاويعه فاعل، و للظهور في صفة ما تخيلاً، و قد يوافق إفعال و تفعّل و إفتعل، و إن تعدّى هو أو تفعّل دون الثاني إلى مفعولين تعدّى معها إلى واحد، و إلاّ لزم، و ربما ساوت هذه الخمسة المجرد، و أغنت عنه. إنتهى.

قلت: و هو نصّ على مجيء إفتعل بمعنى فعل.

و في المفصل للزمخشري: و بمنزله فعل إفتعل، نحو قرأت و اقترأت.

و إنّما الإيراد الذي كان ينبغي للمورد أن يتتبه له: أنّ مثل هذا موقوف على السماع، و ليس بقياسي، و لم يسمع ارتجع بمعنى رجع اللّازم، ألاّ ترى أنّه ليس لنا أن نستعمل كلّ فعل على وزن فاعل، أو استفعل بمعنى فعل، فلا نقول ضاربت و عاملت و راجعت، بمعنى ضربت و عملت و رجعت، و إن جاء من العرب سافرت بمعنى سفرت، و قس على ذلك غيره، فكلّ هذا الباب سماعي، فمنه بكثره، و منه بقله.

و يمكن أن يجاب عن ذلك: بأنّ ارتجعت متعدّد، و المفعول محذوف، أي:

ارتجعت نفسي، كما قالوه في قوله تعالى وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (١) و الله أعلم.

ص: ٤٩٧

و جوابه عن الإيراد الثاني هذا صورته أيضا: قوله «جناحي» استعاره مصرّحه، و الأراشه ترشيح عجيب، فإنّ الترشيح لا يكون إلا بعد تمام الاستعاره، و كيف تتمّ الاستعاره من مجرد لفظه «جناحي» حتّى تكون الأراشه ترشيحا لها؟

و الصحيح أنّه من الاستعاره بالكنايه، شبّه نفسه فى المعاش بالطائر فى القدره على الطيران تاره، و عدمها اخرى، و أثبت لنفسه الجناح تخيلا، كالأظفار فى قوله «و إذا المتيه أنشبت أظفارها» و أراشوا مثل أنشبت، و ليس من الاستعاره المصرّحه إلا على رأى عبد القاهر الذى نقله فى المطوّل فى أبحاث الاستعاره بالكنايه، فراجعه يظهر لك.

و قوله «ثمّ بلّوه بالندا تشبيه» الخ، هو استعاره تحقيقيه تبعيه؛ إذ قد طوى ذلك ذكر المشبّه لفظا و تقديرا، لكن شبّه جودهم عليه و إنعامهم بالبلّ للماء (1) فى الشمول و السريان فى المبلول، و جعل البلّ للجناح ترشيحا للاستعاره السابقه، لا كما ذكره المورد فى وجه التشبيه و الترشيح.

ثمّ رشح هذه الاستعاره المتضمّنه لترشيح الاستعاره السابقه بترتيب قوله «فلم أستطع عن حيّهم طيرانا» عليه.

و مثله فى هذا الترشيح بلا- فرق قوله «لكى أتقى فى ظلّهم فأصانا» بل هو أبلغ ترشيحا و أنسب بالمدح؛ لأنّ الاتّقاء للطائر يشعر بالبلل الحاصل من الغيث المتواصل، بخلاف عدم القدره على الطيران، فإنّه كما يحصل بذلك يحصل أيضا بصبّ الماء على الطائر دفعه واحده من غيث أو غيره، و لأنّه ادّعى أنّهم قصدوا ببلّ الجناح حمايته و صيانته فى دارهم، بخلاف «فلا أستطع» الخ، فإنّه لا يفهم ادّعاء

ص: ٤٩٨

قصدهم إقامته فهو أمدح، فقول المورد «فهو منفك عنه» الخ من التغيير (١) في وجوه الحسان.

و أما قوله «و لو قال: لكي أتقين بنون التوكيد» الخ، فلم أفهم منه معنى إلا إخراج الشطر عن الوزن، والله تعالى أعلم بمراده. إنتهى كلامه رفع مقامه.

قصيده والد المؤلف في الشريف أحمد:

و ممّا بعث إلى الشريف أحمد من المدائح الشعريّة بعد ارتحاله إلى اليمن، و مفارقتة للعشير و الوطن، قصيده فريده، كالعقود النضيدة، أصدرها إليه سيدنا الوالد، لا زال حائزا للطرائف (٢) من المفاخر و التالذ، و هي أعراض قصيده ابن هانيء الأندلسي التي مطلعها:

فتقت لكم ريح الجلاذ بعبر و أمّكم فلق الصباح المسفر

و هي من أشهر القصائد الطنّانه التي أودعها ناظمها محاسنه و إحسانه، و القصيده المشار إليها هي هذه:

بسقت بكم قضب الحديد الأخضر في روض عزّ من نداكم أنضر

أدنت قطوف النصر نحو أكفكم تحلو بمزّان الوشيخ السمهرى

و تلاحمت بكماتكم اجم القنا لّمّا غدت غيلا لكلّ غضنفرى

فتواثبوا بعزيمه تفرى دجى نقع الوغا عن صبح فتح أنور

و غدت بهم قتب الجياد كأنّها الأطواد تحمل كلّ طود شمّرى

من كلّ مأمون أغرّ محجل يعدو بميمون أغرّ مشهرى

ص: ٤٩٩

١- ١) في «ن»: التغيير.

٢- ٢) في «ن»: للطريق.

متدرّج بجنابه متلفّع بدلاصه متبرقع بالعنبرى

بدر يقارن من شهير حسامه مريخه و من السنان المشتري

فإذا عدى فى جحفل عصفت به هوج الذوارى من قوائم أشقر

و إذا انتدى فى محفل فانظر إلى علم أشم من الأنام مصوّر

من آل طه كلّ أبلج ممكن فى حلم أحمد بأس صوله حيدر

بشر تسير الجنّ تحت ركابه جيشا بطاعه أمرهم لا يمتري

كلّ يرى بذل الحشاشه مغنما فى نصرهم و وسيله فى المحشر

يلقى الكريهه دونهم إن أنعموا كرما بذاك بعزه المستبشر

من خير عدنان الذين تفرّقت بولايتهم قحطان أهل المفخر

قوم ظهور العاديات حصونهم دع بطن حصن بالقلال معمر

و لهم حصون كالكواكب رفعه و مناعه من نيل باغ مجترى

عزّت فلم يعلق بذيل بنائها عزم البيوت إلى مطار الأنسر

خاضت فضاء الجوّ حتّى خالها متخيل فوق البسيط العنصرى

فغدت لأقواس البروج كأسهم ركبّين إلا أنّها لا تندرى

و لهم صواعق من بنادق أرسلت برد السحائب من رصاص مسعر

لو رام راميههم إصابه ذرّه لم تحمها حجب العجاج الأكر

يسمو بهم رتب المعالى سيد هو فى الزمان فريد عقد الجوهر

فكأنّها القدر المتاح إذا رمى لم يخط قطّ و دفعه لم يقدر

فإذا تبدّى بينهم حجب النهى عن أن تصوّر تبعاً فى حمير

و الاعتبار لهم نذير مشاهد عن ذكره الوضّاح و ابن المنذر

ملك أقلّ الناس من أتباعه يسمو على كسرى الملوّك وقيصر

ص: ٥٠٠

فيه علا آل الرسول تبلّجت و تارّجت بشذا الثناء الأعطر
قدس حكيم قد حوى من حكمه خيرا كثيرا شاده بتذكّر
فطن أريب لو تقدّم عصره أضحى به المنصور كالمستنصر
شهم قوى فى المراس محاله يبدى عجائب جدّه فى خير
ندب جواد قبل إمعان النداء ينسى به معنى كأن لم يذكر
برّ تقى قاهر سطواته متذلّلا للقاهر المتكبر
متّم لله منتصرا له متلطف فى الحادث المتّم
قطب السعادة قد علا إقباله فى علم هرمس طالع الاسكندر
ما زال منصورا و حسبك آيه بالناصر المولى الإمام الأكبر
لما انتضاه فارتضاه صارما كانت ضرابته رقاب الأعصر
دع ذكر كسرى و ابن ذى يزن فقد محت القديم جلاله المتأخر
ما أفصح التاريخ فى أمثالها همما سمت أعلى مدا المتصوّر
هذا ولى الأمر ملجأ هاشم و وليه فى الودّ و النسب السرى
و الجوهرة الفرد العظيم تواصلت أسبابه بقسيمه فى الجوهرة
أولاه منه عنايه مشموله بأشعه النظر السديد الأنور
لو لا حظت افق المطالع ما بدا منه علينا غير سعد أكبر
يا أحمد الأملاك صفوه أحمد نطق الوجود بحمدك المتكرّر
ما إن أساء الدهر إلا كنت فى ربّ الثنا يسر الزمان الأعسر
خلق الإله لذاك ذاتك فى الورى أبشر فأنت إليه خير ميسر
فاستجل أبقار السعود و عونها أبدا ورح فى شكرهنّ و بكر

واهنأ بشهر مثل ليله قدره أسرار مجدك في خفاء مظهر

ص: ٥٠١

و اسلم و دم عودا على أعياد و العود أحمد في جميع الأشهر
هذا و تأخير المدائح عذره باد و صفحك ستر كل مقصّر
فلئن ملأت بها الصفائح سابقا فلأجرينها لاحقا كالأبحر
و لئن قصرت على علاكم نظمها فلذاك خلق لست عنه بمقصر
و الشوق عندي للمثول لديكم شوق الغريق إلى الفضاء التبر
قد جال بين الباز و الطيران في جوّ المنى حصّ الجناح المقدر
دام البقاء لكم على نيل المنى بصعود مجد في النعيم الأنضر (1)
و إذا بكم ريش الجناح فإنّه تعيا الجوارح خلفه إذ تنبرى
حسبي من النظر الشريف إشارة فيها استقامه نجمي المتحير
و له فيه قصيده اخرى، قدح فيها زند بلاغته و أوري، و هي هذه:
جياذ العلا غاياتها الفخر و الذكر و مضمارها غرّ الخلائق لا القفر
و ميدانها روض النفوس و رأيه مخالفه العادات كي يحلو المرّ
و حبّ الثنا مثواه صدر مهذب فسيح إذا ما ضاق بالحادث البرّ
و ما افتضّ أبكار المعالي سوى امرىء إذا رامها فالروح يبذلها المهر
و ما عنت تلك العذارى لو أنّها تميل لما تصبو به الخرد الخفر
و لكنّها تصبو إلى الباسل الذي له الزغف قمص و الدماء هي العطر
مضى في اعتناق السمر و البيض عمره و ما هي إلاّ البيض و الأسل السمر
و ما ساد إلاّ من يسود بهمه و نفس هما ماء الغمامه و الخمر
توزّع بين البذل و البطش كفه كما قلبه في كلّ همّ له شطر

١-١) في «ن»: بصعود مجد في خفاء مظهر.

عزائمہ الشہب الثواقب حیثما هوت لشیاطین الخطوب بها دعر

و دون اقتناء المجد مصعد أخشب ترى تحته الأعلام و هی الصوی الشغر

منیع تزلّ العصم عن صهواته و يعجز أن یرقی أواسطه النسر

الأربّ عزم قد نحاه فدکّه كما اندکّ حفق بالریاح له نبر

و ما زال من سنح الجبال و إنّما هو الرأى ثمّ البطش و الجود و الصبر

و مصداق ما قلت الشریف ابن غالب فشاهده یوضح صحّه الخبر الخبر

قلت: لم أجد من هذه القصیده الغزء إلا هذا المقدار، و إن كان کلّ بیت منها یرحل إليه و یزار، و خصوصاً بیت المخلص، فهو الذهب الخالص، و سید المخالص، و إن نظرت إلى هذا الشعر و ما قبله بعین الانصاف فی الاختبار ألحقت ناظمه بمصاقع البلغاء، و بواقع الفصحاء من طبقه بشار.

و له فی هذا السید الشریف الأغزّ، مدائح هی فی جباه الأعصار غرر، و لأجیاد المعالی قلائد درر، و لو لا خشیه الملال، لأوردت لك جمیع ما له فیہ من الأقوال.

عود الشریف أحمد بن غالب إلى مكّه:

عودا إلى ذكر حضره الشریف المشار إليه، لا زالت هواطل الرحمة مترادفه عليه: و هو أنّه لَمَّا ظعن (1) من أراضی الیمن، توجّه إلى مكّه المشرفه فی عدد عظیم، و مدد جسیم، و أقبل على صاحبها الشریف سعد بن زید، و من بها من الساده الأكارم، و القاده الخضارم، فی أواخر سنه خمس بعد الألف، و نزل فی محلّه المعروف به و هو الرکانی، و أقام به إلى انقضاء موسم السنه المذكوره، و فیہ عزل الشریف سعد بالشریف عبد الله بن هاشم، كما تقدّم بیان ذلك فی ترجمه

ص: ۵۰۳

۱- ۱) ظعن ظعنا: سار و رحل، یقال: ظعنوا عن ديارهم، أى: رحلوا عنها.

ثم بعد أن اعتقل الشريف عبد الله بن هاشم المذكور، بعث إلى الشريف أحمد بن غالب بالدخول إلى مكة المشرفة، فدخلها في أوائل سنة ست بعد الألف، فاجتمع هو و الشريف عبد الله و محمد باشا صاحب جده المتقدم ذكره في ترجمه الشريف سعد في بطن الكعبه المشرفة، و تعاهدوا فيها.

ثم استمر بمكة المشرفة متداخلا هو و الشريف عبد الله، يتعاضدان في المهمات، و يتساعدان في دفع الملمات، و استمر على هذه الحالة، و هو في غايه العزه و الجلاله، إلى أن عزل الشريف عبد الله بالشريف سعد، فتوجه إلى الديار الروميه هو و صاحبه الشريف عبد الله بن هاشم، و استمر ثمه إلى أن توفي بها في سنه ثلاث عشره و مائه و ألف، رحمه الله تعالى رحمه واسعه.

أعقاب الشريف أحمد بن غالب:

و أعقب من الأولاد: السيد أبا طالب، و السيد جساس، و السيد عبد المطلب، و السيد الظاهر، و ولدا صغيرا شقيقا للظاهر درج. و كل هؤلاء الساده قد ظهرت عليهم بعد الكبر مخائل الرئاسة و السیاده، مع نفوس أبيه، و زعامه قرشيّه، و شجاعه حيدريّه، و همم إسكندريّه، و كرم متواصل، يهزأ بالغيث الهاطل.

بيض الوجوه كريمه أحسابهم شمّ الانوف من الطراز الأول

كيف لا؟ و هم:

شربوا بمكة في ذرا بطحائها ماء الخلافه ليس فيه مزاج

فأبت أنفسهم الأبيّه إلاّ تسنم ذروه المعالي، و كان ذلك محالا لمناقضه أحكام الأيام و الليالي، اختار كل واحد منهم مصرا من الأمصار، و تفرّقوا شفریغر في سائر الأقطار.

فتوفى أبو طالب و جسياس بالروميّه، و الظاهر بالهند بقضاء الله المحتوم، و لم يمت بمكّه إلاّ عبد المطلب، و هذا حكم الدهر المنقلب، فرحمهم الله تعالى و رحم أباهم، و بوّأهم دار الخلد، و بألطفه العميمه أولاهم.

يا بنى الزهراء واهما لكم و لأيامكم المقبله

كانت الدنيا عروسا بكم فهى اليوم تكول أرمله

إلى هنا انتهى الجزء الأول من الكتاب حسب تجزأتنا، و يتلوه الجزء الثانى من ترجمه السيّد الشريف محسن بن حسين بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبى نمى صاحب مكّه المشرفه، و أنا العبد الفقير السيد مهدي الرجائي عفى عنه.

ص: ٥٠٥

فهرس مواضفء الجزء الأول

مقدمه المحقق، ترجمه المؤلف، إسمه و نسبه ٣

الإطراء عليه ٤

مشايخه و من روى عنهم ٦

تلامذته و من روى عنه ٦

تصانيفه الرائعه ٩

أدبه و شعره ٩

ولادته و وفاته ١٨

حول الكتاب ١٩

فى طريق التحقيق ٢٦

نماذج من النسختين المخطوطتين ٢٧

تنضيد العقود الستيه بتمهيد الدوله الحسنيه ٣١

مقدمه المؤلف ٣٣

ترجمه الشريف قتاده ٤٠

ترجمه الشريف حسن بن قتاده ٤٨

ترجمه الشريف راجح بن فتاده ٥٠

ترجمه الشريف محمّد أبى نمى بن الحسن بن على بن قتاده ٥٤

ترجمه الشريف رميئه بن أبى نمى محمّد ٥٩

ص: ٥٠٧

ترجمه الشريف عجلان بن رميثة بن أبي نمى ٦١

ترجمه الشريف أحمد بن عجلان ٦٤

ترجمه الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى ٦٥

فصل بديع ينطوى على فرائد من علم البديع حسن الابتداء ٦٨

ترجمه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ٧٣

الحوادث الواقعة فى دولة الشريف بركات ٧٧

وفاه ابن حجر العسقلانى ٧٨

وفاه السلطان مراد خان العثمانى ٧٨

وفاه السلطان جقمق ٧٨

وفاه الشريف بركات بن حسن ٧٩

ترجمه الشريف محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ٧٩

الحوادث الواقعة فى دولة الشريف محمّد بن بركات ٨١

فتح القسطنطينيه على يد محمّد مراد خان ٨٢

وفاه سعد الدين الكاشغرى ٨٣

تعمير مسجد ميمونه ٨٤

وفاه العلامه ابن همام ٨٤

وفاه السلطان اينال ٨٤

وفاه الشيخ عبد الكبير المتوكل ٨٤

وفاه السلطان خوش قدم ٨٥

إرسال السلطان قايتباى بخلع لشريف مكّه ٨٥

وقعه زبيد ٨٦

ص: ٥٠٨

بناء مسجد الخيف ٨٦

بناء مسجد النمره ٨٦

منع الحاج العراقي ٨٦

بناء سقف الكعبه ٨٧

ورود محمل العراقي ٨٧

بناء مدارس بمكّه ٨٧

غزوه جازان ٨٨

تغسيل داخل البيت ٨٨

حجّ السلطان قايتباي ٨٩

وصول المرسوم من السلطان قايتباي ٨٩

وقوع الحريق بالمسجد النبوي ٩٠

وفاه السلطان محمّد فاتح القسطنطينيه ٩٠

ظهور السلطان الشاه إسماعيل الصفوي ٩٠

وفاه السلطان قايتباي ٩١

وفاه الشريف محمّد بن بركات ٩١

ترجمه الشريف بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ٩٢

الحوادث الواقعه في دوله الشريف بركات بن محمّد ١٠٢

قتل السلطان ناصر بن قايتباي ١٠٢

خلع السلطان قانصوه ١٠٣

خلع السلطان جان بلاط ١٠٣

القبض على القاضى ابن ظهيره ١٠٣

ص: ٥٠٩

ظهور دعوه إمام اليمن يحيى الحسينى ١٠٣

قتل مالك شيخ قبيله زبيد ١٠٤

تعمير عين حنين و سور جدّه ١٠٤

وفاه السلطان بايزيد العثمانى ١٠٥

خروج السلطان سليم إلى قتال أخيه ١٠٥

حجّ بعض نساء الغورى ١٠٥

توجه السلطان سليم لقتال الشاه إسماعيل الصفوى ١٠٦

وقائع السلطان سليم العثمانى ١٠٧

وفاه الشريف بركات بن محمّد الحسنى ١٠٨

ترجمه الشريف أبى نمى بن بركات بن محمّد بن بركات بن حسن بن عجلان ١٠٨

خطبه القاضى عبد اللطيف باكثر ١١٣

إهتمام الشريف أبى نمى بأهل الشرف ١١٨

وفاه الشريف أبى نمى ١٢٠

أدب الشريف أبى نمى ١٢١

تجديد سقف البيت و الميزاب ١٢٢

تشريك الشريف أبى نمى مع ولده الحسن ١٢٢

ورود محمل من طريق اليمن ١٢٢

ورود ميزاب من ذهب للبيت ١٢٣

إجراء عين عرفات إلى مكّه ١٢٣

عماراه المسجد الحرام ١٢٦

وفاه السلطان سليم خان العثماني ١٢٦

ص: ٥١٠

وفاه الشريف بركات بن أبي نمى ١٢٧

ورود مرسوم بالكتابه ١٢٧

وفاه القاضى حسين المالكى ١٢٨

وفاه قطب الدين النهروانى ١٢٨

وفاه الشريف أبى نمى ١٢٩

ترجمه الشريف حسن بن أبى نمى بن بركات ١٢٩

الحوادث الواقعه فى دوله الشريف حسن ١٤٠

بنايات و عمارات بمكّه ١٤١

وصول خيرات من السلطان مراد لأهالى مكّه ١٤١

وصول الشريف مسعود إلى مكّه ١٤٢

وفاه السلطان مراد خان ١٤٢

لبس الشريف ثقبه الخلعه ١٤٢

وفاه الحكيم داود الأنطاكى ١٤٣

وفاه الشريف ثقبه ١٤٣

ولايه عهد الشريف أبى طالب ١٤٣

وفاه الشريف حسن بن أبى نمى ١٤٤

ترجمه الشريف أبى طالب بن الشريف حسن بن أبى نمى ١٤٤

ترجمه الشريف إدريس بن الشريف حسن ١٤٦

ترجمه الشريف محسن بن حسين بن حسن ١٥١

ترجمه الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ١٥٨

ترجمه الشيخ عبد الرحمن المرشدى و سبب قتله ١٦٢

ص: ٥١١

وجوب محبته ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله ١٦٤

ترجمه الشريف أحمد بن مسعود الحسنى ١٧١

ترجمه الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن أبى نمى ١٩٤

الحوادث الواقعة بدوله الشريف مسعود ٢٠٢

وصول قانصوه باشا إلى اليمن ٢٠٢

نزول مطر شديد و تخريب البيت الشريف ٢٠٢

عمارته البيت الشريف ٢٠٣

وفاه الشريف مسعود ٢٠٣

ترجمه الشريف عبد الله بن حسن بن أبى نمى ٢٠٤

ترجمه الشريف محمّد بن عبد الله بن حسن بن أبى نمى ٢٠٥

ترجمه الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى ٢٠٩

ترجمه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ٢١٥

الحوادث الواقعة بدوله الشريف زيد ٢٢٥

وفاه الشيخ أحمد المقرئ التلمسانى ٢٢٥

وفاه الشريف أحمد بن مسعود ٢٢٦

وفاه الشريف إبراهيم بن الشيخ حسن اللقانى ٢٢٧

وفاه السيد هاشم الحبشى ٢٢٧

وفاه السيد أحمد شيخان باعبود العلوى ٢٢٧

وفاه الشيخ أحمد بن أبى الفتح الحكمى ٢٢٨

وفاه السيد أحمد بن محمّد الهادى ٢٢٨

وفاه الشيخ يوسف بن محمد البلقيني ٢٢٩

ص: ٥١٢

وفاه السيد سالم بن أحمد شيخان ٢٢٩

وفاه السيد نعمه الله الجيلاني ٢٢٩

تحقيق حول نسب الكيلانيه ٢٢٩

تجديد بناء الكعبه ٢٣٥

الفتنه العظيمه بمكّه المكرمه ٢٣٦

قدوم شعبان أفندي إلى المدينه ٢٣٦

وفاه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي ٢٣٧

وفاه السيد علوي بن علي بن عقيل السقاف ٢٤٠

وفاه السيد محمّد بن بركات السقافي العلوي ٢٤٠

وصول بشير آغا الحبشي الطواشي ٢٤١

وفاه الشيخ تاج الدين زكريا النقشبندی ٢٤٦

وفاه الشيخ محمّد بن أحمد حكيم الملك ٢٤٧

وفاه الشيخ فتح الله النحاس الحلبي الشاعر ٢٤٠

إنشاء السيل و الحنفيه بمكّه ٢٤٤

قتل مصطفى بيك والي جدّه ٢٤٥

زياره الشريف زيد للمدينه ٢٤٦

تعمير قبه الفراشين بالمسجد الحرام ٢٤٨

إصابه الشاه جهان فلج ٢٤٩

وفاه السيد عمّار بن بركات الحسني ٢٤٩

وفاه القاضي عصام الدين العصامي ٢٧١

الغلاء و القحط الشديد بمكّه ٢٧٢

ص: ٥١٣

تعمير زمزم ٢٧٢

المطر و السيل العظيم بمكّه ٢٧٢

تعمير المقامات الأربعة ٢٧٣

خروج الشريف زيد لقتال قبيله جهينه ٢٧٣

كثره الأمطار و رخصه الأسعار ٢٧٤

وفاه الشريف زيد الحسنى ٢٧٤

ترجمه الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ٢٧٥

واقعه السيد حمّود و العساكر المصريه ٢٨٧

كيفيه الصلح بى سعد و حمّود ٢٩٠

الحوادث الواقعه فى دوله الشريف سعد ٢٩١

الغلاء العظيم و القحط الشديد بمكّه ٢٩١

إغارته قبيله عتيبه على القوافل ٢٩٢

ظهور عمود من نور فى المغرب ٢٩٣

وصول عساكر المصريين إلى بندر جدّه ٢٩٣

قصد السيد حمّود نهب ينبع ٢٩٣

حمل الأرزاق إلى مكّه ٢٩٤

وصول الحجّاج المصريين ٢٩٤

ظهور ضوء هائل بالقرب من عين الشمس ٢٩٥

بناء الشاخص فى المسجد الحرام ٢٩٦

وصول حسن باشا إلى مكّه و نبذه من أخباره ٢٩٦

توجه الشريف محمد يحيى إلى قبيله بنى سعد ٢٩٨

ص: ٥١٤

وصول سلطان من سلاطين العجم إلى مكّه ٢٩٩

وفاه الشيخ عيسى الثعالبي ٢٩٩

وقوع صاعقه مهيله بمكّه ٢٩٩

وفاه الشيخ عبد الكريم بن محمّد المتوكّل ٣٠٠

تشريك السيد أحمد مع الشريف سعد ٣٠٠

في حال حسن باشا و ما وقع عليه و ما صدر منه ملخصا ٣٠٠

وصول حسين باشا السلحدار إلى مكّه ٣٠٣

ذكر الدول الأربعة للشريف سعد ٣٠٤

توجه الشريف سعد لمحاربه قبيله حرب ٣٠٥

عزل الشريف سعد عن شرافه مكّه ٣٠٦

القبض على الوزير عثمان حميدان ٣٠٧

الحوادث الواقعة في دوله الشريف سعد ٣٠٩

تغلب الأعراب على البصره ٣٠٩

وفاه عبد الله أفندي عتاقى زاده ٣١١

المطر و السيل العظيم بمكّه ٣١١

وفاه الشيخ أحمد القطان ٣١٢

توجه العساكر العثمانيه إلى البصره ٣١٢

وفاه الشيخ عبد اللطيف الشيبى ٣١٢

وفاه الشيخ عبد الملك العصامى ٣١٣

حصول وباء عظيم بمكّه ٣١٤

غزوه عنزه ٣١٤

ص: ٥١٥

وفاه العلامة أحمد أفندي منجم باشى ٣١٤

وصول الأمر السلطاني بقراءة حديث بدء الوحي ٣١٨

وفاه الشيخ حسن العجيمي المكي ٣١٩

نزول الشريف سعد عن الشرافه لولده سعيد ٣٢٠

ترجمه الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمى ٣٢١

الحوادث الواقعة فى دوله الشريف بركات ٣٢٥

خروج الشريف بركات لإبعاد الشريف سعد ٣٢٥

وفاه الشيخ إبراهيم الخيارى المدنى ٣٢٦

خروج الشريف بركات إلى قتال قبيله حرب ٣٢٦

وفاه القاضى عبد المحسن القلمى ٣٢٨

وفاه السيد حمود بن عبد الله الحسنى ٣٢٨

وفاه السيد أحمد بن محمد الحارث ٣٢٩

وفاه السيد عبد الرحمن المحجوب ٣٢٩

وفاه السيد محمد الحسينى الشامى نقيب الأشراف ٣٣٠

وفاه يحيى أفندى المنقارى ٣٣١

وفاه الشيخ على الأيزى المكي ٣٣١

وفاه السيد أبو بكر بن سالم شيخان ٣٣٢

وفاه القاضى أحمد بن عيسى المرشدى ٣٣٢

خروج الشريف بركات إلى الفرع ٣٣٢

خروج السيد سعيد بن بركات إلى الروم ٣٣٣

وفاه الشيخ محمد البكرى الصديقى ٣٣٣

ص: ٥١٦

وفاه الشيخ حسين بافضل ٣٣٣

وفاه الشيخ نور الدين الشبراملسى ٣٣٣

تهمه تلويث أستار الكعبه و الحجر و الباب ٣٣٤

وفاه السيد إبراهيم بن محمد الحسنى ٣٣٧

نزول مطر عظيم ٣٣٧

السييل العظيم بالمدينه ٣٣٨

الفتنه العظيمه بالمدينه ٣٣٨

ظهور نجم له ذنب طويل ٣٣٩

المطر و السيل العظيم بمكّه ٣٣٩

وفاه السيد أحمد شيخان العلوى ٣٤٠

وفاه الشيخ محمد المنوفى ٣٤٠

وفاه الشيخ أحمد باعتر الطائفى ٣٤٠

وفاه الخطيب أحمد البرى المدنى ٣٤١

وفاه إمام اليمن أحمد المؤيد ٣٤٣

وفاه الشيخ حسن بن على الدهان ٣٤٣

خروج الشريف أحمد بن غالب من مكّه ٣٤٣

وفاه الشريف بركات بن محمد ٣٤٤

ترجمه الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات الحسنى ٣٤٤

وصول الخلعه السلطانيه ٣٤٥

إخراج الشيخ محمد بن سليمان ٣٤٦

وصول الأمر السلطاني بتقسيم البلاد ٣٤٦

ص: ٥١٧

حوادث سنه أربع و تسعين و ألف ٣٤٨

وصول هديه جليله من الهند ٣٤٨

وفاه الشيخ محمّد المالكى السوسى ٣٤٨

إدخال القناديل إلى داخل الكعبه ٣٥٠

وفاه السيد محمّد بن أحمد ٣٥٠

توقّف الساده الأشراف من العرضه ٣٥٠

حوادث سنه خمس و تسعين و ألف ٣٥٢

وقوع أمر عجيب بمكّه ٣٥٣

وفاه الأمير يحيى بيك الحسائى ٣٥٣

وصول خلعه للشريف سعيد ٣٥٤

كثره البلاء و المحن بمكّه ٣٥٤

ترجمه الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى ٣٥٦

قدوم الوزير محمّد على بن سليم ٣٦٣

وفاه الشيخ يحيى بن محمّد النابلى ٣٦٣

وفاه الشيخ أحمد البشيشى ٣٦٤

دخول شيخ آل ضفير إلى مكّه ٣٦٤

خروج الشريف أحمد إلى عنزه ٣٦٤

وزاره سليمان باشا ميرياخور ٣٦٥

وفاه السيد محمّد بن يعلى الحسنى ٣٦٥

وفاه إمام اليمن محمّد المؤيد ٣٦٥

ذکر ملوک الیمن ۳۶۶

ص: ۵۱۸

وصول الشريف أحمد إلى جدّه ٣٧٠

وصول خلعه سنه للشريف أحمد ٣٧٠

هدم البيوت الملاصقه بالمسجد ٣٧٠

حوادث سنه ثمان و تسعين و ألف ٣٧١

بناء الحائط على مقابر مكّه ٣٧١

وفاه الشيخ محمّد البخشى الدمشقى ٣٧٢

إخراج التكرود من مكّه ٣٧٢

عزل أحمد باشا والى جدّه ٣٧٢

الوباء العامّ بالطائف ٣٧٣

نصره المسلمين على الكفار ٣٧٣

حوادث سنه تسع و تسعين و ألف ٣٧٤

انزعاج الشريف أحمد بن غالب ٣٧٤

وفاه الشريف أحمد بن زيد ٣٧٤

ترجمه الشريف أحمد بن غالب بن محمّد بن مساعد بن مسعود النموى ٣٧٨

حوادث دولته و محاسنها ٣٨٥

وصول الأمر السلطانى و الخلعه للشريف أحمد ٣٨٥

خلع السلطان محمّد ٣٨٨

وفاه القاضى على المكى ٣٩٠

قتل محمّد عمّار ٣٩١

عزل الشريف أحمد بن غالب عن شرافه مكّه ٣٩١

نقل من كتاب تاريخ البهكلي حول ترجمه أحمد بن غالب ٣٩٢

ص: ٥١٩

استقرار الوزير سنبل بمدينه صبيا ٤٠٧

خروج الشريف أحمد إلى وادي خلب ٤١٠

وفاه الشريف أبي طالب بن محمد العواجي ٤١١

حوادث سنه أربع و مائه و ألف ٤١٤

ما قاله الادباء في المصلوب ٤٢٣

ترجمه عمّاره بن على بن زيدان المخلافي ٤٢٤

ذكر دوله العبيديين ٤٢٨

تتمه الحوادث ٤٢٩

عماراه قلعه جازان ٤٤٤

غزوه قبيله النحوس ٤٤٧

حكم معاقبه الإمام لرعيته ٤٥١

بحث كلامي في عدم إراداه الله تعالى للمعاصي ٤٥٥

حكم وجوب الهجره ٤٥٦

حكم المختلس و الطرار و الغاصب ٤٦١

ارتحال الشريف حسن إلى مدينه صبيا ٤٦٥

غزوه المخيزه ٤٦٧

حوادث سنه خمس و مائه و ألف ٤٦٩

الجواب عن الاعتراض على والد المؤلف ٤٩٥

قصيده والد المؤلف في الشريف أحمد ٤٩٩

عود الشريف أحمد بن غالب إلى مكّه ٥٠٣

فهرس الجزء الأول من كتاب تنفيذ العقود السنيه ٥٠٧

ص: ٥٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

